الكامل في التاريخ

لابن الأثير

Marfat.com

الكامل في التاريخ

تأليف

الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف

بابن الأثير

المجلد العاشر

دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م

Marfat.com

131642

Marfat.com

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

ذكر وفاة فرّخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه إبراهيم

في هذه السنة ، في صفر ، توفّي الملك فرّخ زاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة ، وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتّفقوا على قتله ، فقصدوه وهو في الحمّام ، وكان معه سيفٌ ، فأخذه وقاتلهم ، ومنعهم عن نفسه حتّى أدركه أصحابه وخلّصوه ، وقتلوا أولئك الغلمان .

وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يُكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها ، وبقي كذلك إلى هذه السنة ، فأصابه قُولَنْج فمات منه ، وملك بعده أخوه إبراهيم بن مسعود بن محمود ، فأحسن السيرة ، فاستعدّ لجهاد الهند ، ففتح حصوناً امتنعت على أبيه وجدّه ، وكان يصوم رجباً وشعبانَ ورمضانَ .

ذكر الصُّلح بين الملك إبراهيم وجُغري بك داود

في هذه السنة استقرّ الصلح بين الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق ، صاحب خُراسان ، على أن يكون كلّ

Marfat.com

واحد منهما على ما بيده ، ويترك منازعة الآخر في ملكه .

وكان سبب ذلك أنّ العقلاء من الجانبَيْن نظروا فرأوا أنّ كلّ واحد من الملكَيْن لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر ، وليس يحصل غير إنفاق الأموال ، وإتعاب العساكر ، ونهب البلاد ، وقتل النفوس ، فسعوا في الصُّلح ، فوقع الاتّفاق واليمين ، وكُتبت النُّسَخ بذلك ، فاستبشر الناس ، وسرّهم لما أشرفوا عليه من العافية .

ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان

في هذه السنة ، في رجب ، توفّي جُغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أخو السلطان طغرلبك ، وقيل كان موته في صفر سنة اثنتين وخمسين ، وعمره نحو سبعين سنة ، وكان صاحب خراسان ، وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ، ومانعهم عن خراسان ؛ فلمّا توفّي ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب أرسلان ، • وخلّف داود عدّةَ أولاد ذكور منهم : السلطان ألب أرسلان[1] ، وياقوتي ، وسليمان ، وقاورت بك ، فتزوّج أمَّ سليمان السلطان طغرلبك، بعد أخيه داود ، ووصّى له بالملك بعده ، وكان من أمره ما نذكره .

وكان خيّراً ، عادلاً ، حسن السيرة ، معترفاً بنعمة الله تعالى عليه ، شاكراً عليها ، فمن ذلك أنّه أرسل إلى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد، قاضي سَرْخَس، يقول له : بلغني إخرابُك البلاد التي فتحتَها وملكتَها ، وجلا أهلها عنها ، وهذا ما لا خفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده ، وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وإيحاش الرعيّة .

---

1) Om. A.

Marfat.com

وقد علمتَ أنّنا لقينا[1] أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلاً ، وهم في ثلاثمائة ، فغلبناهم ، وكنّا في ثلاثمائة ، وهم في ثلاثة آلاف ، فغلبناهم ، وكنّا في ثلاثة آلاف ، وهم في ثلاثين ألفاً ، فدفعناهم ؛ وقاتلنا بالأمس شاه ملك ، وهو في أعداد كثيرة متوافرة ، فقهرناه ، وأخذنا مملكته بخُوارزم ، وهرب من بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه ، فظفرنا به وأسرناه وقتلناه ، واستولينا على ممالك خُراسان وطبَرستان وسِجِستان ، وصِرْنا ملوكاً متبوعين ، بعد أن كنّا أصاغر تابعين ، وما تقتضي[2] نعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة .

فقال طغرلبك : قُل له في الجواب : يا أخي أنت ملكتَ خُراسان وهي بلاد عامرة ، فخرّبتَها ، ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها ، وأنا وردتُ بلاداً خرّبها مَنْ تقدّمني ، واجتاحها من كان قبلي ، فما أتمكّن من عمارتها والأعداء محيطةٌ بها ، والضرورة تقود إلى طَرقها بالعساكر ، ولا يمكن دفع مضرّتها عنها

وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل .

ذكر حريق بغداذ

في هذه السنة احترقت بغداذ : الكرخ وغيره ، وبين السورَيْن ، واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها أردشير الوزير ، ونُهبت بعض كتبها ، وجاء عميد الملك الكندريُّ ، فاختار من الكتب خيرها ، وكان بها عشرة آلاف مجلّد وأربعمائة مجلّد من أصناف العلوم منها : مائة مصحف بخطوط بني مُقلة ،

---

١ ألقينا .

٢ تقتضي .

Marfat.com

وكان العامّة قد نهبوا بعضها لمّا وقع الحريق ، فأزالهم عميد الملك ، وقعد يختارها ، فنُسب ذلك إلى سوء سيرته ، وفساد اختياره ، وشتّان بين فعله وفعل نظام الملك الذي عمّر المدارس ، ودوّن العلم في بلاد الإسلام جميعها ، ووقف الكتب وغيرها .

ذكر انحدار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح دُبَيْس

في هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك إلى واسط بعد فراغه من أمر بغداذ ، فرآها قد نُهبت ، وحضر عنده هزارسب بن بنكير ، وأصلح معه حال دُبَيْس ابن مَزْيد ، وأحضره معه إلى خدمة السلطان ، وأصعد في صحبته إلى بغداذ ، وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين ؛ وضمن واسطاً أبو عليّ بن فضلان بمائتَيْ ألف دينار ، وضمن البصرة الأغرّ أبو سعد سابور بن المظفّر ، وعبر السلطان إلى الجانب الشرقيّ من دجلة ، وسار إلى قرب البطائح[1] ، فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والأهواز .

وأصعد السلطان إلى بغداذ في صفر سنة اثنتين وخمسين [وأربعمائة] ومعه أبو الفتح بن ورّام ، وهزارسب بن بنكير بن عياض ، ودُبيس بن مَزْيَد ، وأبو عليّ ابن الملك أبي كاليجار ، وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم، واجتمع السلطان بالخليفة ، وأمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والأمراء وأصحابهم ، وعمل السلطان أيضاً سِماطاً أحضر فيه الجماعة ، وخلع عليهم ، وسار إلى بلاد الجبل في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين ، وجعل ببغداذ

---

1) A: البطائح

شحنة الأمير برسق ، وضمنها أبو الفتح المظفّر بن الحسين ثلاث سنين بأربع مائة ألف دينار .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُزل أبو الحسين بن المهتدي من الخطابة بجامع المنصور لأنّه خطب للعلويّ ببغداذ في الفتنة ، وأقيم مقامه بهاء الشرف[1] أبو عليّ الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله .

وفيها توفّي عليُّ بن محمود • بن إبراهيم[2] الزوْزنيُّ أبو الحسن ، صحب أبا الحسن الحُصْريّ ، وروى عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ . وهو الذي نُسب إليه رباط الزوزنيّ المقابل لجامع المنصور .

وفيها ، في جمادى الأولى ، توفّي محمّد بن عليّ بن الفتح بن محمّد بن عليّ أبو طالب العُشاريُّ ، ومولده في المحرّم سنة ستّ وستّين وثلاثمائة ، وسمع الدارقطنيّ وغيره .

---

1) A. الدولة .

2) Om. A.

Marfat.com

٤٥٢

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

ذكر عود وليّ العهد إلى بغداذ مع أبي الغنائم بن المحلبان

في جمادى الآخرة ورد عُدّة الدين أبو القاسم المقتدي بأمر الله ، وليُّ العهد ، ومعه جدّته أمُّ الخليفة ، وخرج الناس لاستقباله ، وجلس في الزبزب على رأسه أبو الغنائم بن المحلبان ، وقُدّم له بباب الغربة فرس ، فحمله ابن المحلبان على كتفه . وأركبه وسلّمه إلى مجلس الخليفة ، فشكره ، وخرج ابن المحلبان فركب[1] في الزبزب ، وانحدر إلى دار أفردت له بباب المراتب ، ودخل إلى الخليفة واجتمع به .

وكان سبب مصير وليّ العهد مع ابن المحلبان أنّه دخل داره ، فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده بها ، وهم مطلوبون من البساسيريّ ، فعرّفوه أنّ رئيس الرؤساء أمرهم بقصده ، فأدخلهم إلى أهله ، وأقام لهم من حملهم إلى ميّافارقين ، فساروا مع قرواش لمّا أصعد من بغداذ ، ولم يعلم بهم .

ثمّ لقيه أبو الفضل محمّد بن عامر الوكيل ، وعرّفه ما عليه وليُّ العهد ومَن معه من إيثار الخروج من بغداذ ، وما هم عليه من تناقص الحال ، فبعث ابن المحلبان زوجته ، فأتته بهم سِرّاً ، فتركهم عنده ثمانية أشهر ، وكان يحضر ابن

---

1) Om. A.

البساسيريّ وأصحابه ، ويعمل لهم الدعوات ، ووليُّ العهد ومن معه مستترون عنده ، يسمعون ما يقول أولئك فيهم .

ثم اكترى لهم ، وسار هو في صحبتهم إلى قريب سنجار ، ثم حُملوا إلى حَرّان ، وسار مع صاحبها أبي الزمام منيع بن وثّاب النُّمَيريّ ، حين قصد الرحبة ، وفتح قَرَقِيسِيا ، وعقد لعُدّة الدين على بنت مَنيع ، وانحدروا إلى بغداذ .

ذكر ملك محمود بن شِبْل الدولة حلب

في هذه السنة ، • في جمادى الآخرة[1] ، حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابيُّ مدينة حلب ، وضيّق عليها ، واجتمع مع جمع كثير من العرب ، فأقام عليها ، فلم يتسهّل له فتحها ، فرحل عنها ، ثم عاودها فحصرها ، فملك المدينة عنوة[2] • في جمادى الآخرة ، بعد أن حصرها[1] ، وامتنعت القلعة عليه .

وأرسل مَن بها إلى المستنصر بالله ، صاحب مصر ودمشق ، يستنجدونه[1] ، فأمر ناصرَ الدولة أبا محمّد الحسين بن الحسن بن حمدان ، الأمير بدمشق ، أن يسير بمن عنده من العساكر إلى حلب يمنعها من محمود . فسار إلى حلب ، فلمّا سمع محمود بقربه[3] منه خرج من حلب ، ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها .

---

1) Om. A. 2) A. 3) A. بقربهم .

---

[1] يستنجدوه .

Marfat.com

ثم إنّ الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب ، واشتدّ القتال بينهم ، فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهوراً إلى مصر ، وملك محمود حلب ، وقتل عمّه معزّ الدولة ، واستقام أمره بها ، وهذه الوقعة تُعرف بوقعة الفُنَيْدِق ، وهي مشهورة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الأخرم الخفاجيّ ، ورُدّت إليه إمارة بني خفاجة ، وولاية الكوفة ، وسقي[1] الفُرات ، وضمن خواصّ السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كلّ سنة ، وصرف عنها رجب بن منيع .

وفيها توفّي أبو محمّد النَّسَويُّ[2] ، صاحب الشُّرطة ببغداذ ، وقد جاوز ثمانين سنة .

وفيها سدّ بنو ورّام بثق النَّهروانات ، وشرع العميد أبو الفتح في عمارة بثوق[3] الكَرَخ .

وفيها ، في ذي القعدة ، توفّيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزَنجان، فوجد عليها وجداً شديداً ، وحُمل تابوتها إلى الرَّيّ فدُفنت بها .

وفيها ، ثالث جمادى الآخرة ، انقضّ كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب إلى ناحية المشرق ، فطال لبثه .

وفيها جمع عطيّة بن صالح بن مرداس جمعاً وحصر الرحبة ، وضيّق على أهلها ، فملكها في صفر من هذه السنة .

---

1) A. وشقي .

2) A. الفسوي .

3) C. P. سوق .

وفيها توفّيت والدة الخليفة القائم بأمر الله ، واسمها قطر النّدى ، وقيل بدر الدُّجى ، وقيل علَم ، وهي جارية أرمينيّة .

وفيها توفّي محمّد بن الحسين بن محمّد بن الحسن أبو عليّ المعروف بالجازريّ النهروانيّ ، وكان مكثِراً من الرواية ، • الجازريُّ بالجيم وبعد الألف زاي ثم راء .

وفيها توفّي باي أبو منصور الفقيه الجيليُّ ، بالباء الموحّدة وبعد الألف ياء تحتها نقطتان ؛ ومحمّد بن عبيد بن أحمد بن محمّد أبو عمرو بن أبي الفضل ، الفقيه المالكيُّ[1] .

Marfat.com

1) Om. C. P.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

ذكر وزارة ابن دارست للخليفة

لمّا عاد الخليفة إلى بغداذ استخدم أبا تراب الأثيريَّ في الإنهاء ، وحضور المواكب ، ولقّبه حاجب الحجّاب ، وكان قد خدمه بالحديث ، وقرب منه ، فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست ، وقال إنّه يخدم بغير إقطاع ، ويحمل مالاً ، فأُجيب إلى ذلك ، فأُحضر من الأهواز إلى بغداذ ، وخُلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر ، وجلس في منصبه ، ومدحه الشعراء ، فممّن مدحه وهنّاه أبو الحسن الخبّاز بقصيدة منها :

أمِنَ المُلكُ بالأمينِ أبي الفتـ ـح وصُدَّت[1] عن صَفوهِ الأقذاءُ
دولةٌ أصبحتْ ، وأنتَ وليٌّ الرأيِ فيها ، لَدَولةٌ غرّاءُ

وهي طويلة . وكان ابن دارست في أوّل أمره تاجراً للملك أبي كاليجار .

---

1) A. وصلت .

Marfat.com

ذكر موت المعزّ بن باديس وولاية ابنه تميم

في هذه السنة توفّي المعزُّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، من مرض أصابه ، وهو ضعف الكبد ، وكانت مدّة ملكه سبعاً[1] وأربعين سنة ، وكان عمره لمّا ملك إحدى عشرة سنة ، وقيل ثماني سنين وستّة أشهر .

وكان رقيق القلب ، خاشعاً ، متجنّباً لسفك الدماء إلاّ في حدّ ، حليماً ، يتجاوز عن الذنوب العظام ، • حسن الصُّحبة مع عبيده وأصحابه ، مكرماً لأهل العلم ، كثير العطاء لهم[1] ، كريماً ، وهب مرّة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتيّ وكان عنده وقد جاءه هذا المال ، فاستكثره ، فأمر به فأفرغ بين يَديْه ، ثم وهبه له ، فقيل له : لِمَ أمرتَ بإخراجه من أوعيته ؟ قال : لئلاّ يقال لو رآه ما سمحت نفسه به ؛ وكان له شعر حسنٌ .

ولمّا مات رثاه الشعراء ، فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال :

لكلّ حيّ وإن طالَ المدَى هُلُكُ ... لا عِزُّ مملكةٍ يبقَى ، ولا ملكُ
ولّى المُعِزُّ على أعقابِه فرَمَى[2] ، ... أو كاد يَنهدُّ من أركانِه الفَلَكُ
مضَى فقيداً ، وأبقَى في خزائنِه ... هامَ الملوكِ ، وما أدراك ما ملكوا
ما كانَ إلاّ حُساماً سلّهُ قَدَرٌ ... على الذين بغَوا في الأرض وانهمكُوا
كأنّه لم يخُضْ للموتِ بحرَ وغًى ، ... خُضرُ البحار ، إذا قِيسَتْ بهِ ، بِرَكُ

1) Om. A. 2) A. فدعى ; in C. P. فرعى superscriptum est.

---

١ سبع .

Marfat.com

ولم يجُدْ بقَنَاطيرٍ مُقنطَرةٍ قد أرّختْ[1] باسمِه إبريزها السككُ[2]
روحُ المُعزّ وروحُ الشّمس قد قُبضَا ، فانظُر بأيّ ضِياء يَصْعَد الفلَكُ[3]

ولمّا توفّي ملك بعده ابنه تميم ، وكان مولد تميم بالمنصوريّة التي هي مقرّه[4] ، منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وولاّه المهديّة في صفر سنة خمس وأربعين [وأربعمائة] ، فأقام بها إلى أن وافاه أبوه المعزُّ ، لمّا انتزح عن القَيروان من العرب ، وقام بخدمة أبيه ، وأظهر من طاعته وبِرّه ما بَانَ [به] كذب ما كان يُنسب إليه .

ولمّا استبدّ بالملك بعد أبيه سلك طريقه في حُسن السيرة ، ومحبّة أهل العلم ، إلاّ أنّه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب ، وزالت الهيبة والطاعة عنهم في أيّام المعزّ ، فلمّا مات ازداد طمعهم ، وأظهر كثير منهم الخلافَ ، فممّن أظهر الخلاف القائد حَمّو بن مليك ، صاحب سَفَاقُسَ ، واستعان بالعرب ، وقصد المهديّة ليحاصرها ، فخرج إليه تميم وصافّه ، فاقتتلوا ، فانهزم حَمّو وأصحابه ، وكثُر القتل فيهم ، ومضى حمّو ونجا بنفسه ، وتفرّقت خيله ورجاله ، وكان ذلك سنة خمس وخمسين [وأربعمائة] .

وسار تميم[5] إلى سُوسَةَ ، وكان أهلها قد خالفوا أباه المعزّ وعصوا عليه ، فملكها وعفا عن أهلها .

---

1) C. P. ارتجت forte ارخت .
2) Om. A.
3) A. الملك .
4) A. صبره .
5) A.

---

١ لرعت .

ذكر وفاة قُريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة

في هذه السنة توفّي قُريش بن بدران صاحب الموصل ونَصِيبين ، أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينَيْه وأذنَيْه ، فحمله ابنه شرف الدولة إلى نَصيبين، حتّى حفظ خزانته بها ، وتوفّي هناك .

وسمع[1] فخر الدولة أبو نصر محمّد بن محمّد بن جُهير حاله ، فسار من دارا إلى نَصِيبين ، وجمع بني عُقَيْل على أن يؤمّروا ابنه أبا المكارم مُسلِم بن قريش عليهم ، وكان القائم بأمره جابر بن ناشب ، فزوّجه فخر الدولة بأخت مسلِم ، وزوّج مسلِماً بابنة نصر بن منصور .

ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان

في هذه السنة توفّي نصر الدولة أحمد بن مروان الكرديُّ ، صاحب ديار بَكر ، ولقّبه القادر بالله نصر الدولة ، وكان عمره نيّفاً وثمانين سنة ، وإمارته اثنتين وخمسين سنة ، واستولى على الأمور ببلاده استيلاء تامّاً ، وعمر الثغور وضبطها ، وتنعّم تنعّماً لم يُسمَعْ بمثله عن أحد من أهل زمانه .

وملك من الجواري المغنّيات ما اشترى بعضهنّ بخمسة آلاف دينار ، وأكثر من ذلك ، وملك خمسمائة سُرّيّة سوى توابعهن ، وخمسمائة خادم .

وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتَيْ ألف دينار ، وتزوّج من بنات الملوك جملة ، وأرسل طبّاخين إلى الديار المصريّة ، وغرم على إرسالهم

---

1) C. P. وكان .

Marfat.com

جملة وافرة حتّى تعلّموا الطَّبخ من هناك .

وأرسل إلى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة ، من جملتها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه ، اشتراه من الملك العزيز[1] أبي منصور بن جلال الدولة ، وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك .

ووزر له أبو القاسم بن المغربيّ ، وفخر الدولة بن جُهير ، ورخُصت الأسعار في أيّامه . وتظاهر الناس بالأموال ، ووفد إليه الشعراء ، وأقام عنده العلماء والزهّاد .

وبلغه أنّ الطيور في الشتاء تخرج من الجبال إلى القُرى فتُصاد ، فأمر أن يُطرح لها الحبّ من الأهراء التي له ، فكانت في ضيافته طول عمره .

ولمّا مات اتّفق وزيره فخر الدولة بن جُهير وابنه نصر ، فرتّب نصراً في الملك بعد أبيه ، وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر ، فاستقرّ في الإمارة بميّافارقين وغيرها ، وملك أخوه سعيد آمِد .

ذكر عدّة حوادث

في رجب خُلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمّد الزينبيّ ، وقُلّد نقابة النقباء ، ولُقّب الكامل ذا[1] الشرفَيْن .

وفيها توفّي شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن عليّ [تولّى] نقابة العلويّين ببغداذ ، ولُقّب المرتضى .

1) C. P.

١ ذو .

Marfat.com

• وفيها ، في جمادى الأولى ، انكسفت[1] الشمس جميعها ، فظهرت الكواكب ، وأظلمت الدنيا ، وسقطت الطيور الطائرة[1] .

وفيها ، في شهر رمضان ، توفّي شكر العلويُّ الحسينيُّ[2] ، أمير مكّة ، وله شعر حسن ، فمنه :

قَوِّضْ خِيامَكَ[3] عن أرضٍ تُضامُ بها، وجانبِ الذُّلَّ، إنّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ
وارحَلْ إذا كان في الأوطان مَنْقصَةٌ فالمَندَلُ الرَّطبُ في أوطانِه حطَبُ

وفيها توفّي أبو القاسم عليُّ بن • محمّد بن يحيى[1] الشمشاطيُّ[4] بدمشق ، وكان عالماً بالهندسة والرياضيّات من علوم الفلاسفة ، • وإليه يُنسب الرباط الذي عند جامع دمشق[1]

1) Om. C. P.
2) C. P. الحسني .
3) A. ركابك .
4) A. السميساطي .

١ انكشف .

Marfat.com

٤٥٤

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة

ذكر نكاح السلطان طغرلبك[1] ابنة الخليفة

في هذه السنة عُقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله ، وكانت الخطبة تقدّمت سنة ثلاث وخمسين [وأربعمائة] مع أبي سعد قاضي الرَّيّ ، فانزعج الخليفة من ذلك ، وأرسل في الجواب أبا محمّد التميميّ ، وأمره أن يستعفي ، فإن أُعفي ، وإلاّ تمّم الأمر على أن يحمل السلطان ثلاثمائة ألف دينار ، ويسلّم واسطاً وأعمالها .

فلمّا وصل إلى السلطان ذكَر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء ، فقال : لا يحسن أن يُرَدّ السلطان ، وقد سأل وتضرّع ، ولا يجوز مقابلته أيضاً بطلب الأموال والبلاد ، فهو يفعل أضعاف ما طُلب منه .

فقال التميميُّ : الأمر لك ، ومهما فعلتَهُ فهو[1] الصواب ؛ فبنى الوزير الأمر على الإجابة ، وطالع به السلطان ، فسُرّ به ، وجمع الناس وعرّفهم أنّ همّته سمتْ به إلى الاتصال بهذه الجهة النبويّة ، وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك . وتقدّم إلى عميد الملك الوزير أن يسير ومعه أرسلان خاتون ، زوجة

---

1) A.

---

١ هو .

Marfat.com

الخليفة ، وأن يصحبها مائة ألف[1] دينار برسم الحمل ، وما شاكلها من الجواهر وغيرها ، ووجّه معه فرامرز بن كاكويَه ، وغيره من وجوه الأمراء وأعيان الرَّيّ .

فلمّا وصل إلى الإمام القائم بأمر الله ، وأوصل خاتون زوجة الخليفة إلى دارها ، وأنهى حضوره وحضور من معه ، ذكر حال الوصلة ، فامتنع الخليفة من الإجابة إليها وقال : إن أُعفينا ، وإلاّ خرجنا من بغداذ .

فقال عميد الملك : كان الواجب الامتناع من غير اقتراح ، وعند الإجابة إلى ما طلب ، فالامتناع سعيٌ على دمي ؛ وأخرج خيامه إلى النَّهروان ، فاستوقفه قاضي القضاة ، والشيخ أبو منصور بن يوسف ، وأنهيا إلى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه ، . وصنع له[2] ابن دارست وزير الخليفة . دعوة ، فحضر عنده[3] ، فرأى على مسجدٍ مكتوباً : معاوية خال عليّ ؛ فأمر بحكّه .

وكتب من الديوان إلى خمارتكين الطغرائيّ كتاباً يتضمّن الشكوى من عميد الملك ، فورد الجواب عليه بالرفق ، وكتب الخليفة إلى عميد الملك : نحن نردّ الأمر إلى رأيك ، ونعوّل على أمانتك ودينك .

فحضر يوماً عند الخليفة ، ومعه جماعة من الأمراء ، والحجّاب ، والقضاة والشهود ، فأخذ المجلس لنفسه ، ولم يتكلّم سواه ، وقال للخليفة : أسأل مولانا أمير المؤمنين التطوّل بذكر ما شرّف به العبد المخلص شاهنشاه ، ركن الدين ، فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة .

فغالطه ، وقال : قد سُطّر في المعنى ما فيه كفاية . فانصرف عميد الملك مَغيظاً[4] ، ورحل في السادس والعشرين[5] من جمادى الآخرة ، وأخذ المال

---

1) Add. A. ألف .
2) A.; C. P. وحضر دعوة .
3) Om. C. P.
4) A. مغبضاً .
5) C. P. عشر .

معه إلى همـَذان ، وعرّف السلطان أنّ السبب في اتّفاق الحال من خمارتكين الطغرائيّ . فتغيّر السلطان عليه ، فهرب في ستّة غلمان .

وكتب السلطان إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول : هذا جزاء من الخليفة الذي قتلتُ أخي في خدمته ، وأنفقتُ أموالي في نصرته ، وأهلكتُ خواصّي في محبّته . وأطال العتاب ، وعاد الجواب إليه بالاعتذار .

وأمّا الطغرائيّ فإنّه أدرك ببَرُوجِرْدَ فقال أولاد إبراهيم ينّال للسلطان : إنّ هذا قتل أبانا ، ونسأل أن نُمكَّن من قتله ؛ وأعانهم عميد الملك ، فأذن لهم في قتله ، فساروا إلى طريقه وقتلوه ، وجعل مكانه ساوتكين ، وبسط[1] الكندري لسانه . وطلب طغرلبك ابنة أخيه ، زوجة الخليفة ، لتعاد إليه ، وجرى ما كاد[1] يفضي إلى الفساد الكلّيّ .

فلمّا رأى الخليفة شدّة الأمر أذِن في ذلك ، وكتب الوكالة باسم عميد الملك ، وسُيّرت الكتب مع أبي الغنائم بن المحلبان ، وكان العقد في شعبان سنة أربع وخمسين [وأربعمائة] بظاهر تبريز ، وهذا ما لم يُجْرَ للخلفاء مثله ، فإنّ بني بُوَيْه مع تحكّمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ولا ساموهم فعله .

وحمل السلطان أموالاً كثيرة ، وجواهر نفيسة للخليفة ، ولوليّ العهد ، وللجهة المطلوبة ، ولوالدتها ، وغيرهم ، وجعل بَعْقُوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التي توفّيت للسيدة ابنة الخليفة .

---

1) Codd. Bodl.; A. et C. P. وسبط ; at A. in marg. لعله وبسط .

---

١ كان .

131642

ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جُهير

في هذه السنة عُزل أبو الفتح محمّد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة .

وسببه أنّه وصل معه إنسان يهوديٌّ يقال له ابن علاّن ، فضمن أعمال الوكلاء التي لخاصّ الخليفة بستّة آلاف كُرّ غلّة ، ومائة ألف دينار ، فصحّ منها ألفا كُرّ ، وثلاثون ألف دينار ، وانكسر الباقي ، فظهر عجز ابن دارست ووهنه ، فعُزل ، وعاد إلى الأهواز ، فتوفّي بها سنة سبع وستّين[وأربعمائة] .

وكان فخر الدولة أبو نصر بن جُهير ، وزير نصرالدولة بن مروان ، قد أرسل يخطب الوزارة ، وبذل فيها بذولاً كثيرة ، فأجيب إليها ، وأرسل كامل طراد الزينبيّ إلى ميّافارقين كأنّه رسولٌ ، فلمّا عاد سار معه ابن جُهير كالمودّع له ، فتمّم السير معه .

وخرج ابن مروان في أثره ، فلم يدركه ، فلمّا وصل إلى بغداذ خرج الناس إلى استقباله ، وخُلع عليه خِلَع الوزارة يوم عرَفة ، ولُقّب فخر الدولة ، واستقرّ في الوزارة ، ومدحه وهنّأه ابن الفضل وغيره من الشعراء .

ذكر عدّة حوادث[1]

في هذه السنة عمّ الرخص جميع الأصقاع ، فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط .

وفيها توفّي القاضي أبو عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر القضاعيُّ بمصر .

.....

1) Folium hic in A. excidit.

Marfat.com

وفيها سار السلطان طغرلبك إلى قلعة الطَّرْم من بلاد الديلم ، وقرّر على مسافر ملكها مائة ألف دينار وألف ثوب . .

وفيها مات أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقّب معزّ الدولة بحلب ، وقام أخوه عطية مقامه .

وتوفّي الحسن بن عليّ بن محمّد أبو محمّد الجوهريُّ ، ومولده سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة ، وكان من الأئمّة المكثرين من سماع الحديث وروايته ، وهو آخر من حدّث عن أبي بكر القطيعي ، والأبهريّ ، وابن شاذان ، وغيرهم .

Marfat.com

٤٥٥

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة

ذكر ورود السلطان بغداذ ودخوله بابنة الخليفة

في هذه السنة ، في المحرّم ، توجّه السلطان طغرلبك من أرمينية إلى بغداذ ، وأراد الخليفة أن يستقبله ، فاستعفاه من ذلك ، وخرج الوزير ابن جُهير فاستقبله .

وكان مع السلطان من الأمراء : أبو عليّ ابن الملك أبي كاليجار ، وسُرخاب ابن بدر ، وهزارسب ، وأبو منصور فرامرز بن كاكويَه ، فنزل عسكره في الجانب الغربيّ ، فزاد بهم أذى .

ووصل عميد الملك إلى الخليفة ، وطالب بالجهة ، وبات بالدار ، فقيل له : خطّك موجود بالشرط ، وإنّ المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع ، وإنّه إن كانت مشاهدة فتكون في دار الخلافة ؛ فقال السلطان : نفعل هذا ، ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ، ومعه خواصّه ، وحجّابه ، ومماليكه ، فإنّه لا يمكنه مفارقتهم . فحينئذ نُقلتْ إلى دار المملكة في منتصف صفر ، فجلست على سرير ملبّس بالذهب ، ودخل السلطان إليها ، وقبّل الأرض وخدمها ، ولم تكشف الخمار عن وجهها ، ولا قامت هي له ، وحمل لها شيئاً كثيراً من الجواهر وغيرها ، وبقي كذلك يحضر كلّ يوم يخدم وينصرف .

وخلع على عميد الملك وعمل السّماط عدّة أيّام ، وخلع على جميع الأمراء ، وظهر عليه سرور عظيم ، وعقد ضمان بغداذ على أبي سعيد القانيّ بمائة وخمسين

Marfat.com

ألف دينار ، فأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقَيْن من المواريث والمكوس ، وقبض على الأعرابيّ سعد ، ضامن البصرة ، وعقد ضمان واسط على أبي جعفر ابن صقالب بمائتَيْ ألف دينار .

ذكر وفاة السلطان طغرلبك

في هذه السنة سار السلطان من بغداذ ، في ربيع الأوّل ، إلى بلد الجبل ، فوصل إلى الرَّيّ واستصحب معه أرسلان خاتون ابنة أخيه ، زوجة الخليفة ، لأنّها شكت اطّراح الخليفة لها ، فأخذها معه ، فمرض ، وتوفّي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان ، وكان عمره سبعين سنة تقريباً ، وكان عقيماً لم يلد ولداً .

وكان وزيره الكُندُريُّ على سبعين فرسخاً ، فأتاه الخبر ، فسار ، ووصل إليه في يومَيْن وهو بعد لم يُدفن فدفنه . وجلس له الوزير فخر الدولة بن جُهير ببغداذ للعزاء .

حكى عنه الكندريُّ أنّه قال : رأيتُ ، وأنا بخراسان ، في المنام كأنّني رُفعتُ إلى السماء ، وأنا في ضبابٍ لا أبصر معه شيئاً ، غير أنّي أشمّ رائحة طيّبة ، وأنّني أُنادَى : إنّك قريبٌ من الباري ، جلّت قدرته، فاسألْ حاجتك لتُقضى ؛ فقلت[1] في نفسي : أسأل طول العمر ، فقيل : لك سبعون سنة ؛ فقلت : يا ربّ ما يكفيني ؛ فقيل : لك سبعون سنة ؛ فقلت : يا ربّ لا يكفيني ؛ فقيل : لك سبعون سنة . فلمّا مات حسب عميد الملك عمره ، على التقريب ، فكان سبعين سنة . وكانت مملكته ، بحضرة الخلافة ، سبع سنين وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً .

---

١ فقلت .

Marfat.com

وأمّا الأحوال بالعراق ، بعد وفاته ؛ فإنّه كُتب من ديوان الخلافة إلى شرف الدولة مسلم بن قريش ، صاحب الموصل ، وإلى نور الدولة دُبَيس بن مَزْيد ؛ وإلى هزارسب ، وإلى بني ورّام ، وإلى بدر بن المُهلهِل ، بالاستدعاء إلى بغداذ ، وأُرسل لشرف الدولة تشريف ، وعمل أبو سعد القايني ، ضامن بغداذ ، سوراً على قصر عيسى ، وجمع الغلاّت . فانحدر إبراهيم بن شرف الدولة إلى أوَانَا ، وتسلّم أصحابه الأتبار ، وانتشرت البادية في البلاد ، وقطعوا الطرقات .

وقدم إلى بغداذ دُبَيْس بن مَزْيد ؛ وخرج الوزير ابن جُهير لاستقباله ، وقدم أيضاً ورّام ، وتوفّي ببغداذ أبو الفتح بن ورّام ، مقدّم الأكراد الجاوانيّة ، فحُمل إلى جَرْجَرَايَا ، وفارق شرف الدولة مسلم بغداذ ، ونهب النواحي ، فسار نور الدولة ، والأكراد ، وبنو خفاجة إلى قتاله .

ثم أُرسل إليه من ديوان الخلافة[1] رسول معه خلعة له ، وكوتب بالرضاء عنه ؛ وانحدر إليه نور الدولة دُبَيْس ؛ فعمل له شرف الدولة سماطاً كثيراً ؛ وكان في الجماعة الأشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبي غالب بن خلف ، كان قصد شرف الدولة مستجدياً ، فمضغ لقمة . فمات من ساعته .

وحكى عنه بعض من صحبه أنّه سمعه ذلك اليوم يقول : اللّهمّ اقبضني ، فقد ضجرتُ من الإضاقة ! فلمّا توفّي ورُفع من السماط خاف شرف الدولة أن يظنّ مَنْ حضر أنّه تناول طعاماً مسموماً قصد به غيره ، فقال : يا معشر العرب لا برَح منكم أحد ؛ ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفّى ، وجعل يأكل من الطعام الذي بين يدَيْه ، فاستحسن الجماعة فعله ، وعادوا عنه وخلع على دُبَيْس وولده منصور وعاد إلى حلّته .

ولمّا رأى الناس ببغداذ انتشار الأعراب في البلاد ونهبها ، حملوا السلاح لقتالهم ، وكان ذلك سبباً لكثرة العيّارين وانتشار المفسدين .

---

١ الخلعة .

Marfat.com

ذكر شيء من سيرته

كان عاقلاً حليماً من أشدّ الناس احتمالاً ، وأكثرهم كِتماناً لسِرّه ، ظفر بملطّفات كتبها بعض خواصّه إلى الملك أبي كاليجار ، فلم يطلعه على ذلك ، ولا تغيّر عليه ، حتّى أظهره بعد مدّة طويلة لغيره .

وحكى عنه أقضى القضاة الماورديّ قال : لمّا أرسلني القائم بأمر الله إليه سنة ثلاث وثلاثين [وأربعمائة] كتبتُ كتاباً إلى بغداذ أذكر فيه سيرته وخراب بلاده ، وأطعن عليه بكلّ وجه ، فوقع الكتاب من غلامي ، فحُمل إليه ، فوقف عليه وكتمه ، ولم يحدّثني فيه بشيء ، ولا تغيّرَ عمّا كان عليه من إكرامي .

وكان ، رحمه الله ، يحافظ على الصلوات ، ويصوم الاثنَيْن ، والخميس ، وكان لبسه الثياب البياض ، وكان ظلوماً ، غشوماً ، قاسياً ، وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم ، وأيديهم مطلقة في ذلك نهاراً وليلاً .

وكان كريماً ، فمن كرمه أنّ أخاه إبراهيم ينتال أسر من الروم ، لمّا غزاهم ، بعض ملوكهم فبذل في نفسه أربعمائة ألف دينار ، فلم يقبل إبراهيم منه وحمله إلى طغرلبك ، فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان حتّى خاطب طغرلبك في فكاكه ، فلمّا سمع طغرلبك رسالته أرسل الروميّ إلى ابن مروان بغير فِداء ، وسيّر معه رجلاً علوياً ، فأنفذ ملك الروم إلى طغرلبك ما لم يُحمل في الزمان المتقدّم ، وهو ألف ثوب ديباج ، وخمسمائة ثوب أصناف ، وخمسمائة رأس من الكراع إلى غير ذلك ، وأنفذ مائتَيْ ألف دينار ، ومائة لبنة فضّة ، وثلاثمائة شهري ، وثلاثمائة حمار مصريّة ، وألف عنز بيض الشعور ، سود العيون والقرون ، وأنفذ إلى ابن مروان عشرة أمناء مسكاً ، وعمر ملك الروم الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بالقُسطنطينيّة ، وعمر منارته ، وعلّق فيه القناديل ، وجعل في محرابه قوساً ونشابة ، وأشاع المهادنة .

Marfat.com

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان

لمّا مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكُنْدُرِيُّ في السلطنة سليمان ابن داود جغري بك ، أخي السلطان طغرلبك ، وكان طغرلبك قد عهد إليه بالملك ، وكانت والدة سليمان عند طغرلبك ، فلمّا خُطب له بالسلطنة اختلف الأمراء ، فمضى باغي سيان وأردم إلى قزوين ، وخطبا لعضد الدولة ألْب أرسلان محمّد بن داود جغري بك ، وهو حينئذ صاحب خراسان ، ومعه نظام الملك وزيره ، والناس مائلون إليه . فلمّا رأى عميد الملك الكُنْدُرِيُّ انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرَّيّ للسلطان ألْب أرسلان ، وبعده لأخيه سليمان .

ذكر خروج حمّو عن طاعة تميم بن المعزّ بإفريقية

في هذه السنة خالف حمّو بن مليك ، صاحب مدينة سَفَاقس بإفريقية، على الأمير تميم بن المعزّ بن باديس ، فجمع أصحابه ، واستعان بالعرب ، وسار إلى المهديّة ، فسمع تميم الخبر ، فسار إليه بعساكر ومعه[1] أيضاً طائفة من العرب من زغبة ، ورياح ، ووصل حمّو إلى سَلَقَطة[2] ، والتقى الفريقان بها ، وكانت بينهما حرب شديدة فانهزم حمّو ومَن معه ، وأخذتهم[1] السيوف ، فقُتل أكثر حماته وأصحابه ، ونجا بنفسه ، وتفرّقت رجاله ، وعاد تميم مظفّراً منصوراً .

---

1) Finis lacunæ in A.

2) C. P. سرقسطة .

---

١ وأخذ بهم .

Marfat.com

ثم قصد ، بعد هذه الحادثة ، مدينة سُوسَة ، وكان أهلها قد خالفوا عليه ، فملكها ، وعفا عنهم وحقن دماءهم .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، • في المحرّم[1] ، قُبض بمصر على الوزير أبي الفرج بن المغربيّ .

وفيها دخل الصليحيّ ، صاحب اليمن ، إلى مكّة مالكاً لها ، فأحسن السيرة فيها ، وجلب إليها الأقوات ، ورفع جورَ من تقدّم ، وظهرت منه أفعال جميلة .

وفيها ، في ربيع الآخر ، انقضّ كوكب عظيم ، وكان له ضوء كثير .

وفيها ، في شعبان ، كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد ، وانهدم سور طرابلس .

وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمُستنصر ، صاحب مصر ، فوصل إليها في الثالث والعشرين من ربيع الآخر ، وأقام بها ، واختلف هو والجند ، فثاروا به ، ووافقهم العامّة ، فضعف عنهم ، ففارقها في رجب سنة ستّ وخمسين [وأربعمائة] .

وفيها توفّي سعيد بن نصر الدولة بن مروان ، صاحب آمِد ، من ديار بكر ، وزُهير بن الحسين بن عليّ أبو نصر الـهلاميُّ ، الفقيه الشافعيُّ ، تفقّه على أبي حامد الأسفراييني ، وسمع الحديث الكثير ورواه ، وكان موته بسَرْخَس .

---

1) A.

Marfat.com

٤٥٦

ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة

ذكر القبض على عميد الملك وقتله

في هذه السنة قبض السلطان ألْب أرسلان على الوزير عميد الملك أبي نصر منصور بن محمّد[1] الكندريّ وزير طغرلبك .

وسبب ذلك أن عميد الملك قصد خدمة نظام الملك ، وزير ألب أرسلان ، وقدّم بين يدَيْه خمسمائة دينار ، واعتذر ، وانصرف من عنده ، فسار أكثر الناس معه ، فخُوّف السلطان من غائلة ذلك ، فقبض عليه وأنفذه إلى مرو الرُّوذ ، وأتت عليه سنة في الاعتقال ، ثم نفّذ إليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم ، فقالا له : تُبْ ممّا أنت عليه ؛ ففعل[2] ، ودخل فودّع أهله ، وخرج إلى مسجد هناك فصلّى ركعتَيْن ، وأراد الغلامان خنقه ، فقال : لستُ بلصّ ! وخرّق خرقة من طرف كمّه وعصب عينَيْه ، فضربوه بالسيف ، وكان قتله في ذي الحجّة ، ولُفّ في قميص دبيقيّ من ملابس الخليفة ، وخرقة كانت البردة التي عند الخلفاء فيها ، وحُملت جثّته إلى كُندُر ، فدُفن عند أبيه ، وكان عمره يوم قُتل نيّفاً وأربعين سنة .

وكان سبب اتّصاله بالسلطان طغرلبك أنّ السلطان لمّا ورد نَيسابور طلب رجلاً يكتب له ، ويكون فصيحاً بالعربيّة ، فدلّ عليه الموفّق ، والد أبي

---

1) Om. C. P. 2) A. فافعل .

Marfat.com

سهل ، وأعطته السعادة ، وكان فصيحاً ، فاضلاً ، وانتشر من شعره ما قاله في غلام تركيّ صغير السنّ كان واقفاً على رأسه يقطع بالسكّين قصبةً ، فقال عميد الملك فيه :

أنا مشغولٌ بحُبّهْ ، وهو مشغولٌ بلُعبهْ
لو أرادَ اللهُ خيراً ، وصَلاحاً لِحُبّهْ
نُقِلَتْ رِقّةُ خَدَّيْـ ـهِ إلى قَسوةِ قَلْبِهْ
صانَه اللهُ فما أكـ ـثَرَ إعجابي بعُجْبِهْ

ومن شعره :

إن كان بالناس ضيقٌ عن مُناقشتي [1] ، فالموتُ قد وسّع الدُّنيا على الناسِ
مضيتُ ، والشامتُ المغبونُ يَتبعُني ، كلٌّ لكأس المَنايا شاربٌ حاسي

وقال أبو الحسن الباخرزيّ يخاطب ألب أرسلان عند قتل الكُندُريّ :

وعَمُّك أدناه ، وأعلى مَحلّه ، وبوّأهُ من مُلكِه كَنَفاً رحبا
قضَى كلُّ مولًى منكُما حقَّ عبدِهِ [1] فخوّلَهُ الدُّنيا ، وخوّلتَهُ العُقْبَى

وكان عميد الملك خصيّاً ، قد خصاه طغرلبك لأنّه أرسله يخطب عليه امرأةً ليتزوّجها، فتزوّجها هو ، وعصى عليه ، فظفر به وخصاه ، وأقرّه على خدمته . وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه أنّه تزوّجها ، فخصّى نفسه ليخلص من سياسة

---

1) A. منافستي .

---

١ عنده .

السلطنة ، فقال فيه عليٌّ بن الحسن الباخرزيُّ :

قالُوا : مَحا السلطانُ عنه بعِزّةٍ[1] سِمَةَ الفحولِ ، وكان قَرماً صائلاَ
قلتُ : اسكتوا ، فالآن زَاد فحولةً لمّا اغتدى[2] عن أُنثَيَيْه عاطلاَ
فالفحلُ يأنَفُ أن يسمّى بعضُهُ أُنثَى ، لذلك جذَّه مُستأصِلاَ

يعني بالأنثى واحدة الأنثيين .

وكان شديد التعصّب على الشافعيّة ، كثير الوقيعة في الشافعيّ ، رضي الله عنه ، بلغ من تعصّبه[3] أنّه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خُراسان ، فأدن في ذلك ، فأمر بلعنهم ، وأضاف إليهم الأشعريّة ، فأنف من ذلك أئمّة خراسان ، منهم : الإمام أبو القاسم القشيريُّ ، والإمام أبو المعالي الجوينيُّ ، وغيرهما ، ففارقوا خراسان ، وأقام إمام الحرمَيْن بمكّة أربع سنين إلى أن انقضت دولته ، يدرّس ، ويفتي ، فلهذا لُقّب إمام الحرمَيْن ، فلمّا جاءت الدولة النظاميّة[4] أحضر من انترح منهم وأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وقيل إنّه تاب من الوقيعة في الشافعيّ ، فإن صحّ فقد أفلح ، وإلاّ فعلى نفسها براقش تجني .

ومن العجب أنّ ذكَره دُفن بخوارزم لمّا خُصي ، ودمه مسفوح بمَرو ، وجسده مدفون بكُندُر ، ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنَيسابور ، ونُقل قحفه إلى كَرمان لأنّ نظام الملك كان هناك ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

ولمّا قُرّب للقتل قال للقاصد إليه : قُل لنظام الملك : بئس ما عوّدتَ الأتراك

---

1) C. P. بغزته .
2) C. P. اعتدى .
3) A. بخصه .
4) A. add. : سقى الله عهدها صوب الرضوان .

---

١ تعزة .

قتل الوزراء ، وأصحاب الديوان ، ومن حفر قَلِيباً وقع فيه . ولم يخلّف عميد الملك غيرَ بنت .

ذكر ملك ألب أرسلان خَتَلان وهَرَاة وصَغَانيان

لمّا توفّي طغرلبك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير خَتَلان بقلعتِه ، ومنع الخراج ، فقصده السلطان ، فرأى الحصن منيعاً على شاهقٍ ، فأقام عليه وقاتله ، فلم يصل منه إلى مُراده .

ففي بعض الأيّام باشر ألب أرسلان القتال بنفسه ، وترجّل ، وصعد في الجبل ، فتبعه الخلق ، وتقدّموا عليه في الموقف ، وألحّوا في الزحف والقتال ، وكان صاحب القلعة على شرفةٍ من سورها يحرّض الناس على القتال ، فأتته نُشّابة من العسكر فقتلته ، وتسلّم ألب أرسلان القلعة وصارت في جملة ممالكه .

وكان عمّه فخر الملك بَيْغو بن ميكائيل في هَرَاة ، فعصى أيضاً عليه ، وطمع في الملك لنفسه ، فسار إليه ألب أرسلان في العساكر العظيمة ، فحصره وضيّق عليه ، وأدام القتال ليلاً ونهاراً ، فتسلّم المدينة ، وخرج عمّه إليه ، فأبقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته .

وسار من هناك إلى صَغَانيان ، وأميرها اسمه موسى ، وكان قد عصى عليه ، فلمّا قاربه ألب أرسلان صعد موسى إلى قلعة على رأس جبل شاهق ، ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة ، فوصل السلطان إليه ، وباشر الحرب لوقته ، فلم ينتصف النهار حتّى صعد العسكر الجبل ، وملكوا القلعة قهراً ، وأُخذ موسى أسيراً ، فأمر بقتله ، فبذل في نفسه أموالاً كثيرة ، فقال السلطان : ليس هذا أوان تجارة ؛ واستولى على تلك الولاية بأسرها ، وعاد إلى مَرو ، ثم منها إلى نَيسابور .

Marfat.com

ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداذ والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداذ[1]

في هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيّدة ابنة الخليفة بالعود إلى بغداذ ، وأعلمها أنّه لم يقبض على عميد الملك إلاّ لما اعتمده من نقلها من بغداذ إلى الرَّيّ بغير رضاء الخليفة ، وأمر الأمير ايتكين السليمانيّ بالمسير في خدمتها إلى بغداذ ، والمقام بها شحنةً ، وأنفذ أبا سهل محمّد بن هبة الله ، المعروف بابن الموفّق ، للمسير في الصحبة ، وأمره بالمخاطبة في إقامة الخطبة له ، فمات في الطريق مُجدراً .

وهذا[2] أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعيّ بنَيسابور ، وكان يحضر طعامه في رمضان ، كلّ ليلة ، أربع مائة مُتَفَقّه . ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمّهم ، فلمّا سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفّر بن الحسين فمات أيضاً في الطريق ، فألزم السلطان رئيس العراقَيْن بالمسير ، فوصلوا بغداذ منتصف ربيع الآخر ، وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جُهير لتلقّيهم ، واقترح السلطان أن يخاطَب بالولد المؤيّد ، فأجيب إلى ذلك ، ولُقّب ضياء الدين عضد الدولة .

وجلس الخليفة جلوساً عامّاً سابع جمادى الأولى ، وشافه الرسل بتقليد ألْب أرسلان للسلطنة ، وسُلّمت الخِلَع بمشهد من الخلق ، وأرسل إليه من الديوان لأخذ البَيعة النقيب طِراداً الزينبيّ ، فوصلوا إليه وهو بنَقْجُوانَ من أذربيجان ، فلبس الخِلَع ، وبايع للخليفة .

---

1) A.

2) A. وكان .

Marfat.com

ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقُتلمش

سمع ألْب أرسلان أنّ شهاب الدولة قُتلمش ، وهو من السّلجوقيّة أيضاً ، وهو جدّ الملوك أصحاب قُونِيَة ، وقَيصريّة[1] ، وأقصَرا ، ومَلَطْيَة، يومنا هذا ، قد عصى عليه ، وجمع جموعاً كثيرة ، وقصد الرَّيّ ليستولي عليها ، فجهّز ألْب أرسلان جيشاً عظيماً وسيّرهم على المفازة إلى الرَّيّ ، فسبقوا قُتلمش إليها .

وسار ألْب أرسلان من نَيسابور أوّل المحرّم من هذه السنة ، فلمّا وصل إلى دَامَغَان أرسل إلى قُتلمش يُنكر عليه فعله ، وينهاه عن ارتكاب هذه الحال ، ويأمره بتركها ، فإنّه يرعى[2] له القرابة والرحم ، فأجاب قُتلمش جواب مُغترّ بمن معه من الجموع ، ونهب قُرى الرَّيّ ، وأجرى الماء على وادي الملح ، وهي سبخةٌ ، فتعذّر[3] سلوكها ، فقال نظام الملك : قد جعلتُ لك من خُراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك ، ويومون دونك بسهام لا تخطىء ، وهم العلماء والزُهّاد ، فقد جعلتُهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك .

وقرب السلطان من قُتلمش ، فلبس نظام الملك السلاح ، وعبّأ الكتائب ، واصطفّ العسكران .

وكان قُتلمش يعلم[4] علم النجوم ، فوقّف[5] ونظر ، فرأى أنّ طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفراً ، فقصد المحاجزة ، وجعل السبخة بينه وبين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء . فسلك ألب أرسلان طريقاً في الماء ، وخاض غمرته ، وتبعه العسكر ، فطلع منه سالماً هو وعسكره ، فصاروا مع

---

1) C. P.
2) A. يدعي .
3) A. متعذر .
4) A. يعرف .
5) C. P.

Marfat.com

قُتلمش واقتتلوا ، فلم يثبت عسكر قُتلمش لعسكر السلطان ، وانهزموا لساعتهم ، ومضى منهزماً إلى قلعة كَرد كوه : وهي من جملة حصونه ومعاقله ، واستولى القتل والأسر على عسكره ، فأراد السلطان قتل الأسرى ، فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم وأطلقهم .

ولمّا سكن الغبار ، ونزل العسكر ، وُجد قُتلمش ميتاً ملقًى على الأرض لا يُدرى كيف كان موته ، قيل : إنّه مات من الخوف ، والله أعلم ، فبكى السلطان لموته ، وقعد لعزائه ، وعظم عليه فقده ، فسلاّه نظام الملك ، ودخل ألْب أرسلان إلى مدينة الرَّيّ آخر المحرّم من السنة .

ومن العجب أنّ قُتلمش هذا كان يعلم علم النجوم ، قد أتْقَنَهُ ، مع أنّه تركيّ ، ويعلم غيره من علوم القوم ، ثم إنّ أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الأوّليّة ، ويقرّبون أهلها ، فنالهم بهذا غضاضة في دينهم ، وسيرد من أخبارهم ما يُعلم ، منه ذلك[1] وغيرُه من أحوالهم .

ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانيّة

ثم سار السلطان من الرَّيّ أوّل ربيع الأوّل ، وسار إلى أذربيجان ، فوصل إلى سَرَنْدَ عازماً على قتال[2] الروم وغزوهم ، فلمّا كان بسَرَنْدَ أتاه أمير من أمراء التركمان ، كان يُكثر غزو الروم ، اسمه طغدكين ، ومعه من عشيرته خلق كثير ، قد ألفوا الجهاد ، وعرفوا تلك البلاد ، وحثّه على قصد بلادهم ، وضمن له سلوك الطريق المستقيم إليها ، فسار معه ، فسلك بالعساكر في مضايق

---

1) A. به .

2) A. جهاد .

Marfat.com

تلك الأرض ومخارمها ، فوصل إلى نَقْجُوان ، فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرَسَ . فقيل له إن سكّان خُوَيّ ، وسَلَماسَ ، من أذربيجان ، لم يقوموا بواجب الطاعة . وإنّهم قد امتنعوا ببلادهم ، فسيّر إليهم عميد خراسان ، ودعاهم[1] إلى الطاعة ، وتهدّدهم[2] إن امتنعوا ، فأطاعوا ، وصاروا من جملة حزبه وجنده ، واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى .

فلمّا فرغ من جمع العساكر والسفن سار إلى بلاد الكُرج ، وجعل مكانه في عسكره ولدَهُ ملكشاه ، ونظام الملك وزيره ، فسار ملكشاه ونظام الملك إلى قلعة فيها جمع كثير من الروم ، فنزل أهلها منها ، وتخطّفوا[3] من العسكر ، وقتلوا منهم فئةً كثيرة ، فنزل نظام الملك وملكشاه ، وقاتلوا من بالقلعة ، وزحفوا إليهم ، فقُتل أمير القلعة وملكها المسلمون ، وساروا منها إلى قلعة سُرماري[4] ، وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين ، فقاتلوها وملكوها ، وأنزلوا منها أهلها ، وكان بالقرب منها قلعة أخرى ، ففتحها ملكشاه ، وأراد تخريبها ، فنهاه نظام الملك عن ذلك ، وقال : هي ثغر للمسلمين ؛ وشحنها بالرجال والذخائر والأموال والسلاح ، وسلّم هذه[5] القلاع إلى أمير نَقْجُوانَ .

وسار ملكشاه ونظام الملك إلى مدينة مريم نشين[6] ، وفيها كثير من الرهبان والقسّيسين وملوك النصارى وعامّتهم يتقرّبون إلى أهل هذه البلدة ، وهي مدينة حصينة ، سورها من الأحجار الكبار الصلبة ، المشدودة بالرصاص والحديد ، وعندها نهر كبير ، فأعدّ نظام الملك لقتالها ما يحتاج إليه من السفن وغيرها ، وقاتلها ، وواصل[1] قتالها[7] ليلاً ونهاراً ، وجعل العساكر عليها يقاتلون

---

1) A. يدعوهم . 2) A. ويتهددهم . 3) C. P. وتحفظوا . 4) A. ساري .
5) A. عدة . 6) C. P. ولسر ; A. ونسن ; Bodl. ونس . 7) A.

---

١ ووصل .

Marfat.com

بالنَّوبة ، فضجر الكفّار ، وأخذهم الإعياء والكلال ، فوصل المسلمون إلى سورها ، ونصبوا عليه السلاليم ، وصعدوا إلى أعلاه ، لأنّ المعاول كلّتْ عن نقبه لقوّة حجره .

فلمّا رأى أهلُها المسلمين على السور فتّ ذلك في أعضادهم ، وسُقط في أيديهم ، ودخل ملكشاه البلد ، ونظام الملك ، وأحرقوا البِيَع ، وخرّبوها ، وقتلوا كثيراً من أهلها ، وأسلم كثير فنجوا من القتل .

واستدعى ألب أرسلان إليه ابنه ، ونظام الملك . وفرح بما يسّره الله من الفتح على يد ولده ، وفتح ملكشاه في طريقه عدّة من القلاع والحصون ، وأسر من النصارى ما لا يُحصون كثرةً . وساروا إلى سُبِيذ شَهر ، فجرى بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ، ثم إنّ الله تعالى يسّر فتحها فملكها ألب أرسلان .

وسار منها إلى مدينة أعآل لآل[1] ، وهي حصينة ، عالية الأسوار ، شاهقة البنيان ، وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عالٍ ، وعلى الجبل عدّة من الحصون ، ومن الجانبَيْن الآخرَيْن نهر كبير لا يُخاض ، فلمّا رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها ، وكان ملكها من الكُرج . وهكذا ما تقدّم من البلاد التي ذكرنا فتحها . وعقد السلطان جسراً على النهر عريضاً ، واشتدّ القتال ، وعظم الخطب[2] ، فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ، ويطلبان الأمان ، والتمسا[1] من السلطان أن يرسل معهما طائفة من العسكر ، فسيّر جمعاً صالحاً ، فلمّا جازوا الفصيل أحاط بهم الكُرج من أهل المدينة وقاتلوهم فأكثروا القتل فيهم ، ولم يتمكّن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك .

---

1) A. لال . 2) C. P. الحرب .

---

١ والتمسوا .

Marfat.com

وخرج الكُرج من البلد وقصدوا العسكر ، واشتدّ القتال ، وكان السلطان ، ذلك الوقت ، يصلّي ، فأتاه الصّريخ ، فلم يبرح حتّى فرغ من صلاته ، وركب ، وتقدّم إلى الكفّار ، فقاتلهم ، وكبّر المسلمون عليهم ، فولّوا منهزمين ، فدخلوا البلد والمسلمون معهم ، ودخلها السلطان وملكها ، واعتصم جماعة من أهلها في برج من أبراج المدينة ، فقاتلهم المسلمون ، . فأمر السلطان[1] بإلقاء الحطب حول البرج وإحراقه ، ففُعل ذلك ، وأُحرق البرج ومن فيه ، وعاد السلطان إلى خيامه ، وغنم المسلمون من المدينة ما لا يُحدّ ولا يُحصى .

ولمّا جنّ الليل عصفت ريح شديدة ، وكان قد بقي من تلك النار التي أُحرق بها البرج بقية كثيرة ، فأطارتها الريح ، فاحترقت المدينة بأسرها ، وذلك في رجب سنة ستّ وخمسين [وأربعمائة] ، وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك المدينة ، . وأخذها[2] ، وسار منها إلى ناحية قرس ، ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما سَيل ورده ، ونُورة ، فخرج أهلهما مذعنين بالإسلام ، وخرّبوا البِيَع ، وبنوا المساجد .

وسار منها إلى مدينة آني فوصل إليها فرآها مدينة حصينة ، شديدة الامتناع ، لا تُرام ، ثلاثة أرباعها على نهر أرس ، والربع الآخر نهر عميق شديد الجريَة ، لو طرحت فيه[1] الحجارة الكبار لدحاها وحملها ، والطريق إليها على خندق عليه سور من الحجارة الصُّمّ ، وهي بلدة كبيرة ، عامرة ، كثيرة الأهل ، فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة ، فحصرها وضيّق عليها ، إلاّ أنّ المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها ، فعمل السلطان برجاً من خشب ، وشحنه بالمقاتلة ، ونصب عليه المنجنيق ، ورُماة النشّاب ، فكشفوا الروم عن السور ،

1) Om. C. P. 2) A. وأخذ ما فيها .

---

١ فيها .

وتقدّم المسلمون إليه ليتقبوه ، فأتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم : فانهدم قطعة كبيرة من السور بغير سبب ، فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يُحصى بحيث أنّ كثيراً من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثره القتلى ، وأسروا نحواً ممّا قتلوا .

وسارت البُشرى بهذه الفتوح في البلاد ، فسُرّ المسلمون ، وقُرىء كتاب الفتح ببغداذ في دار الخلافة ، فبرز خطّ الخليفة بالثناء على ألب أرسلان والدعاء له .

ورتّب [السُّلطان] فيها أميراً في عسكر جرّار ، وعاد عنها ، وقد راسله ملك الكُرج في الهدنة ، فصالحه على أداء الجزية كلّ سنة ، فقبل ذلك .

ولمّا رحل السلطان عائداً قصد أصبهان ، ثم سار منها إلى كَرمان ، فاستقبله أخوه قاورت بك بن جُغري بك داود ، ثم سار منها إلى مَرْو ، فزوّج ابنَه ملكشاه بابنة خاقان ، ملك ما وراء النهر ، وزُفّت إليه في هذا الوقت ، وزوّج ابنَهُ أرسلانشاه بابنة صاحب غزنة ، واتحد[1] البيتان : البيت السلجوقيُّ ، والبيت المحمودي ، واتّفقت الكلمة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، ظهر[1] بالعراق وخُوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد ، خرجوا يتصيّدون ، فرأوا في البريّة خيماً سوداً ،

---

1) Add. A. . بيغداد و

---

١ واتحدا .

وسمعوا منها لطماً شديداً ، وعويلاً كثيراً ، وقائلاً يقول : قد مات سيّدوك ملك الجنّ ، وأيّ بلد لم يلطم أهله عليه ويعملوا[1] له العزاء[1] قُلع أصله ، وأهلك أهله ، فخرج كثير من النساء في[2] البلاد إلى المقابر يلطمن ، وينُحن ، وينشرن شعورهنّ ، وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك ، وكان ذلك ضحكة عظيمة .

ولقد جرى في أيّامنا نحن في الموصل ، وما والاها من البلاد إلى العراق ، وغيرها ، نحو هذا ، وذلك أنّ الناس • سنة ستّمائة[3] أصابهم وجع كثير[4] في حلوقهم ، ومات منه كثير من الناس ، فظهر أنّ امرأة من الجنّ يقال لها أمّ عُنقود ، مات ابنها عُنقود ، وكلّ من لا يعمل له مأتماً أصابه هذا المرض ، فكثُر فعل ذلك ، وكانوا يقولون : يا أمّ عُنقود اعذرينا . قد مات عنقود ما درينا ؛ وكان النساء يلطمن ، وكذلك الأوباش[2] .

وفيها ولّي أبو الغنائم المعمّر بن محمّد بن عبيد الله العلويّ نقابةَ العلويّين ببغداذ ، وإمارة الموسم ، ولُقّب بالطاهر[5] ذي المناقب ، وكان المرتضى أبو الفتح أُسامة قد استعفى من النقابة ، وصاهر بني خفاجة ، وانتقل معهم إلى البرّيّة ، وتوفّي أُسامة بمشهد أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، في رجب سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة] .

وفيها • في جمادى الآخرة[6] توفّي أبو القاسم عبد الواحد بن عليّ بن برهان الأسديّ النحويّ المتكلّم ، وكان له اختيار في الفقه ، وكان عالماً بالنسب ،

1) A. المأتم .
2) Om. A.
3) Om. C. P.
4) A.
5) A. بالظاهر .
6) Om. C. P.

---

١ ويعملون .
٢ أوباش .

Marfat.com

ويمشي في الأسواق مكشوف الرأس ، ولم يقبل من أحد شيئاً ، وكان موته في جمادى الآخرة ، وقد جاوز ثمانين سنة ، • وكان يميل إلى مذهب مُرْجِئة المعتزلة ، ويعتقد أنّ الكفّار لا يخلّدون في النار[1] .

وفيها انقضّ كوكب عظيم ، وكثُر نوره فصار أكثر من نور القمر ، وسمع له دَويّ عظيم ، ثمّ غاب .

1) Om. C. P.

Marfat.com

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

ذكر الحرب بين بني حمّاد والعرب

في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حمّاد ومن معه من رجال المغاربة من صِنهاجة ومن زناتة ومن العرب : عديّ والأثبج[1] ، وبين رياح ، وزُغْبة[2] ، وسُلَيْم ، ومع هؤلاء المعزُّ بن زيري الزناتيُّ ، على مدينة سَبتة .

وكان سببها أنّ حمّاد بن بُلَكّين جدّ الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف ، وموت باديس محاصراً قلعة حمّاد ، ما هو مذكور ، ولولا تلك القلعة لأُخذ سريعاً ، وإنّما امتنع هو وأولاده بها بعده ، وهي من أمنع الحصون ، وكذلك ما استمرّ بين حمّاد والمعزّ بن باديس ، ودخول حمّاد في طاعته ما تقدّم ذكره ، وكذلك أيضاً ما كان بين القائد بن حمّاد وبين المعزّ ، وكان القائد يُضمر الغدر وخلع طاعة المعزّ ، والعجز يمنعه من ذلك ، فلما رأى القائد قوّة العرب ، وما نال المعزّ منهم ، خلع الطاعة ، واستبدّ بالبلاد ، وبعده ولده محسن ، وبعده ابن عمّه بُلكّين بن محمّد بن حمّاد ، وبعده ابن عمّه الناصر بن علناس بن محمّد بن حمّاد ، وكلّ منهم متحصّن بالقلعة ، وقد جعلوها دار ملكهم .

فلمّا رحل المعزُّ من القَيروان وصَبْرَةَ إلى المَهدية تمكّنت العرب ،

---

1) C. P. sine punctis; A. والابج .

2) C. P. ورعبه ; A. sine punctis.

ونهبت الناس ، وخرّبت البلاد ، فانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حمّاد لكونها جبالاً وعرة يمكن الامتناع بها من العرب ، فعمرت بلادهم ، وكثرت أموالهم ، وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ، ومَن بعده من أولادهم ، يَرِثه صغير عن كبير .

ووَلِيَ تميم بن المعزّ بعد أبيه ، فاستبدّ كلّ من هو بِبَلَد وقلعة بمكانه وتميم صابر يداري ويتجلّد .

واتّصل بتميم أنّ الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمّه ، وأنّه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهديّة ، وأنّه قد حالف بعض صنهاجة ، وزناتة ، وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة . فلمّا صحّ ذلك عنده أرسل إلى أمراء بني رياح ، فأحضرهم إليه وقال : أنتم تعلمون أنّ المهديّة حصن منيع ، أكثره في البحر ، لا يقاتل منه في البرّ غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلاً ، وإنّما جمع الناصر هذه العساكر إليكم . فقالوا له : الذي تقوله حقّ ، ونحبّ منك المعونة ؛ فأعطاهم المال ، والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق ، فجمعوا قومهم ، وتحالفوا ، واتّفقوا على لقاء[1] الناصر .

وأرسلوا إلى من مع الناصر من بني هلال يقبّحون عندهم مساعدتهم للناصر ، ويخوّفونهم منه إن قوي ، وأنّه يهلكهم بمن معه من زَنَاتة وصنهاجة ، وأنّهم إنّما يستمرّ لهم المقام ، والاستيلاء على البلاد ، إذا تمّ الخلف وضعف السلطان . فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة ، وقالوا : اجعلوا أوّل حملة تحملونها علينا ، فنحن ننهزم بالناس ، ونعود عليهم ، ويكون لنا ثُلث الغنيمة . فأجابوهم[1] إلى ذلك ، واستقرّ الأمر .

---

1) C. P.

---

١ فأجابوهم .

Marfat.com

وأرسل المعزُّ بن زيري الزناتيُّ إلى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك ، فوعدوه أيضاً أن ينهزموا ، فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها ، وسار إليهم الناصر بصِنهاجة ، وزناتة ، وبني هلال ، فالتقت العساكر بمدينة سَبَتة ، فحملت رياح على بني هلال ، وحمل المعزُّ على زناتة ، فانهزمت الطائفتان ، وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ، ووقع فيهم القتل ، فقُتل فيمن قُتل القاسم بن علناس ، أخو الناصر ، وكان مبلغ من قُتل من صِنهاجة وزَناتة أربعة[1] وعشرين ألفاً ، وسلم الناصر في نفر يسير ، وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودوابّ ، وغير ذلك ، فاقتسموها على ما استقرّ بينهم ، وبهذه الوقعة تمّ للعرب ملك البلاد ، فإنّهم قدموها في ضيق وفقر وقلّة دوابّ فاستغنوا ، وكثرت دوابّهم وسلاحهم ، وقلّ المحامي عن البلاد ، وأرسلوا الألوية والطبول وخيم الناصر بدوابّها إلى تميم ، فردّها وقال : يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمّي ! فأرضى العرب بذلك[1] .

ذكر بناء مدينة بجاية

لمّا كانت هذه الوقعة بين بني حمّاد والعرب ، ، وقويت العرب[2] ، اهتمّ تميم بن المعزّ لذلك ، وأصابه حزن شديد ، فبلغ ذلك الناصر ، وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبي الفتوح ، وكان رجلاً جيّداً يحبّ الاتّفاق بينهم ، ويهوى دولة تميم ، فقال للناصر : ألم أشرْ عليك أن لا تقصد ابن عمّك ، وأن تتّفقا[2]

---

1) A. add. علناس بفتح العين المهملة واللام والنون وبعده سين مهملة .

2) Om. C. P.

---

١ أربع .

٢ تتفقوا .

على العرب ، فإنّكما لو اتّفقتما لأخرجتما العربَ .

فقال الناصر : لقد صدقتَ ، ولكن لا مردَّ لما قُدّر ، فأصلح ذات بيننا . فأرسل الوزير رسولاً من عنده إلى تميم يعتذر ، ويرغب في الإصلاح ، فقبل تميم قوله ، وأراد أن يرسل رسولاً إلى الناصر ، فاستشار أصحابه ، فاجتمع رأيهم على محمّد بن البعبع ، وقالوا له : هذا رجل غريب ، وقد أحسنتَ إليه ، وحصل له منك الأموال والأملاك . فأحضَره ، وأعطاه مالاً ودوابّ وعبيداً وأرسله ، فسار مع الرسول حتّى وصل إلى بجَايةَ ، وكانت حينئذ منزلاً فيه رعيّة من البربر ، فنظر إليها محمّد بن البعبع ، وقال في نفسه : إنّ هذا المكان يصلح أن يكون به مَرسى[1] ومدينة ؛ وسار حتّى وصل إلى الناصر ، فلمّا أوصل الكتاب وأدّى الرسالة قال للناصر : معي وصيّة إليك ، وأحبّ أن تخلّي المجلس ؛ فقال الناصر : أنا لا أخفي عن وزيري شيئاً . فقال : بهذا أمرني الأمير تميم ؛ فقام الوزير أبو بكر وانصرف ، فلمّا خرج قال الرسول : يا مولاي إنّ الوزير مخامرٌ عليك ، هواه مع الأمير تميم ، لا يُخفي عنه من أمورك شيئاً ، وتميم مشغول مع عبيده قد استبدّ بهم ، واطّرح صنهاجة وغير هؤلاء ، ولو وصلتَ بعسكرك ما بِتَّ إلاّ فيها لبُغض[1] الجند والرعيّة لتميم ، وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها . وذكر له عمارة بِجَايةَ ، وأشار عليه أن يتّخذها دار ملك ، ويقرب[2] من بلاد إفريقية ، وقال له : أنا أنتقل إليك بأهلي ، وأدبّر دولتك ؛ فأجابه الناصر إلى ذلك ، وارتاب بوزيره ، وسار مع الرسول إلى بجاية ، وترك الوزير بالقلعة .

فلمّا وصل الناصر والرسول إلى بجَاية أراه موضع الميناء والبلد والدار

.....

1) C. P. 2) A. وتقرب .

---

١ لبغض .

Marfat.com

السلطانيّة ، وغير ذلك ، فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل ، وسُرّ بذلك ، وشكره ، وعاهده على وزارته إذا عاد إليه ، ورجعا إلى القلعة ، فقال الناصر لوزيره : إنّ هذا الرسول محبٌّ لنا ، وقد أشار ببناء بِجاية ، ويريد الانتقال إلينا ، فاكتب له جواب كتبه ؛ ففعل .

وسار الرسول ، وقد ارتاب به تميم ، حيث تجدّد بناء بجاية عُقَيْب مسيره إليهم ، وحضوره مع الناصر فيها ، وكان الرسول قد طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الأخبار ويعود بها ، فأرسل معه رسولاً[1] يثق به ، فكتب معه : إنّني لمّا اجتمعتُ بتميم لم يسألني • عن شيء[2] قبل سؤاله عن بناء بِجاية ، وقد عظم أمرها عليه ، واتّهمني ، فانظر إلى من تثق به من العرب ترسلهم إلى موضع كذا ، فإني سائر إليهم مسرعاً ، وقد أخذتُ عهود زَويلة وغيرها[3] على طاعتك .وسيّر الكتاب ، فلمّا قرأه الناصر سلّمه إلى الوزير ، فاستحسن الوزير ذلك ، وشكره وأثنى عليه ، وقال : لقد نصح وبالغ في الخدمة ، فلا تؤخّر عنه إنفاذ العرب ليحضر معهم .

ومضى الوزير إلى داره ، وكتب نسخة الكتاب ، وأرسل الكتاب الذي بخطّ الرسول إلى تميم ، وكتاباً منه يذكر له الحال من أوّله إلى آخره . فلمّا وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك ، وبقي يتوقّع له سبباً يأخذه به ، إلاّ أنّه جعل عليه من يحرسُه في الليل والنهار من حيث لا يشعر ، فأتى بعض أولئك الحرس إلى تميم ، وأخبره أنّ الرسول صنع طعاماً ، وأحضر عنده الشريف الفهريّ[4] ، وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصّه ، فأحضره تميم ، فقال : كنتُ واصلاً إليك ؛ وحدّثه أنّ ابن البعبع الرسول دعاني ، فلمّا حضرتُ عنده قال : أنا في ذمامك ، أحبّ أن تعرّفني مع مَن أخرج من المهديّة ؛ فمنعتُه من ذلك وهو خائف ، فأوقفه تميم على الكتاب الذي بخطّه ، وأمره بإحضاره ، • فأحضره الشريف[2].

---

1) A. رجلا . 2) Om. C. P. 3) C. P. 4) A. السيري .

Marfat.com

فلمّا وصل إلى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيّرهم الناصر ، ومعهم كتاب الناصر إليه[1] يأمره بالحضور عنده ، فأخذ الكتاب وخرج الأمير تميم ، فلمّا رآه ابن البعبع سقط الكتب منه ، فإذا عنوان أحدها : من الناصر بن علناس إلى فلان ، فقال له تميم : من أين هذه الكتب ؟ فسكت ، فأخذها وقرأها ، فقال الرسول ابن البعبع : العفو يا مولانا ! فقال : لا عفا الله عنك ! وأمر به فقُتل وغُرّقت جثّته .

ذكر ملك ألب أرسلان جَنْد وصَيْران

في هذه السنة عبر ألب أرسلان جَيحُون ، وسار إلى جَنْد وصَيْران ، وهما عند بخارى ، وقبر جدّه سلجوق بجَنْد ، فلمّا عبر النهر استقبله ملك جَنْد وأطاعه ، وأهدى له هدايا جليلة ، فلم يغيّر ألب أرسلان عليه شيئاً ، وأقرّه على ما بيده ، وعاد عنه بعد أن أحسن إليه وأكرمه ، ووصل إلى كُركَانْج خُوارزم ، وسار منها إلى مَرْو .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ابتُدىء بعمارة المدرسة النظاميّة ببغداذ .

وفيها انقضّ كوكب عظيم ، وصار له شُعاع كثير أكثر من شُعاع[1] القمر ، وسُمع له صوت مُفزع .

وفيها توفّي محمّد بن أحمد أبو الحسين بن الآبنوسيّ ، روى عن الدارقطنيّ وغيره[2] .

1) A. 2) Om. C. P.

Marfat.com

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه

في هذه السنة سار ألْب أرسلان من مرو إلى رايكان ، فنزل بظاهرها ، ومعه جماعة أمراء دولته . فأخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنّه السلطان بعده . وأركبه . ومشى بين يدَيْه يحمل الغاشية .

وخلع السلطان على جميع الأمراء ، وأمرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ، ففعل ذلك ، وأقطعَ البلاد ، فأقطع مَازَنْدَرَانَ للأمير إينانج بَيْغو ؛ وبَلْخ لأخيه سليمان بن داود جُغري بك ؛ وخُوارِزم لأخيه أرسلان أرغو ؛ ومَرْو لابنه الآخر أرسلان شاه ؛ وصَغَانيان وطَخَارِستان لأخيه إلياس ؛ وولاية بَغْشُور ونواحيها لمسعود بن أرتاش ، وهو من أقارب السلطان ؛ وولاية أسفرار لمودود بن أرتاش .

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس

في هذه السنة سيّر تميم ، صاحب إفريقية ، عسكراً كثيفاً إلى مدينة تُونُس ، وبها أحمد بن خُراسان قد أظهر عليه الخلاف .

وسبب ذلك أنّ المعزّ بن باديس ، أبا تميم ، لمّا فارق القَيروان والمنصورية

Marfat.com

ورحل إلى المَهديّة ، على ما ذكرناه ، استخلف على القَيروان وعلى قَابِس قائد بن ميمون الصنهاجيّ ، وأقام بها ثلاث سنين ، ثم غلبته هوارة عليها ، فسلّمها إليهم وخرج إلى المهديّة ، فلمّا ولي َ الملك تميم بن المعزّ بعد أبيه ردّه إليها ، وأقام عليها إلى الآن ، ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ إلى طاعة الناصر بن علناس ابن حمّاد ، فسيّر إليه تميم الآن عسكراً كثيراً ، فلمّا سمع بهم قائد بن ميمون علم أنّه لا طاقة له بهم ، فترك القَيروان وسار إلى الناصر ، فدخل عسكر تميم القَيروان ، وخرّبوا دور القائد ، وسار العسكر إلى قَابِس ، وبها ابن خُراسان ، فحصروه بها سنةً وشهرَيْن ، ثم أطاع ابن خُراسان تميماً وصالحه .

وأمّا قائد فإنّه أقام عند الناصر ، ثم أرسل إلى أمراء العرب ، فاشترى منهم إمارة القَيروان ، فأجابوه إلى ذلك ، فعاد إليها فبنى سورها وحصّنها .

ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهَيْت وغيرهما

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران ، صاحب الموصل ، إلى السلطان ألْب أرسلان ، فأقطعه الأنبار ، وهَيْت ، وحَربَى ، والسنّ ، والبوازيجَ ، ووصل إلى بغداذ ، فخرج الوزير فخر الدولة بن جُهير في الموكب ، فلقيه ، ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهريّ ، وخلع عليه الخليفة .

ذكر عدّة حوادث

في ٥ العشر الأوّل من[1] جُمادى الأولى ظهر كوكب كبير ، له ذؤابةٌ طويلة ، بناحية المشرق ، عرضها نحو ثلاث أذرع ، وهي ممتدّة إلى وسط السماء ،

1) C. P. أول .

وبقي إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب ، ثم ظهر أيضاً آخر الشهر المذكور ، عند غروب الشمس ، كوكب[1] قد استدار نوره عليه كالقمر ، فارتاع الناس وانزعجوا ، ولمّا أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب ، وبقي عشرة أيّام ثم اضمحلّ .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، كانت بخُراسان والجبال زلزلةٌ عظيمة ، بقيت تتردّد أيّاماً . تصدّعت منها الجبال ، وأهلكت خلقاً كثيراً ، وانخسف منها عدّة قُرى ، وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك .

• وفيها ، في جمادى الأولى ، وقع حريق بنهر مُعَلّى ، فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد من الجانبَيْن[2] .

وفيها وَلدَت[3] صبيّةٌ بباب الأزج • ولداً برأسَيْن[4] ، وَرفبتَيْن ، ووجهَيْن ، وأربع أيدٍ على بدن واحد .

وفي جمادى الآخرة توفّي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ ، ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وكان إماماً في الحديث والفقه على مذهب الشافعيّ ، وله فيه مصنّفات أحدها السّنن الكبير ، عشرة مجلّدات ، وغيره من التصانيف الحسنة ، وكان عفيفاً ، زاهداً ، ومات بنَيسابور .

وفي شهر رمضان منها توفّي أبو يعلَى محمّد بن الحسين بن الفرّاء الحنبليّ ، ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة : وعنه انتشر مذهب أحمد ، رضي الله عنه ، وكان إليه قضاء الحريم ببغداذ بدار الخلافة ، وهو مصنّف كتاب الصفات أتَى فيه بكلّ عجيبة ، وترتيب أبوابه يدلّ على التجسيم المحض ، تعالى الله عن ذلك ؛ وكان ابن تميميّ الحنبليّ يقول : لقد خَرىء أبو يعلى الفرّاء على الحنابلة خِرية لا يغسلها الماء .

---

1) C. P. 2) Om. C. P. 3) A. ولدت . 4) A. etc. لها رأسان

Marfat.com

٤٥٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

ذكر عصيان ملك كَرْمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته

في هذه السنة عصى ملك كَرمان ، وهو قرا أرسلان ، على السلطان ألْب أرسلان .

وسبب ذلك أنّه كان له وزير جاهل سوّلت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان ، وأنّ صاحبه ، إذا عصى ، احتاج إلى التمسّك به ، فحسّن لصاحبه الخلاف على السلطان ، فأجاب إلى ذلك ، وخلع الطاعة ، وقطع الخطبة .

فسمع ألْب أرسلان ، فسار إلى كَرمان ، فلمّا قاربها وقعتْ طليعته على طليعة قرا أرسلان ، فانهزمت طليعة قرا أرسلان بعد قتال . فلمّا سمع قرا أرسلان وعسكره بانهزام طليعتهم ، خافوا وتحيّروا ، فانهزموا لا يلوي أحد على آخر ، فدخل قرا أرسلان إلى جِيرَفْت وامتنع بها ، وأرسل إلى السلطان ألب أرسلان يُظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلّته ، فعفا عنه ، وحضر عند السلطان فأكرمه ، وبكى وأبكى مَن عنده ، فأعاده إلى مملكته ، ولم يغيّر عليه شيئاً من حاله ، فقال للسلطان : إنّ لي بنات تجهيزهنّ إليك ، وأمورهنّ إليك ؛ فأجابه إلى ذلك ، وأعطى كلّ واحدة منهنّ مائة ألف دينار سوى الثياب والإقطاعات [1] .

---

١ والاقطعات .

Marfat.com

ثم سار منها إلى فارس فوصل إلى إصطَخْر ، وفتح قلعتها ، واستزل واليها . فحمل إليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار ، من جملتها قدح فيرُوزَج . فيه مَنَوان من المسك ، مكتوب عليه اسم جَمشيد الملك ، وأطاعه جميع حصون فارس . وبقي قلعة يقال لها بَهَنْزَاد[1] ، فسار نظام الملك إليها ، وحصرها تحت جبلها . وأعطى كلّ من رمى[1] بسهم وأصاب قبضة من الدنانير ، ومن رمى[1] حجراً ثوباً نفيساً ، ففتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله ، ووصل السلطان إليه بعد الفتح ، فعظم محلّ نظام الملك عنده ، فأعلى منزلته ، وزاد في تحكيمه

ذكر عدّة حوادث

في المحرّم منها توفّي الأغرُّ أبو سعد ، ضامن البصرة ، على باب السلطان بالرَّيّ ، وعقدت البصرة وواسط على هزارسبٍ بثلاثمائة ألف دينار .

وفي صفر منها وصل إلى بغداذ شرف الملك أبو سعد المستوفي ، وبنى على مشهد أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، مدرسة لأصحابه ؛ وكتب الشريف أبو جعفر بن البياضيّ على القبّة التي أحدثها :

ألم تَرَ أنّ العِلمَ كانَ مشتّتاً ، فجمّعه هذا المُغيَّبُ في اللّحدِ
كذلك كانَت هذه الأرضُ ميّتةً ، فأنشَرَها فضلُ العَميدِ أبي سَعدِ

---

1) C. P. بزاد ; Bodl. بهزاد .

---

١ رما .

Marfat.com

وفيها ، في جمادى الأولى ، وصلت أرسلان خاتون ، أخت السلطان ألب أرسلان ، وهي زوجة الخليفة ، إلى بغداذ . واستقبلها فخر الدولة بن جُهير الوزير على فراسخ .

وفيها ، في ذي القعدة ، احترقت تربة معروف الكرخيّ ، رحمة الله عليه ، وسبب حريقها أنّ قيّمها كان مريضاً ، فطبخ لنفسه ماء الشعير ، فاتّصلت النار بخشب وبواري كانت هناك ، فأحرقته واتّصل الحريق ، فأمر الخليفة أبا سعد الصوفيّ ، شيخ الشيوخ ، بعمارتها .

وفيها ، في ذي القعدة ، فرغت عمارة المدرسة النظاميّة ، وتقرّر التدريس بها للشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ ، فلمّا اجتمع الناس لحضور الدرس ، وانتظروا مجيئه ، تأخّر ، فطُلب ، فلم يوجَدْ .

وكان سبب تأخّره أنّه لقيه صبيّ ، فقال له : كيف تدرّس في مكان مغصوب؟ فتغيّرت نيّته عن التدريس بها ، فلمّا ارتفع النهار ، وأيس الناس من حضوره ، أشار الشيخ أبو منصور بن يوسف بأبي نصر بن الصبّاغ ، صاحب كتاب الشامل ، وقال : لا يجوز أن ينفصل هذا الجمع إلاّ عن مدرّس . ولم يبق ببغداذ من لم يحضر غير الوزير ، فجلس أبو نصر للدرس ، وظهر الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك ، ولمّا بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبي سعد ، ولم يزل يرفق بالشيخ أبي إسحاق حتّى درّس بالمدرسة ، وكانت مدّة تدريس ابن الصبّاغ عشرين يوماً .

وفيها ، في ذي القعدة ، قُتل الصُّليحيُّ ، أمير اليمن ، بمدينة المَهْجَم ، قتله أحد أمرائها وأُقيمت الدعوة العبّاسيّة هناك ، وكان قد ملك مكّة ، على ما ذكرناه سنة خمس وخمسين [وأربعمائة] ، وأمِن الحجّاجُ في أيّامه ، فأثنوا عليه خيراً ، وكسا البيت بالحرير الأبيض الصينيّ ، وردّ حُلى البيت إليه ،

Marfat.com

وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه إلى اليمن ، فابتاعه الصُّليحيُّ منهم .

• وفيها توفّي عمر بن إسماعيل بن محمّد أبو عليّ الطوسيُّ ، قاضيها ، وكان يلقّب العراقيّ لطول مقامه ببغداذ ، وتفقّه على أبي طاهر الأسفراييني الشافعيّ ، وأبي محمّد الشاشيّ وغيرهما[1] .

Marfat.com

1) Om. C. P.

٤٦٠

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرَّحبة ، وهم في طاعة العلويّ[1] المصريّ ، فكسرهم شرف الدولة ، وأخذ أسلابهم ، وأرسل أعلاماً كانت معهم ، عليها سمات المصري ، إلى بغداذ ، وكُسرت ، وطيف بها في البلد ، وأُرسلت الخِلَع إلى شرف الدولة .

وفيها ، في جمادى الأولى ، كانت بفِلَسْطِينَ ومصر زلزلة شديدة خربت الرَّملةَ ، وطلع الماء من رؤوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسة وعشرون[1] ألف نسمة[2] ، وانشقّت الصخرة بالبيت المقدّس ، وعادت بإذن الله تعالى ، وعاد[3] البحر من الساحل مسيرة يوم ، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه ، فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقاً كثيراً .

وفيها ، في رجب ، ورد أبو العبّاس الخوافيُّ بغداذ عميداً من جهة السلطان .

وفيها عُزل فخر الدولة بن جُهير من وزارة الخليفة ، فخرج من بغداذ إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد بالفَلّوجَةِ ، وأرسل الخليفة إلى أبي يعلى والد

---

1) A. المستنصر .

2) A. ألفاً .

3) A. وغاب .

---

١ خمس وعشرين .

Marfat.com

الوزير أبي شجاع يستحضره ليولّيه الوزارة ، وكان يكتب لمزارب بن بنكير ، فسار ، فأدركه أجله في الطريق فمات ، ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة بن جُهير ، فأعيد إلى الوزارة سنة إحدى وستّين [وأربعمائة] في صفر .

وفيها كان بمصر غلاء شديد ، وانقضت سنة إحدى وستّين وأربعمائة .

وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الأربُس[1] بإفريقية ففتحها وأمّن أهلهـا .

وفيها ، في المحرّم ، توفّي الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف ، ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء ، وعمّ مصابه المسلمين ، وكان من أعيان الزمان ، فمن أفعاله أنّه تسلّم المارستان العضديّ[2] ، وكان قد دثر واستولى عليه الخراب ، فجدّ في عمارته ، وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيباً ، وثلاثة من الخُزّان ، إلى غير ذلك ، واشترى له الأملاك النفيسة[3] ، بعد أن كان ليس به طبيب ولا دواء ، وكان كثير المعروف والصلات والخير ، ولم يكن يلقّب في زمانه أحد بالشيخ[4] الأجلّ سِواه .

وفي المحرّم أيضاً توفّي أبو جعفر الطوسيّ[5] ، فقيه الإماميّة ، بمشهد أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب[5] ، عليه السلام

---

1) A. الارنيس .
2) A. القصري .
3) C. P. لنفسه .
4) C. P. الشيخ .
5) Om. C. P.

٤٦١

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في صفر ، أُعيد فخر الدولة بن جُهير إلى وزارة الخليفة ، على ما ذكرناه ، فلمّا عاد مدحه ابن الفضل فقال :

قد رجَعَ الحقُّ إلى نِصابِهِ ، وأنتَ مِن كلّ الورَى أوْلَى بِهِ
ما كنتَ إلاّ السيفَ سلّتْه يدٌ ، ثمّ أعادتْه إلى قِرابِهِ

وهي طويلة .

وفي شعبان احترق جامع دمشق . وكان سبب احتراقه أنّه وقع[1] بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريّين والمشارقة ، فضربوا داراً مجاورة للجامع بالنار ، فاحترقت ، واتّصلت بالجامع ، . وكانت العامّة تعين المغاربة . فتركوا القتال واشتغلوا بإطفاء النار من الجامع[2] ، فعظم الخطب واشتدّ الأمر ، وأتى الحريق على الجامع ، فدثرت محاسنه ، وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

---

1) A. الجامع .

2) Om. C. P.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أقبل ملك الروم من القُسطنطينيّة في عسكر كثيف إلى الشام ، ونزل على مدينة مَنْبِج ونهبها وقتل أهلها ، وهزم محمود بن صالح بن مرداس ، وبني كلاب ، وابن حسّان الطائيّ ، ومن معهما من جموع العرب ؛ ثمّ إنّ ملك الروم ارتحل وعاد إلى بلاده ، ولم يُمكنه المقام لشدّة الجوع .

وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة إلى مدينة صور وحصرها ، وكان قد تغلّب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عُقَيل ، فلمّا حصره أرسل القاضي إلى الأمير قَرْلُوا[1] ، مقدّم الأتراك المقيمين بالشام ، يستنجده ، فسار في اثني [عشر] ألف فارس ، فحصر مدينة صيدا ، وهي لأمير الجيوش بدر ، فرحل حينئذ بدر ، فعاد الأتراك ، فعاود بدر حصر صور برّاً وبحراً سنةً ، وضيّق على أهلها حتّى أكلوا الخبز كلّ رطل بنصف دينار ؛ ولم يبلغ غرضه فرحل عنها .

وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداذ في يد وكلاء الخليفة ، وسبب ذلك

---

1) C. P. قرلوا .

Marfat.com

أنّ البَهْرَجَ كثر في أيدي الناس على السكك[1] السلطانيّة ، وضُرب اسم وليّ العهد على الدينار[2] ، وسُمّي الأميريّ ، ومُنع من التعامل بسواه .

وفيها ورد رسول صاحب مكّة محمّد بن أبي هاشم ، ومعه ولده ، إلى السلطان ألب أرسلان ، يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكّة ، وإسقاط خطبة العلويّ ، صاحب مصر ، وترك الأذان بحيّ على خير العمل ، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار ، وخِلعاً نفيسة ، واجرى له كلّ سنه عشرة آلاف دينار . وقال : إذا فعل أمير المدينة مُهنّأ[3] كذلك ، أعطيناه عشرين ألف دينار ، وكلّ سنة خمسة آلاف دينار .

وفيها تزوّج عميد الدولة بن جُهير بابنة نظام الملك بالرَّيّ وعاد إلى بغداذ .

وفيها، في شهر رمضان، توفّي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض بأصبهان وهو عائد من عند السلطان إلى خوزستان ، وكان قد علا أمره ، وتزوّج بأخت السلطان ، وبغى[1] على نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد ، وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده ، فلمّا مات سار دُبَيْس إلى السلطان ، ومعه شرف الدولة مُسلم ، صاحب الموصل ، فخرج نظام الملك فلقيهما ، وتزوّج شرف الدولة بأخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب ، وعادا إلى بلادهما من همذان .

وفيها كان بمصر غلاء شديد ، ومجاعة عظيمة[4] ، حتّى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وفارقوا الديار المصريّة ، فورد بغداذ منهم خلق كثير هرباً من الجوع ، وورد التجار ، ومعهم ثياب صاحب مصر وآلاته ، نُهبت من الجوع ، وكان فيها أشياء كثيرة نُهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، . وممّا نُهب[5] أيضاً في فتنة البساسيريّ وخرج من خزائنهم

.....

1) A. السكة . 2) A. الدنانير . 3) A. بها . 4) C. P. شديدة . 5) A. ونهبت وفيها .

---

١ وبغا .

Marfat.com

ثمانون ألف قطعة بلّور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم ، وأحد عشر ألف كزاغند ، وعشرون ألف سيف محلّى ، وقال ابنُ الفضل يمدح القائم بأمر الله ، ويذكر الحال بقصيدة فيها :

قد عَلِمَ المِصريُّ أنّ جُنودَه سنُو يوسفٍ منها، وطاعونُ عمواسِ
أقامتْ به حتّى استرابَ بنفسِهِ ، وأوجَسَ منه خِيفةً أيَّ إيجاسِ

في أبيات .

وفيها توفّي أبو الجوائز الحسن بن عليّ بن محمّد الواسطيُّ ، كان أديباً ، شاعراً ، حسن القول ، فمن قوله :

واحَسْرتي مِن قولِها: خانَ عُهودي ولَهَا
وحَقٌّ مَن صيّرني وَقفاً عليها ولَهَا
ما خطَرَت بخاطري ، إلاّ كَسَتْني ولَهَا

وتوفّي محمّد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطيُّ الأديب ، وانتهت الرحلة إليه في الأدب ، وله شعر ، فمنه في الزهد :

يا شائداً للقصور كَهلاً أقصرْ، فقَصْرُ الفَتى المماتُ
لم يجتمع شَملُ أهل قصرٍ، إلاّ قُصاراهمُ الشتَاتُ
وإنّما العيشُ مثلُ ظلّ ، مُنتقلٍ ما لهُ ثَباتُ

وفيها توفّي القاضي أبو الحسين محمّد بن إبراهيم بن حزم ، قاضي دمشق ؛ وأبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي العجائز [1] ، الخطيب بدمشق .

---

1) C. P.

Marfat.com

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة

ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله ، وللسلطان ألب أرسلان .

وسبب ذلك أنّه رأى إقبال دولة السلطان ، وقوّتها ، وانتشار دعوتها ، فجمع أهل حلب وقال : هذه دولة جديدة ، ومملكة شديدة ، ونحن تحت الخوف منهم ، وهم يستحلّون دماءكم لأجل مذاهبكم ، والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي[1] وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل . فأجاب المشايخ[2] [إلى] ذلك ، ولبس المؤذّنون السواد ، وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان ، فأخذت العامّة حُصُرَ الجامع ، وقالوا : هذه حُصر عليّ بن أبي طالب ، فليأت أبو بكر بِحُصرٍ يصلّي عليها بالناس .

وأرسل الخليفة إلى محمود الخِلَع مع نقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ ، فلبسها ، ومدحه ابن سِنان الخفاجيّ ، وأبو الفتيان بن حَيّوس ، وقال أبو عبد الله بن عطيّة يمدح القائم بأمر الله ، ويذكر الخطبة بحلب ومكّة والمدينة :

كم طائعٍ لك لم تجلِبْ عليه ، ولم تَعرِفْ لِطاعتِه غيرَ التُّقى سَبَبَا
هذا البشيرُ بإذعانِ الحجازِ ، وذا داعي دمشقَ وذا المبعوثُ[3] من حَلَبَا

---

1) A. يأتينا . 2) Codd. مشايخ . 3) A. المنعوت .

Marfat.com

ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب

في هذه السنة سار السلطان ألْب أرسلان إلى حلب، ؛ وجعل طريقه على ديار بكر . فخرج إليه صاحبها ، نصر بن مروان ، وخدمه بمائة ألف دينار ، وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنّه قسّطها على البلاد ، فأمر بردّها

ووصل إلى آمِد فرآها ثغراً منيعاً ، فتبرّك به ، وجعل يمرّ يده على السور ويمسح بها صدره .

وسار إلى الرُّها فحصرها فلم يظفر منها بطائل ، فسار إلى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طِراد بالرسالة القائمية ، والخِلَع ، فقال له محمود ، صاحب حلب : أسألك الخروج إلى السلطان ، والاستعفاء[1] لي من الحضور عنده ؛ فخرج نقيب النقباء ، وأخبر السلطان بأنّه قد لبس الخِلَع القائميّة وخطب فقال : أيّ شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذّنون - يّ على خير العمل ؟ ولا بدّ من الحضور ، ودوس بساطي ؛ فامتنع محمود من ذلك .

فاشتدّ الحصار على البلد ، وغلت الأسعار ، وعظم القتال ، وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد ، فوقع[2] حجر مِنجنيق في فرسه ، فلمّا عظم الأمر على محمود خرج ليلاً . ومعه والدته منيعةُ بنت وِثّاب النُّميريّ ، فدخلا على السلطان وقالت له : هذا ولدي ، فافعل به ما تحبّ . فتلقّاهما بالجميل ، وخلع على محمود وأعاده إلى بلده ، فأنفذ إلى السلطان مالاً جزيلاً[2] .

---

1) A. فنزل . 2) A.

---

١ واستعفاء .

٢ فوقعت .

Marfat.com

ذكر خروج ملك الروم إلى خِلاط وأسره

في هذه السنة خرج أرمانوس ملك الروم في ٭ مائتي ألفٍ[1] من الروم ، والفرنج ، والغرب ، والروس ، والبجناك[1] ، والكُرج ، وغيرهم ، من طوائف تلك البلاد ، فجاؤوا في تجمّل كثير ، وزيّ عظيم ، وقصد بلاد الإسلام ، فوصل إلى ملازكرد من أعمال خِلاط . فبلغ السلطانَ ألْب أرسلان الخبر ، وهو بمدينة خُوَيّ[2] من أذربِيجان ، قد عاد من حلب ، وسمع ما هو ملك الروم فيه من كثْرة الجموع ، فلم يتمكّن من جمع العساكر لبُعدها وقُرب العدوّ ، فسيّر الأثقال مع زوجته ونظام الملك إلى همذان ، وسار هو فيمن عنده من العساكر ، وهم خمسة عشر ألف فارس ، وجدّ في السير ، وقال لهم : إنّني أقاتل محتسباً صابراً ، فإن سلمتُ فنعمة من الله تعالى ، وإن كانت الشهادة فإنّ ابني ملكشاه وليّ عهدي ؛ وساروا .

فلمّا قارب العدوّ جعل له مقدّمة ، فصادفت مقدّمته ، عند خِلاط ، مقدّم الروسيّة في نحو عشرة آلاف من الروم ، فاقتتلوا ، فانهزمت الروسيّة ، وأُسر مقدّمهم ، وحُمل إلى السلطان ، فجدع أنفه ، وأنفذ بالسلب إلى نظام الملك ، وأمره أن يرسله إلى بغداذ ، فلمّا تقارب العسكران أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المُهادنة ، فقال : لا هدنة إلاّ بالرَّيّ ؛ فانزعج السلطان لذلك ، فقال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمّد بن عبد الملك البخاريٌّ ، الحنفيٌّ : إنّك تقاتل عن دينٍ وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان ، وأرجو أن يكون

---

1) Om. A.; C. P. والبساك .

2) C. P. خونج .

---

١ مائتين ألوف .

Marfat.com

الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح . فالقَهم يوم الجُمعة ، بعد الزوال ، في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر ، فإنّهم يدعون للمجاهدين بالنصر ، والدعاء مقرون بالإجابة .

فلمّا كانت تلك الساعة صلّى بهم ، وبكى السلطان ، فبكى الناس لبكائه ، ودعا ودعوا معه[1] ، وقال لهم : من أراد الانصراف فلينصرف ، فما هاهنا سلطان يأمر وينهى ؛ وألقى القوس والنُّشّاب ، وأخذ السيف والدبّوس ، وعقد ذنب فرسه بيده ، وفعل عسكره مثله ؛ ولبس البياض ، وتحنّط ، وقال : إن قُتلتُ فهذا كفني .

وزحف إلى الروم ، وزحفوا إليه ، فلمّا قاربهم ترجّل وعفّر وجهه على التراب ، وبكى ، وأكثر الدعاء ، ثم ركب وحمل ، وحملت العساكر معه ، فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم ، فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤوا . وأنزل الله نصره عليهم ، فانهزم الروم ، وقُتل منهم ما لا يُحصى ، حتّى امتلأت الأرض بجثث القتلى ، وأُسر ملك الروم ، أسره بعض غلمان كوهرائين ، أراد قتله ولم يعرفه ، فقال له خادم[2] مع الملك : لا تقتله ، فإنّه الملك .

وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك ، فردّه استحقاراً له ، فأثنى عليه كوهرائين ، فقال نظام الملك : عسى أن يأتينا بملك الروم أسيراً ؛ فكان كذلك .

فلمّا أسر الغلام الملك أحضره عند كوهرائين ، فقصد السلطان وأخبره بأسر الملك ، فأمر بإحضاره ، فلمّا أُحضر ضربه السلطان ألْب أرسلان ثلاث مقارع بيده وقال له : ألم أرسل إليك في الهُدنة فأبيتَ ؟ فقال :دعني من

---

1) A له . 2) A خدمة .

التوبيخ ، وافعل ما تريد ! فقال السلطان : ما عزمتَ أن تفعل بي إن أسرتني ؟ فقال : أفعل القبيح . قال له : فما تظنُّ أنني أفعل بك ؟ قال : إمّا أن تقتلني ، وإمّا أن تشهرني في بلاد الإسلام ، والأخرى بعيدة ، وهي العفو ، وقبول الأموال ، واصطناعي نائباً عنك . قال : ما عزمتُ على غير هذا .

ففداه بألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار ، وأن يرسل[1] إليه عساكر الروم أيّ وقت طلبها ، وأن يطلق كلّ أسير في بلاد الروم ، واستقرّ الأمر على ذلك ، وأنزله في خيمة ، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهّز بها ، فأطلق له جماعة من البطارقة ، وخلع عليه • من الغد[2] ، فقال ملك الروم : أين جهة الخليفة ؟ فدُلّ عليها ، فقام وكشف رأسه وأومأ إلى الأرض بالخدمة ، وهادنه السلطان خمسين سنة ، وسيّره إلى بلاده ، وسيّر معه عسكراً أوصلوه إلى مأمنه ، وشيّعه السلطان فرسخاً .

وأمّا الروم فلمّا بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد ، فلمّا وصل أرمانوس الملك إلى قلعة دُوقِية بلغه الخبر ، فلبس الصوف وأظهر الزهد ، وأرسل إلى ميخائيل يعرّفه ما تقرّر مع السلطان ، وقال : إن شئتَ أن تفعل ما استقرّ ، وإن شئتَ أمسكتَ؛ فأجابه ميخائيل بإيثار ما استقرّ ، وطلب وساطته ، وسؤال السلطان في ذلك .

وجمع أرمانوس ما عنده من المال[3] فكان مائتَيْ ألف دينار ، • فأرسله إلى السلطان ، وطبق ذهب عليه جواهر بتسعين ألف دينار[4] ، وحلف له أنّه لا يقدر على غير ذلك ؛ ثم إنّ أرمانوس استولى على أعمال الأرمن وبلادهم . ومدح الشعراء السلطان ، وذكروا هذا الفتح ، فأكثروا .

---

1) A. يغذ .
2) Om. A.
3) A. الأموال .
4) Om. C. P.

ذكر ملك أتسِز [1] الرملة وبيت المقدس

في هذه السنة قصد أتسِز بن أوق[2] الخوارزميُّ ، وهو من أمراء السلطان ملكشاه ، بلد الشام ، فجمع الأتراك وسار إلى فِلَسْطِين ، ففتح مدينة الرَّملة ، وسار منها إلى البيت المقدّس وحصره ، وفيه عساكر المصريّين ، ففتحه ، وملك ما يجاورهما من البلاد ، ما عدا عَسْقَلان ، وقصد دمشق فحصرها ، وتابع النهب لأعمالها حتّى خرّبها ، وقطع الميرة عنها ، فضاق الأمر بالناس ، فصبروا ، ولم يمكّنوه من ملك البلد ، فعاد عنه ، وأدام[3] قصد أعماله وتخريبها حتّى قلّت الأقوات عندهم .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد بن أحمد بن فوران الفورانيُّ ، الفقيه الشافعيُّ ، مصنّف كتاب الإبانة وغيره .

وفي هذه السنة ، في ذي الحجّة ، توفّي الخطيب أبو بكر أحمد بن عليّ ابن ثابت البغداذيُّ ، صاحب التاريخ[4] والمصنفات الكثيرة ببغداذ ، وكان إمام الدنيا في زمانه ، وممّن حمل جنازته الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ .

وتوفّي أيضاً فيها ، في شهر رمضان ، أبو يعلى محمّد بن الحسين[5] بن

---

1) Sub a. 467 nomen اتسيس scriptum est. 2) A. ابق . 3) C. P. أقام .

4) In C. P. hic vox delota est, cujus prima modo littera ر superest. In Bodl. nihil hic restat.

5) C. P. الحسن .

حمزة الجعفريُّ ، فقيه الإماميّة ، وحسّان بن سعيد[1] بن حسّان بن محمّد بن عبد الله المنيعيُّ المخزوميُّ من أهل مرو الرُّوذ ، كان كثير الصدقة والمعروف ، والعبادة ، والقنوع بالقليل من القوت ، والإعراض عن زينة الدنيا وبهجتها ، وكان السلاطين[2] يزورونه ويتبرّكون به ، وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر ، وغير ذلك من مصالح المسلمين .

وتوفّيت أيضاً، كريمة بنت أحمد بن محمّد المَرْوَزِيّة ، وهي التي تروي صحيح البخاريّ ، توفّيت بمكّة ، وإليها انتهى علوّ الإسناد للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت .

1) A. سعد .

2) A. add. يقصلونه و .

Marfat.com

٤٦٤

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكيّة بغداذ

في ربيع الأوّل من هذه السنة ورد إيتكين السليمانيُّ شحنة بغداذ من عند السلطان ؛ إلى بغداذ ، فقصد دار الخلافة ، وسأل العفو عنه ، وأقام أيّاماً ، فلم يُجَبْ إلى ذلك .

وكان سبب غضب الخليفة عليه أنّه كان قد استخلف ابنَهُ عند مسيره إلى السلطان ، وجعله شحنةً ببغداذ ؛ فقتل أحد المماليك الداريّة ، فأنفذ قميصه من الديوان إلى السلطان ، ووقع الخطاب في عزله .

وكان نظام الملك يعنى بالسليمانيّ ، فأضاف إلى إقطاعه تكريت ، فكوتب واليها ـ من ديوان الخلافة ؛ بالتوقّف عن تسليمها . فلمّا رأى نظام الملك والسلطان إصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكيّة بغداذ ، سيّر سعد الدولة كوهرائين إلى بغداذ شحنةً ـ وعزل السليمانيَّ عنها ، اتّباعاً لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله . ولمّا ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقّيه ، وجلس له الخليفة .

ذكر تزويج وليّ العهد بابنة السلطان

في هذه السنة أرسل الإمام القائم بأمر الله عميدَ الدولة بن جُهير ، ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه ؛ وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة أن يأذنَ

Marfat.com

في أن يجعل ولده ملكشاه وليّ عهده ، فأذن ، وسُيّرت له الخِلع مع عميد الدولة ، وأمر عميد الدولة أن يخطب ابنة السلطان ألب أرسلان من سفري خاتون لوليّ العهد المقتدي بأمر الله ، فلمّا حضر عند السلطان خطب ابنته ، فأجيب إلى ذلك .

وعقد النكاح بظاهر نَيسابور ، وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح ، ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد ، وكان النثار جواهر . وعاد عميد الدولة من عند السلطان إلى[1] ملكشاه ، وكان ببلاد فارس . فلقيه بأصبهان ، فأفاض عليه الخِلع ، فلبسها وسار إلى والده ، وعاد عميد الدولة إلى بغداذ ، فدخلها في ذي الحجّة .

ذكر ولاية أبي الحسن بن عمّار طرابلس

في هذه السنة ، في رجب ، توفّي القاضي أبو طالب بن عمّار ، قاضي طرابلس . وكان قد استولى عليها ، واستبدّ بالأمر فيها . فلمّا توفّي قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمّار . فضبط البلد أحسن ضبطٍ ، ولم يظهر لفقد عمّه أثر لكفايته .

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس

في هذه السنة سيّر السلطان ألْب أرسلان وزيرَهُ نظام الملك في عسكر إلى بلاد فارس ، وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل ، وفيه صاحبه فضلون ،

.....

1) A. add. السلطان .

Marfat.com

وهو لا يُعطي الطاعة . فنازله وحصره ، ودعاه إلى طاعة السلطان فامتنع ، فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضاً لعلوّ الحصن وارتفاعه ، فلم يطل مقامهم عليه حتّى نادى أهل القلعة بطلب الأمان ليسلّموا الحصن إليه ، فعجب الناس من ذلك .

وكان السبب فيه أنّ جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم ، فلمّا طلبوا الأمان أمّنهم نظام الملك ، وتسلّم الحصن ، والتجأ فضلون إلى قُلّة القلعة ، وهي على موضع فيها ، وفيه بناء مرتفع ، فاحتمى فيها ، فسيّر نظام الملك طائفة من العسكر إلى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم إليه وينهبوا ما معهم ، فسمع فضلون الخبر ، ففارق موضعه مستخفياً فيمن عنده من الجند ، وسار ليمنع عن أهله ، فاستقبلته طلائع نظام الملك ، فخافهم ، فتفرّق من معه ، واختفى في نبات الأرض ، فوقع فيه بعض العسكر ، فأخذه أسيراً ، وحمله إلى نظام الملك ، فأخذه[1] وسار به إلى السلطان فأمّنه وأطلقه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي القاضي أبو الحسين محمّد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور ، وكان قد أضرّ ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وكان إليه قضاء واسط ، وخليفته عليها أبو محمّد بن السّمال .

---

1) A.

Marfat.com

٤٦٥

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

ذكر قتل السلطان ألب أرسلان

في أوّل هذه السنة قصد السلطان ألْب أرسلان ، واسمه محمّد ، وإنّما غلب عليه ألْب أرسلان ما وراء النهر ، وصاحبه شمس الملك تكين ، فعقد على جَيحون جسراً وعبر عليه في نيّف وعشرين يوماً ، وعسكره يزيد على مائتَيْ ألف فارس ، فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يُعرف بيوسف الخوارِزميّ ، في سادس شهر ربيع الأوّل ، وحُمل إلى قرب سريره مع غلامَيْن ، فتقدّم أن تُضرب له أربعة أوتاد وتُشدّ أطرافه إليها ، فقال له يوسف : يا مخنّث ! مثلي يُقتل هذه القتلة ؟ فغضب السلطان ألب أرسلان ، وأخذ القوس والنشّاب ، وقال للغلامَيْن : خلّياه ! ورماه السلطان بسهم فأخطأه ، ولم يكن يخطىء سهمه ، فوثب يوسف يريده ، والسلطان على سُدّة ، فلمّا رأى يوسف يقصده قام عن السُّدّة ونزل عنها ، فعثر ، فوقع على وجهه ، فبرك عليه يوسف وضربه بسكّين كانت معه في خاصرته ، وكان سعد الدولة واقفاً ، فجرحه يوسف أيضاً جراحات ، ونهض السلطان فدخل إلى خيمة أخرى ، وضرب بعض الفرّاشين يوسفَ بمرزبّة على رأسه ، فقتله وقطّعه الأتراك .

وكان أهل سمرقند لمّا بلغهم عبور السلطان النهر ، وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيّما بخارى ، اجتمعوا ، وختموا ختماتٍ[1] ، وسألوا الله أن يكفيهم

---

1) C. P. ختماتان .

Marfat.com

أمره ، فاستجاب لهم .

ولمّا جُرح السلطان قال : ما من وجهٍ قصدتُه ، وعدوّ أردتُه ، إلا استعنتُ بالله عليه ، ولما كان أمسِ صعدتُ على تلّ ، فارتجّت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر ، فقلتُ في نفسي : أنا ملك الدنيا ، وما يقدر أحدٌ عليّ ، فعجّزني[1] الله تعالى بأضعف خلقه ، وأنا أستغفر الله تعالى ، وأستقيله من ذلك الخاطر . فتوفّي عاشر ربيع الأوّل من السنة ، فحُمل إلى مرو ودُفن عند أبيه.

ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وبلغ من العمر أربعين سنة وشهوراً، وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة ، وكانت مدّة ملكه منذ خُطب له بالسلطنة إلى أن قُتل تسع سنين وستّة أشهر وأيّاماً ، ولمّا وصل خبر موته إلى بغداذ جلس الوزير فخر الدولة بن جُهير للعزاء به في صحن السلام .

ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته

هو ألب أرسلان محمّد بن داود جُغري بك بن ميكائيل بن سلجوق ، وكان كريماً ، عادلاً ، عاقلاً ، لا يسمع السعايات ، واتّسع ملكه جدّاً[1] ، ودان له العالم ، وبحقّ قيل له سلطان العالم .

وكان رحيم القلب رفيقاً بالفقراء ، كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه .

اجتاز يوماً بمرو على فقراء الخرائين[2] ، فبكى ، وسأل الله تعالى أن يغنيه من فضله .

---

1) A. جيداً .

2) C. P. الخدامين ; Bodl. الخزايين ?

---

١ فعجز بي .

وكان يكثر الصدقة ، فيتصدّق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، وكان في ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه ، عليهم الإدرارات والصلات ، ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة ، قد قنع من الرعايا بالخراج الأصليّ يؤخذ منهم كلّ سنة دفعتَيْن رفقاً بهم .

وكتب إليه بعض السُّعاة سعاية في نظام الملك وزيره ، وذكر ما له في ممالكه من الرسوم والأموال ، وتُركتْ على مصلاّه ، فأخذها فقرأها ، ثم سلّمها إلى نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب ، فإن صدقوا في الذي كتبوه فهذّبْ أخلاقك ، وأصلح أحوالك ، وإن كذبوا فاغفر لهم زلّتهم واشغلهم[1] بمهمّ يشتغلون به عن السعاية بالناس .

وهذه حالة لا يُذكر عن أحد من الملوك أحسن منها .

وكان كثيراً ما يُقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم ، وأحكام الشريعة ، ولمّا اشتهر بين الملوك حُسن سيرته ، ومحافظته على عهوده ، أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع ، وحضروا عنده من أقاصي ما وراء النهر إلى أقصى الشام .

وكان شديد العناية بكفّ الجند عن أموال الرعيّة ؛ بلغه أنّ بعض خواصّ مماليكه سلب من بعض الرستاقيّة إزاراً ، فأخذ المملوك وصلبه ، فارتدع الناس عن التعرّض إلى مال غيرهم .

ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها . وخلّف ألب أرسلان من الأولاد : ملكشاه ، وهو صار السلطان بعده ، وإياز ، وتكش ، وبوري برش[2] ، وتُتش[3] ، وأرسلان أرغو ، وسارة ، وعائشة ، وبنتاً أخرى .

---

1) A.

2) Bodl. et C. P. برس .

3) A.

Marfat.com

ذكر ملك السلطان ملكشاه

لمّا جُرح السلطان ألْب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه ، وكان معه، وأمر أن يحلف له العسكر ، فحلفوا جميعهم ، وكان المتولّي للأمر في ذلك نظام الملك ، وأرسل ملكشاه إلى بغداذ يطلب الخطبة له ، فخُطب له على منابرها ، وأوصى ألْب أرسلان ابنَهُ ملكشاه أيضاً أن يعطي أخاه قاورت بك بن داود أعمال فارس وكَرمان ، وشيئاً عيّنه من المال ، وأن يُزَوّج[1] بزوجته ؛ وكان قاورت بك بكَرمان ، وأوصى أن يعطى ابنه إياز[2] بن ألْب أرسلان ما كان لأبيه داود ، وهو خمسمائة ألف دينار ، وقال : كلّ من لم يرض بما أوصيتُ له فقاتلوه ، واستعينوا بما جعلته له على حربه .

وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر ، فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيّف وعشرين يوماً في ثلاثة أيّام ، وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك ، وزاد الأجناد في معايشهم سبع مائة ألف[3] دينار ، وعادوا إلى خُراسان ، وقصدوا نَيسابور ؛ وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الأطراف يدعوهم إلى الخطبة له والانقياد إليه ، وأقام إياز أرسلان ببَلْخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نَيسابور إلى الرَّيّ .

---

1) A. يتزوج . 2) A. اباس . 3) A.

---

١ زُوّج .

ذكر ملك صاحب سَمَرْقَنْد مدينة تِرمِذ

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، ملك التكين صاحب سَمَرْقَنْد مدينة تِرمِذ .

وسبب ذلك أنّه لمّا بلغه وفاة ألْب أرسلان ، وعود ابنه ملكشاه عن خُراسان ، طمع في البلاد المجاورة له ، فقصد تِرمِذ أوّل ربيع الآخر ، وفتحها ، ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها إلى سَمَرقند

وكان إياز[1] بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ إلى الجُوزَجان[2] ، فخاف أهل بلخ ، فأرسلوا إلى التكين يطلبون منه الأمان ، فأمّنهم ، فخطبوا له فيها ، وورد إليها ، فنهب عسكره شيئاً من أموال الناس ، وعاد إلى تِرمِذ ، فثار أوباش بلْخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم ، فعاد إليهم وأمر بإحراق المدينة ، فخرج إليه أعيان أهلها وسألوه الصفح ، واعتذروا ، فعفا عنهم ، لكنّه أخذ أموال التجار فغنم شيئاً عظيماً .

فلمّا وصل الخبر إلى إياز[3] عاد من الجُوزَجان[2] إلى بلخ ، فوصل غرّة[4] جمادى الأولى ، فأطاعه أهلُها ، وسار عنها إلى تِرمِذ في عشرة آلاف فارس في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، فلقيهم عسكر التكين ، فانهزم إياز[3] ، فغرق من عسكره في جَيْحون أكثرهم ، وقُتل كثير[5] منهم ، ولم ينج إلاّ القليل .

---

1) C. P. إياز in texte et in marge إلياس ; A. et Bodl. إلياس .

2) A. الخوزجان .

3) Codd. إلياس .

4) A. إلى غزة .

5) A.

Marfat.com

ذكر قصد صاحب غزنة سَكْلَكَنْد

وفي هذه السنة أيضاً ، في جمادى الأولى ، وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة إلى سَكْلَكَنْدَ ، وبها عثمان عمّ السلطان ملكشاه ، ويلقّب بأمير الأمراء، فأخذوه أسيراً ، وعادوا به إلى غَزنة مع خزائنه وحشمه ، فسمع الأمير كُمشْتكين بلكابك ، وهو من أكابر الأمراء ، فتبع آثارهم ، وكان معه أنوشتكين جدّ ملوك خُوارزم في زماننا ، فنهبوا مدينة سَكْلَكَنْدَ .

ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمّه قاورت بك

لمّا بلغ قاورت بك ، وهو بكَرمان ، وفاة أخيه ألْب أرسلان سار طالباً للرَّيّ يريد الاستيلاء على الممالك ، فسبقه إليها السلطان ملكشاه ونظام الملك ، وسارا منها إليه[1] ، فالتقوا بالقرب من هَمَذان في[2] شعبان ، وكان العسكر يميلون إلى قاورت بك ، فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه ، فهزموها ، وحمل شرف الدولة مسلم بن قُريش ، وبهاء الدولة منصور بن دُبَيْس بن مَزْيد ، وهما مع ملكشاه ، ومن معهما من العرب والأكراد ، على ميمنة قاورت بك فهزموها ، وتمّت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ، ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه إلى حلل شرف الدولة ، وبهاء الدولة ، فنهبوها غيظاً منهم ، حيث هزموا عسكر قاورت بك ، ونهبوا أيضاً ما كان لنقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ رسول الخليفة .

---

1) C. P. فيها .

2) A. رابع .

Marfat.com

وجاء رجل سواديّ إلى السلطان ملكشاه ، فأخبره أنّ عمّه قاورت بك في بعض القُرى ، فأرسل مَنْ أخذه وأحضره ، فأمر سعد الدولة كوهرائين فخنقه ، وأقرّ كرمان بيد أولاده ، وسيّر إليهم الخِلع ، وأقطع العرب والأكراد إقطاعات[1] كثيرة لما فعلوه في الوقعة .

وكان السبب في حضور شرف الدولة ، وبهاء الدولة ، عند ملكشاه ، أنّ السلطان ألْب أرسلان كان ساخطاً على شرف الدولة ، فأرسل الخليفة نقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ إلى شرف الدولة بالموصل ، فأخذه وسار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة ، فلمّا بلغ الزاب وقف على ملطّفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب ، فأخذه شرف الدولة فغرّقه ، وسار مع طِراد ، فبلغهما الخبر بوفاة ألْب أرسلان ، ومسير ابنه ملكشاه ، فتمّما إليه .

وأمّا بهاء الدولة فإنّه كان قد سار بمال أرسله به أبوه إلى السلطان ، فحضر الحرب[1] بهذا السبب .

ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك

ثم إنّ عسكر ملكشاه بسطوا[2] ومدّوا أيديهم في أموال الرعيّة ، وقالوا : ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلاّ نظام الملك ، فنال الرعيّة أذًى شديدٌ ، فذكر ذلك نظام الملك للسلطان ، فبيّن له ما في هذا الفعل من الوهن ، وخراب البلاد ، وذهاب السياسة ، فقال له : افعلْ في هذا ما تراه مصلحة ! فقال له

---

1) A. 2) A تبسطوا .

---

١ إقطاعات .

نظام الملك : ما يمكنني أن أفعل إلاّ بأمرك .

فقال السلطان : قد رددتُ الأمور كلّها كبيرها وصغيرها إليك ، فأنت الوالد ؛ وحلف له ، وأقطعه إقطاعاً زائداً على ما كان ، من جملته طُوس مدينة نظام الملك ، وخلع عليه ، ولقّبه ألقاباً من جملتها : أتابك ، ومعناه الأمير الوالد ، فظهر من كفايته ، وشجاعته ، وحسن سيرته ما هو مشهور ، فمن ذلك أنّ امرأة ضعيفة استغاثت به ، فوقف يكلّمها وتكلّمه ، فدفعه بعض حجّابه ، فأنكر ذلك عليه وقال : إنّما استخدمتُك لأمثال هذه ، فإنّ الأمراء والأعيان لا حاجة بهم إليك ؛ ثم صرفه عن حجابته[1] .

ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان

في هذه السنة قُتل ناصر الدولة أبو عليّ الحسن[1] بن حمدان ، وهو من أولاد[2] ناصر الدولة بن حمدان ، بمصر ، وكان قد تقدّم فيها تقدّماً عظيماً .

ونذكر هاهنا الأسباب الموجبة لقتله ، فإنّها تتبع بعضها بعضاً ، وفي حروب وتجارب ، وكان أوّل ذلك اختلال أمر الخلافة ، وفساد أحوال المستنصر بالله العلويّ ، صاحبها ، وسببه أنّ والدته كانت غالبةً على أمره ، وقد اصطنعتْ أبا سعيد إبراهيم التُّستَريّ[3] ، اليهوديّ ، وصار وزيراً لها ، فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحيّ ، فولّته الوزارة ، واتّفقا مدّةً ، ثم صار الفلاحيُّ ينفرد بالتدبير ، فوقع بينهما وحشة ، فخافه الفلاحيُّ أن يُفسد أمرَه مع أمّ المستنصر ،

---

1) A. الحسين . 2) A. أحفاد . 3) C. P. المشري .

---

١ حجبه .

Marfat.com

فاصطنع الغلمان الأتراك ، واستمالهم ، وزاد في أرزاقهم ، فلمّا وثق بهم وضعهم على قتل اليهوديّ ، فقتلوه ، فعظم الأمر على أمّ المستنصر ، وأغرت به ولدها ، فقبض عليه ، وأرسلت من قتله تلك الليلة ، وكان بينهما في القتل تسعة أشهر .

ووزَر بعده أبو البركات حسن بن محمّد ، فوضعه على الغلمان الأتراك فأفسد أحوالهم ، وشرع يشتري العبيد للمستنصر ، واستكثر منهم ، فوضعته أمّ المستنصر ليغري العبيد المجردين[1] بالأتراك ، فخاف عاقبة ذلك ، وعلم أنّه يورث شرّاً وفساداً ، فلم يفعل ، فتنكّرت له ، وعزلتْه عن الوزارة .

وولِيَ بعده الوزارة أبو محمّد اليازوريُّ من قرية من قُرى الرملة اسمُها يازور ، فأمرته أيضاً بذلك ، فلم يفعل ، وأصلح الأمور إلى أن قُتل .

ووزر بعده أبو عبد الله الحسين بن البابليّ ، فأمرته بما أمرتْ به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك ، ففعل ، فتغيّرتْ نيّاتهم .

ثم إنّ المستنصر ركب ليشيّع الحجّاج، فأجرى بعض الأتراك فرسه ، فوصل به إلى جماعة العبيد المحدثين ، وكانوا يحيطون بالمستنصر ، فضربه أحدهم فجرحه ، فعظم ذلك على الأتراك ونشبت بينهم الحرب ، ثمّ اصطلحوا على تسليم الجارح[2] إليهم ، واستحكمت العداوة ، فقال الوزير للعبيد : خذوا حذركم ؛ فاجتمعوا في محلّتهم .

وعرف الأتراك ذلك ، فاجتمعوا إلى مقدّميهم ، وقصدوا ناصر الدولة ابن حمدان ، وهو أكبر قائد بمصر ، وشكوا إليه ، واستمالوا المصامدة ، وكتامة ، وتعاهدوا ، وتعاقدوا ، فقوي الأتراك ، وضعف العبيد المحدثون ، فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ليجتمعوا هناك ، فانضاف إليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل ، فخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر ، فأعاد

---

1) A. 2) A. الخارج .

الجواب أنّه لا علم له بما فعل العبيد ، وأنّه لا حقيقة له ، فظنّوا قوله حيلة عليهم .

ثم قوي الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم ، فأجفل الأتراك ، وكتامة ، والمصامدة[1] ، وكانت عدّتهم ستّة آلاف، فالتقوا بموضع يُعرف بكَوْمِ الريشِ ، واقتتلوا ، فانهزم الأتراك ومن معهم إلى القاهرة ، وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس ، فلمّا انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم ، وحملوا عليهم حملة منكرة ، وضربت البوقات ، فارتاع العبيد ، وظنّوها مكيدةً من المستنصر ، وأنّه قد ركب في باقي العسكر ، فانهزموا ، وعاد عليهم الأتراك وحكّموا فيهم السيوف ، فقتل منهم وغرق[2] نحو أربعين ألفاً وكان يوماً مشهوداً .

وقويت نفوس الأتراك ، وعرفوا حسن رأي المستنصر فيهم ، وتجمّعوا ، وحشدوا ، فتضاعفت عدّتهم ، وزادت واجباتهم للإنفاق فيهم ، فخفت الخزائن، واضطربت الأمور ، وتجمّع باقي العسكر من الشام وغيره إلى الصعيد ، فاجتمعوا مع العبيد ، فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل ، وساروا إلى الجيزة ، فخرج عليهم الأتراك ومن معهم ، واقتتلوا في الماء عدّة أيّام ، ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة بن حمدان ، فاقتتلوا ، فانهزم العبيد إلى الصعيد ، وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين .

ثم إنّ العبيد اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل ، فقلق الأتراك لذلك ، فحضر مقدّموهم دار المستنصر لشكوى حالهم ، فأمرتْ أمّ المستنصر مَنْ عندها من العبيد بالهجوم[3] على المقدّمين والفتك بهم ، فقطعوا ذلك ، وسمع ناصر الدولة[4] الخبر ، فهرب إلى ظاهر البلد ، واجتمع الأتراك إليه ،

---

1) A.

2) C. P. وعرض .

3) C. P. بالحرم .

4) Hic longior lacuna in A. incipit.

Marfat.com

ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ، ومن تبعهم من مصر ، والقاهرة ، وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنّه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاماً ، حتّى ينفصل الحال بينهم ، فبقيت الحرب ثلاثة أيّام ، ثم ظفر بهم ناصر الدولة ، وأكثر القتل فيهم ، ومن سلم هرب ، وزالت دولتهم من القاهرة .

وكان بالإسكندريّة جماعة كثيرة من العبيد ، فلمّا كانت هذه الحادثة طلبوا الأمان ، فأمّنوا[1] وأخذت منهم الإسكندريّة ، وبقي العبيد الذين بالصعيد .

فلمّا خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر ، وقلّ ناموسه عندهم ، وطلبوا الأموال ، فخلت الخزائن ، فلم يبق فيها شيء البتّة ، واختلّ ارتفاع الأعمال ، وهم يطالبون ، واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده ، فطلب ناصر الدولة العروض ، فأُخرجت إليهم ، وقُوّمت بالثمن البخس ، وصُرفت إلى الجند ؛ قيل إنّ واجب الأتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار ، فصار الآن في الشهر أربعمائة ألف دينار .

وأمّا العبيد بالصعيد فإنّهم أفسدوا ، وقطعوا للطريق ، وأخافوا السبيل ، فسار إليهم ناصر الدولة في عسكر كثير ، فمضى العبيد من بين يدَيْه إلى الصعيد الأعلى ، فأدركهم ، فقاتلهم ، وقاتلوه ، فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد إلى الجيزة[1] بمصر ، واجتمع إليه مَن سلم من أصحابه ، وشغبوا على المستنصر ، واتّهموه بتقوية العبيد والميل إليهم . ثم جهّزوا جيشاً وسيّروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد ، وقاتلوهم ، فقُتلت تلك الطائفة من العبيد ، فوهن الباقون ، وزالت دولتهم .

---

1) Cod. الحيرة .

---

١ فأومنوا .

Marfat.com

وعظم أمر ناصر الدولة ، وقويت شوكته ، وتفرّد بالأمر دون الأتراك ، فامتنعوا من ذلك ، وعظم عليهم ، وفسدت نيّاتهم له ، فشكوا ذلك إلى الوزير ، وقالوا : كلّما خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له ولحاشيته ، ولا يصل إلينا منه إلاّ القليل . فقال الوزير : إنّما وصل إلى هذا وغيره بكم ، فلو فارقتموه لم يتمّ له أمر . فاتّفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة ، وإخراجه من مصر ، فاجتمعوا ، وشكوا إلى المستنصر ، وسألوه أن يخرج عنهم ناصر الدولة ، فأرسل إليه يأمره بالخروج ، ويتهدّده إن لم يفعل ، فخرج من القاهرة إلى الجيزة ، ونُهبت داره ودور حواشيه وأصحابه .

فلمّا كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفياً إلى القائد المعروف بتاج الملوك شاذي ، فقبّل رجله ، وقال : اصطنعني ! فقال : أفعل ؛ فحالفه على قتل مقدّم من الأتراك اسمه الدكز ، والوزير الخطير ، وقال ناصر الدولة لشاذي : تركب في أصحابك ، وتسير بين القصرَيْن ، فإذا أمكنتك الفرصة فيهما[1] فاقتلهما .

وعاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة . وفعل شاذي ما أمره ، فركب الدكز إلى القصر ، فرأى شاذي في جمعه ، فأنكره ، وأسرع فدخل القصر ، ففاته ، ثم أقبل الوزير في موكبه ، فقتله شاذي ، وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب ، فركب إلى باب القاهرة ، فقال الدكز للمستنصر : إن لم تركب ، وإلاّ هلكتَ أنت ونحن . فركب ، ولبس سلاحه ، وتبعه خلق عظيم من العامّة والجند ، واصطفّوا للقتال ، فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم ، وقُتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى منهزماً على وجهه لا يلوي على شيء ، وتبعه فلٌّ أصحابه ، فوصل إلى بني سِنبِس ، فأقام عندهم وصاهرهم فقوي بهم .

وتجهّزت العساكر إليه ليعدوه ، فساروا حتّى قربوا منه ، وكانوا ثلاث

---

١ فيها .

Marfat.com

طوائف ، فأراد أحد المقدّمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه ، فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة ، وحمل عليه فقاتله ، فظفر به ناصر الدولة ، فأخذه أسيراً ، وأكثر القتل في أصحابه ، وعبر العسكر الثاني ، ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم ، فحمل ناصر الدولة عليهم ، ورفع رؤوس القتلى على الرماح ، فوقع الرعب في قلوبهم ، فانهزموا وقُتل أكثرهم ، وقويت نفس ناصر الدولة .

وعبر العسكر الثالث ، فهزمه وأكثر القتل فيهم ، وأسر مقدّمهم ، وعظم أمره ، ونهب الريف فأقطعه ، وقطع الميرة عن مصر برّاً وبحراً ، فغلت الأسعار بها ، وكثر الموت بالجوع ، وامتدّت أيدي الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل ، وعظم الوباء حتى إن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلّهم في ليلة واحدة .

واشتدّ الغلاء ، حتّى حكي أنّ امرأة أكلت رغيفاً بألف دينار ، فاستُبعد ذلك ، فقيل : إنّها باعت عروضاً قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار ، واشترت بها حنطة ، وحملها الحمّال على ظهره ، فنُهبت الحنطة في الطريق ، فنُهبت هي مع الناس ، فكان الذي حصل[1] لها ما عملته رغيفاً واحداً .

وقطع ناصر الدولة الطريق برّاً وبحراً ، فهلك العالم ، ومات أكثر أصحاب المستنصر ، وتفرّق كثير منهم ، فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصُّلح ، فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شاذي نائباً عن ناصر الدولة بالقاهرة ، يحمل المال إليه ، ولا يبقى[2] معه لأحدٍ حكم .

فلمّا دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغيّر عن القاعدة، واستبدّ بالأموال دون ناصر الدولة ، ولم يرسل إليه منها شيئاً ، فسار ناصر الدولة إلى الجيزة ، واستدعى إليه شاذي وغيره من مقدّمي الأتراك ، فخرجوا إليه إلاّ أقلّهم، فقبض عليهم

.....

1) Bodl. فصل .

2) Hic lacuna in A. desinit, ibique انه ما add.

كلّهم . ونهب ناحيتَيْ مصر ، وأحرق كثيراً منهما[1] ، فسيّر إليه المستنصر عسكراً فكبسوه . فانهزم منهم ومضى هارباً ، فجمع جمعاً ، وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم ، وقطع خطبة المستنصر بالإسكندريّة ودمياط ، وكانا معه ، وكذلك جميع الريف ، وأرسل إلى الخليفة ببغداذ يطلب خِلعاً ليخطب له بمصر .

واضمحلّ أمر المستنصر ، وبطل ذكره ، وتفرّق الناس من القاهرة ، وأرسل ناصر الدولة إليه أيضاً يطلب المال ، فرآه الرسول جالساً على حصير ، وليس حوله غير ثلاثة خدم ، ولم ير الرسول شيئاً من آثار المملكة ، فلمّا أدّى الرسالة قال : أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير ؟ فبكى الرسول ، وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر ، فأجرى له كلّ يوم مائة دينار ، وعاد إلى القاهرة ، وحكم فيها ، وأذلّ السلطان وأصحابه[1] .

وكان الذي حمله على ذلك أنّه كان يُظهر التسنّن من بين أهله ، ويعيب المستنصر ، وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد ، وقبض على أمّ المستنصر ، وصادرها بخمسين ألف دينار ، وتفرّق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله إلى الغرب ، وغيره[2] من البلاد ، فمات كثير منهم جوعاً .

وانقضت سنة أربع وستّين [وأربعمائة] وما قبلها بالفتن . وانحطّ السعر سنة خمس وستّين ، ورخصت الأسعار ، وبالغ ناصر الدولة في إهانة المستنصر ، وفرّق عنه عامّة أصحابه ، وكان يقول لأحدهم : إنّني أريد أن أولّيك عمل كذا ؛ فيسير إليه، فلا يمكّنه من العمل ويمنعه من العود ، وكان غرضه بذلك

---

1) A. وأهانه .

---

١ كثير منها .

٢ وغيرها .

Marfat.com

• أن يخطب[1] للخليفة القائم بأمر الله ، ولا يمكنه مع وجودهم ، ففطن لفعله قائد كبير من الأتراك اسمه الدكز ، وعلم أنّه متى ما تمّ ما أراد تمكّن منه ومن أصحابه ، فأطلع على ذلك غيره من قوّاد الأتراك ، فاتّفقوا على قتل ناصر الدولة ، • وكان قد أمن لقوّته ، وعدم عدوّه[2] ، فتواعدوا ليلةً على ذلك ، فلمّا كان سَحَر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤوا إلى باب داره ، وهي • التي تُعرف بمنازل العزّ ، وهي[1] على النيل ، فدخلوا ، من غير استئذان ، إلى صحن داره ، فخرج إليهم ناصر الدولة في رداء لأنّه كان آمناً منهم ، فلمّا دنا منهم ضربوه بالسيوف ، فسبّهم ، وهرب منهم يريد الحرم ، فلحقوه فضربوه حتّى قتلوه ، وأخذوا رأسه .

ومضى رجل منهم ، يُعرف بكوكب الدولة ، إلى فخر العرب ، أخي ناصر الدولة ، وكان فخر العرب كثير الإحسان إليه . فقال للحاجب : استأذن لي على فخر العرب ، وقُلْ صنيعتك فلان على الباب ، فاستأذن له ؛ فأذن له وقال : لعلّه قد دهمه أمر . فلمّا دخل عليه أسرع نحوه كأنّه يريد السلام عليه ، وضربه بالسيف على كتفه ، فسقط إلى الأرض ، فقطع رأسَه ، وأخذ سيفه ، وكان ذا قيمة وافرة ، وأخذ جاريةً له أردفها خلفه ، وتوجّه إلى القاهرة ؛ وقُتل أخوهما تاج المعالي ، وانقطع ذكر الحمدانيّة بمصر بالكلّيّة .

فلمّا كان سنة ستّ[2] وستّين وأربعمائة ولي الأمر بمصر بدر الجمالي ، أمير الجيوش ، وقتل الدكزَ والوزير ابن كدينة ، وجماعة من المسلحية ، وتمكّن من الدولة إلى أن مات ، وولي بعده ابنه الأفضل ، وسيرد ذكرهم إن شاء الله تعالى.

1) Om. C. P.

2) A. سبع .

---

١ ليخطب .

٢ عدوّ .

M. Murfat.com

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أُقيمت الدعوة العبّاسيّة بالبيت المقدّس .

وفيها توفّي الأمير ليث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغان ، والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن عليّ بن محمّد بن المأمون ببغداذ ، وكان موته في شوّال ، ومولده سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وكان عالي الإسناد في الحديث .

وفيها ، في ذي الحجّة ، توفّي الشريف أبو الحسين محمّد بن عليّ بن ٥ عبد الله بن[1] عبد الصمد بن المهتدي بالله ، المعروف بابن الغريق ، وكان يسمّى راهب بني العبّاس ، وهو آخر من حدّث عن الدارقطنيّ وابن شاهين وغيرهما[2] ، وكان موته ببغداذ .

وفيها قُتل ناصر الدولة أبو عليّ الحسين[3] بن حمدان بمصر ، قتله الدكز التركيُّ ، وقد تقدّم شرحه مستوفًى .

وفيها توفّي الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيريُّ ، النَّيسابوريُّ ، مصنّف الرسالة وغيرها ، وكان إماماً ، فقيهاً ، أصوليّاً ، مفسّراً ، كاتباً ، ذا فضائل جمّة ، وكان له فرس قد أُهدي إليه ، فركبه نحو عشرين سنة ، فلمّا مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً فعاش أسبوعاً ومات .

وفيها أيضاً توفّي عليُّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل أبو منصور ، الكاتب المعروف بابن صُرّ بَعْر ، وكان نظام الملك قال له أنت ابن صُرّ دُرّ ، لا صُرّ بعر ، فبقي ذلك عليه ، وهو من الشعراء المجيدين ، وهجاه ابن الياضيّ فقال :

لئن نَبَزَ الناسُ قِدماً أباك ، فسمّوه من شعره صُرّ بَعْرا

---

1) Om. C. P. 2) A. 3) C. P. الحسن .

Marfat.com

فإنّك تَنظِمُ ما صَرَّهُ عُقوقاً لهُ، وتُسمّيهِ شِعْرا

وهذا ظلمٌ من ابن البياضيّ ، فإنّه كان شاعراً محسناً ، ومن شعر ابن صرّ دُرّ قوله :

تراوَرْنَ عن أذرِعاتٍ يمينا ، نواشِزَ ليسَ يُطِقنَ[1] البُرينَا
كَلِفْنَ بنَجدٍ ، كأنّ الرِّياض أخذْنَ لنَجدٍ عليها يمينَا
وأقسَمنَ يَحمِلن إلاّ نحيلاً إليه ، ويُبلِغْنَ إلاّ حزينَا
فلمّا استمعْنَ زفيرَ المَشوقِ ، ونوحَ الحَمام ، تركْنَ الحَنينا
إذا جئتُمَا بانةَ الوادِيين ، فأرخُوا النُّسوعَ ، وحُلّوا الوَضِينا
فثمَّ علائقُ من أجلِهنّ ، مُلاء الدُّجى والضُّحَى قد طُوينا
وقد أنبأتْهم مِياهُ الجُفونِ بأنَّ بقَلبِكَ داء دَفِينا

---

1) C. P. يطعن .

Marfat.com

٤٦٦

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه

في هذه السنة ، في صفر ، ورد كوهرائين إلى بغداذ من عسكر السلطان ، وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ، ووقف على رأسه وليُّ العهد المقتدي بأمر الله ، وسلّم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة ، وقرأ الوزير أوّله ، وسلّم إليه أيضاً لواء عقده الخليفة بيده ، ولم يُمنع يومئذ أحد من الدخول إلى دار الخلافة ، فامتلأ صحن السلام بالعامّة ، حتّى كان الإنسان تُهمّه نفسه ليتخلّص ، وهنّأ الناس بعضهم بعضاً بالسلامة .

ذكر غرق بغداذ

في هذه السنة غرق الجانب الشرقيّ وبعض الغربيّ من بغداذ .

وسببه أنّ دجلة زادت زيادة عظيمة ، وانفتح القورج عند المُسنّاة المُعزّيّة ، وجاء في الليل سيل عظيم ، وطفح الماء من البرّيّة مع ريح شديدة ، وجاء الماء إلى المنازل من فوق ، ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقيّ ، وهلك خلق كثير تحت الهدم ، وشُدّت الزواريق تحت التاج خوف الغرق .

وقام الخليفة يتضرّع ويصلّي ، وعليه البُردة ، وبيده القضيب ، وأتى ايتكين السليمانيُّ من عُكبَرا ، فقال للوزير : إنّ الملاّحين يؤذون الناس في

Marfat.com

المعابر فأحضرهم ، وتهدّدهم بالقتل ، وأمر بأخذ ما جرت به العادة .

وجُمع[1] الناس، وأقيمت الخطبة للجمعة في الطيّار مرّتين ، وغرق من الجانب الغربيّ مقبرة أحمد ، ومشهد باب التبن ، وتهدّم سوره ، فأطلق شرف الدولة ألف دينار تُصرف في عمارته ، ودخل الماء من شبابيك البيمارستان[2] العضديّ .

ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق أنّ الناس ، في العام الماضي ، كانوا قد أنكروا كثرة المغنّيات والخمور ، فقطع بعضهم أوتار عود مغنّية كانت عند جنديّ ، فثار به الجنديُّ الذي كانت عنده ، فضربه ، فاجتمعت العامّة ومعهم كثير من الأئمة منهم أبو إسحاق الشيرازيُّ ، واستغاثوا بالخليفة[1] ، وطلبوا هدم المواخير والحانات[3] وتبطيلها ، فوعدهم أن يكاتب السلطانَ في ذلك ، فسكنوا وتفرّقوا .

ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه ، فاتّفق أن غرقت بغداذ ، ونال الخليفة والجند من ذلك أمر عظيم ، وعمّت[4] مصيبته الناس كافّة[2] ، فرأى الشريف أبو جعفر بن أبي موسى بعض الحجّاب الذين يقولون : نحن نكاتب السلطان ، ونسعى[5] في تفريق الناس ، ويقول : اسكنوا إلى أن يرد الجواب. فقال له أبو جعفر : قد كتبنا ، وكتبتم ، فجاء جوابنا قبل جوابكم ، يعني أنّهم شكوا ما حلّ بهم إلى الله تعالى ، وقد أجابهم بالغرق ، قبل ورود جواب السلطان .

---

1) A. وحمي .
2) A. المارستان .
3) C. P. والحانات .
4) A. وعظمت .
5) A. ويسعى .

---

١ إلى الخليفة .
٢ كافّة النّاس .

Marfat.com

ذكر ملك السلطان ملكشاه تِرمِذ والهدنة بينه وبين صاحب سَمَرقَنْد

قد ذكرنا أنّ خاقان التكين صاحب سَمَرْقَنْد ملك تِرمِذ بعد قتل السلطان ألْب أرسلان ، فلمّا استقامت الأمور للسلطان ملكشاه سار إلى تِرمِذ وحصرها ، وطمّ العسكر خندقها ، ورماها بالمجانيق[1] ، فخاف من بها ، فطلبوا الأمان فأمّنهم ، وخرجوا منها وسلّموها .

وكان بها أخٌ لخاقان التكين ، فأكرمه السلطان ، وخلع عليه ، وأحسن إليه[2] ، وأطلقه ، وسلّم قلعة تِرمِذ إلى الأمير ساوتكين ، وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم ؛ وحفْر خندقها وتعميقه ، ففعل ذلك .

وسار السلطان ملكشاه يريد سَمَرْقَند ، ففارقها صاحبها ، وأنفذ يطلب المصالحة ، ويضرع إلى نظام الملك في إجابته إلى ذلك ، ويعتذر من تعرّضه إلى تِرمِذ ، فأجيب إلى ذلك ، واصطلحوا ، وعاد ملكشاه عنه إلى خُراسان ، ثم منها إلى الرَّيّ ، وأقطع بلخ وطُخارِستان لأخيه شهاب الدين تكش .

ذكر عدّة حوادث

فيها توفّي زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنَّيْل فجأةً ، وله سبعون سنة ، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية .

وفيها توفّي إياز[3] أخو السلطان ملكشاه ، وكُفي شرّه كما كُفي شرّ عمّه

---

1) A. بالمنجنيق . 2) Om. A.

3) A. إياس ; at in marg. إلياس ; C. P. إياز ; Bodl. إلياس .

Marfat.com

قاورت بك .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، توفّي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السِّمنانيُّ حمو قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغانيّ ، وولي ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق والموصل ، وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بسمنان ، وكان هو وأبوه من المغالين[1] في مذهب الأشعريّ ، ولأبيه فيه تصانيف كثيرة ، وهذا ممّا يُستطرف أن يكون حنفيّ أشعريّاً .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، توفّي عبد العزيز أحمد بن محمّد بن عليّ أبو محمد الكتّانيُّ ، الدمشقيُّ ، الحافظ ، وكان مكثراً في الحديث ، ثقة ، وممّن سمع منه الخطيب أبو بكر البغداذيُّ .

Marfat.com

---

1) A. المضاهين .

٤٦٧

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة[1]

ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته

في هذه السنة ، ليلة الخميس ثالث عشر شعبان ، توفّي القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، واسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله أبي العبّاس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العبّاس أحمد .

وكان سبب موته أنّه كان قد أصابه شَرَى ، فافتصد ، ونام منفرداً[2] ، فانفجر فصاده ، وخرج منه دم كثير ولم يشعر ، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوّته ، فأيقن بالموت ، فأحضر وليّ العهد ، ووصّاه بوصايا ، وأحضر النقيبَيْن وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جُهير ، وأشهدهم على نفسه أنّه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبد الله بن محمّد بن القائم بأمر الله وليّ عهده .

ولمّا توفّي غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميُّ ، وصلّى عليه المقتدي بأمر الله .

وكان عمره ستّاً[1] وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيّام ، وخلافته أربعاً

---

1) Primum caput, quod in C. P. deest, hic est ذكر خروج سكين بمصر ; at jam in anno 434 exstat.

2) A.

---

١ ستّ .

Marfat.com

وأربعين سنة وثمانية أشهر وأيّاماً[1] ؛ وقيل[2] كان مولده ثامن[3] عشر ذي الحجّة[4] سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، . وعلى هذا يكون عمره ستّاً وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً[5] .

وأمّه أمّ ولد تُسمّى قَطر النَّدى ، أرمنيّة ، وقيل رُوميّة ، أدركت خلافته ، وقيل اسمها علَم ، وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة .

وكان القائم[6] جميلاً ، مليح الوجه ، أبيض ، مشرباً حُمرةً ، حسن الجسم ، زرعاً ، ديّناً ، زاهداً ، عالماً ، قويّ اليقين بالله تعالى ، كثير الصبر ، وكان للقائم عناية بالأدب ، ومعرفةٌ حسنة بالكتابة ، ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان ، فكان يُصلح فيه أشياء ، وكان مؤثِراً للعدل والإنصاف[7] يريد قضاء حوائج الناس ، لا يرى المنع من شيء يُطلب منه .

قال محمّد بن عليّ بن عامر الوكيل : دخلتُ يوماً إلى المخزن ، فلم يبق أحدٌ إلاّ أعطاني قصّةً ، فامتلأت أكمامي منها ، فقلتُ في نفسي : لو كان الخليفة أخي لأعرض عن هذه كلّها ، فألقيتها في بركة ، والقائم ينظر ولا أشعر ، فلمّا دخلتُ إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة ، فأُخرجت ، ووقف عليها ، ووقّع فيها بأغراض أصحابها ، ثم قال لي : يا عامّي ! ما حملك على هذا ؟ فقلتُ : خوف الضجر منها ؛ فقال : لا تَعُدْ إلى مثلها ! فإنّا ما أعطيناهم من أموالِنا شيئاً ، إنّما نحن وكلاء .

ووزر القائم أبو طالب محمّد بن أيّوب ، وأبو الفتح بن دارست ، ورئيس الرؤساء ، وأبو نصر بن جُهير ؛ وكان قاضيه ابن ماكولا ، وأبو عبد الله الدامغانيّ .

.....

1) A. وخمسة وعشرين يوماً .
2) A.
3) C. P. ثالث .
4) A. القعدة .
5) Om. C. P.
6) A.
7) A. والإحسان .

---

١ وأيام .

Marfat.com

ذكر خلافة المقتدي بأمر الله

لمّا توفّي القائم بأمر الله بويع المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمّد بن القائم بالخلافة ، وحضر مؤيّد الملك بن نظام الملك ، والوزير فخر الدولة بن جُهير وابنه عميد الدولة ، والشيخ أبو إسحاق ، وأبو نصر بن الصبّاغ ، ونقيب النقباء طِراد ، والنقيب الطاهر المعمّر بن محمّد ، وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغانيُّ ، وغيرهم من الأعيان والأماثل ، فبايعوه .

وقيل : كان أوّل من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميُّ ، فإنّه لمّا فرغ من غسل القائم بايعه ، وأنشده :

إذا سيّدٌ منّا مضَى قامَ سيّدٌ

ثمّ أرتجِ عليه ، فقال المقتدي :

قَؤولٌ بما قال الكِرامُ فَعولُ

فلمّا فرغوا من البَيعة صلّى بهم العصر .

ولم يكن للقائم من أعقابه ذَكر سواه ، فإنّ الذخيرة أبا العبّاس محمّد بن القائم توفّي أيّام أبيه ، ولم يكن له غيره ، فأيقن الناس بانقراض نسله ، وانتقال الخلافة من البيت القادريّ إلى غيره ، ولم يشكّوا في اختلال الأحوال بعد القائم ، لأنّ من عدا البيت القادريّ كانوا يخالطون العامّة في البلد ، ويَجرون مَجرى السوقة ، فلو اضطرّ الناس إلى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ، ولا تلك الهيبة ، فقدّر الله تعالى أنّ الذخيرة أبا العبّاس كان له جارية اسمها أُرجُوان ، وكان يُلمّ بها ، فلمّا توفّي ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ، ذكرتْ أنّها حامل ، فتعلّقت النفوس بذلك ، فولدت بعد

موت سيّدها بستّة أشهر المقتدي ، فاشتدّ فرح القائم ، وعظم سروره ، وبالغ [في] الإشفاق عليه والمحبّة له .

فلمّا كانت حادثة البساسيريّ كان للمقتدي قريب أربع سنين ، فأخفاه أهله ، وحمله أبو الغنائم بن المحلبان إلى حرّان ، كما ذكرنا ، ولمّا عاد القائم إلى بغداذ أعيد المقتدي إليه . فلمّا[1] بلغ الحلم جعله وليّ عهد ، ولمّا وليَ الخلافة أقرّ فخرَ الدولة بن جُهير على وزارته بوصيّةٍ من القائم بذلك ، وسيّر عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة ، وكان مسيره في شهر رمضان ، وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجلّ عن[1] الوصف .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في شوّال ، وقعت نار ببغداذ[2] في دكّان خبّاز بنهر المعلّى ، فاحترقت من السوق مائة[3] وثمانون[2] دكّاناً سوى الدور ، ثمّ وقعت نار في المأمونيّة ، ثم في الظفريّة ، ثم في درب المطبخ ، ثم في دار الخليفة ، ثم في حمّام السمرقنديّ ، ثم في باب الأزج ودَرب خُراسان[4] ، ثمّ في الجانب الغربيّ في نهر طابق ، ونهر القلائين ، والقطيعة ، وباب البصرة ، واحترق[5] ما لا يُحْصى .

وفيها أرسل المستنصر بالله العلويُّ ، صاحب مصر ، إلى صاحب مكّة ابن أبي

1) Add. A. سمع أنه .
2) A.
3) C. P.
4) A. فراسيا .
5) C. P. وأرسل .

---

١ من .
٢ وثمانين .

Marfat.com

هاشم رسالة وهدية جليلة ، وطلب منه أن يُعيد له الخطبة بمكّة ، حرسها الله تعالى . وقال : إنّ أيمانك وعهودك كانت للقائم ، وللسلطان ألْب أرسلان ، وقد ماتا ؛ فخطب له بمكّة وقطع خطبة المقتدي ، وكانت مدّة الخطبة العبّاسيّة بمكّة أربع سنين وخمسة أشهر ، ثم أُعيدت في ذي الحجّة سنة ثمان وستّين [وأربعمائة] .

وفيها كانت حرب شديدة بين بني رياح وزُغبة ببلاد إفريقية ، فقويت بنو رياح على زُغبة فهزموهم وأخرجوهم عن البلاد .

وفيها جمع نظام الملك ، والسلطان ملكشاه ، جماعة من أعيان المنجّمين ، وجعلوا النَّيروز[1] أوّل نُقطة من الحمَل ، وكان النَّيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت . وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم .

وفيها أيضاً عُمل الرَّصد للسلطان ملكشاه ، واجتمع جماعة من أعيان المنجّمين في عمله منهم : عمر بن إبراهيم الخيّاميُّ، وأبو المظفّر الإسفزاريُّ ، وميمون ابن النجيب الواسطيُّ ، وغيرهم ، وخرج عليه من الأموال شيء عظيم ، وبقي الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، فبطل ، بعد موته[2] .

---

1) C. P. النوروز .

2) Om. C. P.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

ذكر ملك أقسيس دمشق

قد ذكرنا سنة ثلاث[1] وستّين [وأربعمائة] ملك أقسيس الرملة ، والبيت المقدّس ، وحصره مدينة دمشق ، فلمّا عاد عنها جعل يقصد أعمالها كلّ سنة عند إدراك الغلاّت فيأخذها ، فيقوى هو وعسكره ، ويضعف أهل دمشق وجندها ، فلمّا كان رمضان سنة سبع وستّين سار إلى دمشق فحصرها ، وأميرها المعلّى بن حَيْدرة من قِبَل الخليفة المستنصر ، فلم يقدر عليها ، فانصرف عنها في شوّال ، فهرب أميرها المعلّى في ذي الحجّة .

وكان سبب هربه أنّه أساء السيرة مع الجند والرعيّة وظلمهم ، فكثر الدعاء عليه ، وثار به العسكر ، وأعانهم العامّة ، فهرب منها إلى بانياس ، ثم منها إلى صور ، ثم أُخذ إلى مصر فحُبس بها ، فمات محبوساً .

فلمّا هرب من دمشق اجتمعت المَصامدة ، وولّوا عليهم انتصار بن يحيى المصموديّ ، المعروف برزين الدولة ، وغلت الأسعار بها حتّى أكل الناس بعضهم بعضاً .

ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد ، وعرف أقسيس[2] ذلك ، فعاد إلى دمشق ، فنزل عليها في شعبان من هذه السنة ، فحصرها ، فعُدمت[3] الأقوات ،

---

1) C. P. إحدى . 2) A. اتسز h. l. 3) A. فغلت .

Marfat.com

فبيعت الغرارة ، إذا وُجدتْ ، بأكثر من عشرين ديناراً ، فسلّموها إليه بأمان ، ، وعُوّض انتصارٌ عنها بقلعة بانياس ، ومدينة يافا من الساحل[1] ، ودخلها هو وعسكره في ذي القعدة ، وخطب بها يوم الجمعة لِخمسٍ[1] بقين من ذي القعدة ، للمقتدي بأمر الله الخليفة العبّاسيّ ، وكان آخر ما خطب فيها للعلويّين المصريّين ، وتغلّب على أكثر الشام ، ومنع الأذان بحيّ على خير العمل ، ففرح أهلها فرحاً عظيماً . وظلم أهلها ، وأساء السيرة فيهم .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة مَنبِج وأخذها من الروم .

وفيها قدم سعد الدولة[2] كوهرائين شِحنةً إلى بغداذ من عسكر السلطان ، ومعه العميد أبو نصر ناظراً في أعمال بغداذ .

وفيها وثب الجند بالبطيحة على أميرها أبي نصر بن الهَيثم ، وخالفوا عليه ، فهرب منهم ، وخرج من ملكه والذخائر والأموال التي جمعها في المدّة الطويلة ، ولم يصحبه من ذلك جميعه شيء ، وصار نزيلاً على كوهرائين شحنة العراق .

وفيها انفجر البثوق بالفَلّوجة ، وانقطع الماء من النَّيْل وغيره من تلك الأعمال من بلاد دُبَيْس بن مَزْيد ، فجلا أهل البلاد ، ووقع الوباء فيهم ، ولم

---

1) Om. C. P. 2) A. الدين .

---

١ بخمس .

يزل كذلك إلى أن سدّه عميد الدولة بن جُهير سنة اثنتين وسبعين[وأربعمائة] .

وفي هذه السنة توفّي أبو عليّ الحسن[1] بن القاسم بن محمّد المقري ، المعروف بغلام المرّاس الواسطيّ ، بها ، وكان محدّثاً علاّمةً في كثير من العلوم .

وفي شعبان توفّي القاضي أبو الحسين[2] محمّد بن محمّد بن البيضاويّ الفقيه الشافعيُّ ، وكان يدرّس الفِقه بدرب السلوليّ بالكرخ ، وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيّب الطبريّ ؛ وعبد الرحمن ، بن محمّد بن محمّد[3] بن المظفر بن محمّد ابن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداوديُّ ، راوي صحيح البخاريّ ، وُلد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وسمع الحديث وتفقّه للشافعيّ على أبي بكر القفّال ، وأبي حامد الأسفراييني ، وصحب أبا عليّ الدقّاق ، وأبا عبد الرحمن السُّلميّ ، وكان عابداً خيّراً ، قصده نظام الملك . فجلس بين يدَيْه ، فوعظه . وكان في قوله : إنّ الله تعالى سلّطك على عباده ، فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم ؛ فبكى . وكان موته ببُوشَنْجَ .

• وفيها توفّي أبو الحسن عليُّ بن أحمد • بن محمّد بن متويه[4] الواحديُّ المفسّر ، ، مصنّف الوسيط ، والبسيط ، والوجيز ، في التفسير ، وهو نَيسابوريٌّ ، إمام[5] مشهور ؛ وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست ، وزير القائم ، توفّي بالأهواز ؛ ومحمّد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصَّفّار النَّيسابوريُّ ، الفقيه الشافعيُّ ، تفقّه على أبي محمّد الجوينيّ ، وسمع من الحاكم أبي عبد الله وأبي عبد الرحمن السُّلميّ وغيرهما .

وفيها توفّي مسعود بن المحسن[6] بن الحسن بن عبد الرزّاق أبو جعفر البياضيُّ

.....

1) A. الحسين .
2) A. الحسن .
3) Om. A.
4) Om. C. P.
5) Om. C. P.
6) A. الحسن .

Marfat.com

الشاعر ، له شعر مطبوع ، فمنه قوله :

يا من لبستُ لبُعده ثَوبَ الضَّنى ، حتّى خَفِيتُ به عن العُوّادِ
وأنِسْتُ بالسَّهَرِ الطويل ، فأنسِيَتْ أجفانُ عيني كيفَ كان رُقادي
إن كان يوسفُ بالجَمالِ مُقطِّعَ الـ أيدي ، فأنتَ مُفتّتُ الأكبادِ

Marfat.com

٤٦٩

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

ذكر حصر أقسيس مصر وعوده عنها

في هذه السنة سار أقسيس من دمشق إلى مصر ، وحصرها . وضيّق على أهلها ، ولم يبق غير أن يملكها ، فاجتمع أهلها مع ابن الجوهريّ الواعظ في الجامع ، وبكوا وتضرّعوا ودعَوا ، فقبل الله دعاءهم ؛ فانهزم أقسيس من غير قتال ، وعاد على أقبح صورة بغير سبب ، فوصل إلى دمشق وقد تفرّق أصحابه ، فرأى أهلها قد صانوا مخلّفيه وأمواله[1] ؛ فشكرهم ، ورفع عنهم الخراج تلك السنة .

وأتى البيتَ المقدّس ، فرأى أهله قد قبّحوا على أصحابه ومخلّفيه ، وحصروهم[1] في محراب داود ، عليه السلام ؛ فلمّا قارب البلد تحصّن أهله منه وسبّوه ، فقاتلهم ، ففتح البلد عنوةً ونهبه ؛ وقتل من أهله فأكثر حتّى قتل مَن التجأ إلى المسجد الأقصى ؛ وكفّ عمّن كان عند الصخرة وحدها . هكذا يذكر الشاميّون ، هذا الاسم[2] أقسيس ؛ والصحيح أنّه[3] أتسِزْ ، وهو اسم تركيّ ، وقد ذكر بعض مؤرّخي الشام أنّ أتسِز لمّا وصل إلى مصر جمع أمير الجيوش بدر العساكر ، واستمدّ العرب وغيرهم من أهل البلاد ، فاجتمع

.....

1) A. 2) A. 3) A.

---

١ وحصرهم.

Marfat.com

معه خلق كثير . واقتتلوا ، فانهزم أتسِز ، وقُتل أكثر أصحابه ، وقُتل أخ له . وقُطعت يد أخ آخر ، وعاد منهزماً إلى الشام في نفر قليل من عسكره ، فوصل إلى الرَّملة ، ثم سار منها إلى دمشق .

وحكى لي من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر : أنّ أتسِز لمّا وصل إلى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة في الناس ، وظلموهم ، وأخذوا أموالهم . وفعلوا الأفاعيل القبيحة ، فأرسل رؤساء القُرى ومقدّموها إلى الخليفة المستنصر بالله العلويّ يشكون إليه ما نزل بهم ، فأعاد الجواب بأنّه عاجز عن دفع هذا العدوّ ، فقالوا له : نحن نرسل إليك مَنْ عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ، ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحاً ، وعسكر هذا العدوّ قد أمنوا ، وتفرّقوا في البلاد ، فنثور بهم في ليلة واحدة ونقتلهم ، وتخرج أنت إليه فيمن اجتمع عندك من الرجال ، فلا يكون له بك قوّة . فأجابهم إلى ذلك .

وأرسلوا إليه الرجال ، وثاروا كلّهم في ليلة واحدة بمن عندهم ، فأوقعوا بهم ، وقتلوهم عن آخرهم ، ولم يسلم منهم إلاّ من كان عنده في عسكره ، وخرج إليه العسكر الذي عند المستنصر بالقاهرة ، فلم يقدر على الثبات لهم ، فولّى منهزماً ، وعاد إلى الشام ، وكُفي أهل مصر شرّه وظلمه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد بغداذ أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم القُشيري حاجّاً ، وجلس في المدرسة النظاميّة يعظ الناس ، وفي رباط شيخ الشيوخ ، وجرى له مع الحنابلة فتن لأنّه تكلّم على مذهب الأشعريّ ، ونصره ، وكثر أتباعه والمتعصّبون له ، وقصد خصومه من الحنابلة ، ومن تبعهم ، سوق المدرسة النظاميّة وقتلوا جماعة .

Marfat.com

وكان من المتعصّبين القشيري الشيخ أبو إسحاق ، وشيخ الشيوخ ، وغيرهما من الأعيان[1] ، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة .

وفيها تزوّج الأمير عليّ بن أبي منصور بن فرامرز بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه أرسلان خاتون بنت داود عمّة السلطان ملكشاه التي كانت زوجة القائم بأمر الله .

وفيها كان بالجزيرة ، والعراق ، والشام وباء عظيم ، وموت كثير ، حتّى بقي كثير [من] الغلاّت ليس لها من يعملها لكثرة الموت في الناس .

وفيها مات محمود بن مرداس ، صاحب حلب ، وملك بعده ابنه نصر ، فمدحه ابن حيّوس بقصيدة يقول فيها :

ثمانيةٌ لم تفترِقْ مُذْ جَمَعتَها : فلا افترقتْ ما ذَبَّ[2] عن ناظرٍ شَعْرُ
ضميرُك والتّقوَى وَجُودكَ والغِنَى ولَفظُكَ والمَعْنى وعَزمُك والنَّصْرُ
وكان لمحمودِ بنِ نصرٍ سَجِيّةٌ وغالبُ ظَنّي أنْ سيُخلِفُها[3] نَصْرُ

فقال : والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له . وأمر له بما كان يعطيه أبوه ، وهو ألف دينار ، في طبق فضّة .

وكان على بابه جماعة من الشعراء ، فقال بعضهم :

على بابِكَ المعمورِ مِنّا عِصابةٌ مَفَالِيسُ فانظُر في أمورِ المَفاليسِ
وقد قَنِعَتْ منك العِصابةُ كلّها بعُشر الذي أعطيتَهُ لابن حَيُّوسِ
وما بيننا هذا التقارُبُ[4] كلّه ، ولكن سعيدٌ لا يُقاسُ بمَنحوسِ

---

1) A. الأئمة .
2) A. فر .
3) Ibn Abolf. Annal. III, p. 242. Codd. سيخلف .
4) A. التفاوت .

Marfat.com

فقال لو قال : بمثل الذي أعطيته ، لأعطيتُهم ذلك ؛ وأمر لهم بمثل نصفه .

وفيها توفّي اسبهدوست بن محمّد بن الحسن أبو منصور الديلميُّ الشاعر ، وكان قد لقي ابن الحجّاج ، وابن نُباتة ، وغيرهما ، وكان يتشيّع ، وتركه ، وقال في ذلك :

وإذا سُئِلْتُ عن اعتقادي قلتُ : ما كانَت عليه مذاهبُ الأبرارِ
وأقولُ : خيرُ الناس بعدَ محمّدٍ صِدّيقُهُ وأنِيسُهُ في الغارِ

وفيها توفّي رئيس العِراقَيْن أبو أحمد النهاونديُّ الذي كان عميد بغداذ ؛ والشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميُّ الحنبليُّ ؛ ورِزْق الله بن محمّد بن أحمد ابن عليّ أبو سعد[1] الأنباريُّ الخطيب ، الفقيه ، الحنفيّ ، سمع الحديث الكثير ، وكان ثقةً حافظاً ؛ وطاهر بن أحمد بن بابشاذَ النحوي ، المصريُّ[2] ، توفّي في رجب ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته ؛ وعبد الله ابن محمّد بن عبد الله بن عمر بن أحمد المعروف بابنِ هزارمرد ، الصَّرِيفِينيّ ، راوية أحاديث عليّ بن الجعد ، وهو آخر من رواها ، وكان ثقةً ، صالحاً ، ومن طريقه سمعناها .

---

1) A. سعيد .
2) C. P. المصيري .

Marfat.com

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد مؤيّد الملك بن نظام الملك إلى بغداذ من العسكر .

وفيها اصطلح تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، مع الناصر بن علناس ، وهو من بني حمّاد ، عمّ جدّه ، وزوّجه تميم ابنته بلارة ، وسيّرها إليه من المهديّة في عسكر ، وأصحبها من الحُليّ والجِهاز ما لا يُحدّ ، وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار ، فأخذ منها تميم ديناراً واحداً وردّ الباقي .

وفيها استعمل تميم ابنه مُقلّداً على مدينة طرابلس الغرب .

وكان ببغداذ ، في هذه السنة ، فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد ، فنهب بعضهم بعضاً ، وكان مؤيّد الملك بن نظام الملك ببغداذ بالدار التي عند المدرسة ، فأرسل إلى العميد والشحنة فحضرا ومعهما الجند ، فضربوا الناس ، فقُتل بينهم جماعة وانفصلوا[1] .

وفي هذه السنة، في ربيع الأوّل ، توفّي القاضي أبو عبد الله محمّد بن محمّد ابن محمّد[2] بن البيضاويّ ، الفقيه الشافعيّ ، وكان القاضي أبو الطيّب الطبريّ جدّه لأمّه .

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن النقور أبو

---

1) Hic inscriptio capitis, initio omissa, in A. exstat.

2) Om. A.

Marfat.com

الحسين البزّاز في رجب ، وكان مكثراً من الحديث ، ثقةً في الرواية ؛ وأحمد ابن عبد الملك بن عليّ أبو صالح المؤذّن النّيسابوريّ ، كان يعظ ويؤذّن ، وكان كثير الرواية ، حافظاً ، ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ؛ وعبد الرحمن بن محمّد بن إسحاق بن محمّد بن يحيى بن منده الأصبهانيّ أبو القاسم بن أبي عبد الله الحافظ ، له تصانيف كثيرة ، منها : تاريخ أصبهان ، وله طائفة يتتمون إليه في الاعتقاد من أهل أصبهان ، يقال لهم العبدرحمانيّة .

وفي شوّال منها توفّيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جُهير ، نُفساء بولد مات من يومه ، ودُفنا بدار الخلافة ، ولم تجر بذلك عادة لأحد ، فُعِل ذلك إكراماً لأبيها ، وجلس الوزير فخر الدولة بن جُهير ، وابنه عميد الدولة زوجها ، للعزاء في دار بباب العامّة ثلاثة أيّام .

٤٧١

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

ذكر عزل ابن جُهير من وزارة الخليفة

في هذه السنة عُزل فخر الدولة أبو نصر بن جُهير من وزارة الخليفة المقتدي بأمر الله ، ووزَر بعده أبو شجاع محمّد بن الحسين .

وكان السبب في ذلك أنّ أبا نصر بن القُشَيريّ ورد إلى بغداذ ، على ما تقدّم ذكره ، وجرى له الفتن مع الحنابلة ، لمّا ذكر مذهب الأشعريّة ، ونصره ، وعاب من سواهم ، وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه ، نسب أصحاب نظام الملك ما جرى إلى الوزير فخر الدولة ، وإلى الخدم ، وكتب أبو الحسن محمّد بن عليّ بن أبي الصقر الواسطيّ الفقيه الشافعيّ إلى نظام الملك :

يا نظامَ المُلك قد حلّ ببغداذَ النُّظامُ
وابنكُ[1] القاطنُ فيها مستهانٌ مستضامُ
وبِها أودَى له فتَ لمَى[1] غلامٌ ، وغلامُ
والذي منهم تبقّى سالماً فيه سِهامُ

---

1) A. فتلا .

---

١ وفي .

يا قِوامَ الدين لم يبـ ـقَ ببغداذ مَقامُ
عظُم الخطبُ ، وللحر بِ اتّصالٌ ، ودَوامُ
فمتى لم تحسِم الدا ء أياديك الحسامُ
ويكفّ القوم في بغ ـداذ قتلٌ ، وانتقامُ
فعلى مدرسة فيـ ـها ، ومن فيها السلامُ
واعتِصامٌ بحَرِيمٍ لكَ ، مِن بَعدُ ، حَرامُ

فلمّا سمع نظام الملك ما جرى من الفتن ، وقصْد مدرسته ، والقتْل بجوارها ، مع أنّ ابنه مؤيد الملك فيها . عظُم عليه ، فأعاد كوهرائين إلى شحنكيّة العراق ، وحمّله رسالةً إلى الخليفة المقتدي بأمر الله تتضمّن[1] الشكوى من بني جُهير ، وسأل عزْل فخر الدولة من الوزارة ، وأمر كوهرائين بأخذ أصحاب بني جُهير ، وإيصال المكروه إليهم وإلى حواشيهم .

فسمع بنو جُهير الخبر ، فسار عميد الدولة إلى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه ، وتجنّب الطريق ، وسلك الجبال خوفاً أن يلقاه كوهرائين وينال فيها أذًى ، فلمّا وصل كوهرائين إلى بغداذ اجتمع بالخليفة وأبلغه رسالة نظام الملك ، فأمر فخر الدولة بلزوم منزله .

ووصل عميد الدولة إلى المعسكر السلطانيّ ، ولم يزل يستصلح نظام الملك حتّى عاد إلى ما ألفه منه ، وزوّجه بابنة بنتٍ[1] له ، وعاد إلى بغداذ في العشرين من جمادى الأولى ، فلم يردّ الخليفة أباه إلى وزارته ، وأمرهما بملازمة منازلهما ، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الحسين .

1) A. ابن .

---

١ يتضمّن .

Marfat.com

ثم إنّ نظام الملك راسل الخليفة في إعادة بني جُهير إلى الوزارة ، وشفع في ذلك ، فأُعيد عميد الدولة إلى الوزارة ، وأذن لأبيه فخر الدولة في فتح بابه ، وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة] .

ذكر استيلاء تُتُش على دمشق

في هذه السنة ملك تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان دمشق .

وسبب ذلك أنّ أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام ، وما يفتحه في تلك النواحي ، سنة سبعين وأربعمائة ، فأتى حلبَ وحصرها ، ولحق أهلَها مجاعة شديدة ، وكان معه جمع كثير من التركمان ، فأنفذ إليه أقسِيس ، صاحب دمشق ، يستنجده ، ويعرّفه أنّ عساكر مصر قد حصرته بدمشق .

وكان أمير الجيوش بدر قد سيّر عسكراً من مصر ، ومقدّمهم قائد يُعرف بنصر[1] الدولة ، فحصر دمشق ، فأرسل أقسيس إلى تاج الدولة تُتُش يستنصره ، فسار إلى نصرة أقسيس ، فلمّا سمع المصريّون بقربه أجفلوا من بين يدَيْه شبه المنهزمين ، وخرج أقسيس إليه يلتقيه عند سور البلد ، فاغتاظ منه تُتُش حيث لم يبعد في تلقّيه ، وعاتبه على ذلك ، فاعتذر بأمور لم يقبلها تُتُش ، فقبض عليه في الحال ، وقتله من ساعته ، وملك البلد ، وأحسن السيرة في أهله ، وعدل فيهم .

قد ذكر ابن الهمذانيّ وغيره من العراقيّين أنّ مُلك تُتُش دمشق كان هذه السنة ، وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقيّ في كتاب تاريخ دمشق أن ملكه إيّاها كان سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة] .

---

1) A. بنصير .

Marfat.com

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وُلد الملك بركيارق ابن السلطان ملكشاه .

وفيها ، في المحرّم ، وصل سعد الدولة كوهرائين إلى بغداذ ، وضُرب الطبل على باب داره ، أوقاتَ الصّلوات ، وكان قد طلب ذلك من قبلُ ، فلم يُجَبْ إليه لأنّه لم تجر به عادة .

وفيها توفّي سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورّام الكرديُّ ، الجاوانيُّ ، في شهر ربيع الأول ، ودُفن بطَسْفُونَج .

وفي رجب توفّي أبو عليّ بن البنّا المقري الحنبليُّ ، وله مصنّفات كثيرة ؛ وسُليم الجُوريُّ[1] بناحية جُور[2] من دُجَيْل ، وكان زاهداً ، يعمل ، ويأكل من كسبه ، ولم يكلّف أحداً حاجةً ، وأقام بطَنْزَةَ من ديار بكر ، وهي كثيرة الفواكه ، فلم يأكل بها فاكهة البتّة .

---

1) A. الحوزي .

2) A. حوزي .

Marfat.com

٤٧٢

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة

ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند

في هذه السنة غزا الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند ، فحصر قلعة أجود[1] ، وهي على[1] مائة وعشرين فرسخاً من لَهَاوُور ، وهي قلعة حصينة ، في غاية الحصانة ، كبيرة ، تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة ، فقاتلوه ، وصبروا تحت الحصر ، وزحف إليهم غير مرّة ، فرأوا من شدّة حربه ما ملأ قلوبهم خوفاً ورعباً ، فسلّموا القلعة . إليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة .

وكان في نواحي الهند قلعة[2] يقال لها قلعة[3] روبال[4] ، على رأس جبل شاهق ، وتحتها غياض أشِبَة ، وخلفها البحر ، وليس عليها قتال إلاّ من مكان ضيّق ، وهو مملوء بالفِيَلة المقاتلة ، وبها من رجال الحرب ألوف كثيرة ، فتابع عليهم الوقائع ، وألحّ عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب ، وملك القلعة ، واستنزلهم[2] منها .

وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيّين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركيّ من قديم الزمان ، ولم يتعرّض إليهم أحد من

---

1) A. أخود .
2) Om. C. P.
3) C. P.
4) C. P. وبال .

---

١ ما .
٢ وانتزلهم .

Marfat.com

الملوك . فسار إليهم إبراهيم[1] ، ودعاهم إلى الاسلام أوّلاً ، فامتنعوا من إجابته ، وقاتلوه . فظفر بهم . وأكثر القتل فيهم ، وتفرّق من سلم في البلاد ، وسبى[1] واسترقّ من النسوان والصبيان مائة ألف . وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يُدرَك قعره . يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابّة . ولا يظهر فيه نقص .

وفي بلاد الهند موضع يقال له وره ، وهو برّ بين خليجَيْن ، فقصده الملك إبراهيم . فوصل إليه في جمادى الأولى . وفي طريقه عقبات[2] كثيرة ، وفيها أشجار ملتفّة . فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدّة ، ولم يفارق الغزوة[3] حتّى أنزل الله نصره على أوليائه ، وذُلّه على أعدائه ، وعاد إلى غزنة سالماً مظفّراً .

هذه الغزوات لم أعرف تاريخها . وأمّا الأولى فكانت هذه السنة[4] ، فلهذا أوردتُها متتابعة في هذه السنة .

ذكر ملك شرف الدولة مُسلم مدينة حلب

في هذه السنة ملك[5] شرف الدولة مُسلم بن قُريش العُقيليّ ، صاحب الموصل[6] ، مدينة حلب .

وسبب ذلك أنّ تاج الدولة تُتُش بن ألْب أرسلان[7] حصرها[8] مرّة بعد أخرى ، فاشتدّ الحصار بأهلها ، وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلاّت وغيرها .

1) C. P. أولا .
2) A. عقبان .
3) A. العرصة .
4) Om. C. P.
5) A. ساز .
6) Add. A. إلى .
7) Om. A.
8) A. فحصرها .

---

١ وسبا .

Marfat.com

ثم إنّ تُتُش حصرها هذه السنة ، وأقام عليها أيّاماً ورحل عنها وملك بُزاعَةَ والبِيرَة ، وأحرق رَبَضَ عَزَازَ ، وعاد إلى دمشق .

فلمّا رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلّموها إليه ، فلمّا قاربها امتنعوا من ذلك ، وكان مقدّمهم يُعرف بابن الحُتَيْتيّ[1] العبّاسيّ . فاتّفق أنّ ولده خرج يتصيّد بضيعة له ، فأسره أحد التركمان ، وهو صاحب حصن بنواحي حلب ، وأرسله إلى شرف الدولة ، فقرّر معه أن يسلّم البلد إليه إذا أطلقه ، فأجاب إلى ذلك ، فأطلقه ، فعاد إلى حلب ، واجتمع بأبيه ، وعرّفه ما استقرّ ، فأذعن إلى تسليم البلد ، ونادى بشعار شرف الدولة ، وسلّم البلد إليه ، فدخله سنة ثلاث وسبعين [وأربعمائة] ، وحصر القلعة ، واستنزل منها سابقاً ووثّاباً ابنَيْ محمود بن مرداس ، فلمّا ملك البلد أرسل ولدَهُ ، وهو ابن عمّة السلطان ، إلى السلطان يخبره بملك البلد ، وأنفذ معه شهادةً فيها خطوط المعدّلين بحلب بضمانها ، وسأل أن يقرّر عليه الضمان ، فأجابه السلطان إلى ما طلب ، وأقطع ابن عمّته مدينة بالس .

ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان

في أوّل هذه السنة سار السلطان ملكشاه إلى بلاد كَرمان ، فلمّا سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك[2] ، وهو ابن عمّ السلطان ، بوصوله إليها خرج إلى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة ، وخدمه ، وبالغ في الخدمة ، فأقرّه السلطان على البلاد ، وأحسن إليه ، وعاد عنه في المحرّم سنة ثلاث وسبعين [وأربعمائة] إلى أصبهان .

---

1) A. الجنيي .

2) A.

Marfat.com

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وُلد للخليفة المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ولد سمّاه موسى وكناه أبا جعفر ، وزُيّنت بغداذ سبعة أيّام .

وفيها وصل السلطان ملكشاه إلى خُوزستان متصيّداً ، فوصل معه خمارتكين وكوهرائين [وكانا يسعيان] في قتل ابن علاّن اليهوديّ ، ضامن البصرة ، وكان ملتجئاً إلى نظام الملك ، وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابيّ وكوهرائين عداوة . فسعيا باليهوديّ لذلك ، فأمر السلطان بتغريقه فغُرّق ، وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيّام ، وأغلق بابه ، ثم أُشير عليه بالركوب فركب ، وعمل للسلطان دعوة عظيمة قدّم له فيها أشياء كثيرة ، وعاتبه على فعله ، فاعتذر إليه .

وكان أمر اليهوديّ قد عظم[1] إلى حدّ أنّ زوجته توفّيت ، فمشى خلف جنازتها كلّ من في البصرة ، إلاّ القاضي ، وكان له نعمة عظيمة ، وأموال كثيرة ، فأخذ السلطان منه مائة ألف دينار ، وضمن خمارتكين البصرة كلّ سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس .

وفيها زادت [مياه] الفرات تسع أذرع ، فخربت بعض دواليب هَيْت ، وخربت[1] فوهة نهر عيسى ، وزادت تامرّا نيّفاً وثلاثين ذراعاً ، وعلا على قنطرتَيْ طَرَاستان وخانقِين الكسرويّتَيْن فقطعهما .

وفيها ، في ذي الحجّة ، توفّي نصر بن مروان ، صاحب ديار بكر ، وملك

---

1) A. النظام فيه عظيم .

---

١ وخرب .

Marfat.com

بعده[1] ابنه منصور ، ودبّر دولته ابن الأنباريّ .

وفيها توفّي أبو منصور محمّد بن عبد العزيز العُكبَريُّ ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وهو من المحدّثين المعروفين ، وكان صدوقاً ؛ ومحمّد ابن هبة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبي القاسم الطَّبريُّ اللالكائيُّ[1] وولد سنة تسع[2] وأربعمائة ، وحدّث عن هلال الحفّار وغيره ، وتوفّي في جمادى الأولى .

وفيها توفّي أبو الفتيان محمّد بن سلطان بن حيّوس الشاعر المشهور ، وحدّث عن جدّه لأمّه القاضي أبي نصر محمّد بن هارون بن الجنديّ[3] .

1) A. اللالكاني .

2) A. سبع .

3) A. الجعفري .

---

١ بعد .

Marfat.com

٤٧٣

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه

في هذه السنة ، في شعبان ، سار السلطان ملكشاه إلى الريّ ، وعرض العسكر ، فأسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم ، فمضوا إلى أخيه تكش ، وهو ببُوشَنج ، فقوي بهم ، وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه ، واستولى على مرو الروذ ، ومرو الشاهجان ، وتِرمِذ ، وغيرها ، وسار إلى نَيسابور[1] طامعاً في ملك خراسان .

وقيل إنّ نظام الملك قال للسلطان لمّا أمر بإسقاطهم : إنّ هؤلاء ليس فيهم كاتب ، ولا تاجر ، ولا خيّاط ، ولا مَنْ له صنعة غير الجنديّة ، فإذا أُسقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلاً ويقولوا[1] هذا السلطان، فيكون لنا منهم شغل ، ويخرج عن أيدينا أضعاف ما لهم من الجاري إلى أن نظفر[2] بهم . فلم يقبل السلطان قوله ، فلمّا مضوا إلى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم .

واتّصل خبره بالسلطان ملكشاه ، فسار مجدّاً إلى خُراسان ، فوصل إلى

---

1) A. نيشابور . 2) C. P. يظفر .

---

١ وقالوا .

نَيسابور قبل أن يستولي تكش عليها ، فلمّا سمع تكش بقربه منها سار عنها ، وتحصّن بتِرمِذ ، وقصده السلطان ، فحصره بها ، وكان تكش قد أسر جماعة من أصحاب السلطان ، فأطلقهم ، واستقرّ الصلح بينهما ، ونزل تكش إلى أخيه السلطان ملكشاه ، ونزل عن تِرمِذ .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تسلّم مؤيّد الملك بن نظام الملك تَكريت من صاحبها المهرباط .

وفيها توفّي أبو عليّ بن شِبل الشاعر المشهور ، ومن شعره في الزهد :

أهُمُّ بتَركِ الذَّنبِ ثمَّ يردُّني ... طُموحُ شبابٍ بالغَرامِ مُوَكَّلُ
فمن لي[1] إذا أخّرتُ[1] ذا اليوم تَوبةً ... بأنّ المنَايا لي إلى الشَّيب[2] تُمهِلُ
أأعجزُ ضُعفاً عن أدّا[2] حقّ خالقي، ... وأحمِلُ وِزراً فَوق ما يُتَحمّلُ

وفيها أيضاً توفّي العميد أبو منصور[3] بالبصرة .

وفيها توفّي عبد السلام بن أحمد بن محمّد بن جعفر أبو الفتح الصوفيُّ من أهل فارس ، سافر الكثير ، وسمع الحديث بالعراق ، والشام ، ومصر ، وأصبهان وغيرها ، وكانت وفاته بفارس ؛ ويوسف بن الحسن بن محمّد بن الحسن أبو الهيثم التفكريُّ ، الزنجانيُّ ، وُلد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وسمع من أبي نعيم الحافظ وغيره ، وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازيّ وأدرك أبا الطيّب الطبريّ ، وكان من العلماء العاملين ، المشتغلين[4] بالعبادة .

---

1) A. أحدثت . 2) C. P. الست A. ; الشيب . 3) A. مضر . 4) C. P.

---

١ إلى .
٢ أنى .

Marfat.com

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه

في هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جُهير إلى السلطان يخطب ابنته لنفسه ، فسار فخر الدولة إلى أصبهان ، إلى السلطان يخطب ابنته ، فأمر نظام الملك أن يمضي معه إلى خاتون زوجة السلطان في المعنى ، فمضيا إليها فخاطباها ، فقالت إن ملك غزنة وملوك الخانيّة بما وراء النهر طلبوها ، وخطبوها لأولادهم ، وبذلوا أربع مائة ألف دينار ، فإن حمل الخليفة هذا المال فهو أحقّ منهم . فعرّفتها أرسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتّصال بالخليفة، وأنّ هؤلاء كلّهم عبيده وخدمه ، ومثل الخليفة لا يُطلب منه المال ، فأجابت إلى ذلك ، وشرطت أن يكون الحمل المعجّل خمسين ألف دينار ، وأنّه لا يبقي له سُرّيّة ولا زوجة غيرها ، ولا يكون مبيته إلاّ عندها ، فأجيبت[1] إلى ذلك ، فأعطى السلطان يده ، وعاد فخر الدولة إلى بغداذ .

---

١ فاجيب .

Marfat.com

ذكر وفاة نور الدولة بن مَزْيَد وإمارة ولده منصور

في هذه السنة ، في شوّال ، توفّي نور الدولة أبو الأغرّ دُبَيْس بن عليّ ابن مَزيد الأسديُّ بمطير اباذ ، وكان عمره ثمانين سنة ، وإمارته سبعاً[1] وخمسين سنة ، وما زال مُمدّحاً في كلّ زمان مذكوراً بالتفضّل والإحسان ، ورثاه الشعراء فأكثروا ، وولي بعده ما كان إليه ابنه أبو كامل منصور ، ولقبه بهاء الدولة ، فأحسن السيرة ، واعتمد الجميل ، وسار إلى السلطان ملكشاه في ذي القعدة ، واستقرّ له الأمر ، وعاد في صفر سنة خمس وسبعين [واربعمائة] ، وخلع الخليفة أيضاً عليه .

ذكر محاصرة تميم بن المعزّ مدينة قابِس

في هذه السنة حصر الأمير تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، مدينة قابِس حصاراً شديداً ، وضيّق على أهلها ، وعاث عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة ، فأفسدوها .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار تُتُش ، بعد عود شرف الدولة عن دمشق ، وقصد الساحل الشاميّ ، فافتتح أنْطَرطُوسَ ، وبعضاً[2] من الحصون ، وعاد إلى دمشق .

---

١ سبع .
٢ وبعض .

Marfat.com

وفيها ملك شرف الدولة ، صاحب الموصل ، مدينة حرّان ، وأخذها من بني وثّاب النُّميريّين ، وصالحه صاحب الرُّها ، ونقش السكّة باسمه .

وفيها سد ظفرَ القائميُّ بثق نهر[1] عيسى ، وكان خراباً منذ ثلاث وعشرين سنة ، وسُدّ مراراً ، وتخرّب إلى أن سدّه ظفر .

وفيها أرسل السلطان إلى بغداذ ليُخْرَج الوزير أبو شجاع الذي وزَر للخليفة بعد بني جُهير ، فأرسله الخليفة إلى نظام الملك ، وسيّر معه رسولاً ، وكتب معه إلى نظام الملك كتاباً بخطّه ، يأمره بالرضا عن أبي شجاع ، فرضي عنه وأعاده إلى بغداذ .

وفيها مات ابن السلطان ملكشاه ، واسمه داود ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، وحزن حزناً عظيماً ، ومنع من أخذه وغسله ، حتّى تغيّرت رائحته ، وأراد قتل نفسه مرّات ، فمنعه خواصّه ، ولمّا دُفن لم يُطِق المقام ، فخرج يتصيّد ، وأمر بالنياحة عليه في البلد ، ففُعل ذلك عدّة أيّام ، وجلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداذ .

وفيها توفّي عبد الله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم ، وهو من أعيان أهل بغداذ ، وكان مرضه شقيقة ، وبقي ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتاً ولا يبصر ضوءاً .

وفيها ، في ذي الحجّة ، توفّي أبو محمّد بن أبي عثمان المحدّث ، وكان صالحاً ، يُقرىء القرآن بمسجده بنهر القلائين .

وتوفّي عليُّ بن أحمد بن عليّ أبو القاسم البُسْريُّ[2] البندار ، ومولده سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة ، سمع المخلص وغيره ، وكان ثقةً صالحاً .

وفيها توفّي أبو إسحاق إبراهيم بن عُقَيل بن حبش القُرَشيُّ ، النحويُّ[3] .

---

1) A. بنهر .

2) A. البيري .

3) A. وتمت السنة .

Marfat.com

٤٧٥

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك

في هذه السنة ، في رجب ، توفّي جمال الملك منصور[1] بن نظام الملك، وورد الخبر بوفاته إلى بغداذ في شعبان ، فجلس أخوه مؤيّد الملك للعزاء ، وحضر فخر الدولة بن جُهير ، وابنه عميد الملك ، معزّيين ، وأرسل الخليفة إليه في اليوم الثالث فأقامه من العزاء .

وكان سبب موته أنّ مسخرةً كان للسلطان ملكشاه يُعرف بجعفرك يحاكي نظام الملك ، ويذكره في خلواته مع السلطان ، فبلغ ذلك جمال الملك ، وكان يتولّى مدينة بلخ وأعمالها ، فسار من وقته يطوي المراحل إلى والده والسلطان ، وهما بأصبهان ، فاستقبله أخواه ، فخر الملك ومؤيّد الملك ، فأغلظ لهما القول في إغضائهما على ما بلغه عن جعفرك ، فلمّا وصل إلى حضرة السلطان رأى[2] جعفرك يسارُّه ، فانتهره وقال : مثلك يقف هنا الموقف ، وينبسط[3] بحضرة السلطان في هذا الجمع ! فلمّا خرج من عند السلطان أمر[4] بالقبض على جعفرك ، وأمر بإخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات .

ثم سار مع السلطان وأبيه إلى خُراسان ، وأقاموا بنيسابور مدّة ، ثم أرادوا

---

1) C. P.
2) A. وجد .
3) A. وتبسط .
4) A. أصحابه .

Marfat.com

العود إلى أصبهان ، وتقدّمهم نظام الملك ، فأحضر السلطان عميد خُراسان ، وقال له : أيّما أحبّ لك رأسك أم رأس جمال الملك ؟ فقال : بل رأسي . فقال : لئن لم تعمل في قتله لأقتلنّك . فاجتمع بخادم يختصّ بخدمة جمال الملك ، وقال له سرّاً : الأولى أن تحفظوا نعمتكم ، ومناصبكم ، وتدبّر في قتل جمال الملك ، فإنّ السلطان يريد أن يأخذه ويقتله ، ولأن تقتلوه [1] انتم سرّاً أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهراً . فظنّ الخادم أنّ ذلك صحيح ، فجعل له سمّاً في كوز فقّاع ، فطلب جمال الملك فقّاعاً ، فأعطاه الخادم ذلك الكوز ، فشربه فمات ، فلمّا علم السلطان بموته سار مجدّاً ، حتّى لحق نظام الملك ، فأعلمه بموت ابنه ، وعزّاه ، وقال : أنا ابنك ، وأنت أولى مَنْ صبر واحتسب .

ذكر الفتنة ببغداذ بين الشافعية والحنابلة

ورد إلى بغداذ ، هذه السنة ، الشريف أبو القاسم البكريُّ ، المغربيُّ ، الواعظ ، وكان أشعريَّ المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك ، فأحبّه ومال إليه ، وسيّره إلى بغداذ ، وأجرى عليه الجراية الوافرة ، فوعظ بالمدرسة النظاميّة ، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ، ويقول : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾[1] ، والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا .

ثمّ إنّه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغانيّ بنهر القلائين ، فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدّت إلى الفتنة ، وكثر

1) Coran 2, vs. 102.

---

١ ولئن تقتلونه .

Marfat.com

جمعه ، فكبس دور بني الفرّاء ، وأخذ كتبهم ، وأخذ منها كتاب الصفات . لأبي يَعلَى[1] ، فكان يُقرأ بين يدَيْه وهو جالس على الكرسيّ للوعظ ، فيشنّع[2] به عليهم ، وجرى له معهم خصومات وفتن . ولُقّبَ البكريُّ من الديوان بعلم السنّة ، ومات ببغداذ ، ودُفن عند قبر أبي الحسن الأشعريّ .

ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان في رسالة

في هذه السنة ، في ذي الحجّة ، أوصل الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ أبا إسحاق الشيرازيَّ إلى حضرته ، وحمّله رسالةً إلى السلطان ملكشاه ، ونظام الملك ، تتضمّن[1] الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث ، عميد العراق ، وأمره أن ينهي ما يجري على البلاد من النظار[3] . فسار فكان كلّما وصل إلى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسّحون بركابه، ويأخذون تراب بغلته للبركة .

وكان في صحبته جماعة من اعيان بغداذ[4] منهم الإمام أبو بكر الشاشي وغيره .

ولمّا وصل إلى ساوة خرج جميع أهلها ، وسأله[2] فقهاؤها كلّ منهم أن يدخل بيته ، فلم يفعل ، ولقيه أصحاب[5] الصناعات ، ومعهم ما ينثرونه على محفّته ،

---

1) Om. C. P.

2) A. فشنع .

3) A. النظام .

4) C. P. اصحابه .

5) A. أرباب .

---

١ يتضمن .

٢ وسألوه .

Marfat.com

فخرج الخبّازون ينثرون الخبز ، وهو ينهاهم ، فلم ينتهوا ، وكذلك أصحاب الفاكهة ، والحلواء ، وغيرهم ، وخرج إليه الأساكفة ، وقد عملوا مداسات لِطافاً تصلح لأرجل الأطفال ، ونثروها ، فكانت تسقط على رؤوس الناس ، فكان الشيخ يتعجّب ، ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ، ويقول : ما كان حظّكم من ذلك النثار ؟ فقال له بعضهم : ما كان حظّ سيّدنا منه . فقال: [أمّا] أنا فغُطّيتُ بالمحفّة ؛ وهو يضحك . فأكرمه السلطان ونظام الملك . وجرى بينه وبين إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجوَينيّ مناظرة بحضرة نظام الملك ، وأجيب إلى جميع ما التمسه ، ولمّا عاد أُهين العميد ، ، وكُسِر عمّا كان يعتمده[1] ، ورُفعت يده عن جميع ما يتعلّق بحواشي الخليفة .

ولمّا وصل الشيخ إلى بِسطام خرج إليه السهلكيُّ ، شيخ الصوفيّة بها ، وهو شيخ كبير ، فلمّا سمع الشيخ أبو إسحاق بوصوله خرج إليه ماشياً ، فلمّا رآه السهلكيُّ ألقى نفسه من دابّة كان عليها ، وقبّل يد الشيخ أبي إسحاق ، فقبّل أبو إسحاق رجله ، وأقعده موضعه ، وجلس أبو إسحاق بين يدَيْه ، وأظهر كلّ واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيراً ، وأعطاه شيئاً من حنطة ذُكر أنّها من عهد أبي يزيد البِسطاميّ ، ففرح بها أبو إسحاق .

ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها[2]

في هذه السنة جمع تاج الدولة تُتُش جمعاً كثيراً ، وسار عن بغداذ ، وقصد بلاد الروم : ، أنطاكية وما جاورها[3] ، فسمع شرف الدولة ، صاحب حلب ،

1) Om. C. P.

2) Hoc caput in A. sub anno 476, ordine tertium, exstat.

3) Om. A.

الخبر ، فخافه ، فجمع أيضاً العرب من عُقَيْل ، والأكراد ، وغيرهم ، فاجتمع معه جمع كثير ، فراسل الخليفةَ بمصر يطلب منه إرسال نجدة إليه ليحصر دمشق ، فوعده ذلك[1] فسار إليها . فلمّا سمع تُتُش الخبر عاد إلى دمشق ، فوصلها أوّل المحرّم سنة ستّ وسبعين [وأربعمائة] ، ووصل شرف الدولة أواخر المحرّم ، وحصر المدينة وقاتله أهلها .

وفي بعض الأيّام خرج إليه عسكر دمشق وقاتلوه ، وحملوا على عسكره حملة صادقة ، فانكشفوا وتضعضعوا ، وانهزمت العرب ، وثبت شرف الدولة ، وأشرف على الأسر ، وتراجع إليه أصحابه ، فلمّا رأى شرف الدولة ذلك ، ورأى أيضاً أنّ مصرَ لم يصل إليه منها عسكر ، وأتاه عن بلاده[1] ٥ الخبر أنّ أهل حرّان عصَوا عليه[2] رحل[2] عن دمشق إلى بلاده ، وأظهر أنّه يريد البلاد بفِلَسطين ، فرحل أوّلاً إلى مَرْج الصُّفّر ، فارتاع أهل دمشق وتُتُش واضطربوا ، ثمّ إنّه رحل من مَرْج الصُّفّر مشرّقاً في البريّة ٥ وجدّ في مسيره[3] ، فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ، ومن الدوابّ شيء كثير ، وانقطع خلق كثير .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قدم مؤيّد الملك بن نِظام الملك إلى بغداذ من أصبهان ، فخرج عميد الدولة بن جُهير إلى لقائه[4] ، ونزل بالمدرسة النظاميّة ، وضرب على بابه

---

1) A. بذلك . 2) C. P. ما ازعجه ايضاً . 3) Om. C. P. 4) C. P. العامة .

---

١ بلاد .

٢ فرحل .

Marfat.com

الطبول ، أوقات الصلوات الثلاث ، فأعطي مالاً جليلاً حتّى قطعه ، وأرسل الطبول إلى تكريت .

وفيها توفّي أبو عمرو عبد الوهّاب بن محمّد بن إسحاق بن مندة الأصبهانيّ ، في جمادى الآخرة ، بأصبهان ، وكان حافظاً فاضلاً ؛ والأمير أبو نصر عليّ ابن الوزير أبي القاسم هبة الله بن عليّ بن جعفر بن ماكولا ، مصنّف كتاب الإكمال ، ومولده سنة عشرين وأربعمائة ، وكان فاضلاً حافظاً ، قتله مماليكه الأتراك بكَرمان ، وأخذوا ماله .

Marfat.com

٤٧٦

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

ذكر عزل عميد الدولة بن جُهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر

في هذه السنة ، في صفر ، عُزل عميد الدولة بن جُهير عن وزارة الخليفة ، ووصل يوم عُزل رسول من السلطان ، ونظام الملك ، إلى الخليفة يطلبان أن يُرْسَل إليهما بنو جُهير ، فأذن لهما في ذلك ، وساروا بجميع أهلهم ونسائهم إلى السلطان ، فصادفوا منه ، ومن نظام الملك ، الإكرام والاحترام ، وعقد السلطان على فخر الدولة بن جُهير ديار بكر ، وخلع عليه ، وأعطاه الكوسات ، وسيّر معه العساكر ، وأمره أن يقصدها ويأخذها من بني مروان ، وأن يخطب لنفسه ، ويذكر اسمه على السكّة ، فسار إليها .

ولمّا فارق بنو جُهير بغداذ رُتّب في الديوان أبو الفتح المظفّر ابن رئيس الرؤساء ، وكان قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها .

ذكر عصيان أهل حرّان على شرف الدولة وفتحها

في هذه السنة عصى أهل حرّان على شرف الدولة مُسلم بن قُريش ، وأطاعوا قاضيهم ابن حلبة ، . وأرادوا هم[1] وابن عُطَيْر[2] النُّميريُّ تسليم البلد إلى

.....

1) A. وأراد واهم .

2) A. عطية .

Marfat.com

جُبُق[1] ، أمير التركمان ، وكان شرف الدولة على دمشق ، يحاصر تاجَ الدولة تُتُش بها ، فبلغه الخبر ، فعاد إلى حرّان وصالحَ ابن مُلاعب ، صاحب حِمص ، وأعطاه سَلَمِيَةَ ورَفَنِيَةَ ، وبادر بالمسير[2] إلى حَرّان ، فحصرها ، ورماها بالمِنجنيق ، فخرّب من سورها بدنة ، وفتح البلد في جُمادى الأولى ، وأخذ القاضي ومعه ابنان[1] له ، فصلبهم على السور .

ذكر وزارة أبي شجاع محمّد بن الحسين للخليفة

في هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح ابن رئيس الرؤساء من النيابة في الديوان ، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الحسين ، وخلع عليه خِلَعَ الوزارة في شعبان.، ولقّبه ظهير الدين ، ومدحه الشعراء فأكثروا ، فممّن مدحه وهنّأه أبو المظفّر محمّد بن العبّاس الآبِيوردِيُّ بالقصيدة المشهورة التي أوّلها :

ها إنّها مُقَلُ الظِّباء العِينِ فَتَكَتْ بِسِرّ فُؤادِيَ المكنونِ[3]

ومنها :

فانهلَّ أسرابُ الدموعِ كأنّها مِنَحٌ يتابعُها ظَهِيرُ الدِّينِ[4]

---

1) A. جيق . 2) A. السير . 3) A. المظنون .

4) A. طويلة مشهورة . وهي

---

١ ابنين .

Marfat.com

ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا

في هذه السنة ، • في شوّال[1] ، قُتل سيّد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبي الرضا ، وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قرباً عظيماً ، وكان أبوه يكتب للطغراء ، فقال أبو المحاسن للسلطان : سلّم إليّ نظام الملك وأصحابه ، وأنا أسلّم إليك منهم ألف ألف دينار ، فإنّهم يأكلون الأموال ، ويقتطعون الأعمال ؛ وعظّم عنده ذخائرهم .

فبلغ ذلك نظام الملك ، فعمل سِماطاً عظيماً ، وأقام عليه مماليكه ، وهم[2] ألوف من الأتراك ، وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم[1] ، فلمّا حضر السلطان قال له : إنّني قد خدمتُك ، وخدمتُ أباك وجدّك ، ولي حقّ خدمة ، وقد بلغك أخذي لعُشر أموالك ، وصدق هذا ، أنا آخذه وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتُهم لك ، وأصرفه أيضاً إلى الصدقات ، والصلات ، والوقوف التي أعظم ذكرها ، وشكرها ، وأجرها لك ، وأموالي ، وجميع ما أملكه بين يديْك ، وأنا اقنع بمرقّعةٍ وزاوية . فأمر السلطان بالقبض على أبي المحاسن وأن تُسمَل عيناه ، وأنفذه إلى قلعة سَاوة .

وسمع أبوه كمال الملك الخبر ، فاستجار بدار نظام الملك ، فسلم ، وبذل مائتَيْ ألف دينار ، وعُزل عن الطغراء ، ورُتّب مكانه مُؤيّد الملك بن نظام الملك .

---

1) Om. A.

2) Codd. وهو .

---

١ حيالهم .

Marfat.com

ذكر استيلاء مالك بن عَلَوِيّ على القَيروان وأخذها منه

في هذه السنة جمع مالك بن عَلَوِيّ الصخريُّ[1] العرب فأكثر ، وسار إلى المهديّة فحصرها ، فقام الأمير تميم بن المعزّ قياماً تامّاً ، ورحّله عنها ، ولم يظفر منها بشيء ، فسار مالك منها[2] إلى القَيروان فحصرها وملكها ، فجرّد إليه تميم العساكر العظيمة ، فحصروه بها ، فلمّا رأى مالك أنّه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها ، فاستولى عليها عسكر تميم وعادت إلى ملكه كما كانت .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عمّ الرخص جميع البلاد ، فبلغ كرُّ الحنطة الجيّدة ببغداذ عشرة دنانير .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، توفّي الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وأكثر الشعراء مراثيه ، فمنهم أبو الحسن الحبّاز ، والبَندَنِيجيُّ ، وغيرهما ، وكان ، رحمة الله عليه ، واحد عصره علماً وزهداً وعبادة وسخاء ، وصُلّي عليه في جامع القصر ، وجلس أصحابه للعزاء في المدرسة النظاميّة ثلاثة أيّام ، ولم يتخلّف أحدٌ عن العزاء .

وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداذ ، فرتّب في التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولّي ، فلمّا بلغ ذلك نظام الملك أنكره ، وقال : كان

---

1) A الصخري . 2) A

Marfat.com

يجب أن تُغْلَق المدرسة بعد الشيخ أبي إسحاق سنةً ؛ وصُلّي عليه بباب الفردوس، وهذا لم يُفعل على غيره ، وصلّى عليه الخليفة المقتدي بأمر الله ، وتقدّم في الصلاة عليه أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء ، وهو ينوب في الوزارة ، ثم صُلّي عليه بجامع القصر ، ودُفن بباب أبرز .

Marfat.com

٤٧٧

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جُهير
وابن مروان وشرف الدولة

قد تقدّم ذكر مسير فخر الدولة بن جُهير في العساكر السلطانيّة إلى ديار بكر ، فلمّا كانت هذه السنة سيّر السلطان إليه أيضاً جيشاً فيهم الأمير أُرتُق ابن اكسب ، وأمرهم بمساعدته .

وكان ابن مروان قد مضى إلى شرف الدولة وسأله نصرته على أن يسلّم إليه آمِد ، وحلف كلّ واحد لصاحبه ، وكلّ منهما يرى أنّ صاحبه كاذبٌ لما كان بينهما من العداوة المستحكمة ، واجتمعا على حرب فخر الدولة ، وسارا إلى آمِد ، وقد نزل فخر الدولة بنواحيها ، فلمّا رأى فخر الدولة اجتماعهما مال إلى الصُلح ، وقال : لا أوثر أن يحلّ بالعرب بلاء على يدي . فعرف[1] التركمان ما عزم عليه ، فركبوا ليلاً وأتوا إلى العرب وأحاطوا بهم في ربيع الأوّل ، والتحم القتال واشتدّ ، فانهزمت العرب ، ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ، ولا أُرتُق ، وغنم التركمان حلل العرب ودوابّهم ، وانهزم شرف الدولة ، وحمى[1] نفسه حتّى وصل إلى فصيل آمِد ، وحصره فخر الدولة ومن معه .

---

1) A فعلم .

Marfat.com

فلمّا رأى شرف الدولة أنّه محصورٌ خاف على نفسه ، فراسل الأميرَ أُرْتُق ، وبذل له مالاً ، وسأله أن يمنّ عليه بنفسه ، ويمكنه من الخروج من آمِد ، وكان هو على حفظ الطُّرق والحصار . فلمّا سمع أُرْتُق ما بذل له شرف الدولة أذن له في الخروج ، فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الأوّل ، وقصد الرَّقّة ، وأرسل إلى أُرْتُق بما كان وعده به ، وسار ابن جُهير إلى ميّافارقين ، ومعه من الأمراء الأمير بهاء الدولة منصور بن مَزْيد ، وابنه سيف الدولة صدقة ، ففارقوه وعادوا إلى العراق ، وسار فخر الدولة إلى خِلاط .

ولمّا استولى العسكر السلطانيّ على حلل العرب ، وغنموا أموالهم ، وسبوا حريمهم ، بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مَزْيد الأموال ، وافتكّ أسرى بني عُقَيْل ونساءهم وأولادهم وجهّزهم جميعهم وردّهم إلى بلادهم ، ففعل أمراً عظيماً ، وأسدى مكرمة شريفةً ، ومدحه الشعراء في ذلك فأكثروا ، فمنهم محمّد بن خليفة السِّنبسيُّ يذكر ذلك في قصيدة :

كما أحرزتَ شُكرَ بَني عُقَيْلٍ ... بآمِدَ يومَ كَظّهُمُ الحِذارُ
غداةَ رَمَتْهُمُ الأتراكُ طُرّاً ... بشُهبٍ في حَوافِلِها ازورارُ
فما جَبُنُوا ، ولكِن فاضَ بحرٌ ... عظيمٌ لا تقاومُه البحارُ
فحِينَ تَنازَلُوا تَحتَ المَنايا ، ... وفيهِنّ الرَّزِيّةُ والدَّمارُ[1]
مننتَ عليهِمُ ، وفككتَ عَنهُم، ... وفي أثناء حبلِهِمُ انتشارُ
ولولا أنتَ لم يَنفكّ منهُم ... أسيرٌ ، حِينَ أعلَقَهُ الإسارُ

في أبيات كثيرة ، وذكرها أيضاً البندنيجيُّ فأحسن ، ولولا خوف التطويل لذكرتُ أبياته .

---

١ والذمار .

Marfat.com

ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل

لمّا بلغ السلطانَ أنّ شرف الدولة انهزم وحُصر بآمِد لم يشكّ في أسره ، فخلع على عميد الدولة بن جُهير ، وسيّره في جيش كثيف إلى الموصل ، وكاتب امراء التركمان بطاعته ، وسيّر معه من الأمراء آقسَنْقَر ، قسيم الدولة ، جدّ ملوكنا أصحاب الموصل ، وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب .

وكان الأمير أُرْتُق قد قصد السلطان ، فعاد صحبة[1] عميد الدولة من الطريق . فسار عميد الدولة حتّى وصل إلى الموصل ، فأرسل إلى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ، ففتحوا له البلد وسلّموه إليه ، وسار السلطان بنفسه وعساكره إلى بلاد شرف الدولة ليملكها ، فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان ، على ما نذكره .

ورأى شرَف الدولة قد خلص من الحصر ، فأرسل مؤيّد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة ، وهو مقابل الرحبة ، فأعطاه العهود والمواثيق ، وأحضره عند السلطان ، وهو بالبوازيج ، فخلع عليه آخر رجب ، وكانت أمواله قد ذهبت ، فاقترض ما خدم به ، وحمل للسلطان خيلاً رائقة ، من جملتها فرسُه بشّار ، وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة ، ومن آمِد أيضاً ، وكان سابقاً لا يُجارى ، فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل ، فجاء سابقاً ، فقام السلطان قائماً لما تداخله[1] من العجب .

وأرسل الخليفة النقيب طِراداً[2] الزينبيّ في لقاء[3] شرف الدولة، فلقيه بالموصل،

---

1) A. داخله .

---

١ صحبته .
٢ طراد .
٣ معنى .

Marfat.com

فزاد أمر شرف الدولة قوّةً ، وصالحه السلطان ، وأقرّه على بلاده ، وعاد إلى خُراسان لحرب أخيه .

ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه

قد تقدّم ذكرُه ، وذكرُ مصالحته للسلطان ، فلمّا كان الآن ، ورأى بُعد السلطان عنه عاود العصيان ، وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط ، فحسّنوا له مفارقة طاعة أخيه ، فأجابهم ، وسار معهم ، فملك مرو الروذ وغيرها إلى قلعة تقارب سَرْخَس وهي لمسعود ابن الأمير ياخز[1] ، وقد حصّنها جُهْدَهُ ، فحصروه بها ، ولم يبق غير أخذها منه .

فاتّفق أبو الفتوح الطُّوسيُّ ، صاحب نظام الملك ، وهو بنَيسابور ، وعميد خُراسان ، وهو أبو عليّ ، على أن يكتب أبو الفتوح ملطّفاً إلى مسعود بن ياخز[2] ، وكان خطّ أبي الفتوح أشبه شيء بخطّ نظام الملك ، يقول فيه : كتبتُ هذه الرقعة من الرَّيّ يوم كذا ، ونحن سائرون من الغد نحوك ، فاحفظ القلعة ، ونحن نكبس العدوّ في ليلة كذا . واستدعيا فَيْجاً يثقون به ، وأعطياه دنانير صالحة ، وقالا : سِرْ نحو مسعود ، فإذا وصلتَ إلى المكان الفلاني فأقِمْ به ونم وأخفِ هذا الملطّف في بعض حيطانه ، فستأخذك طلائع تكش ، فلا تعترف لهم حتّى يضربوك ، فإذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجه لهم وقُلْ إنّك فارقتَ السلطان بالرَّيّ ، ولك منّا الحِباء والكرامة .

ففعل ذلك ، وجرى الأمر على ما وصفا ، وأُحضِر بين يدَيْ تكش وضُرب ، وعُرض على القتل ، فأظهر الملطّف وسلّمه إليهم ، وأخبرهم

---

1) C. P. ماير .

2) C. P. ماسر .

Marfat.com

أنّه فارق السلطان ونظام الملك بالرَّيّ في العساكر ، وهو سائر ، فلمّا وقفوا على الملطّف ، وسمعوا كلام الرجل ، ساروا من وقتهم ، وتركوا خيامهم ودوابّهم ، والقدور على النار ، ٥ فلم يصبروا على ما فيها[1] ، وعادوا إلى قلعة وَنَجَ[2] . وكان هذا من الفرج العجيب . فنزل مسعود وأخذ ما في المعسكر ، وورد السلطان إلى خُراسان بعد ثلاثة أشهر ، ولولا هذا الفعل لنهب تكش إلى باب الرَّيّ .

ولمّا وصل السلطان قصد تكش وأخذه ، وكان قد حلف له بالأيمان أنّه لا يؤذيه ، ولا يَناله منه مكروه ، فأفتاه بعض من حضر بأن يجعل الأمر إلى ولده أحمد ، ففعل ذلك ، فأمر أحمد بكحله ، فكُحل وسُجن .

ذكر فتح سليمان بن قُتلمش أنطاكية

في هذه السنة سار سليمان بن قُتلمش، صاحب قونية وأقصرا وأعمالها من بلاد الروم ، إلى الشام ، فملك مدينة أنطاكية من أرض الشام ، وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وسبب ملك سليمان المدينة أنّ صاحبها الفِردوس[3] الروميّ كان قد سار عنها إلى بلاد الروم ، ورتّب بها شحنةً ، وكان الفِردوس[4] مُسيئاً إلى أهلها ، وإلى جنده أيضاً ، حتّى إنّه حبس ابنه ، فاتّفق ابنه والشحنة على تسليم البلد إلى سليمان بن قُتلمش ، وكاتبوه يستدعونه ، فركب البحر في ثلاثمائة فارس وكثير من الرجّالة ، وخرج منه ، وسار في جبال وعرة ، ومضايق شديدة ، حتّى

---

1) Om. C. P.

2) A. وبج .

3) A. الفرد الروس .

4) A. الفردروس .

Marfat.com

وصل إليها للموعد ، فنصب السلاليم ، باتّفاق من الشحنة ومن معه ، وصعد السور ، واجتمع بالشحنة وأخذ[1] البلد في شعبان ، فقاتله أهل البلد ، فهزمهم مرّةً بعد أخرى ، وقتل كثيراً من أهلها ، ثمّ عفا عنهم ، وتسلّم القلعة المعروفة بالقُسيان ، وأخذ من الأموال ما يجاوز الإحصاء ، وأحسن إلى الرعيّة ، وعدل فيهم ، وأمرهم بعمارة ما خرب ، ومنع أصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم.

ولمّا ملك سليمان أنطاكية أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشّره بذلك ، وينسب هذا الفتح إليه لأنّه من أهله ، وممّن يتولّى طاعته ؛ فأظهر ملكشاه البشارة به ، وهنأه الناس ، فممّن قال فيه الآبيورديُّ من قصيدة مطلعُها :

لمعَتْ كناصيةِ الحِصانِ الأشقرَ نارٌ بمُعتَلِجِ الكَثيبِ الأعفرَ
وفَتحتَ أنطاكيّةَ الروم التي نَشرَتْ مَعاقِلَها على الإسكندرِ
وطِئَتْ مَناكبَها جِيادُك، فانثنَت تُلقِي أجِنّتها بناتُ الأصْفرَ

وهي طويلة .

ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه إبراهيم

قد تقدّم ذكر مُلك سليمان بن قُتلمش مدينة أنطاكية ، فلمّا ملكها أرسل إليه شرف الدولة مُسلم بن قُريش يطلب منه ما كان يحمله إليه الفردوس[2] من المال ، ويخوّفه معصية السلطان ، فأجابه :

أمّا طاعة السلطان ، فهي شعاري ، ودثاري ، والخطبة له ، والسكّة في بلادي ، وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد ، وأعمال الكفّار .

---

1) A. ودخل .

2) A. الفردروس .

Marfat.com

وأمّا المال الذي كان يحمله صاحب أنطاكية قبلي ، فهو كان كافراً ، وكان يحمل جِزية رأسه وأصحابه ، وأنا بحمد الله مؤمن ، ولا أحمل شيئاً . فنهب شرف الدولة بلد أنطاكية ، فنهب سليمان أيضاً بلد حلب ، فلقيه أهل السواد يشكون إليه نهْب عسكره ، فقال :

أنا كنتُ أشدّ كَراهيةً لما يجري ، ولكنّ صاحبكم أحوجني إلى ما فعلتُ ، ولم تجرِ عادتي بنهب مال مسلم ، ولا أخذ ما حرّمتْه الشريعة . وأمر أصحابه بإعادة ما أخذوه منهم فأعاده .

ثم إنّ شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان ، وكان ممّن معه جبق أمير التركمان في أصحابه ، وسار إلى أنطاكية ليحصرها . فلمّا سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار إليه ، فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في طرف من أعمال أنطاكية ، واقتتلوا ، فمال تركمان جبق إلى سليمان ، فانهزمت العرب ؛ وتبعهم شرف الدولة منهزماً ، فقُتل بعد أن صبر ، وقُتل بين يدَيْه أربعمائة غلام من أحداث حلب ، وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين [وأربعمائة] وذكرتُهُ هاهنا لتتبع الحادثة بعضها بعضاً .

وكان أحول ، وكان قد ملك من السنديّة التي على نهر عيسى إلى مَنْبِج من الشام ، وما والاها من البلاد ، وكان في يده ديار ربيعة ومُضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب ، وما كان لأبيه وعمّه قرواش ، وكان عادلاً ، حسن السيرة ، والأمن في بلاده عامٌّ ، والرخص شاملٌ ، وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئاً . وكان له في كلّ بلد وقرية عامل ، وقاضٍ ، وصاحب خبر ، بحيث لا[1] يتعدّى أحدٌ على أحد .

---

١ ألاّ .

Marfat.com

ولمّا قُتل قصد بنو عُقيل أخاه إبراهيم بن قُريش ، وهو محبوس ، فأخرجوه وملّكوه أمرهم ، وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرةً بحيث أنّه لم يمكنه المشي والحركة لمّا أُخرج ؛ ولمّا قُتل شرف الدولة سار سليمان بن قُتلمش إلى حلب فحصرها مستهلّ ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين [وأربعمائة] ، فأقام عليها إلى خامس ربيع الآخر من السنة ، فلم يبلغ منها غرضاً ، فرحل عنها .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في صفر ، انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب ، كان حجمه كالقمر وضوءُه كضوئه ، وسار مدّى بعيداً على مهلٍ وتؤدةٍ في نحو ساعة ، ولم يكن له شبيه[1] من الكواكب .

وفيها وُلد السلطان سَنْجَرُ بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب ، بمدينة سِنجار من أرض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يومان ، عند نزول السلطان بها ، وسمّاه أحمد ، وإنّما قيل له سَنْجَرَ باسم المدينة التي وُلد فيها ، وأمّه أمّ ولد .

وفي هذه السنة ، في جمادى الأولى ، توفّي الشيخ أبو نصر عبد السيّد بن محمّد بن عبد الواحد بن الصبّاغ ، الفقيه الشافعيُّ ، صاحب الشامل والكامل ، وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف ، بعد أن أضرّ عدّة سنين ، وكان مولده سنة أربعمائة ؛ والقاضي أبو عبد الله الحسين بن عليّ البغداذيُّ المعروف بابن البقّال ، وهو من شيوخ أصحاب الشافعيّ ، وكان إليه القضاء بباب الأزْج ، وحجّ لمّا انقطع الحجّ على سبيل التجريد ؛ وإسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل ابن أحمد بن إبراهيم أبو القاسم الإسماعيليُّ ، الجُرجانيُّ ، ومولده سنة أربع[2] وأربعمائة ، وكان إماماً فقيهاً شافعيّاً ، محدّثاً ، أديباً ، وداره مجمع العلماء .

---

1) A. شبه .

2) A. سبع .

Marfat.com

٤٧٨

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طُلَيْطُلة

في هذه السنة استولى الفرنج ، لعنهم الله ، على مدينة طُلَيْطُلة من بلاد الأندلس ، وأخذوها من المسلمين ، وهي من أكبر البلاد وأحصنها .

وسبب ذلك أنّ الأذْفُونش ، ملك الفرنج بالأندلس ، كان قد قوي شأنه ، وعظم ملكه ، وكثُرت عساكره ، مذ تفرّقت بلاد الأندلس ، وصار كلّ بلد بيد ملك ، فصاروا مثل ملوك الطوائف ، فحينئذ طمع الفرنج فيهم ، وأخذوا كثيراً من ثغورهم .

وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذي النُّون، وعرف من أين يؤتى البلد ، وكيف الطريق إلى مُلكه . فلمّا كان الآن جمع الأذْفُونش عساكره وسار إلى مدينة طُلَيطلة فحصرها سبع سنين ، وأخذها من القادر ، فازداد قوّةً إلى قوّته .

وكان المعتمد على الله أبو عبد الله محمّد بن عَبّاد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين ، وكان يملك أكثر البلاد مثل : قُرْطُبةَ وإشبيليةَ ، وكان يؤدّي إلى الأذْفُونش ضريبة كلّ سنة . فلمّا ملك الأذفونش طُلَيطُلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته ، فردّها عليه ولم يقبلها منه ، فأرسل إليه يتهدّده ويتوعّده أنّه يسير إلى مدينة قُرطُبة ويتملكها إلاّ أن يسلّم إليه جميع الحصون التي في الجبل ، ويبقي السهل للمسلمين ، وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة

Marfat.com

فارس ، فأنزله محمّد بن عبّاد ، وفرّق أصحابه على قوّاد عسكره ، ثم أمر كلّ مَنْ عنده منهم رجل أن يقتله ، وأحضر الرسول وصفعه[1] حتّى خرجت عيناه ، وسلم من الجماعة ثلاثة نفَر ، فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر ، وكان متوجّهاً إلى قُرطُبة ليحاصرها ، فلمّا بلغه الخبر عاد إلى طُليطلة ليجمع آلات الحصار ، ورحل المعتمِد إلى إشبيلية .

ذكر استيلاء ابن جُهير على آمِد

في المحرّم من هذه السنة ملك ابن جُهير مدينة آمِد .

وسبب ذلك أنّ فخر الدولة بن جُهير كان قد أنفذ إليها ولدَهُ زعيم الرؤساء أبا القاسم ، ومعه جناح الدولة ، المعروف بالمقدّم السالار[2] ، وأرادوا[3] قلع كرومها وبساتينها ، ولم يطمَعْ مع ذلك في فتحها لحصانتها ، فعمّ أهلها الجوع ، وتعذّرت الأقوات ، وكادوا يهلكون ، وهم صابرون على الحصار ، غير مكترثين له .

فاتّفق أنّ بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم ، وتركوا أسلحتهم مكانها ، فصعد إلى ذلك المكان عدد من العامّة تقدّمهم رجل من السواد يُعرف بأبي الحسن[4] ، فلبس السلاح ، ووقف على ذلك المكان[5] ، ونادى بشعار السلطان ، وفعل من معه كفعله ، وطلبوا زعيم الرؤساء ، فأتاهم ، وملك البلد ، واتّفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لمّا كانوا يلقون من نُوّاب بني مروان من الجور والحكم[6] ، وكان أكثرهم نصارى ، فانتهبوا منهم .

---

1) A ـ ضغطه .
2) A ـ السلار .
3) A ـ فحسرها و .
4) A ـ الجيش .
5) A
6) A ـ والتحكم .

ذكر ملكه أيضاً ميّافارقين

وفي هذه السنة أيضاً ، في سادس جمادى الآخرة ، ملك فخر الدولة ميّافارقين ، وكان مقيماً على حصارها ، فوصل إليه سعد الدولة كوهرائين في عسكره نجدةً له ، فجدّ في القتال فسقط من سورها قطعة ، فلمّا رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه ، وسلّموا البلد إلى فخر الدولة وأخذ[1] جميع ما استولى عليه من أموال بني مروان وأنفذه[2] إلى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء ، فانحدر هو وكوهرائين إلى بغداذ ، وسار زعيم الرؤساء منها إلى أصبهان ، فوصلها في شوّال ، وأوصل ما معه إلى السلطان .

ذكر ملك جزيرة ابن عمر

في هذه السنة أرسل فخر الدولة جيشاً إلى جزيرة ابن عمر ، وهي لبني مروان أيضاً ، فحصروها ، فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان ، وهم من أعيان أهلها ، وقصدوا باباً للبلد صغيراً يقال له باب البُوَيبة[3] لا يسلكه إلاّ الرجّالة لأنّه يُصعد إليه من ظاهر البلد بدرجٍ ، فكسروه ، وأدخلوا العسكر ، فملكه ، وانقرضت دولة بني مروان ، فسبحان من لا يزول ملكه .

وهؤلاء بنو وهبان ، إلى يومنا هذا ، كلّما جاء إلى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ، ولم يبق منهم من له شوكة ، ولا منزلة يفعل بها شيئاً ، وإنّما بتلك الحركة يؤخذون إلى الآن .

---

1) C. P. وأرسل .

2) A. وأرسله .

3) A. البونية .

Marfat.com

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، • في ربيع الأوّل[1] ، وصل أمير الجيوش في عساكر مصر إلى الشام ، فحصر دمشق ، وبها صاحبها تاج الدولة تُتُش ، فضيّق عليه ، وقاتله ، فلم يظفر منها بشيء ، فرحل عنها عائداً إلى مصر .

وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحالّ من بغداذ ، وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآجرّ وما قاربه ، وأرسل الوزير أبو شجاع جماعةً من الجند ، ونهاهم عن سفك الدماء تحرّجاً من الإثم ، فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم .

وفيها كانت زلزلة شديدة بخُوزستان وفارس ، وكان أشدّها بأرّجان ، فسقطت الدور ، وهلك تحتها خلق كثير .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، هاجت ريحٌ عظيمة سوداء بعد العشاء ، وكثر الرّعد والبرق ، وسقط على الأرض رمل أحمر وتراب كثير ، وكانت النيران[2] تضطرم في أطراف السماء ، وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل ، فألقت النخيل والأشجار وسقط معها صواعق في كثير من البلاد ، حتّى ظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت ، ثم انجلى ذلك نصف الليل .

وفيها ، في ربيع الآخر ، توفّي إمام الحرمَيْن أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينيّ ، ومولده سنة سبع[3] عشرة وأربعمائة ، وهو الإمام المشهور في الفقه والأصولَيْن وغيرهما من العلوم ، وسمع الحديث من أبي محمّد الجوهريّ وغيره .

وفيها ، في ذي الحجّة ، توفّي محمّد بن أحمد بن عبد الله • بن أحمد[4]

---

1) Om. A. 2) A. النار . 3) C. P. 4) A.

Marfat.com

ابن الوليد أبو عليّ المتكلّم ، كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم ، ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامّة بغداذ ، وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصريّ وعبد الجبّار الهمذانيّ القاضي ؛ ومن جملة تلاميذه ابن برهان ، وهو أكبر منه .

وفي هذه السنة توفّي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمّد بن السيبيّ ، قاضي الحريم ، بنهر معلّى ، ومولده سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، وكان يذاكر الإمام المقتدي بأمر الله ، وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهّاب بين يدَيْ قاضي القضاة ابن الدامغانيّ .

وفيها ، في جُمادى الأولى ، توفّي أبو العزّ بن صدقة ، وزير شرف الدولة ، ببغداذ ، وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة ، فهرب منها إلى بغداذ ، فمات بعد وصوله إلى مأمنه بأربعة أشهر ، وكان كريماً متواضعاً لم تغيّره الولاية عن إخوانه .

وفيها ، في رجب ، توفّي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغانيّ ، ومولده سنة ثمان وتسعين[1] وثلاثمائة ، ودخل بغداذ سنة تسع عشرة وأربعمائة ، وكان قد صحب القاضي أبا العلاء بن صاعد ، وحضر ببغداذ مجلس أبي الحسين القدوريّ ، وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفّر بن بكران الشاميّ ، وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيّب الطبريّ .

وفيها توفّي ، عبد الرحمن بن مأمون بن عليّ[2] أبو سعد المتولّي مدرّس النظاميّة ، وهو من أصحاب القاضي حسين المروروذيّ وتمّم كتاب الإبانة .

---

1) A. وسبعين .

2) Om. C. P.

٤٧٩

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

ذكر قتل سليمان بن قُتلمِش

لمّا قتَل سليمانُ بن قُتلمِش شرفَ الدولة مُسلمَ بن قُريش على ما ذكرناه، أرسل إلى ابن الحُتَيْتيّ العبّاسيّ ، مقدّم أهل حلب ، يطلب منه تسليمها إليه ، فأنفذ إليه ، واستمهله إلى[1] أن يكاتب السلطانَ ملكشاه ، وأرسل ابن الحتيتيّ إلى تُتُش ، صاحب دمشق ، يعده أن يسلّم إليه حلب ، فسار تُتُش طالباً لحلب ، فعلم سليمان بذلك ، فسار نحوه مجدّاً ، فوصل إلى تُتُش وقت السحر[2] على غير تَعْبئةٍ ، فلم يعلم به حتّى قرب منه ، فعبّأ أصحابه .

وكان الأمير أُرْتُق بن أكسب مع تُتُش ، وكان منصوراً لم يشهد حرباً إلاّ وكان الظفر له ، وقد ذكرنا فيما تقدّم حضوره مع ابن جُهير على آمِد ، وإطلاقه شرف الدولة من آمِد ، فلمّا فعل ذلك خاف أن ينهي ابن جُهير ذلك إلى السلطان، ففارق خدمته ، ولحق بتاج الدولة تُتُش ، فأقطعه البيت المقدّس ، وحضر معه هذه الحرب ، فأبلى فيها بلاء حسناً ، وحرّض العرب على القتال ، فانهزم أصحاب سليمان ، وثبت وهو في القلب ، فلمّا رأى انهزام عساكره أخرج سكّيناً معه فقتل نفسه ، وقيل بل قُتل في المعركة ، واستولى تُتُش على عسكره .

وكان سليمان بن قُتلمِش ، في السنة الماضية ، • في صفر[3] ، قد أنفذ جثّة

.....

1) Om. C. P. 2) A. add. وتتش . 3) A.

Marfat.com

شرف الدولة إلى حلب على بغل ملفوفةً في إزار ، وطلب من أهلها أن يسلّموها إليه . وفي هذه السنة في صفر أرسل تُتُش جثّة سليمان في إزار ليسلّموها إليه ، فأجابه ابن الحتيتيّ أنّه يكاتب السلطانَ ، ومهما أمره فعل ، فحصر تُتُش البلد ، وأقام عليه ، وضيّق على أهله .

وكان ابن الحُتَيْتيّ قد سلّم كلّ برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه ، وسلّم برجاً فيها إلى إنسان يُعرف بابن الرعوي . ثم إنّ ابن الحتيتيّ أوحشه بكلام أغلظ له فيه ، وكان هذا الرجل شديد القوّة ، ورأى ما الناس فيه من الشدّة ، فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تُتُش يستدعيه ، وواعده ليلة يرفع الرجال إلى السور في الحبال ، فأتى تُتُش للميعاد الذي ذكره ، فأصعد الرجال في الحبال والسلاليم ، وملك تُتُش المدينة ، واستجار ابن الحُتَيتيّ بالأمير أرتُق فشفع فيه ، وأمّا القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران ، وهو ابن عمّ شرف الدولة مسلم بن قريش ، فأقام تُتُش يحصر القلعة سبعة عشر يوماً ، فبلغه الخبر بوصول مقدّمة أخيه السلطان ملكشاه ، فرحل عنها .

ذكر ملك السلطان حلب وغيرها

كان ابن الحُتَيْتيّ قد كاتب السلطانَ ملكشاه يستدعيه ليسلّم إليه حلب ، لمّا خاف تاج الدولة تُتُش ، فسار إليه من أصبهان في جمادى الآخرة ، وجعل على مقدّمته الأمير برسق[1] ، وبوزان ، وغيرهما من الأمراء ، وجعل طريقه على الموصل ، فوصلها في رجب ، وسار منها ، فلمّا وصل إلى حرّان سلّمها إليه ابن الشاطر ، فأقطعها السلطان لمحمّد بن شرف الدولة ، وسار إلى الرُّها ،

---

1) A. برشق .

وهي بيد الروم ، فحصرها وملكها ، وكانوا قد اشتروها من ابن عُطَيْر[1] ، وتقدّم ذكر ذلك ، وسار إلى قلعة جَعْبَر ، فحصرها يوماً وليلة وملكها ، وقتل من بها من بني قُشير ، وأخذ جَعْبَر من صاحبها ، وهو شيخ أعمى ، وولدَيْن له ، وكانت الأذيّة بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجأون إليها .

ثم عبر الفرات إلى مدينة حلب ، فملك في طريقه مدينة مَنْبِج ، فلمّا قارب حلب رحل عنها أخوه تُتُش ، وكان قد ملك المدينة ، كما ذكرناه ، وسار عنها يسلك البرّيّة ، ومعه الأمير أُرتق ، فأشار بكبس عسكر السلطان ، وقال : إنّهم قد وصلوا ، وبهم وبدوابّهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ؛ ولو فعل لظفر بهم .

فقال تُتُش : لا أكسِرُ جاهَ أخي الذي أنا مستظلّ بظلّه ، فإنّه يعود بالوهن عليّ أوّلاً .

وسار إلى دمشق ، ولمّا وصل السلطان إلى حلب تسلّم المدينة ، وسلّم إليه سالم بن مالك القلعة على أن يعوّضه عنها قلعة جَعْبَر ، وكان سالم قد امتنع بها أوّلاً ، فأمر السلطان أن يُرمى إليه رشقاً واحداً بالسهام ، فرمى الجيش ، فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام ، فصانع عنها بقلعة جَعْبَر وسلّمها[2] ، وسلّم السلطان إليه قلعة جَعْبَر ، فبقيت بيده وبيد أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأرسل إليه الأمير نصر بن عليّ بن مُنقذ الكنانيُّ ، صاحب شَيْزَر ، فدخل في طاعته ، وسلّم إليه اللاّذِقيّة[1] ، وكَفَرطاب ، وأفَامية[2] ، فأجابه إلى

---

1) A. عطية .

2) A. وتسلمها .

---

١ لاذقيّة .

٢ وفامية .

المسالمة ، وترك قصده ، وأقرّ عليه شَيزر .

ولمّا ملك السلطان حلب سلّمها إلى قسيم الدولة آقسَنْقَر ، فعمرها ، وأحسن السيرة فيها .

وأمّا ابن الحتيّ فإنّه كان واثقاً بإحسان السلطان ونظام الملك إليه ، لأنّه استدعاهما ، فلمّا ملك السلطان البلد طلب أهله أن يعفيهم من ابن الحُتَيّ ، فأجابهم إلى ذلك ، واستصحبه معه ، وأرسله إلى ديار بكر ، فافتقر ، وتوفّي بها على حال شديدة من الفقر ، وقُتل ولده بأنطاكية ، قتله الفرنج لما ملكوها .

ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مَزْيد وولاية ابنه صدقة

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، توفّي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيد الأسديُّ ، صاحب الحِلّة ، والنِّيل ، وغيرهما ، ممّا يجاورها[1] ؛ ولمّا سمع نظام الملك خبر وفاته قال : مات أجلّ صاحب عِمامة ؛ وكان فاضلاً قرأ على عليّ[2] بن برهان ، فبرع بذكائه[1] في الذي استفاد منه ، وله شعر حسن ، فمنه :

فإن أنا لم أحمِلْ عظيماً ولم أقُدْ لُهاماً، ولم أصبِرْ على فِعلِ مُعظِمِ
ولم أُجرِ الجاني ، وأمنَعَ حوزَهُ ، غَدَاة أُنادي للفَخارِ وأنتَمِي

1) Om. C. P.

2) A.

١ بذكائه .

Marfat.com

وله في صاحب له يُكنى أبا مالك يرثيه :

فإن كان أودَى خِدنُنا ، ونديمُنا ، أبو مالكٍ ، فالنائباتُ تَنوبُ
فكلُّ ابن أُنثَى لا مَحالةَ ميّتٌ ، وفي كلّ حيّ للمَنون نَصيبُ
ولو ردّ حُزنٌ ، أو بُكاءٌ لهالكٍ ، بَكَيْنَاهُ[1] ما هبّتْ صَبًا وجَنوبُ

ولمّا توفّي أرسل الخليفة إلى ولده سيف الدولة صدقة نقيبَ العلويّين أبا الغنائم يعزّيه ، وسار سيف الدولة إلى السلطان ملكشاه ، فخلع عليه ، وولاّه ما كان لأبيه ، وأكثر الشعراء مراثي بهاء الدولة .

ذكر وقعة الزلاّقة بالأندلس وهزيمة الفرنج

قد تقدّم ذكر ملك الفرنج طُليطُلة ، وما فعله المعتمد بن عبّاد برسول الأذفونش ، ملك الفرنج ، وعود المعتمد إلى إشبيلية . فلمّا عاد إليها ، وسمع مشايخ قُرطُبة بما جرى ، ورأوا قوّة الفرنج ، وضعْف المسلمين ، واستعانة بعض ملوكهم بالفَرنج على بعض . اجتمعوا وقالوا : هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ، ولم يبق منها إلاّ القليل ، وإن استمرّت الأحوال على ما نرى عادت نصرانيّةً كما كانت .

وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمّد بن أدهم ، فقالوا له : ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصَّغار والذِّلّة ، وعطائهم الجِزية بعد أن كانوا يأخذونها ، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك . قال : ما هو ؟ قالوا : نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم ، فإذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا ، وخرجنا معهم مجاهدين في

---

١ بكتياه .

Marfat.com

سبيل الله . قال : نخاف ، إذا وصلوا إلينا ، يخرّبون بلادنا ، كما فعلوا بإفريقية ، ويتركون الفرنج ويبدأون بكم ، والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا .

قالوا له : فكاتِبْ أميرَ المسلمين ، وارغبْ إليه ليعبر إلينا ، ويرسل بعض قوّاده .

وقدم عليهم المعتمد بن عبّاد ، وهم في ذلك ، فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه ، فقال له ابن عبّاد : أنت رسولي إليه في ذلك ؛ فامتنع ، وإنّما أراد أن يبرّىء نفسه من تهمةٍ ، فألحّ عليه المعتمد ، فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشِفين[1] ، فأبلغه الرسالة ، وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش .

وكان أمير المسلمين بمدينة سَبتة، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس، وأرسل إلى مرّاكُش في طلب مَنْ بقي من عساكره ، فأقبلتْ إليه تتلو بعضها بعضاً ، فلمّا تكاملت عنده عبر البحر وسار ، فاجتمع بالمعتمد بن عبّاد بإشبيلية ، وكان قد جمع عساكره أيضاً ، وخرج من أهل قُرطُبة عسكر كثير ، وقصده المتطوّعة من سائر بلاد[2] الأندلس .

ووصلت الأخبار إلى الأذفونش ، فجمع فرسانه وسار من طُليطلة ، وكتب إلى أمير المسلمين كتاباً كتبه له بعض أدباء المسلمين ، يغلظ له القول ، ويصف ما عنده من القوّة والعَدد والعُدد ، وبالغ الكاتب في الكتاب . فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه ، وكان كاتباً مفلقاً ، فكتب فأجاد ، فلمّا قرأه على أمير المسلمين قال : هذا كتاب طويل ، أحضر كتاب الأذفونش واكتبْ في ظهره الذي يكون سترآ له .

فلمّا عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك ، وعلم أنّه بُلي برجل له عزم

---

1) Om. C. P. 2) A.

Marfat.com

وحزم ، فازداد استعداداً ، فرأى في منامه كأنّه راكب فيلٍ ، وبين يدَيْه طبل صغير ، وهو ينقر فيه ، فقصّ رؤياه على القِسّيسين ، فلم يعرفوا تأويلَها ، فأحضر رجلاً مسلماً ، عالماً بتعبير الرؤيا ، • فقصّها عليه[1] ، فاستعفاه من تعبيرها[2] ، فلم يُعفه ، فقال : تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾[3] السورة ، وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[4] ؛ ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه .

فلمّا اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته ، فأحضر ذلك المعبّر ، وقال له: بهذا الجيش ألقى إلَه محمّد ، صاحب كتابكم . فانصرف المعبّر ، وقال لبعض المسلمين : هذا الملك هالك وكلّ من معه ؛ وذكر قول رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم ، « ثلاث مهلكات » الحديث ، وفيه : « وإعجاب المرء بنفسه » .

وسار أمير المسلمين ، والمعتمد بن عبّاد ، حتّى أتوا أرضاً يقال لها الزّلّاقة ، من بلد بَطَلْيُوسَ ، وأتى الأذفونش فنزل موضعاً بينه وبينهم ثمانية عشر ميلاً ، فقيل لأمير المسلمين : إنّ ابن عبّاد ربّما لم ينصحْ ، ولا يبذل نفسه دونك. فأرسل إليه أمير المسلمين يأمره أن يكون في المقدّمة ، ففعل ذلك ، وسار ، وقد ضرب الأذفونش خيامه في لحف جبل ، والمعتمد في سفح جبل آخر ، يتراءون ، وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد ، وظنّ الأذفونش أنّ عساكر المسلمين ليس إلاّ الذي يراه .

وكان الفرنج في خمسين ألفاً ، فتيقّنوا الغلب ، وأرسل الأذفونش إلى المعتمد في ميقات القتال ، وقصده الملك ، فقال : غداً الجمعة ، وبعده الأحد ، فيكون اللقاء يوم الاثنين ، فقد وصلنا على حال تعب ؛ واستقرّ الأمر على هذا ،

---

1) Om. C. P.

2) A. تفسيرها .

3) Add. A. إلى آخر ; Cor. 105.

4) Cor. 74. vs. 8 — 10.

Marfat.com

وركب ليلة الجمعة سَحَراً ، وصبّح بجيشه جيش المعتمد بُكرة الجمعة ، غدراً ، وظنّاً[1] منه أنّ ذلك المخيّم هو جميع عسكر المسلمين ، فوقع القتال بينهم ، فصبر المسلمون ، فأشرفوا على الهزيمة .

وكان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب ، فقال : احملوني إلى خيام الفرنج ؛ فسار إليها ، فبينما هم في القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج[2] ، فنهبها ، وقتل من فيها ، فلمّا رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا ، وأخذهم السيف ، وتبعهم المعتمد من خلفهم ، ولقيهم أمير المسلمين من بين أيديهم ، ووضع فيهم السيف ، فلم يفلت منهم أحد ، ونجا الأذفونش في نفر يسير ، وجعل المسلمون من رؤوس القتلى كُوَماً كثيرة ، فكانوا يؤذّنون عليها إلى أن جيِفَت فأحرقوها .

وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الأوّل من شهر رمضان سنة تسع وسبعين [وأربعمائة] ، وأصاب المعتمدَ جراحات في وجهه ، وظهرت ذلك اليوم شجاعته . ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمائة فارس ، وغنم المسلمون كلّ ما[1] لهم من مال وسلاح ودوابّ وغير ذلك .

وعاد ابن عبّاد إلى إشبيلية ، ورجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء ، وعبر إلى سَبتة . وسار إلى مَرّاكُش ، فأقام بها إلى العام المقبل ، وعاد إلى الأندلس ، وحضر معه المعتمد بن عبّاد في عسكره ، وعبد الله بن بُلُكّين الصنهاجيُّ ، صاحب غَرناطة ، في عسكره ، وساروا حتّى نزلوا على ليط[3] ، وهو حصن منيع بيد الفرنج ، فحصروه حصراً شديداً فلم يقدروا على فتحه ، فرحلوا عنه بعد مدة ، ولم يخرج إليهم أحد من الفرنج لما أصابهم في العام

---

1) A. وبناه .

2) A. add. فسار إليها .

3) A. لبط .

---

١ كلّما .

Marfat.com

الماضي ، فعاد ابن عبّاد إلى إشبيلية ، وعاد أمير المسلمين إلى[1] غرناطة ، وهي طريقه ، ومعه عبد الله بن بُلُكّين ، فغدر به أمير المسلمين ، وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها ، فرأى في قصوره من الأموال والذخائر ما لم يَحْوِه ملك قبله بالأندلس ، ومن جملة ما وجده سُبْحَة فيها أربعمائة جوهرة ، قُوّمت كلّ جوهرة بمائة دينار ، ومن الجواهر ما له قيمة جليلة ، إلى غير ذلك من الثياب والعُدد وغيرها ، وأخذ معه عبد الله ، وأخاه تميماً ابنَيْ بُلكّين إلى مرّاكُش ، فكانت غرناطة أوّل ما ملكه من بلاد الأندلس .

وقد ذكرنا فيما تقدّم سبب دخول صنهاجة إلى الأندلس ، وعود مَنْ عاد منهم إلى المعزّ بإفريقية ، وكان آخر من بقي منهم بالأندلس عبد الله هذا ، وأخذت مدينته ، ورحل إلى العدوة .

ولمّا رجع أمير المسلمين إلى مرّاكُش أطاعه من كان لم يُطِعْه من بلاد السوس ، ووَرغة ، وقلعة مهدي ، وقال له علماء الأندلس إنّه ليست طاعته بواجبة حتّى يخطب للخليفة ، ويأتيه تقليد منه بالبلاد ، فأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله ببغداذ ، فأتاه الخِلع ، والأعلام والتقليد ، ولُقّب بأمير المسلمين ، وناصر الدين[1] .

ذكر دخول السلطان إلى بغداذ

في هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداذ في ذي الحجّة ، بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام ، والجزيرة ، وهي أوّل قَدْمة قدمها ، ونزل

---

1) A. الدولة .

---

١ على .

Marfat.com

بدار المملكة ، وركب من الغد إلى الحلْبة ، ولعب بالجوكان والكرة ، وأرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة ، فقبلها الخليفة ، ومن الغد أرسل نظام الملك إلى الخليفة خدمةً كثيرة ، فقبلها ، وزار السلطان . ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر ، وقبر معروف ، وأحمد بن حَنبَل وأبي حنيفة ، وغيرها من[1] القبور المعروفة ، فقال ابن زكرويه الواسطيّ يهنّىء نظام الملك بقصيدة منها :

زُرْتَ[2] المشاهدَ زَوْرةً مشهودةً ، أرضَتْ مضاجعَ مَنْ بها مَدفونُ
فكأنّك الغَيثُ استهلّ[1] بتُربِها ، وكأنّها بكَ روضةٌ ومَعِينُ
فازَتْ قِداحُك بالثّوابِ وأنجَحتْ ولكَ الإلهُ على النّجاحِ[3] ضَمِينُ

وهي مشهورة .

وطُلب نظام الملك إلى دار الخلافة ليلاً ، فمضى في الزّبزب ، وعاد من ليلته ، ومضى السلطان ونظام الملك إلى الصيد في البرّيّة ، فزارا المشهدَيْن : مشهد أمير المؤمنين عليّ ، ومشهد الحسين ، عليه السلام ، ودخل السلطان البرّ ، فاصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان وغيرها ، وأمر ببناء منارة القرون بالسُّبيعي[4] ، وعاد السلطان إلى بغداذ ، ودخل إلى الخليفة ، فخلع عليه الخِلع السلطانيّة .

ولمّا خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائماً يقدّم أميراً أميراً إلى الخليفة ، وكلّما قدّم أميراً يقول : هذا العبد فلان بن فلان ، وأقطاعه كذا وكذا ، وعدّة عسكره كذا وكذا ، إلى أن أتى على آخر الأمراء ، وفوّض الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد ، وأمره بالعدل فيهم ، وطلب السلطان أن يقبّل يد الخليفة ،

.....

1) Om. C. P. 2) C. P. بقف .
3) A النحاح ; C. P. العجاج .
4) A. بالنسيمي ; C. P. sine punctis.

---

١ استهلّ .

Marfat.com

فلم يجبه ، فسأل أن يقبّل خاتمه ، فأعطاه إيّاه فقبّله ، ووضعه على عينه ، وأمره الخليفة بالعود فعاد .

وخلع الخليفة أيضاً على نظام الملك ، ودخل نظام الملك إلى المدرسة النظاميّة ، وجلس في خزانة الكتب ، وطالع فيها كتباً ، وسمع الناس عليه بالمدرسة جُزء حديث ، وأملَى جزءاً آخر . وأقام السلطان ببغداذ إلى صفر سنة ثمانين [وأربعمائة] ، وسار منها إلى أصبهان .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في المحرّم ، جرى بين أهل الكَرخ وأهل باب البصرة فتنة قُتل فيها جماعة ، من جملتهم القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الحسين بن الغريق الهاشميُّ ، الخطيب ، أصابه سهم فمات منه ، ولمّا قُتل تولّى ابنه الشريف أبو تمام ما كان إليه من الخطابة ، وكان العميد كمال الملك الدهستانيُّ ببغداذ ، فسار بخيله ورجله إلى القنطرة العتيقة ، وأعان أهل الكرخ ، ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوّال منها ، فأعان الحجّاج على أهل الكرخ ، فانهزموا ، وبلغ الناس إلى درب اللؤلؤ ، وكاد أهل الكرخ يهلكون ، فخرج أبو الحسن بن برغوث العلويُّ إلى مقدّم الأحداث من السنّة ، فسأله العفو ، فعاد عنهم وردّ الناس .

• وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران ، وجاء المطر يومَيْن ببغداذ[1] .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، أرسل العميد كمال الملك إلى الأنبار ، فتسلّمها من بني عُقَيل ، وخرجت من أيديهم .

---

1) Om. A.

وفيها ، في ربيع الآخر ، فرغت المنارة بجامع القصر وأذّن فيها .

وفيها ، في جمادى الأولى ، ورد الشريف أبو القاسم عليُّ بن أبي يعلى الحسني الدبوسيُّ إلى بغداذ ، في تجمّل عظيم ، لم يُرَ مثله لفقيهٍ ، ورُتّب مدرّساً بالنظاميّة بعد أبي سعد المتولّي .

وفيها أمر السلطانُ أن يزاد في إقطاع وكلاء الخليفة نهر بُرزَى[1] من طريق خراسان ، وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداذ .

وفيها أقطع السلطانُ ملكشاه محمّد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرَّحبة وأعمالها ، وحرّان ، وسَروج ، والرَّقّة ، والخابور ، وزوّجه بأخته زُلَيْخا خاتون ، فتسلّم البلاد جميعها ما عدا حرّان ، فإنّ محمّد بن الشاطر امتنع من تسليمها ، فلمّا وصل السلطان إلى الشام نزل عنها ابن الشاطر ، فسلّمها السلطان إلى محمّد .

وفيها وقع ببغداذ صاعقتان ، فكسرتْ إحداهما أسطوانتَيْن ، وأحرقت قطناً في صناديق ، ولم تحترق الصناديق ، وقتلت الثانية رجلاً .

وفيها كانت زلازل بالعراق ، والجزيرة ، والشام ، وكثير من البلاد ، فخربت كثيراً من البلاد ، وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء ، فلمّا سكنتْ عادوا .

وفيها عُزل فخر الدولة بن جُهير عن ديار بكر ، وسلّمها السلطان إلى العميد أبي عليّ البلخيّ ، وجعله عاملاً عليها .

وفيها أسقط اسم الخليفة المصريّ[2] من الحرمَيْن الشريفَيْن ، وذكر اسم الخليفة المقتدي بأمر الله .

---

1) C. P. ورزى .

2) A. المستنصر العلوي صاحب مصر .

Marfat.com

وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق .

وفيها حصر تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، مدينتيْ قَابِسَ وسَفَاقُسَ في وقت واحد ، وفرّق عليهما[1] العساكر .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، توفّي أبو الحسن بن فضّال المجاشعيُّ ، النحويُّ ، المقري .

وفي ربيع الآخر توفّي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفيُّ ، النَّيسابوريُّ ، وهو الذي تولّى بناء الرباط بنهر المعلّى ، وبنى وقوفه ، وهو رباط شيخ الشيوخ الآن ، وبنى وقوف المدرسة النظاميّة ، وكان عالي الهمّة ، كثير التعصّب لمن يلتجىء إليه ، وجدّد تربة معروف الكرخيّ بعد أن احترقت ، وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان ، وكان يقال : نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقّعةٍ ، ولو أخرجه من قباء لهلكنا .

وفيها توفّي أبو عليّ محمّد بن أحمد الشيريُّ[1] ، البصريُّ ، وكان خيّراً ، حافظاً للقرآن ، ذا مال كثير ، وهو آخر من روى سُنَنَ أبي داود السِّجِستانيّ عن أبي عمر الهاشميّ .

وفيها توفّي الشريف أبو نصر الزينبيُّ ، العبّاسيُّ ، نقيب الهاشميّين ، وهو محدّث مشهور عالي الإسناد .

---

1) C. P. السري .

---

١ عليها .

Marfat.com

٤٨٠

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة

في المحرّم نُقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجلّلةً بالدِّيباج الروميّ ، وكان أكثر الأحمال الذهب والفضّة وثلاث عماريّات ؛ وعلى أربعة وسبعين بغلاً مجلّلة بأنواع الديباج الملكيّ ، وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضّة[1] ؛ وكان على ستّة منها اثنا عشر صندوقاً من فضّة لا يقدَّر ما فيها من الجواهر والحليّ ، وبين يدَي البغال ثلاثة وثلاثون فرساً من الخيل الرائقة ، عليها مراكب الذهب مرصّعة بأنواع الجوهر ، ومهدٌ عظيم كثير الذهب .

وسار بين يدَي الجهاز سعد الدولة كوهرائين ، والأمير برسق[2] ، وغيرهما ، ونثر أهل نهر مُعلّى عليهم الدنانير والثياب ، وكان السلطان قد خرج عن بغداذ متصيّداً ، ثم أرسل الخليفة الوزيرَ أبا شجاع إلى تركان خاتون ، زوجة السلطان ، وبين يدَيْه نحو ثلاثمائة موكبيّة ، ومثلها مشاعل ، ولم يبق في الحريم دكّان إلاّ وقد أُشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك .

وأرسل الخليفة مع ظفَر خادمه مِحفّة لم يُر مثلها حُسناً ، وقال الوزير لتركان خاتون : سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول : إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا

---

1) A.

2) A برشق .

Marfat.com

الأمانات إلى أهلِها ، وقد أذنَ في نقل الوديعة إلى داره . فأجابت بالسَّمع والطاعة ، وحضر نظام الملك فمَنْ دونه من أعيان دولة السلطان ، وكلّ منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير ، وجاء نساء الأمراء الكبار ومَنْ دونهم كلّ واحدة منهنّ منفردة في جماعتها وتجمّلها[1] ، وبين أيديهنّ الشمع الموكبيّات والمشاعل يحمل ذلك جميعه[1] الفرسان .

ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان ، بعد الجميع ، في محَفّة مجلّلة ، عليها من الذهب والجواهر أكثر شيء ، وقد أحاط بالمحَفّة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة ، وسارت إلى دار الخلافة ، وكانت ليلة مشهودة لم يُر ببغداذ مثلُها .

فلمّا كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حُكي أن فيه أربعين ألف منّا من السكر ، وخلع عليهم كلّهم ، وعلى كلّ من له ذكر في العسكر ، وأرسل الخلع إلى الخاتون زوجة السلطان ، وإلى جميع الخواتين ، وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وُلد للسلطان ابن من تركان خاتون ، وسمّاه محموداً ، وهو الذي خُطب له بالمملكة بعدُ[2] .

---

1) A. ومحملها .

2) A. بعده .

---

١ جميعها .

Marfat.com

وفيها سلّم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة إلى مملوكه آقسَنْقَر، فوليها، وأظهر فيها العدل وحُسن السيرة، وكان زوج دادوا[1] السلطان ملكشاه، وهي التي تحضنه وتربّيه، وماتت بحلب سنة أربع وثمانين [وأربعمائة].

وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان، فضليّ، والآخر للأمير قماج، مرعوشيّ، فسبق ساعي السلطان، وقد تقدّم ذكر الفضليّ والمرعوشيّ أيّام معزّ الدولة بن بُوَيْه.

وفيها جعل السلطان وليّ عهده ولدَهُ أبا شُجاع أحمد، ولقّبه ملك الملوك، عضد الدولة، وتاج الملّة، عُدّة أمير المؤمنين، وأرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداذ، ليخطب له ببغداذ بذلك، فخُطب له في شعبان، ونثر الذهب على الخطباء.

وفيها، في شعبان، انحدر سعد الدولة كوهرائين إلى واسط لمحاربة مهذّب الدولة بن أبي الجبر[2]، صاحب البطائح، ولمّا فارق بغداذ كثرت فيها الفتن.

وفيها، في ذي القعدة، وُلد للخليفة من ابنة السلطان ولد سمّاه جعفراً[1]، وكناه أبا الفضل، وزيّن البلد لأجل ذلك.

وفيها استولى العميد كمال الملك[3] أبو الفتح الدِّهِسْتَانيُّ، عميد العراق، على مدينة هَيت، أخذها صُلحاً ومضى إليها، وعاد عنها في ذي القعدة.

وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحالّ، قُتل فيها كثير من الناس.

وفيها كسفت الشمس كسوفاً كلّيّاً.

---

1) A. دادة. 2) Ae. الجهير. 3) Om. C. P.; A. كمال الدين.

---

١ جعفر.

Marfat.com

وفيها توفّي الأمير أبو منصور قتلغ أمير الحاجّ ، وحجّ أميراً اثنتي عشرة[1] سنة ، وكانت له في العرب عدّة وقعات ، وكانوا يخافونه ، ولمّا مات قال نظام الملك : مات اليوم ألف رجل ؛ وولي إمارة الحاجّ نجم الدولة خمارتكين .

وفيها ، في جمادى الأولى ، توفّي إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساويُّ ، سمع الحديث[1] الكثير من أبي سعيد الصيرفيّ وغيره ، وروى عنه الناس ، وكان ثقةً ؛ وطاهر بن الحسين أبو الوفا البَندَنِيجِيُّ ، الهَمَذانيُّ ، كان شاعراً ، أديباً ، وكان يمدح لا لعرض الدنيا ، ومدح نظام الملك بقصيدتَيْن كلّ واحدة منهما تزيد على أربعين بيتاً ، إحداهما ليس فيها نقطة ، والأخرى جميع حروفها منقوطة .

وفيها توفّيت فاطمة بنت عليّ المؤدّب ، المعروفة ببنت الأقرع ، الكاتبة ، كانت من أحسن الناس خطّاً على[2] طريقة ابن البوّاب ، وسمعت الحديث وأسمعتْ .

وفيها ، في ذي القعدة ، توفّي غرس النعمة أبو الحسن محمّد بن الصابيّ ، صاحب التاريخ ، وظهر له مال كثير ، وكان له معروف وصدقة .

.....

1) A. 2) A. تزدي .

---

١ عشر :

Marfat.com

٤٨١

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداذ

في هذه السنة ، في صفر ، شرع أهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة ، ونقلوا الآجُرَّ في أطباق الذهب والفضّة وبين أيديهم الدَّبادب ، واجتمع إليهم أهل المحالّ ؛ وكثر عندهم أهل باب الأزّج في خلق لا يُحصى .

واتّفق أنّ كوهرائين سار في سُميريّة[1] ، وأصحابه يسيرون على شاطىء دجلة بسيره ، فوقف أهل باب الأزج على امرأة كانت تَسقي[2] الناس من مُزمّلة لها على دجلة ، فحملوا[3] عليها ، على عادة لهم ، وجعلوا يكسرون الجِرار ، ويقولون : الماء للسبيل ! فلمّا رأت سعدُ الدولة كوهرائين استغاثت به ، فأمر بإبعادهم عنها ، فضربهم الأتراك بالمقارع ، فثارت العامّة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان ، وهو أخصّ أصحابه فسقط عن الفرس ، فحمل كوهرائين الحنق على أن خرج من السُّميريّة[4] إليهم راجلاً ، فحمل أحدهم عليه ، فطعنه بأسفل رحمه ، فألقاه في الماء والطين ، فحمل أصحابه على العامّة ، فقاتلوهم ، وحرصوا على الظفر بالذي[1] طعنه ، فلم يصلوا إليه ، وأخذ ثمانية نفر[5] ، فقتل أحدهم ، وقطع أعصاب ثلاثة نفر ، وأرسل قباءه

---

1) A. سيرة .
2) C. P. تستسقي .
3) A. فجهلوا .
4) A. البرمه .
5) Om. C. P.

---

١ بالظفر على الذي .

Marfat.com

إلى الديوان وفيه أثر الطلمة والطين يستقر على أهل باب الأزجّ. ثم إن اهل الكرخ عقلوا لأنفسهم طاقاً آخر على باب طاق الحرّانيّ ، وفعلوا كفعل أهل باب البصرة .

ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة .

وسبب ذلك أنّ تركيّاً منهم اشترى من طوّاف فاكهة ، فتماكسا ، فشتم الطوّافُ التركيَّ ، فأخذ التركيُّ صَنْجة من الميزان وضرب بها رأس الطوّاف فشجّه ، فاجتمعت العامّة ، وكاد يكون بينهم وبين الأتراك شرٌّ[1] ، واستغاثوا[1] ، وشنّعوا ، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك ، فأخرجوا عن آخرهم ، في ساعة واحدة، على أقبح صورة ، وقت العشاء الآخرة .

ذكر ملك الروم مدينة زَوِيلَة وعودهم عنها

في هذه السنة فتح الروم مدينة زَوِيلَةَ من إفريقية ، وهي بقرب المهديّة .

وسبب ذلك أنّ الأمير تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحبها ، أكثر غزوَ

.....

1) A.

---

١ شرّاً .

Marfat.com

بلادهم في البحر ، فخرّبها ، وشتّت أهلها ، فاجتمعوا من كلّ جهة ، واتّفقوا على إنشاء الشواني لغزو المهديّة ، ودخل معهم البيشانيّون[1] ، والجنويّون ، وهما من الفرنج ، فأقاموا يعمرون الأسطول أربع سنين ، واجتمعوا بجزيرة قَوْصَرة في أربع مائة قطعة ، فكتب أهل قَوْصَرة كتاباً على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة ، فأراد تميم أن يسيّر عثمانَ بن سعيد المعروف بالمهر ، مقدّم الأسطول الذي له ، ليمنعهم من النزول ، فمنعه من ذلك بعض قوّاده ، واسمه عبد الله بن منكوت ، لعداوة بينه وبين المهر ، فجاءت الروم ، وأرسلوا ، وطلعوا إلى البرّ ، ونهبوا ، وخرّبوا ، وأحرقوا ، ودخلوا زَوِيلة ونهبوها ، وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته .

ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ، وردّ جميع ما حووه من السبي ، وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير ، فكيف في الغرض الكبير ؛ حُكي عنه أنّه بذل للعرب ، لمّا استولوا على حصن له يسمّى قناطة[2] ليس بالعظيم ، اثني عشر ألف دينار حتّى هدمه ، فقيل له: هذا سرفٌ في المال ؛ فقال : هو شرف في الحال .

ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حمّاد ، وولي بعده ابنه المنصور ، فاقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة ، ووصله كتب الملوك ورُسلهم

---

1) C. P. البشانيون . 2) A. فناطة .

Marfat.com

بالتعزية بأبيه والتهنئة بالملك ، منهم : يوسف بن تاشفين ، وتميم بن المعزّ ، وغيرهما .

ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود

في هذه السنة توفّي الملك المؤيّد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة ، وكان عادلاً ، كريماً ، مجاهداً ، وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل إلينا ، وكان عاقلاً ، ذا رأي متين ، فمن آرائه أنّ السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقيّ جمع عساكره وسار يريد غزنة ، ونزل باسفرار ، فكتب إبراهيم بن مسعود كتاباً إلى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ، ويعتذّ[1] لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده[2] ليتمّ لنا ما استقرّ بيننا من الظفر به ، وتخليصهم من يده ، ويعدهم الإحسان على ذلك ، وأمر القاصد بالكتب أن يتعرّض لملكشاه في الصيد ، ففعل ذلك ، فأُخذ ، وأُحضر عند السلطان ، فسأله عن حاله ، فأنكره ، فأمر السلطان بجلده ، فجُلد ، فدفع الكتب إليه بعد جهد ومشقّة ، فلمّا وقف ملكشاه عليها تحيّل[1] من أمرائه وعاد ، ولم يقُل لأحد من أمرائه في هذا الأمر شيئاً خوفاً أن يستوحشوا منه .

وكان يكتب بخطّه ، كلّ سنة ، مصحفاً ، ويبعثه مع الصدقات إلى مكّة ، وكان يقول : لو كنتُ موضع أبي مسعود، بعد وفاة جدّي محمود، لما انفصمتْ[2]

1) C. P. ويعتذر .

2) A

---

١ تخيل .

٢ انقصمت .

Marfat.com

عُرى مملكتنا ، ولكنّي الآن عاجز عن [أن] أسترد ّ ما أنتزعوه ، واستولى عليه ملوك قد اتّسعت مملكتهم ، وعظمت عساكرهم .

ولمّا توفّي ملك بعده ابنه مسعود ، ولقبه جلال الدين ، وكان قد زوّجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه ، وأخرج نظام الملك في هذا الإملاك والزّفاف مائة ألف دينار .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حجّ الوزير أبو شجاع ، وزير الخليفة ، واستناب ابنه رئيس الدولة أبا منصور ، ونقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ .

وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجّاج من الخفارة .

وفيها جمع آقسَنْقَر ، صاحب حلب ، عسكره وسار إلى قلعة شَيْزَر فحصرها[1] ، وصاحبها ابن مُنْقِذ ، وضيّق عليها ، ونهب ريفها ، ثم صالحه صاحبها وعاد إلى حلب .

وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصمد بن أبي الفضل التورجيُّ ، المرويُّ ؛ والقاضي محمود بن محمّد بن القاسم أبو[2] عامر الأزديُّ ، المهليُّ ، راويا جامع التِّرمِذيّ عن أبي محمّد الجراحيّ ، رواه عنهما أبو الفتح الكروخيُّ .

وتوفّي عبد الله بن محمّد بن عليٍّ بن محمّد . أبو إسماعيل[3] ، الأنصاريُّ ، المرويُّ ، شيخ الإسلام ، ومولده سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وكان شديد التعصّب في المذاهب ؛ ومحمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن غلد الباقرحيُّ ، ومولده

---

1) Om. A. 2) C. P. بن . 3) A. الاسايل .

في شعبان ، وهو من أهل الحديث والرواية .

وفي المحرّم توفّيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودُفنت عند قبر أحمد ، وكانت ترجع إلى دين ، ومعروف كثير ، لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت .

وفي شعبان توفّي عبد العزيز الصحراويُّ الزاهد .

وفيها توفّي الملك أحمد ابن السلطان ملكشاه بمرو ، وكان ولي عهد أبيه في السلطنة ، وكان[1] عمره إحدى عشرة سنة ، وجلس الناس ببغداذ للعزاء سبعة أيّام في دار الخلافة ، ولم يركب أحد فرساً ، وخرج النساء ينحن[2] في الأسواق ، واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للفرّج والمناحات ، وسوّد أهل الكرخ أبواب عقودهم إظهاراً للحزن عليه[1] .

---

(1) Om. A.

(2) A. ونحن .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداذ بين العامة

في هذه السنة ، في صفر ، كبس أهل باب البصرة الكرخَ ، فقتلوا رجلاً ، وجرحوا آخر ، فأغلق أهل الكرخ الأسواق ، ورفعوا المصاحف ، • وحملوا ثياب[1] الرجلَيْن وهي بالدم[1] ، ومضوا إلى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدَّهِسْتانيّ مستغيثين ، فأرسل إلى النقيب طِراد بن محمّد يطلب منه إحضار القاتلين ، فقصد طِراد دار الأمير بوزان[2] بقصر ابن المأمون، فطالبه بوزان بهم، • ووكّل به[3] ، فأرسل الخليفة إلى بوزان يعرّفه حال النقيب طِراد ، ومحلّه ، ومنزلته ، فخلّى سبيله واعتذر إليه ، فسكّن العميد كمال الملك الفتنة ، وكفّ الناس بعضهم عن بعض ، ثم سار إلى السلطان ، فعاد الناس إلى ما كانوا فيه من الفتنة ، ولم ينقض يوم إلا عن قَتْلَى وجَرْحَى .

---

1) Om. C. P.

2) A. ubique بوران .

3) Om. A.

---

١ اثياب .

Marfat.com

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر .

وسبب ذلك أنّ سَمَرْقَند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان ، أخو[1] شمس الملك ، الذي كان قبله ، وهو ابن أخي تركان خاتون ، زوجة السلطان ملكشاه ، وكان صبيّاً ظالماً ، قبيح السيرة ، يُكثر مصادرة الرعيّة ، فنفروا منه ، وكتبوا إلى السلطان سرّاً يستغيثون[1] به ، ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم ، وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعيُّ عند السلطان شاكياً ، وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله ، فأظهر السفر للتجارة والحجّ ، فاجتمع بالسلطان ، وشكا إليه ، وأطمعه في البلاد . فتحرّكت دواعي السلطان إلى ملكها ، فسار من أصبهان .

وكان قد وصل إليه ، وهو فيها ، رسول ملك الروم ، ومعه الخراج المقرّر عليه ، فأخذه نظام الملك معهم إلى ما وراء النهر ، وحضر فتح البلاد ، فلمّا وصل إلى كاشْغَر أذن له نظام الملك في العود إلى بلاده ، وقال : أُحبّ أن يُذكر عنّا في التواريخ ، أنّ ملك الروم[2] حمل الجزية وأوصلها إلى باب كاشْغَر ليُنْهي إلى صاحبه سَعَةَ ملك السلطان ليعظم خوفه منه ، ولا يحدّث نفسه بخلاف الطاعة . وهذا يدلّ على همةٍ عالية تعلو[2] على العَيّوق .

ولمّا سار السلطان من أصبهان إلى خُراسان جمع العساكر من البلاد جميعها ،

---

1) A. أخي .

2) Or. C. P.

---

١ مستغيثون .

٢ تعلوا .

Marfat.com

فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ، ولا تدخل[1] تحت الإحصاء ، فلمّا قطع النهر قصد بخارى ، وأخذ ما على طريقه ، ثم سار إليها وملكها وما جاورها من البلاد ، وقصد سَمَرْقَند ونازلها ، وكانت الملطّفات قد قدّمها إلى أهل البلد يعدهم النصر ، والخلاص ممّا هم فيه من الظلم ، وحصر البلد ، وضيّق عليه . وأعانه أهل البلد بالإقامات ، وفرّق أحمد خان ، صاحب سَمَرْقَند ، أبراج السور على الأمراء ومن يثق به[1] من أهل البلد ، وسلّم برجاً يقال له برج العيّار إلى رجل علويّ كان مختصّاً به ، فنصح في القتال .

فاتّفق أنّ ولداً لهذا العلويّ أُخذ أسيراً ببخارى ، فهُدّدَ الأبُ بقتله ، فتراخى عن القتال . فسهل الأمر على السلطان ملكشاه ، ورمى[2] من السور عدّة ثُلَم بالمنجنيقات . وأخذ ذلك البرج ، فلمّا صعد عسكر السلطان إلى السور هرب أحمد خان ، واختفى في بيوت بعض العامّة فغُمِزَ عليه وأُخذ وحُمل إلى السلطان وفي رقبته حبل ، فأكرمه السلطان ، وأطلقه وأرسله[2] إلى أصبهان ، ومعه من يحفظه ، ورتّب بسَمَرْقَند الأمير العميد أبا طاهر عميد خُوارزم .

وسار السلطان قاصداً إلى كاشْغَر ، فبلغ إلى يُوزْكَند ، وهو بلد يجري على بابه نهر ، وأرسل منها رسلاً إلى ملك كاشْغَر يأمره بإقامة الخطبة ، وضَرْب السكّة باسمه ، ويتوعّده إن خالف بالمسير إليه . ففعل ذلك وأطاع : وحضر عند السلطان ، فأكرمه وعظّمه ، وتابع الإنعام عليه ، وأعاده إلى بلده .

ورجع السلطان إلى خُراسان ، فلمّا أبعد عن سَمَرْقَند لم يتّفق أهلها

---

1) C. P. يقع .

2) C. P. وسلّم .

---

١ إليه .

٢ ورمى .

Marfat.com

وعسكرها المعروفون[1] بالجكليّة مع العميد أبي طاهر ، نائب السلطان عندهم ، حتّى كادوا يثبون عليه ، فاحتال حتّى خرج من عندهم ، ومضى إلى خُوارِزم .

ذكر عصيان سَمَرْقَنْد

كان مقدّم العسكر المعروف بالجكليّة ، واسمه عين الدولة ، قد خاف السلطان لهذا الحادث ، فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشْغَر ، ومملكته تُعرف بآب نباشي[1] ، وبيده قلعتها ، واستحضره ، فحضر عنده بسَمَرْقَند ، واتّفقا ، ثم إنّ يعقوب علم أنّ أمره لا يستقيم معه ، فوضع عليه الرعيّة الذين كان أساء إليهم ، حتّى ادّعوا عليه دماء قوم كان قتلهم ، وأخذ الفتاوى عليه فقتله ، واتّصلت الأخبار بالسلطان ملكشاه بذلك ، فعاد إلى سمرقند .

ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني

لمّا اتّصلت الأخبار بعصيان سَمَرْقَند بالسلطان ملكشاه ، وقَتْل عين الدولة، مقدّم الجكليّة ، عاد إلى سَمَرْقَند ، فلمّا وصل إلى بخارى هرب يعقوب المستولي على سمرقند ، ومضى إلى فَرغَانَة ، ولحق بولايته .

ووصل جماعة من عسكره إلى السلطان مستأمنين ، فلقوه بقرية تُعرف بالطواويس ، ولمّا وصل السلطان إلى سمرقند ملكها ، ورتّب بها الأمير أبر[2] ،

---

1) A. باشي .

2) C. P. أنسز . cui superscriptum est ابر .

---

١ المعروفين .

Marfat.com

وسار في أثر يعقوب حتّى نزل بيُوزْكَنْد ، وأرسل العساكر إلى سائر الأكناف في طلبه .

وأرسل السلطان إلى ملك كاشْغَر ، وهو أخو يعقوب ، ليجدّ في أمره ، ويرسله إليه ، فاتّفق أنّ عسكر يعقوب شغبوا عليه ، ونهبوا خزائنه ، واضطرّوه إلى أن هرب على فرسه ، ودخل إلى أخيه بكاشْغَر مستجيراً به . فسمع السلطان بذلك ، فأرسل إلى ملك كاشْغَر يتوعّده ، إن لم يرسله إليه ، أن يقصد بلاده ، ويصير هو العدوّ ، فخاف أن يمنع السلطان ، وأنِف أن يسلّم أخاه بعد أن استجار به وإن كانت بينهما عداوة قديمة ، ومنافسة في الملك عظيمة ، لما يلزمه فيه العار ، فأدّاه اجتهاده إلى أن قبض على أخيه يعقوب ، وأظهر أنّه كان في طلبه ، فظفر به ، وسيّره مع ولده ، وجماعة من أصحابه ، وكلّهم بيعقوب ، وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان ، وأمر ولده أنّه إذا وصل إلى قلعة بقرب السلطان أن يَسمَل يعقوب ويتركه ، فإن رضي السلطان بذلك ، وإلاّ سلّمه إليه .

فلمّا وصلوا إلى القلعة عزم ابن ملك كاشْغَر أن يسمل عمّه ، وينفذ فيه ما أمره به أبوه ، فتقدّم بكتْفه وإلقائه على الأرض ، ففعلوا به ذلك ، فبينما هم على تلك الحال ، وقد أحْمَوا الميل ليسملوه ، إذ سمعوا ضجّة عظيمة ، فتركوه ، وتشاوروا بينهم ، وظهر عليهم انكسارٌ ، ثم أرادوا . بعد ذلك[1] سمله ، ومنع منه بعض ، فقال لهم يعقوب : أخبروني عن حالكم ، وما يفوتكم الذي تريدونه منّي ، وإذا فعلتم بي شيئاً ربّما ندمتم عليه .

فقيل له : إنّ طغرل بن ينّال أسرى من ثمانين فرسخاً في عشرات ألوف من العساكر ، وكبس أخاك[1] بكاشْغَر ، فأخذه أسيراً ، ونهب عسكره ، وعاد

1) Om. C. P.

١ أخال .

Marfat.com

إلى بلاده ؛ فقال لهم : هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس ممّا تتقرّبون به إلى الله تعالى ، وإنّما تفعلونه اتّباعاً لأمر أخي ، وقد زال أمره ؛ ووعدهم الإحسان فأطلقوه .

فلمّا رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينّال ، ومسيره إلى كاشْغَر ، وقَبْض صاحبها ، وملكه لها مع قربه منه ، خاف أن ينحلّ بعض أمره وتزول هيبته ، وعلم أنّه متى قصد طغرل سار من بين يدَيْه ، فإن عاد عنه رجع إلى بلاده ، وكذلك يعقوب . أخو صاحب كاشْغَر[1] ، وأنّه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها ، فوضع تاج الملك على أن يسعى في إصلاح أمر يعقوب معه ، ففعل ما أمره به[2] السلطان ، فاتّفق هو ويعقوب ، وعاد إلى خُراسان ، وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوّة ، ومُلك البلاد ، وكلّ منهما يقوم في وجه الآخر .

ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها

وفي هذه السنة أرسل السلطان[3] إلى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بدّ منه .

وسبب ذلك أنّها أرسلت تشكو من الخليفة ، وتذكر أنّه كثير الاطّراح لها ، والإعراض عنها ، فأذن لها في المسير ، فسارت في ربيع الأوّل ، وسار معها ابنها . من الخليفة[4] أبو الفضل جعفر بن المقتدي بأمر الله ، ومعهما سائر أرباب الدولة ، ومشى ، مع محفّتها ، سعد الدولة كوهرائين ، وخدم دار الخلافة الأكابر ، وخرج الوزير وشيّعهم إلى النّهروان وعاد .

---

1) Om. C. P. 2) A. فشفعه . 3) A. 4) A.

Marfat.com

وسارت الخاتون إلى أصبهان ، فأقامت بها إلى ذي القعدة ، وتوفّيت ، وجلس الوزير ببغداذ للعزاء سبعة أيّام ، وأكثر الشعراء مراثيها ببغداذ ، وبعسكر السلطان .

ذكر فتح عسكر مصر عكّا وغيرها من الشام

في هذه السنة خرجت عساكر مصر إلى الشام في جماعة من المقدّمين ؛ فحصروا مدينة صور ، وكان قد تغلّب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عُقَيل ، وامتنع عليهم ، ثم توفّي ، ووليها أولاده ، فحصرهم العسكر المصريُّ فلم يكن لهم من القوّة ما يمتنعون بها ، فسلّموها إليهم .

ثم سار العسكر عنها إلى مدينة صيدا ، ففعلوا بها كذلك .

ثمّ ساروا إلى مدينة عكّا ، فحصروها ، وضيّقوا على أهلها ، فافتتحوها .

وقصدوا مدينة جُبَيْل ، فملكوها أيضاً ، وأصلحوا أحوال هذه البلاد ، وقرّروا قواعدها ، وساروا عنها إلى مصر عائدين ، واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الأمراء والعُمّال .

ذكر الفتنة بين أهل بغداذ ثانية

وفي هذه السنة ، في جمادى الأولى ، كثرت الفتن ببغداذ بين أهل الكرخ وغيرها من المحالّ ، وقُتل بينهم عدد كثير ، واستولى أهل المحالّ على قطعة كبيرة من نهر الدَّجاج ، فنهبوها ، وأحرقوها ، فنزل شِحنة بغداذ ،

Marfat.com

وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين ، على دجلة في خيله ورَجله ، ليكفّ الناس عن الفتنة ، فلم ينتهوا ، وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والإقامات .

وفي بعض الأيّام وصل أهل باب البصرة إلى سُويقة غالبٍ ، فخرج من أهل الكرخ من لم تجرِ عادته بالقتال ، فقاتلوهم حتّى كشفوهم . فركب خدم الخليفة ، والحجّاب ، والنقباء ، وغيرهم من أعيان الحنابلة ، كابن عقيل ، والكلوذانيّ ، وغيرهما ، إلى الشّحنة ، وساروا معه إلى أهل الكرخ ، فقرأ عليهم مثالاً من الخليفة يأمرهم بالكفّ ، ومعاودة السكون ، وحضور الجماعة والجمعة ، والتديّن بمذهب أهل السنّة ، فأجابوا إلى الطاعة .

فبينما هم كذلك أتاهم الصارخ من نهر الدجاج بأنّ السنّة قد قصدوهم ، والقتال عندهم ، فمضوا مع الشحنة ، ومنعوا من الفتنة ، وسكن الناس وكتب أهل الكرخ على أبواب مساجدهم : خير الناس بعد رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ . ومِنْ عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ ، وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه ، وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خَيرون المعدّل ، فقصد الديوان مستنفراً ، ومعه الناس ، ورفع العامّة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته ، وأكثروا من الكلام الشنيع ، وقُتل ذلك اليوم رجل هاشميّ من أهل باب الأزج بسهم أصابه ، فثار العامّة هناك بعلويّ كان مقيماً بينهم ، فقتلوه وحرقوه ، وجرى من النهب ، والقتل ، والفساد أمور عظيمة ، فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة بن مَزْيد ، فأرسل عسكراً إلى بغداذ ، فطلبوا المفسدين والعيّارين ، فهربوا منهم ، فهُدمت دورهم ، وقُتل منهم ونُفي وسكنت الفتنة ، وأمِن الناس .

Marfat.com

ذكر حيلة[1] لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً

كان بالمغرب إنسان اسمه محمّد بن إبراهيم الكزوليّ[1] ، سيّد قبيلة كزولة[2] ومالك جبلها ، وهو جبل شامخ ، وهي قبيلة كثيرة ، وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودّة واجتماع ، فلمّا كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمّد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به ، فركب إليه محمّد ، فلمّا قاربه خافه على نفسه ، فعاد إلى جبله ، واحتاط لنفسه ، فكتب إليه يوسف ، وحلف له أنّه ما أراد به إلاّ الخير ، ولم يحدّث نفسه بغدر . فلم يركن محمّد إليه .

فدعا يوسف حجّاماً ، وأعطاه مائة دينار ، وضمن له مائة دينار أخرى ، إن هو سار إلى محمّد بن إبراهيم واحتال على قتله . فسار الحجّام ، ومعه مشاريط مسمومة ، فصعد الجبل ، فلمّا كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مساكن[3] محمّد ، فسمع محمّد الصوت ، فقال : هذا الحجّام من بلدنا ؟ فقيل : إنّه غريب؛ فقال : أراه يُكثر الصياح ، وقد ارتبع[2] بذلك: ائتوني به . فأحضر عنده ، فاستدعى حجّاماً آخر وأمره أن يحجمه بمشاريطه التي معه ، فامتنع الحجّام الغريب ، فأمسك وحُجم فمات ، وتعجّب الناس من فطنته .

فلمّا بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ، ولجّ في السعي في أذًى يوصله إليه ، فاستمال قوماً من أصحاب محمّد ، فمالوا إليه ، فأرسل إليهم جراراً من عسل مسموم ، فحضروا عند محمّد وقالوا : قد وصل[3] إلينا قوم معهم جرارٌ من عسل

---

1) A. القزولي .

2) A. قزولة .

3) A. منازل .

---

١ الحيلة .

٢ ارتب .

٣ وصلوا .

أحسن ما يكون ، وأردنا إتحافك به ؛ وأحضروها بين يدَيْه ، فلمّا رآه أمر بإحضار خبز ، وأمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن يأكلوا منه ، فامتنعوا ، واستعفوه من أكله ، فلم يقبل منهم ، وقال : من لم يأكل قُتل بالسيف ؛ فأكلوا ، فماتوا عن آخرهم .

فكتب إلى يوسف بن تاشفين : إنّك قد أردتَ قتلي بكلّ وجه ، فلم يظفرك الله بذلك ، فكفّ عن شرّك[1] ، فقد أعطاك الله المغرب بأسره ، ولم يعطني غير هذا الجبل ، وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الأسود ، فلم تقنع بما أعطاك الله ، عزّ وجلّ . فلمّا رأى يوسف أنّ سرّه قد انكشف وأنّه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله أعرض عنه وتركه .

ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم

في هذه السنة نقض ابن علويّ ما بينه وبين تميم بن المعزّ بن باديس أمير إفريقية من العهد ، وسار في جمع من عشيرته العرب ، فوصل إلى مدينة سُوسَة من بلاد إفريقية ، وأهلها غارّون لم يعلموا به ، فدخلها عنوةً ، وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامّة قتال ، فقُتل من الطائفتَيْن جماعة وكثر القتل في أصحابه والأسر ، وعلم أنّه لا يتمّ له مع تميم حال ، ففارقها ، وخرج منها إلى حلّته من الصحراء .

وكان بإفريقية هذه السنة غلاء شديد ، وبقي كذلك إلى سنة أربع وثمانين [وأربعمائة] ، وصلحت أحوال أهلها ، وأخصبت البلاد ، ورخصت الأسعار ، وأكثر أهلها الزرع .

---

1) A. سريرتك .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قطعت الحراميّة الطريق على قفل كبير بولاية حلب ، فركب آقسَنْقَر في جماعة من عسكره وتبعهم ، ولم يزل حتّى أخذهم وقتلهم ، فأمنت الطرق بولايته .

وفيها ورد العميد الأغرّ أبو المحاسن عبد الجليل بن علي الدُّهِسْتانيُّ إلى بغداذ عميداً ، وعُزل أخوه كمال الملك على ما ذكرناه .

وفيها درّس الإمام أبو بكر الشاشيُّ في المدرسة التي بناها تاج الملك مُستوفي السلطان بباب إبرز من بغداذ ، وهي المدرسة التاجيّة المشهورة .

وفيها عمرت منارة جامع حلب .

وفيها توفّي الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السلميُّ ، خطيب دمشق ، في ذي الحجّة .

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن صاعد بن محمّد . أبو نصر[1] النَّيسابوريُّ رئيسها ، ومولده سنة عشر وأربعمائة ، وكان من العلماء ؛ وعاصم بن الحسن ابن محمّد بن علي بن عاصم العاصميُّ البغداذيُّ من أهل الكرخ ، كان ظريفاً كيّساً ، له شعر حسن ، فمنه :

ماذا على مُتَلوّنِ الأخلاقِ لو زارني ، فأبثّهُ أشواقي
وأبوح بالشكوَى إليه تذلُّلاً ، وأفُضّ خَتمَ الدَّمْعِ من آماقي
فعساه يَسمحُ بالوصالِ لمُدنَفٍ ذي لَوعةٍ ، وصَبابةٍ ، مُشتاقِ
أسَرَ الفؤادَ ، ولم يرقّ لمُوثَقٍ ما ضرّه لو جادَ بالإطلاقِ

---

1) O= A.

Marfat.com

إن كان قد لَسَبَتْ[1] عقاربُ صُدْغِهِ قلبي ، فإنّ رُضَابَهُ دِرياقي

وقال أيضاً :

فدَيتُ مَن ذُبْتُ شوقاً من محبّتِهِ ، وصِرتُ من هَجرِه فوقَ الفِراش لَقا
سمعتُه يتَغنّى ، وهْو مُصطبِحٌ ، أفديهِ مُصطبِحاً منه ، ومُغْتبِقا
وأخْلَفَتْكَ ابنةُ البكريّ ما وعدَتْ، وأصْبحَ الحَبلُ منها واهياً خَلَقا

والصحيح أنّه توفّي سنة ثلاث وثمانين [وأربعمائة] .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، توفّي الشريف أبو القاسم العلويُّ ، الدبوسيُّ ، المدرّس بالنظاميّة ببغداذ ، وكان فاضلاً فصيحاً[2] .

1) *Abulf . Annales*, III, p. 270 : سلبت .

2) A. add. وتمت السنة .

---

١ لبست .

Marfat.com

٤٨٣

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جُهير

في هذه السنة ، في المحرّم ، توفّي فخر الدولة أبو نصر محمّد بن محمّد ابن جُهير الذي كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ، ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وتزوّج إلى أبي العقارب شيخها ، ونظر في إملاك جارية قرواش ، المعروفة بسرهنك ، ثم خدم بركة بن المقلّد[1] ، حتّى قبض على أخيه قرواش وحبسه ، ومضى بهدايا إلى ملك الروم ، فاجتمع هو ورسول نصر[2] الدولة بن مروان ، فتقدّم فخر الدولة عليه ، فنازعه رسول ابن مروان ، فقال فخر الدولة لملك الروم : أنا أستحقّ التقدّم عليه لأنّ[1] صاحبه يؤدّي الخراج إلى صاحبي .

فلمّا عاد إلى قريش بن بدران أراد القبض عليه ، فاستجار بأبي الشداد ، وكانت عُقَيل تُجير على أمرائها ، وسار إلى حلب ، فوزر لمعزّ الدولة أبي ثمال ابن صالح . ثم مضى إلى مَلَطْيَةَ ، ومنها إلى ابن مروان ، فقال له : كيف أمتّي وقد فعلتَ برسولي ما فعلتَ عند ملك الروم[3] ؟ فقال : حملني على ذلك نُصح صاحبي . فاستوزره ، فعمر بلاده .

---

1) A. ملك .

2) A. نصير .

3) Om. C. P.

---

١ لأنه .

Marfat.com

ووزر بعد نصر الدولة لولده ، ثم سار إلى بغداذ ، وولي وزارة الخليفة ، على ما ذكرناه ، وتولى أخذ ديار بكر من بني مروان ، على ما ذكرناه أيضاً ، ثم أخذها منه السلطان ، فسار إلى الموصل فتوفي بها .

ذكر نهب العرب البصرة

وفي هذه السنة ، في جمادى الأولى ، نهب العرب البصرة نهباً قبيحاً .

وسبب ذلك أنه ورد إلى بغداذ ، في بعض السنين ، رجل أشقر من سواد النَّيْل يدّعي الأدب ، والنجوم ، ويستجري الناس ؛ فلقّبه أهل بغداذ تِلْيَا[1] ، وكان نازلاً في بعض الخانات ، فسرق ثياباً من الديباج وغيره ، وأخفاها . في خلفا[2] ، وسار بها ، فرآها الذين يحفظون الطريق ؛ فمنعوه من السفر . اتّهاماً له[3] ، وحملوه إلى المقدّم عليهم ، فأطلقه لحرمة العلم .

فسار إلى أمير من أمراء العرب من[4] بني عامر ، وبلاده متاخمة الأحساء ، وقال له : أنت تملك الأرض ، وقد فعل أجدادك بالحاجّ كذا وكذا ؛ وأفعالهم مشهورة ، مذكورة في التواريخ ؛ وحسّن له نهب البصرة وأخذها ، فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل ، وقصد البصرة ، وبها العميد عِصمة ، وليس معه من الجند إلاّ اليسير ، لكون الدنيا آمِنةً من ذاعر ، ولأنّ الناس في جنّةٍ من هيبة السلطان ، فخرج إليهم في أصحابه ، وحاربهم ، ولم يمكّنهم من دخول البلد ، فأتاه من أخبره أنّ أهل البلد يريدون أن يسلّموه إلى العرب ، فخاف ، ففارقهم ؛ وقصد الجزيرة التي هي مكان القلعه بنهر معقل .

---

1) C. P. (بفتح التاء) تليا

2) Om. A.

3) Om. C. P.

4) A. addi. بلاد .

Marfat.com

فلمّا علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ، ودخل العرب حينئذ البصرة ، وقد قويت نفوسهم ، وملكوها ، ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً ، فكانوا ينهبون نهاراً ، وأصحاب العميد عِصْمة ينهبون ليلاً ، وأحرقوا مواضع عدّة ، وفي جملة ما أحرقوا داران[1] للكتب إحداهما وُقِفت قبل أيّام عضد الدولة ابن بويه ، فقال عضد الدولة : هذه مكرمة سُبِقنا إليها ؛ وهي أوّل دار وُقفتْ في الإسلام . والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مَرِدان ، وكان بها نفائس الكتب وأعيانها ، وأحرقوا أيضاً النحّاسين وغيرَها من الأماكن .

وخرّبت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير ، من جملتها : وقوف على الحمّال[1] الدائرة على شاطىء دجلة ، وعلى الدواليب التي تحمل الماء وتُرقّيه إلى قِنَى[2] الرصاص الجارية إلى المصانع ، وهي على فراسخ من البلد ، وهي من عمل محمّد بن سليمان[3] الهاشميّ وغيره .

وكان فعل العرب بالبصرة أوّل خَرَق جرى في أيّام السلطان ملكشاه . فلمّا فعلوا ذلك ، وبلغ الخبر إلى بغداذ ، انحدر سعد الدّولة كوهرائين ، وسيف الدولة صدقة بن مَزْيد إلى البصرة لإصلاح أمورها ، فوجدوا العرب قد فارقوها .

ثم إن تلْيَا أُخذ بالبحرين ، وأُرسل إلى السلطان ، فشهّره ببغداذ سنة أربع وثمانين [وأربعمائة] على جمل ، وعلى رأسه طُرطُورٌ ، وهو يُصْفَع بالدِّرَّة ، والناس يشتمونه ، ويسبّهم[4] ، ثم أمر به فصُلب .

---

1) A. الجمال .
2) A. قناة .
3) A. سليمان بن محمد .
4) C. P. ويشتمهم .

---

١ دارين .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قدم الإمام أبو عبد الله الطبريُّ بغداذ ، في المحرّم ، بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظاميّة ، ثم ورد بعده ، في شهر ربيع الآخر من السنة ، أبو محمّد عبد الوهاب الشيرازيُّ ، وهو أيضاً معه منشور بالتدريس ، فاستقرّ أن يدرّس يوماً ، والطبريّ يوماً .

Marfat.com

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جُهير

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، عُزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة .

وكان سبب عزله أنّ إنساناً يهودياً ببغداذ يقال له أبو سعد بن سَمْحا كان وكيل السلطان ونظام الملك ، فلقيه إنسان يبيع الحُصر[1] ، فصفعه صفعةً أزالت عمامته ، عن رأسه[1] ، فأخذ الرجل ، وحُمل إلى الديوان ، وسُئل عن السبب في فعله ، فقال : هو وضعني على نفسه ؛ فسار كوهرائين ومعه ابن سَمْحا اليهودي إلى العسكر يشكوان ، وكانا متّفقَيْن على الشكاية من الوزير أبي شجاع .

فلمّا سارا خرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمّة بالغيار ، ولُبْس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، فهربوا كلّ مهربٍ ؛ أسلم بعضهم ، فممّن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا[2] الكاتب ، وابن أخيه[3] أبو نصر هبة الله بن الحسن بن عليّ صاحب الخبر ، أسلما على يدَي الخليفة .

---

1) Om. A.

2) C. P. الوصلايا .

3) A. أخته .

---

١ الحصر .

ونُقل أيضاً عنه إلى السلطان ونظام الملك أنّه يكسر أغراضهم ويقبّح أفعالهم ، حتى إنّه لمّا ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال : وما هذا ممّا يُبشّر به ، كأنّه قد فتح بلاد الروم ، هل أتى إلاّ إلى قوم مسلمين موحّدين ، فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين !

فلمّا وصل كوهرائين وابن سمحا إلى العسكر وشكَوَا من الوزير إلى السلطان ونظام الملك ، وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما ، ويكسر من أغراضهما ، أرسلا إلى الخليفة في عزله ، فعزله ، وأمره بلزوم بيته ، وكان عزله يوم الخميس ، فلمّا أمر بذلك أنشد :

تولاّها وليسَ له عدوّ ، وفارقَها وليسَ لهُ صَدِيقُ

فلمّا كان الغد ، يوم الجمعة ، خرج من داره إلى الجامع راجلاً ، واجتمع الخلق العظيم عليه ، فأمر أن لا يخرج من بيته ، ولمّا عُزل استتيب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا ، كاتب الإنشاء ، وأرسل الخليفة إلى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جُهير ليستوزره ، فسُيّر إليه ، فاستوزره في ذي الحجّة من هذه السنة ، وركب إليه نظام الملك ، فهنّأه بالوزارة في داره ، وأكثر الشعراء تهنئته بالعود إلى الوزارة .

ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين

في هذه السنة ، في رجب ، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، صاحب بلاد المغرب ، من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين : قُرطُبة وإشبيلية ، وقبَض على المعتمد بن عبّاد صاحبها ، وملك غيرها من الأندلس .

ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمّد بن هارون

Marfat.com

الرشيد . قال أبو بكر عيسى بن اللّبانة الدانيّ ، من مدينة دَانِية : كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد في مجلس أُنسِهِ سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، فجرى ذكر غَرناطة ، وملك أمير المسلمين لها ، وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاّقة ، فلمّا ذكرناها تفجّع ، وتلهّف ، واسترجع ، وذكر قصرها[1] ، فدعونا لقصره[2] بالدوام ، ولملكه ، بتراخي الأيّام[3] . فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيليّ بالغناء فغنّى :

يا دارَ ميّةَ بالعَلياء فالسَّنَدِ أقْوَتْ، وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

فاستحالت مسرّتُهُ ، وتَجهّمَت أسِرّته . ثم أمر بالغناء من سِتارته فغُنّي :

إن شئتَ أن لا ترى صَبراً لمُصْطَبِرٍ ، فانظر إلى أيّ حالٍ أصبحَ الطَّلَلُ

فتأكّده[4] تطيّرُهُ ، واشتدّ اربدادُ وجهه وتغيّرُه ، وأمر مُغَنّيةً أخرى بالغناء ، فغنّت :

يا لَهْفَ نفسي على مالٍ أُفرّقُهُ[5] على المُقِلّينَ من أهلِ المُروءاتِ

إنّ اعتذاري إلى مَن جاء يسألُني ما ليسَ عنديَ من إحدى المُصيباتِ

قال ابن اللّبانة : فتلافيتُ الحال بأن قمتُ فقلتُ :

محلُّ مَكرُمةٍ لا هُدَّ مَبناهُ ، وشَمْلُ مَأثُرَةٍ لا شَتّتَهُ اللهُ

البَيتُ كالبَيتِ لكنْ زادَ ذا شَرفاً ، إنّ الرشيدَ مع المُعتَدّ رُكناهُ

ثانٍ على أنْجُمِ الجَوزاء مَقعَدُهُ ، وراحلٌ في سبيل اللهِ مَثواهُ

حتمٌ على المَلْك أن يقوَى وقد وُصِلَتْ بالشّرقِ والغَربِ يُمناه ويُسْراهُ

1) A. قصريها . 2) A. لعصره . 3) Om. C. P.
4) C. P. فأكد . 5) A. أجود به .

Marfat.com

بأسٌ توقّد ، فاحمرّتْ لَواحظُهُ[1] ونائِلٌ شَبَّ ، فاخضرَّتْ عِذاراهُ

فلَعمري قد بسطتُ من نفسه ، وأعدتُ عليه بعض أُنسه . على أني وقعت فيما وقع فيه الكلّ بقولي البيت كالبيت . وأمر إثر ذلك بالغناء فغُنّي :

ولمّا قضَيْنا من مِنى كلّ حاجةٍ ، ولم يبقَ إلاّ أن تزُمَّ الركائبُ

فأيقنّا أن هذه الطَّيْر ، تُعقب الغِيَر . فلمّا أراد أمير المسلمين ملْك الأندلس سار من مَرّاكُش إلى سَبتَة ، وأقام بها ، وسيّر العساكر مع سِير بن أبي بكر وغيره إلى الأندلس ، فعبروا الخليجَ فأتوا مدينة مُرسِية ، فملكوها وأعمالها ، وأخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها ، وساروا إلى مدينة شاطِبة ومدينة دَانِية فملكوهما .

وكانت بَلَنْسِيَةُ قد ملكها الفرنج قديماً ، بعد أن حصروها سبع سنين ، فلمّا سمعوا بوقعة الزّلاّقة فارقوها ، فملكها المسلمون أيضاً ، وعمروها وسكنوها ، فصارت الآن للمرابطين .

وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبةَ الزّلاّقة ، فقصدوا[2] مدينة إشبِيلِية ، وبها صاحبها المعتمد بن عبّاد ، فحصروه بها ، وضيّقوا عليه ، فقاتل أهلها قتالاً شديداً ، . وظهر من شجاعة[3] المعتمد ، وشدّة بأسه ، وحُسن دِفاعه عن بلده ما لم يُشاهَدْ من غيره ما يقاربه ، فكان يُلقي نفسه في المواقف التي لا يُرجَى خلاصه منها ، فيسلم بشجاعته ، وشدّة نفسه ، ولكن إذا نفدت المدّة ، لم تُغْنِ العُدّة .

وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس ، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم ، فجمعوا فأكثروا ، وساروا ليساعدوا

---

1) A. ملاحظه . 2) C. P. فملكوا . 3) A. واظهر من شجاعت .

المعتمدَ ، ويُعينوه على المرابطين ، فسمع سير بن أبي بكر ، مقدّم المرابطين ، بمسيرهم ، ففارق إشبيلية وتوجّه إلى لقاء الفرنج ، فلقيهم ، وقاتلهم ، وهزمهم، وعاد إلى إشبيلية فحصرها ، ولم يزل الحصار دائماً ، والقتال مستمرّاً إلى العشرين من رجب من هذه السنة ، فعظم الحرب ذلك اليوم ، واشتدّ الأمر على أهل البلد، ودخله المرابطون من واديه ، ونُهب جميع ما فيه ، ولم يبقوا على سَبَدٍ ولا لَبَدٍ ، وسلبوا الناس ثيابهم ، فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم ، وسُبيت المخدرات ، وانتُهكت الحُرُمات ، فأُخذ المعتمد أسيراً ، ومعه أولاده الذكور والإناث ، بعد أن استأصلوا جميع مالهم ، فلم يصحبهم من ملكهم بُلغة زادٍ .

وقيل : إنّ المعتمد سلّم البلد بأمان ، وكتب نسخة الأمان والعهد ، واستحلفهم به لنفسه ، وأهله ، وماله ، وعبيده ، وجميع ما يتعلّق بأسبابه . فلمّا سلّم إليهم إشبيلية لم يفوا له ، وأخذوهم أُسراء ، ومالهم غنيمةً ، وسُيّر المعتمد وأهله إلى مدينة أغْماتَ ، فحُبسوا فيها ، وفعل أمير المسلمين بهم أفعالاً لم يسلكها أحد ممّن قبله ، ولا يفعلها أحد ممّن يأتي بعده ، إلاّ من رضي لنفسه بهذه الرذيلة ، وذلك أنّه سجنهم فلم يُجْرِ عليهم ما يقوم بهم ، حتّى كانت بنات المعتمد يغزلن للناس بأُجرةٍ ينفقونها على أنفسهم ، وذكر ذلك المعتمد في أبيات تَرِدُ عند ذكر وفاته ، فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قُدرة .

وأغْمَات هذه مدينة في سفح جبل بالقرب من مَرّاكُش ، وسَيَرِدُ من ذكر المعتمد عند موته ، سنة ثمان وثمانين [وأربعمائة] ، ما يُعْرَف به محلّه .

قال أبو بكر بن اللّبانة : زُرْتُ المعتمِدَ بعد أسره بأغمات ، وقلتُ أبياتاً[1]

---

١ أبيات .

Marfat.com

عند دخولي إليه ، منها :

لم أقُلْ في الثَّقافِ كان ثِقافا ، كنتَ[1] قلباً به ، وكان شغافا
يَمكثُ الزَّهرُ في الكِمام ، ولكنْ بعدَ مكث الكِمام يدنو قِطافا
وإذا ما الهِلالُ غابَ بِغَيْمٍ لَمْ يَكُنْ ذلكَ المَغِيبُ انكِسافا
إنّما أنتَ دُرّة للمعالي[2] ، ركّبَ الدهرُ فوقها أصْدَافا
حَجَبَ البيتُ منك شخصاً كريماً ، مثلما تَحْجُبُ الدّنانُ[3] السُّلافا[4]
أنتَ للفضلِ كعبةٌ ، ولو انّي كنتُ أستطيعُ لالتزمتُ الطّوافا

قال : وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذّ من غفلات الرقيب ، وأشهى من رشفات الحبيب ، وأدلّ على السماح ، من فجر على صباح .

ولمّا أُخِذ المعتمد وأهله قُتل ولداه الفتح ويزيد بين يدَيْه صبراً ، فقال في ذلك :

يقولونَ صبراً ! لاَ سَبيلَ إلى الصَّبرِ ، سأبكي، وأبكي ما تطاولَ مِن عُمري
أفَتْحٌ لقَد فتّحتَ لي بابَ رَحمةٍ ، كمَا بِيَزيدَ ، اللهُ قد زاد في أجْري[5]
هوَى بكما المِقدارُ عنّي ، ولم أمُتْ ، فأُدعَى وفيّاً ، قد نكَصْتُ[6] إلى الغَدرِ
ولو عُدتُما لاخترتُما العودَ في الثّرى إذا أنتما أبصَرْتُمانيَ في الأسْرِ
أبا خالدٍ أورثتَني البَثَّ خالداً ، أبا نَصرَ مُذ وَدّعتَ ودّعني نصري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد ، وهو محبوس ، بالنثر والنظم ، يتوجّعون له ، ويتمنّون الزمان وأهلَه ، حيثُ مثله منكوب ؛ فمن ذلك ما قاله عبد الجبّار

---

1) A. كان .
2) A. المعالي .
3) A. الزجاج .
4) C. P. سلافا .
5) A. فخري .
6) A. نسبت .

ابن أبي بكر بن حَمديس . . وكتبه إليه[1] يذكر مسيرَهم عن إشبيلية إلى أغمات :

جَرَى لكَ جَدٌّ بالكرامِ عَثُورُ ، وجارَ زمانٌ كنتَ منه تُجيرُ
لقد أصبحَتْ بيضُ الظُّبى في غُمودها إناثاً لتَرْكِ الضَّربِ[2] ، وَهْيَ ذُكورُ
ولمّا رحَلْتم بالنَّدَى في أكُفّكُم ، وقُلقِلَ رَضْوَى منكمُ وثَبِيرُ
رفَعْتُ لساني بالقيامة قد أتَتْ ، ألا . فانظُروا كيفَ الجبالُ تَسِيرُ[3]

وقال شاعره ابن اللُّبانة في حادثته أيضاً :

تبكي السماءُ بدمعٍ[4] رائحٍ غادي على البَهاليلِ من أبناء عَبّادِ
على الجِبالِ التي هُدّتْ قَواعِدُها وكانتِ الأرضُ مِنها تَحْتَ أوتادِ[5]
عِرِّيسةٍ دَخَلَتْهَا الثائباتُ على أساودٍ منهمُ فيها وآسادِ
وكَعبةٍ كانتِ الآمالُ تَعمرُها ، فاليومَ لا عاكفٌ فيها ، ولا بادِ

ولمّا استقصى عسكر أمير المسلمين ملوكَ الأندلس ، وأخذ بلادهم ، جمع ملوكهم وسيّرهم إلى بلاد بالغرب[6] . وفرّقهم فيها ؛ ﴿ إنّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً ﴾[7] .

ولمّا فرغ سِير من إشبيلية سار إلى المَرِيّة فنازلها ، وكان صاحبها محمّد ابن ، معن بن صُمادح[8] ، فقال لولده : ما دام المعتمد بإشبيلية فلا نبالي بالمرابطين . فلمّا سمع بملكهم لها ، وما جرى للمعتمد ، مات في تلك الأيّام غمّاً وكمداً ، فلمّا مات سار ولده الحاجب وأهله في مراكب ، ومعهم كلُّ

---

1) Om. A.
2) C. P. الظبي .
3) A. فهذي الجبال الراسيات تسير .
4) A. يمزن .
5) In C. P. hic versus deest.
6) A. بالمغرب .
7) Cor. 27, vs. 34.
8) A. صمادح بن معن .

مالهم[1] ، وقصدوا بلاد بني حمّاد ، فأحسنوا إليهم .

وكان عُمر بن الأفطس ، صاحب بَطَلْيُوسَ ، ممّن أعان سِير على المعتمد ، فلمّا فُتحت إشبيلية رجع ابن الأفطس إلى بلده ، فسار إليه سِير ، وحاربه ، فغلبه[1] ، وأخذ بلده منه ، وأخذه أسيراً هو وولده الفضل ، فقتلهما ، فقال عمر حين أرادوا قتله : قدّموا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي ! فقُتل ولده قبله ، وقُتل هو[2] بعده ، واحتوى سير[3] على ذخائرهم وأموالهم .

ولم يترك من ملوك الأندلس سوى بني هود ، فإنّه لم يقصد بلادهم ، وهي شرق الأندلس ، وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود ، وهو من الشجعان الذين يُضرب المثل بهم ، وكان قد أعدّ كلّ ما[2] يحتاج إليه في الحصار ، وترك عنده ما يكفيه عدّة سنين بمدينة روطَةَ ، وكانت قلعة حصينة ، وكانت رعيته[4] تخافه ، ولم يزل يهادي أمير المسلمين ، قبل أن يقصد بلاد الأندلس ويَملِكها . ويواصله . ويُكثر مراسلته ، فرعى له ذلك ، حتّى إنّه أوصى ابنه علىّ بن يوسف عند موته بترك التعرّض لبلاد بني هود ، وقال : اتركْهم بينك وبين العدوّ ، فإنّهم شجعان .

ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلّية

في هذه السنة استولى الفرنج ، لعنهم الله ، على جميع جزيرة صِقِلِّية ، أعادها الله تعالى إلى الإسلام والمسلمين .

1) A. 2) C. P. أبوه . 3) C. P. 4) C. P. رعية .

---

١ كلّما لهم .
٢ كلّما .

Marfat.com

وسبب ذلك أنّ صِقِلّية كان الأمير عليها سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة أبا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمّد بن أبي الحسين ، ولاّه عليها العزيز العلويُّ ، صاحب مصر وإفريقية ، فأصابه هذه السنة فالج ، فتعطّل جانبه الأيسر ، وضعف الجانب الأيمن ، فاستناب ابنه جعفراً ، فبقي كذلك ضابطاً للبلاد ، حسن السيرة في أهلها إلى سنة خمس وأربعمائة ، فخالف عليه أخوه عليّ ، وأعانه جمع من البربر والعبيد ، فأخرج إليه أخوه جعفر جنداً من المدينة ، فاقتتلوا سابع شعبان ، وقُتل من البربر والعبيد خلق كثير ، وهرب من بقي منهم وأُخذ عليّ أسيراً ، فقتله أخوه جعفر ، وعظم قتله على أبيه ، فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيّام .

وأمر جعفر حينئذ أن يُنفى كلّ بربريّ بالجزيرة ، فنُفُوا إلى إفريقية ، وأمر بقتل العبيد ، فقُتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلّهم من أهل صِقِلّية . فقلّ[1] العسكر بالجزيرة ، وطمع أهل الجزيرة في الأمراء ، فلم يمض إلاّ يسير حتّى ثار به أهل صِقِلّية ، وأخرجوه ، وخلعوه ، وأرادوا قتله .

وسبب ذلك أنّه ولّى عليهم إنساناً صادرهم ، وأخذ الأعشار من غلاّتهم ، واستخفّ بقوادهم وشيوخ البلد ؛ وقهر جعفر إخوته ، واستطال عليهم ، فلم يشعر إلاّ وقد زحف إليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم ، فحصروه في قصره . في المحرّم[2] سنة عشر وأربعمائة ، وأشرفوا على أخذه ، فخرج إليهم أبوه يوسف في محفّة ، وكانوا له محبّين ، فلطف بهم ورفق ، فبكوا رحمةً له من مرضه ، وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم ، وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكحل ، ففعل ذلك .

وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم ، فسيّره في مركب إلى مصر ، وسار أبوه يوسف بعده ، ومعهما من الأموال ستّمائة ألف دينار وسبعون ألفاً ، وكان ليوسف من الدوابّ ثلاثة عشر ألف حِجْرة ، سوى البغال وغيرها ،

---

1) A. فضعف قتل . 2) C. P.

Marfat.com

ومات بمصر وليس له إلاّ دابّة واحدة .

ولمّا ولي الأكحل أخذ أمره بالحَزم والاجتهاد ، وجمع المقاتلة ، وبثّ سراياه في بلاد الكفرة ، فكانوا يحرقون ، ويغنمون ، ويسبون ، ويخرّبون البلاد ، وأطاعه جميع قلاع صِقِلّية التي للمسلمين .

وكان للأكحل ابنٌ اسمه جعفر كان يستنيبه[1] إذا سافر ، فخالف سيرة أبيه ، ثم • إنّ الأكحل[2] جمع أهل صِقلّية وقال : أُحبّ أن • أُشلِيكم على[3] الإفريقيّين الذين قد شاركوكم في بلادكم ، والرأي إخراجهم ؛ فقالوا : قد صاهرناهم وصرنا شيئاً واحداً ؛ فصرفهم . ثم أرسل إلى الإفريقيّين ، فقال لهم مثل ذلك ، فأجابوه إلى ما أراد ، فجمعهم حوله ، فكان يحمي أملاكهم ، ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلّية ، فسار من أهل صقلّية جماعة إلى المعزّ ابن باديس ، وشكوا إليه ما حلّ بهم ، وقالوا : نحب أن نكون في طاعتك ، وإلاّ سلّمنا البلاد إلى الروم ، وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، فسيّر معهم ولدَهُ عبد الله في عسكر ، فدخل المدينة ، وحصر الأكحل في الخلاصة . ثم اختلف أهل صقلّية ، وأراد بعضهم نُصرة الأكحل ، فقتله الذين أحضروا عبد الله بن المعزّ .

ثم إنّ الصقلّيّين رجع بعضهم على بعض ، وقالوا : أدخلتم غيركم عليكم ، والله لا كانت عاقبة أمركم فيه[4] إلى خير ! فعزموا على حرب عسكر المعزّ ، فاجتمعوا وزحفوا إليهم ، فاقتتلوا ، فانهزم عسكر المعزّ ، وقُتل منهم ثمانمائة رجل ، ورجعوا في المراكب إلى إفريقية ، وولّى أهل الجزيرة عليهم حسناً الصمصام ، أخا الأكحل ، فاضطربت أحوالهم ، واستولى الأراذل ، وانفرد كلّ إنسان ببلد ، وأخرجوا الصمصام ، فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازَرَ

.....

1) A. يستخلفه .
2) C. P. إنه .
3) A. أفرغكم من .
4) C. P.

Marfat.com

وطَرَابُنُش[1] وغيرهما ، وانفرد القائد عليّ بن نِعمة، المعروف بابن الحوّاس[2]، بقَصْرِيَانة[3] وجُرجنت وغيرهما ، وانفرد ابن الثمنة[4] بمدينة سَرَقُوسَة ، وقَطَانية[5] ، وتزوّج بأخت ابن الحوّاس[2] .

ثم إنّه[6] جرى ، بينها وبين زوجها[7] كلام فأغلظ كلٌّ منهما لصاحبه ، وهو سكران ، فأمر ابن الثمنة[4] بفصدها في عضُدَيْها ، وتركها لتموت ، فسمع ولده إبراهيم ، فحضر ، وأحضر الأطبّاء ، وعالجها إلى أن عادت قوّتها ، ولمّا أصبح أبوه ندم ، واعتذر إليها بالسكر ، فأظهرت قبول عُذره .

ثم إنّها طلبت منه بعد مدّة أن تزور أخاها ، فأذن لها ، وسيّر معها التُّحَف والهدايا ، فلمّا وصلتْ ذكرت لأخيها ما فعل بها ، فحلف أنّه لا يُعيدها إليه ، فأرسل ابن الثمنة[8] يطلبها ، فلم يردّها إليه ، فجمع ابن الثمنة عسكره ، وكان قد استولى على أكثر الجزيرة ، وخُطب له بالمدينة ، وسار ، وحصر ابن الحوّاس بقَصْرِيَانة ، فخرج إليه فقاتله ، فانهزم ابن الثمنة ، وتبعه إلى قرب مدينته قَطَانية[9] ، وعاد عنه بعد أن قتل من أصحابه فأكثر .

فلمّا رأى ابن الثمنة أنّ عساكره قد تمزّقت ، سوّلت لهْ نفسه الانتصار بالكفّار لما يريده الله تعالى ، فسار إلى مدينة مالطة[10] ، وهي بيد الفرنج قد ملكوها لمّا خرج بردويل الفرنجيُّ الذي تقدّم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة ، واستوطنها الفرنج إلى الآن ؛ وكان ملكها حينئذ رُجّار[11] الفرنجيُّ في جمع من الفرنج ، فوصل إليهم ابن الثمنة وقال : أنا أملّككم الجزيرة ! فقالوا : إنّ فيها جنداً كثيراً ، ولا طاقة لنا بهم ؛ فقال : إنّهم مختلفون ، وأكثرهم يسمع

---

1) A. وطرابلس . 2) C. P. ubique الجواس . 3) C. P. بقصرنانه ; A. ubique بقصربانه .
4) C. P. الثمنه ubique . 5) C. P. وقسطانية . 6) A.
7) C. P. بينهما . 8) C. P. ubique الثمنه .
9) C. P. قسطانية . 10) A. مايطة . 11) C. P. زحار ; A. راحار .

Marfat.com

قولي ؛ ولا يخالفون أمري . فساروا معه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، فلم يلقوا من يدافعهم . فاستولوا على ما مرّوا به في طريقهم ؛ وقصد بهم إلى قَصْرِيانة فحصروها ؛ فخرج إليهم ابن الحوّاس ، فقاتلهم ، فهزمه الفرنج ؛ فرجع إلى الحصن ؛ فرحلوا عنه ، وساروا في الجزيرة ، واستولوا على مواضع كثيرة ، وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين ، وسار جماعة من أهل صِقلّية إلى المعزّ بن باديس . وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف ، وغلبة الفرنج على كثير منها . فعمّر أسطولاً كبيراً[1] ، وشحنه بالرجال والعُدد ، وكان الزمان شتاء ، فساروا إلى قَوْصَرةَ ، فهاج عليهم البحر ، فغرق أكثرهم ، ولم ينجُ إلاّ القليل .

وكان ذهاب هذا الأسطول ممّا أضعف المعزّ ، وقوّى عليه العرب ، حتّى أخذوا البلاد منه . فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهلٍ وتؤدةٍ ، لا يمنعهم أحد ، واشتغل صاحب إفريقية بما دهمه من العرب ، ومات المعزّ سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . وولي ابنه تميم ؛ فبعث أيضاً أسطولاً وعسكراً إلى الجزيرة . وقدّم عليه ولدَيْه أيّوب وعليّاً ، فوصلوا إلى صِقِلّية . فنزل أيّوب والعسكر المدينة[2] . ونزل عليٌّ جُرجنت ، ثمّ انتقل أيّوب إلى جُرجنت . فأمر عليّ بن الحوّاس أن ينزل في قصره ، وأرسل هديّة كثيرة .

فلمّا أقام أيّوب فيها أحبّه أهلها ، فحسده ابن الحوّاس . فكتب إليهم ليُخرجوه ؛ فلم يفعلوا ، فسار إليه في عسكره ، وقاتله ؛ فشدّ أهل جُرجنت من أيّوب ؛ وقاتلوا معه . فبينما ابن الحوّاس يقاتل أتاه سهم غربٍ فقتله ، فملّك العسكر عليهم أيّوبَ .

ثمّ وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدّت إلى القتال ، ثمّ زاد

.....

1) A. كثيراً .

2) C. P.

Marfat.com

الشرّ بينهم ، فاجتمع أيّوب وعليّ أخوه ، ورجعا في الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى وستّين [وأربعمائة]، وصحبهم جماعة من أعيان صِقلّية والأسطوليّة، ولم يبق للفرنج ممانع ، فاستولوا على الجزيرة ، ولم يثبت بين أيديهم غير قَصْريانة وجُرجنت ، فحصرهما الفرنج ، وضيّقوا على المسلمين بهما ، فضاق الأمر على أهلهما[1] حتّى أكلوا الميتة ، ولم يبق عندهم ما يأكلونه . فأمّا أهل جُرجنت فسلّموها إلى الفرنج ، وبقيت قَصْريانة بعدها ثلاث سنين ، فلمّا اشتدّ الأمر عليهم أذعنوا إلى التسليم ، فتسلّمها الفرنج ، لعنهم الله ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وملك رجّار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ، ولم يترك لأحد من أهلها حمّاماً ، ولا دكّاناً ، ولا طاحوناً .

ومات رجّار ، بعد ذلك ، قبل التسعين والأربعمائة ، وملك بعده[2] ولده رجّار ، فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجّاب ، والسلاحيّة ، والجانداريّة ، وغير ذلك ، وخالف عادة الفرنج ، فإنّهم لا يعرفون شيئاً منه ، وجعل له ديوان المظالم تُرفع[1] إليه شكوى المظلومين ، فينصفهم ولو من ولده ، وأكرم المسلمين ، وقرّبهم ومنع عنهم الفرنج ، فأحبّوه ، وعمّر أسطولاً كبيراً ، وملك الجزائر التي بين المهديّة وصِقلّية ، مثل مَالِطة ، وقَوْصَرَة ، وجَرْبَة ، وقَرْقَنَّة[2] ، وتطاول إلى سواحل إفريقية ، فكان منه ما نذكره إن شاء الله .

---

1) A. يرفع .

2) C. P. ومرقه ; A. وقرقية .

---

١ أهلها .

٢ بعده .

Marfat.com

ذكر وصول السلطان إلى بغداذ

في هذه السنة ، في شهر رمضان ، وصل السلطان إلى بغداذ ، وهي المرّة الثانية ، ونزل بدار المملكة ، ونزل أصحابه متفرّقين ، ووصل إليه أخوه تاج الدولة تُتُش ، وقسيم الدولة آقسَنْقَر ، صاحب حلب ، وغيرهما من زعماء الأطراف ، وعُمل الميلاد ببغداذ ، وتأنّقوا في عمله ، فذكر الناس أنّهم لم يروا ببغداذ مثله أبداً ، وأكثر [1] الشعراء وصف تلك الليلة ، فممّن قال المطرّز :

وكلُّ نارٍ على العُشّاقِ مُضرَمَةٍ ... من نارِ قلبي ،أو من لَيلةِ السَّذَقِ [1]
نارٌ تجلّتْ بها الظّلماء، واشتبهتْ ... بسُدفةِ الليلِ فيه غُرّةُ الفلَقِ
وزارت الشمس فيها البدرَ واصطلحا ... على الكواكب بعدَ الغيظِ والحنَقِ
مدّتْ على الأرض بُسطاً من جواهرها ... ما بينَ مجتمع وارٍ ومُفْتَرِقِ [2]
مثلَ المصابيحِ إلاّ أنّها نزلتْ ... من السماء بلا رَجْمٍ ولا حرَقِ
أعجِبْ بنارٍ ورِضوانٌ يُسعّرُها ... ومالكٌ قائمٌ منها على فرَقِ
في مجلسٍ ضحكتْ روضُ الجِنان له ... لمّا جلا ثغره عن واضحٍ يقَقِ
وللشُّموع عُيونٌ كلّما نظرتْ ... تظلّمتْ من يدَيها أنجمُ الغسَقِ [2]
من كلّ مُرهفةِ الأعطافِ كالغُصُنِ ... الميّادِ ، لكنّه عارٍ من الورَقِ

---

1) A. الصدق .

2) A. الثق .

---

١ وأكثروا .

٢ ومفترق .

Marfat.com

إنّي لأعْجَبُ[1] منها ، وهْيَ وادعةٌ تبكي ، وعيشتُها من ضَربةِ العُنُقِ

وفي هذه المرّة أمر بعمارة جامع السلطان . فابتدىء في عمارته في المحرّم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وعمل قبلته بهرام منجّمه ، وجماعة من أصحاب الرصد ، وابتدأ بعده نظام الملك . وتاج الملوك . والأمراء الكبار بعمل دورٍ لهم يسكنونها إذا قدموا بغداذ ، فلم تطلْ مدّتهم بعدها ، وتفرّق شملهم بالموت ، والقتل ، وغير ذلك في باقي سنتهم . ولم تُغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئاً . فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره[1] .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصل ابن أبي هاشم من مكّة مستغيثاً من التركمان .

وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداذ ، فعالج نفسه بالصدقة ، فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يُحصى ، وتصدّق عنه الأعيان ، والأمزاء من عسكر السلطان ، فعوفي ، وأرسل [له] الخليفة خِلعاً نفيسة .

وفيها ، في تاسع شعبان ، كان بالشام ، وكثير من البلاد ، زلازل كثيرة ، وكان أكثرها بالشام ، ففارق الناس مساكنهم ، وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن ، وهلك تحتها عالم كثير ، وخرب من سورها تسعون برجاً ، فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها .

وفيها ، في شوّال ، توفّي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمّد بن عللك[2]

.....

1) A. ملكه . 2) A. علمك .

---

١ لا عجبت .

الفقيه الشافعيُّ ، وهو من رؤساء الفقهاء الشافعيّة ، وهو الذي تقدّم ذكره في فتح سَمَرقَند ، ومشى أرباب الدولة السلطانيّة كلّهم في جنازته ، إلاّ نظام الملك ، فإنّه اعتذر بعلوّ السنّ ، وأكثر البكاء عليه ، ودُفن عند الشيخ أبي إسحاق • بباب ابرز[1] ؛ وزار السلطان قبره .

وتُوفّي محمّد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفيُّ ، قاضي الريّ ، وكان من أعيان الفقهاء الحنفيّة يميل إلى الاعتزال ، وكان موته في رجب .

وفيها • في شعبان[1] توفّي أبو الحسن عليُّ بن الحسين بن طاووس المقري بمدينة صور .

1) Om. A.

Marfat.com

٤٨٥

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيّان

في هذه السنة جمع أذفونش عساكره ، وجموعه ، وغزا بلاد جيّان من الأندلس ، فلقيه المسلمون وقاتلوه ، واشتدّت الحرب ، فكانت الهزيمة أوّلاً على المسلمين ، ثم إنّ الله تعالى ردّ لهم الكرّة على الفرنج ، فهزموهم ، وأكثروا القتل فيهم ، ولم ينجُ إلاّ الأذفونش في نفر يسير ؛ وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع ، بعد الزلاّقة ، وأكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم .

ذكر استيلاء تُتُش على حمص وغيرها من ساحل الشام

لمّا كان السلطان ببغداذ قدم إليه أخوه تاج الدولة تُتُش من دمشق ، وقسيم الدولة آقسنقَر من حلب ، وبُوزان من الرُّها ، فلمّا أذن لهم السلطان في العود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة ، حتّى يستولي على ما للخليفة المستنصر[1] العلويّ ، بساحل الشام ، من البلاد ، ويسير ، وهم معه ، إلى مصر ليملكها .

فساروا أجمعون[1] إلى الشام ، ونزل على حمص ، وبها ابن مُلاعب صاحبها ،

---

1) A.

Marfat.com

وكان الضرر به وبأولاده عظيماً على المسلمين ، فحصروا البلد ، وضيّقوا على من به ، فملكه تاج الدولة ، وأخذ ابن ملاعب وولدَيْه ، وسار إلى قلعة عَرْقَة فملكها عَنوةً ، وسار إلى قلعة أفامِيَةَ فملكها أيضاً ، وكان بها خادم للمصريّ ، فنزل بالأمان فأمّنه ، ثم سار إلى طرابلس فنازلها ، فرأى صاحبها جلال الملك ابن عمّار جيشاً لا يُدفع إلاّ بحيلة ، فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة ، وأطمعهم ليصلحوا حاله ، فلم يَرَ فيهم مطمعاً .

وكان مع قسيم الدولة آقسنقَر وزير له اسمه زرّين كمر[1] ، فراسله ابن عمّار فرأى عنده ليناً ، فأتحفه وأعطاه ، فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ليدفع عنه ، وحمل له ثلاثين ألف دينار ، وتحفاً بمثلها ، وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد ، والتقدّم إلى النّواب بتلك البلاد بمساعدته ، والشدّ معه[2] ، والتحذير من محاربته ، . فقال آقسنقَر لتاج الدولة تُتُش : لا أقاتل مَنْ هذه المناشير بيده[3] ؛ فأغلظ له تاج الدولة ، وقال : هل أنت إلاّ تابع لي ؟ فقال آقسنقَر : أنا أتابعك إلاّ في معصية السلطان ؛ ورحل من الغد عن موضعه ، فاضطرّ تاج الدولة إلى الرحيل ، فرحل غضبان ، وعاد بُوزان أيضاً إلى بلاده ، فانتقض هذا الأمر .

ذكر ملك السلطان اليمن

وكان ممّن[4] حضر أيضاً عند السلطان ببغداذ جبق أمير التركمان ، وهو صاحب قَرَميسِين وغيرها ، فأمره السلطان أن يسير هو ومعه جماعة من أمراء السلطان[5]

---

1) A. زريكمر .
2) A. مـ .
3) Om. A.
4) A. فيمن .
5) A. التركمان .

ذكرهم . إلى الحجاز واليمن ، ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين ، ليفتحوا البلاد هناك ، فاستعمل عليهم سعدُ الدولة أميراً اسمه ترشك ، فساروا حتّى وردوا اليمن ، فاستولوا عليها ، وأساءوا السيرة في أهلها ، ولم يتركوا فاحشةً ولا سيئةً إلاّ ارتكبوها . وملكوا عَدَن . وظهر على ترشك الجدريُّ ، فتوفّي في سابع يوم من وصوله إليها ، وكان عمره سبعين سنة . فعاد أصحابه إلى بغداذ . وحملوه ، فدفنوه عند قبر أبي حنيفة ، رحمة الله عليه .

ذكر مقتل نظام الملك

في هذه السنة ، عاشر رمضان . قُتل نظام الملك أبو عليّ الحسن بن عليّ ابن إسحاق الوزير بالقرب من نَهَاوَنْد ، وكان هو والسلطان في أصبهان ، وقد عاد إلى بغداذ ، فلمّا كان بهذا المكان ، بعد أن فرغ من إفطاره ، وخرج في محفّته إلى خيمة حُرمه ، أتاه[1] صبيٌّ ديلميٌّ من الباطنيّة ، في صورة مستميح ، أو مستغيث . فضربه بسكّين ، كانت معه[1] ، فقضى عليه وهرب ، فعثر بطنب خيمة ، فأدركوه فقتلوه ، وركب السلطان إلى خيمه[2] ، فسكن عسكره وأصحابه .

وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان ألب أرسلان ، صاحب خُراسان ، أيّام عمّه طغرلبك ، قبل أن يتولّى السلطنة . وكان علت سنّه ، فإنّه كان مولده سنة ثمان وأربعمائة .

1) Om. C. P. 2) A. خيمت .

---

١ فأتاه . .

Marfat.com

وكان سبب قتله أنّ عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاّه جدّه نظام الملك رئاسة مرو . وأرسل السلطان إليها شِحنة يقال له قودَن ، وهو من أكبر مماليكه ، ومن أعظم الأمراء في دولته ، فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شيء ، فحملتْ عثمانَ حداثة سنّه ، وتمكّنه ، وطمعه بجدّه ، على أن قبض عليه ، وأخرق به ، ثم أطلقه ، فقصد السلطانَ مستغيثاً شاكياً ، فأرسل السلطان إلى نظام الملك رسالة ، مع تاج الدولة[1] ومجد الملك البلاسانيّ وغيرهما من أرباب دولته يقول له : إن كنتَ شريكي في الملك ، ويدك مع يدي في السلطنة ، فلذلك[2] حكم ، وإن كنتَ نائبي ، وبحكمي ، فيجب أن تلزم حدّ التبعيّة والنيابة ، وهؤلاء أولادك قد استولى كلّ واحد منهم على كورة عظيمة ، وولي ولاية كبيرة ، ولم يقنعهم ذلك ، حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى[3] أن فعلوا كذا وكذا ؛ وأطال القول ، وأرسل معهم الأمير يلبرد ، وكان من خواصّه وثقاته ، وقال له : تعرّفني ما يقول ، فربّما كتم هؤلاء شيئاً .

فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة ، فقال لهم : قولوا للسلطان إن كنتَ ما علمتَ أني شريكك في الملك فاعلم ، فإنّك ما نلتَ هذا الأمر إلاّ بتدبيري ورأيي ، أما يذكر حينَ قُتل أبوه فقمتُ بتدبير أمره ، وقمعتُ الخوارج عليه من أهله ، وغيرهم ، منهم : فلان وفلان ، وذكر جماعة مَن خرج عليه ، وهو ذلك الوقت يتمسّك بي ويلزمني ، ولا يخالفني . فلمّا قُدتُ الأمور إليه ، وجمعتُ الكلمة عليه ، وفتحتُ له الأمصار القريبة والبعيدة ، وأطاعه القاصي والداني ، أقبل يتجنّى لي الذنوب ، ويسمع فيّ السعايات ؟ قولوا له عنّي : إنّ ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة ، وإنّ اتّفاقهما رباط كلّ رغيبة[4] وسبب كل غنيمة ، ومتى أطبقتُ هذه زالت تلك ، فإن عزم على تغيير

---

1) Om. A.
2) A. فلك .
3) A. في .
4) C. P. رعت .

Marfat.com

فليتزوّد للاحتياط[1] قبل وقوعه ، وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه؛ وأطال فيما هذا سبيله ، ثم قال لهم : قولوا للسلطان عنّي مهما أردتم ، فقد أهمّني[2] ما لحقني من توبيخه وفتّ[1] في عضدي .

فلمّا خرجوا من عنده اتّفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان ، وأن يقولوا له ما مضمونه العبوديّة والتنصّل ، ومضوا إلى منازلهم ، وكان الليل قد انتصف ، ومضى يلبرد إلى السلطان فأعلمه ما جرى ، وبكّر الجماعة إلى السلطان ، وهو ينتظرهم ، فقالوا له من الاعتذار والعبوديّة ما كانوا اتّفقوا عليه ، فقال لهم السلطان : إنّه لم يقلْ هذا ، وإنّما قال كيت وكيت ؛ فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحقّ نظام الملك ، وسابقته ، فوقع التدبير عليه ، حتّى تمّ عليه من القتل ما تمّ . ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوماً ، وانحلّت الدولة ، ووقع السيف ، وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له ، وأكثر الشعراء مراثيه ، فمن جيّد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية :

كان الوزيرُ نظامُ الملكِ لؤلؤةً ، يتيمةً صاغَها الرحمن من شَرَفِ
عزَّتْ[3] ، فلم تَعرِفِ الأيامُ قيمتَها فردَّها ، غَيرةً منه ، إلى الصَّدَفِ

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله في المنام ، فسأله عن حاله ، فقال : كان يعرض عليّ جميع عملي لولا الحديدة التي أُصِبتُ بها ؛ يعني القتل .

---

1) C. P. للاختلاط .
2) A. دهمني .
3) A. بدت .

---

١ مافت :

ذكر ابتداء حاله[1] وشيء من أخباره

أمّا ابتداء حاله ، فكان من أبناء الدهاقين بطوس ، فزال ما كان لأبيه من مال ، وملك ، وتوفّيت أمّه وهو رضيع ، فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضِعْنَه حِسبةً ، حتّى شبّ ، وتعلّم العربيّة ، وسِرُّ الله فيه يدعوه إلى علو الهمّة ، والاشتغال بالعلم ، فتفقّه ، وصار فاضلاً ، وسمع الحديث الكثير ، ثم اشتغل بالأعمال السلطانيّة ، ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض[2] حضراً وسفراً .

وكان يطوف بلاد خُراسان ، ووصل إلى غَزنة في صحبة بعض المتصرّفين ، ثمّ لزم أبا عليّ بن شاذان متولّي الأمور ببَلخ لداود والد السلطان ألب أرسلان ، فحسنت حاله معه ، وظهرت كفايته وأمانته ، وصار معروفاً عندهم بذلك ، فلمّا حضرتْ أبا عليّ بن شاذان الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان به ، وعرّفه حاله ، فولاّه شغْله ، ثم صار وزيراً له إلى أن ولي السلطنة بعد عمّه طغرلبك ، واستمرّ على الوزارة لأنّه ظهرت منه كفاية عظيمة ، وآراء سديدة قادت[3] السلطنة إلى ألب أرسلان ، فلمّا توفّي ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملكشاه ، وقد تقدّم ذكر هذه الجمل مستوفًى مشروحاً .

وقيل إنّ ابتداء أمره ، أنّه كان يكتب للأمير تاجر ، صاحب بلخ ، وكان الأمير[4] يصادره في رأس كلّ سنة ، ويأخذ ما معه ، ويقول له : قد سمنتَ يا حسن ! ويدفع إليه فرساً ومقرعة ويقول : هذا يكفيك ؛ فلمّا طال ذلك عليه أخفى ولديه فخر الملك ، ومؤيّد الملك[5] ، وهرب إلى جغري بك داود ، والد ألب أرسلان ، فوقف فرسه في الطريق ، فقال : اللّهم إني أسألك فرساً

---

1) A. أمره .
2) A. ينخفض .
3) A. فادت .
4) A. ابن شاذان كان .
5) Om. C. P.

Marfat.com

تخلّصني عليه ! فسار غير بعيد ، فلقيه تركمانيٌّ وتحته فرس جواد ، فقال لنظام الملك : انزل عن فرسك ، فنزل عنه ، فأخذه التركمانيُّ وأعطاه فرسه ، فركبه وقال له : لا تنسني [1] يا حسن . قال نظام الملك : فقَوِيَت نفسي بذلك ، وعلمتُ أنّه ابتداء سعادةٍ . فسار نظام الملك إلى مرو ، ودخل على داود ، فلمّا رآه أخذ بيده ، وسلّمه إلى ولده ألب أرسلان ، وقال له : هذا حسن الطوسيُّ ، فتسلّمْه ، واتّخذْه والداً لا تخالفهُ .

وكان الأمير تاجر لمّا سمع بهرب نظام الملك سار في أثره إلى مرو ، فقال لداود : هذا كاتبي ونائبي قد أخذ أموالي ؛ فقال له داود : حديثك مع محمّد ، يعني ألب أرسلان ، ، فكان اسمه محمّداً[2] ، فلم يتجاسر تاجر على خطابه ، فتركه وعاد .

وأمّا أخباره ، فإنّه كان عالماً ، ديّناً ، جواداً ، عادلاً ، حليماً ، كثير الصفح عن المذنبين ، طويل الصمت ، كان مجلسه عامراً بالقرّاء ، والفقهاء ، وأئمّة المسلمين ، وأهل الخير والصلاح ؛ أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد ، وأجرى لها الجرايات العظيمة ، وأملى الحديث بالبلاد : ببغداذ وخُراسان وغيرهما ، وكان يقول : إنّي لستُ من أهل هذا الشأن ، لمَا تولاّه ، ولكنّي أحبّ أن أجعل نفسي على قِطار نَقَلَة حديث رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم .

وكان إذا سمع المؤذّن أمسك عن كلّ ما هو فيه وتجنّبه ، فإذا فرغ

---

1) A. ابن شاذان .

2) Om. C. P.

---

١ تنساني .

٢ محمد .

Marfat.com

لا يبدأ بشيء قبل الصلاة ، وكان ، إذا غفل[1] المؤذّن ودخل الوقت يأمره بالأذان ، وهذا غاية حال المنقطعين إلى العبادة في حفظ الأوقات ، ولزوم الصلوات .

وأسقط المكوس والضرائب ، وأزال لعن الأشعريّة من المنابر ، وكان الوزير عميد الملك الكُندُريُّ قد حسّن للسلطان طغرلبك التقدّم[1] بلعن الرافضة ، فأمره بذلك ، فأضاف إليهم الأشعريّة ، ولعن الجميع ، فلهذا فارق كثير من الأئمّة بلادهم ، مثل إمام الحرمَيْن ، وأبي القاسم القُشَيريّ ، وغيرهما ، فلمّا وليَ ألب أرسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه ، وأعاد العلماء إلى أوطانهم .

وكان نظام الملك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيريُّ ، والإمام أبو المعالي الجُوينيُّ ، يقوم لهما ، ويجلس في مسنده ، كما هو ، وإذا دخل أبو عليّ الفارمذيُّ يقوم ، إليه ، ويُجْلسه في مكانه[2] ، ويجلس هو بين يدَيْه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنّ هذَيْن وأمثالهما[3] إذا دخلوا عليّ[4] يقولون لي : أنت كذا وكذا ، يُثنون عليّ بما ، ليس فيّ[5] ، فيزيدني كلامهم عُجباً وتيهاً ، وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي ، وما أنا فيه من الظلم ، فتنكسر نفسي لذلك ، وأرجع عن كثير ممّا أنا فيه .

وقال نظام الملك : كنتُ أتمنّى أن يكون لي قرية خالصة ، ومسجد أتفرّد[6] فيه لعبادة ربّي ، ثم بعد ذلك تمنّيتُ أن يكون لي قطعة أرض أتقوّت بريعها ، ومسجد أعبد الله فيه[7] ، وأمّا الآن فأنا أتمنّى أن يكون لي رغيف كلّ

---

1) A. التقرير .
2) A. عن مجلسه .
3) A. ويقول .
4) A. add. أولئك .
5) A. يسرني .
6) A. أنفرد .
7) Om. C. P.

---

١ أغفل .

١٤ ١٠ ١٠

Marfat.com

يوم ، ومسجد أعبد الله فيه .

وقيل : كان ليلة يأكل الطعام ، وبجانبه أخوه أبو القاسم ، وبالجانب الآخر عميد خُراسان ، وإلى جانب العميد إنسان فقير ، مقطوع اليد ، فنظر نظام الملك ، فرأى العميد يتجنّب الأكل مع المقطوع ، فأمره بالانتقال إلى الجانب الآخر . وقرّب المقطوع إليه[1] فأكل معه .

وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه ، ويقرّبهم إليه ، ويدنيهم . وأخباره مشهورة كثيرة ، قد جُمعتْ لها المجاميع السائرة في البلاد .

ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته

سار السلطان ملكشاه ، بعد قتل نظام الملك ، إلى بغداذ ، ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان ، ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جُهير ، وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة . وكان السلطان قد أمر أن تفصّل خِلَعُ الوزارة لتاج الملك ، وكان هو الذي سعى بنظام الملك ، فلمّا فرغ من الخلع ، ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدست . اتّفق أنّ السلطان خرج إلى الصيد ، وعاد ثالث شوّال مريضاً ، وأنشب الموت أظفاره فيه ، ولم يمنع عنه سَعَة ملكه ، وكثْرة عساكره .

وكان سبب مرضه أنّه أكل لحم صيد فحُمّ وافتصد ، ولم يستوف إخراج الدم ، فثقُل مرضه ، وكانت حُمّى محرقة ، فتوفّي ليلة الجمعة ، النصف من شوّال .

---

١ اليد .

ولمّا ثقل نقل أرباب دولته أموالهم إلى حريم دار الخلافة ، ولمّا توفّي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلاليّة موته وكتمتْهُ ، وأعادتْ جعفراً[1] ابن الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدي بأمر الله ، وسارت من بغداذ والسلطان معها محمولاً ، وبذلت الأموال للأمراء سِرّاً ، واستحلفتهم لابنها محمود ، وكان تاج الملك يتولّى ذلك لها ، وأرسلت قوام الدولة كربُوقا الذي صار صاحب الموصل إلى أصبهان بخاتم السلطان ، فاستنزل مستحفظ القلعة ، وتسلّمها ، وأظهر أنّ السلطان أمره بذلك ، ولم يُسمع بسلطان مثله لم يُصَلّ عليه أحدٌ ، ولم يُلْطَمْ عليه وجهٌ .

وكان مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وكان من أحسن الناس صورةً ومعنى ، وخُطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن ، وحمل إليه ملوك الروم الجزية ، ولم يَفُتْهُ مطلبٌ ، وانقضت أيّامه على أمن عامٍ ، وسكون شامل ، وعدل مُطّردٍ .

ومن أفعاله أنّه لمّا خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد عليّ بن موسى الرِّضا بطُوس ، فزاره ، فلمّا خرج قال لنظام الملك : بأيّ شيء دعوتَ ؟ قال : دعوتُ الله أن ينصرك[1] : فقال : أمّا أنا فلم أدعُ بهذا بل قلتُ : اللّهم انصر أصلحَنا للمسلمين ، وأنفعنا للرعيّة .

وحُكي عنه أنّ سواديّاً لقيه وهو يبكي ، فاستغاث به ، وقال : كنتُ ابتعتُ بطيخاً بدُريهمات لا أملك سواها ، فغلبني عليه ثلاثة نفر من الأتراك ، فأخذوه منّي . فقال السلطان له : اقعد ! ثم أحضر فرّاشاً وقال: قد اشتهيتُ بطيخاً ؛ وكان ذلك عند أوّل استوائه ، وأمره بطلبه من العسكر ، فغاب ثم عاد

---

1) A. ينصرنا .

---

١ جعفر .

Marfat.com

ومعه البطيخ ، فأمره بإحضار من وجده عنده ، فأحضره ، فسأله السلطان من أين له ذلك البطيخ ؟ فقال : غلماني جاؤوني به ؛ فأمر أن يجيء بهم إليه ، فمضى ، وأمرهم بالهرب ، وعاد فقال : لم أجدهم ؛ فقال للسواديّ : خذ[1] مملوكي هذا قد وهبتُه لك عوضاً عن بطيخك ، ويُحضر الذين أخذوه ، والله لئن أطلقتَه لأضربنّ عنقك . فأخذه السواديُّ ، فاشترى الغلام نفسه منه بثلاثمائة دينار ، • فعاد السواديُّ إلى السلطان ، وقال : قد بعتُه نفسه بثلاثمائة دينار[2] ؛ فقال : أرضيتَ بذلك ؟ قال : نعم ! قال : امض مصاحَباً .

وقال عبد السميع بن داود العبّاسيُّ : شاهدتُ ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السُّفلى ، من قرية الحدّاديّة ، يُعرفان بابنَيْ غزّال ، فلقياه ، فوقف لهما ، فقالا : إنّ مُقطعنا الأمير خمارتكين قد صادرَنا بألف وستّمائة دينار ، وقد كسر ثنيّتَيْ أحدنا[3] ، وأراهما السلطان ، وقد قصدناك[4] لتقتصّ لنا منه ، فإن أخذتَ بحقّنا كما أوجب الله عليك ، وإلاّ فالله يحكم بيننا .

قال فرأيتُ السلطان وقد نزل عن دابّته وقال : ليمسك كلّ واحد منكما بطرف كمّي ، واسحباني إلى خواجه حسن ، يعني نظام الملك ؛ فامتنعا من ذلك ، واعتذرا ، فأقسم عليهما إلاّ فعلا ، فأخذ كلُّ واحد منهما بكمّ من كمّيه[5] ومشى معهما إلى نظام الملك ، فبلغه الخبر ، فخرج مسرعاً ، فلقيه وقبّل الأرض ، وقال : يا سلطان العالم ! ما حملك على هذا ؟ فقال : كيف يكون حالي غداً عند الله إذا طولبتُ بحقوق المسلمين ، وقد قلّدتُك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف ، فإن نال الرعيّة أذًى فأنت المطالَب ، فانظر لي ولنفسك .

فقبّل الأرض ، ومشى في خدمته ، وعاد من وقته ، وكتب بعزل الأمير

---

1) A. 2) Om. A 3) A. أميرنا .
4) A. أتيناك . 5) A. أكمامه .

Marfat.com

خمارتكين عن إقطاعه ، وردّ المال عليهما ، وأعطاهما مائة دينار من عنده ، وأمرهما بإثبات البيّنة أنّه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه[1] عوضهما ، فرضيا وانصرفا .

وقيل إنّه ورد بغداذ ثلاث دفعات ، فخافه الناس من غلاء الأسعار ، وتعدّي الجند ، فكانت الأسعار أرخص منها قبل قدومه ، وكان الناس يخترقون عساكره ليلاً ونهاراً ، فلا يخافون[1] أحداً ، ولم يتعدّ عليهم أحدٌ ، وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد ، وعمر الطرق ، والقناطر ، والرُّبُط التي في المفاوز ، وحفر الأنهار الخراب ، وعمر الجامع ببغداذ ، وعمل المصانع بطريق مكّة ، وبنى[2] البلد بأصبهان ، وبنى[2] منارة القرون بالسُّيبي[2] بطريق مكّة ، وبنى[2] مثلها بما وراء النهر ، واصطاد مرّة صيداً كثيراً ، فأمر بعدّه ، فكان عشرة آلاف رأس ، فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار ، وقال : إنّي خائف من الله تعالى كيف أزهقتُ أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة ؛ وفرّق من الثياب والأموال بين أصحابه ما لا يحصى ، وصار بعد ذلك كلّما صاد شيئاً تصدّق بعدده دنانير ، وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته ، وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضاً .

وقيل إنّ بعض أمراء السلطان كان نازلاً بهَراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره ، فقال يوماً ذلك الأمير للسلطان ، وهو سكران : إنّ عبد الرحمن يشرب الخمر ، ويعبد الأصنام من دون الله تعالى ، ويحلّل الحرام ؛ فلم يجبه ملكشاه ، فلمّا كان الغد صحا ذلك الأمير ، فأخذ السلطان السيفَ ، وقال له : اصدقني عن فلان ، وإلاّ قتلتُك ! فطلب منه الأمان ، فأمنه ، فقال :

---

1) A. يحالقون .

2) C. P. sine punctis.

---

١ تبيّنه .

٢ وبنا .

Marfat.com

إنّ عبد الرحمن له دار حسناء ، وزوجة جميلة ، فأردتُ أن تقتله فأفوز بداره وزوجته ؛ فأبعده السلطان . وشكر الله تعالى على التوقّف عن قبول سعايته . وتصدّق بأموال جليلة المقدار .

ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارُق إلى أن ملك

لمّا مات السلطان ملكشاه كتمتْ زوجته تركان خاتون موته ، كما ذكرناه ، وأرسلتْ إلى الأمراء سِرّاً فأرضتْهم ، واستحلفتْهم لولدها محمود ، وعمره أربع سنين وشهور ، وأرسلتْ إلى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضاً ، فأجابها ، وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها ، والخطبة له ، ويكون ، المدبّر لزعامة[1] الجيوش ، ورعاية[2] البلد ، هو الأمير أُنَر[3] ، ويصدر عن رأي تاج الملك ، ويكون ترتيب العمّال ، وجباية الأموال إلى تاج الملك أيضاً ، وكان تاج الملك هو الذي يدبّر الأمر بين يدَيْ خاتون .

فلمّا جاءت رسالة الخليفة إلى خاتون بذلك امتنعت من قبوله ، فقيل لها : إنّ ولدك صغير ، ولا يجيز الشرع ولايته ؛ وكان المخاطب لها في ذلك الغزاليّ ، فأذعنتْ له ، وأجابت إليه ، فخُطب لولدها ، ولُقّب ناصر الدنيا والدين ، وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوّال من السنة ، وخُطب له بالحرمَيْن الشريفَيْن .

ولمّا مات السلطان ملكشاه أرسلتْ تركان خاتون إلى أصبهان في القبض على

---

1) A. لرعاية . 2) A. ورعايا . 3) A. أنز .

Marfat.com

بركيارُق ابن السلطان ، وهو أكبر أولاده ، خافته أن ينازع ولدها في السلطنة ، فقُبض عليه ، فلمّا ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظاميّة على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان ، فأخذوه وثاروا في البلد ، وأخرجوا بركيارُق من الحبس ، وخطبوا له بأصبهان وملّكوه ، وكانت والدة بركيارُق زُبَيدة ابنة ياقوتي بن داود ، وهي ابنة عمّ ملكشاه ، خائفة على ولدها من خاتون أمّ محمود ، فأتاها الفرج بالمماليك النظاميّة .

وسارت تركان خاتون من بغداذ إلى أصبهان ، فطالب العسكر تاج الملك بالأموال ، فوعدهم ، فلمّا وصلوا إلى قلعة برجين[1] صعد إليها ليُنزل الأموال منها ، فلمّا استقرّ فيها عصى على خاتون ، ولم ينزل خوفاً من العسكر . فساروا عنه ، ونهبوا خزائنه ، فلَم يجدوا بها شيئاً . فإنّه[2] كان قد علم ما جرى . فاستظهر وأخفاه .

ولمّا وصلتْ تركان خاتون إلى أصبهان لحقها تاج الملك ، واعتذر بأن مستحفظ القلعة حبسه ، وأنّه هرب منه إليها ، فقبلت عذره .

وأمّا بركيارُق فإنّه لمّا قاربت خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظاميّة ، وساروا نحو الرَّيّ ، فلقيهم أرغش النظاميُّ في عساكره ، ومعه جماعة من الأمراء ، وصاروا يداً واحدةً . وإنّما حمل النظاميّة على الميل إلى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لأنّه كان عدوّ نظام الملك ، والمتّهَم بقتله ، فلمّا اجتمعوا حصروا قلعة طَبَرَك وأخذوها عنوةً ، فسيّرت خاتون العساكر إلى قتال بركيارق ، فالتقى العسكران بالقرب من بَرُوجِرد ، فانحاز جماعة من الأمراء الذين في عسكر خاتون إلى بركيارق ، منهم : الأمير يلبرد ، وكمشتكين الجاندار ، وغيرهما ، فقوي بهم ، وجرت الحرب بينهم

---

1) Codd. رحين .

2) A. لأنه .

Marfat.com

اواخر ذي الحجّة ، واشتدّ القتال ، فانهزم عسكر خاتون وعادوا إلى أصبهان ، وسار بركيارق في أثرهم فحصرهم بأصبهان[1] .

ذكر قتل تاج الملك

كان تاج الملك مع عسكر خاتون ، وشهد الوقعة ، فهرب إلى نواحي بَرُوجِرد ، فأُخذ وحُمل إلى عسكر بركيارق ، وهو يحاصر أصبهان ، وكان يعرف كفايته ، فأراد أن يستوزره ، فشرع تاج الملك في إصلاح كبار النظاميّة ، وفرّق فيهم مائتَيْ ألف دينار سوى العروض ، فزال ما في قلوبهم .

فلمّا بلغ عثمانَ نائب نظام الملك الخبرُ ساءه، فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة ، وأن لا يقنعوا إلاّ بقتل قاتل صاحبهم ، ففعلوا ، فانفسخ ما دبّره تاج الملك ، وهجم النظاميّة عليه فقتلوه ، وفصّلوه أجزاء ، وكان قتله في المحرّم سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] ، وحُملت إلى بغداذ إحدى أصابعه .

وكان كثير الفضائل ، جمّ المناقب ، وإنّما غطّى[1] جميعَ محاسنه مُمالأتُه على قتل نظام الملك ، وهو الذي بنى[2] تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ[2] ، وعمل المدرسة التي إلى جانبها ، ورتّب بها الشيخ أبا بكر الشاشيّ ، وكان عمره حين قُتل سبعاً[3] وأربعين سنة .

---

1) A. 2) C. P.

---

١ غطّا .

٢ بنا .

٣ سبع .

Marfat.com

ذكر ما فعله الحجّاج بالكوفة

سار الحُجّاج هذه السنة من بغداذ ، فقدموا الكوفة ، ورحلوا منها ، فخرجت عليهم خفاجة ، وقد طمعوا بموت السلطان ، وبُعْدِ العسكر ، فأوقعوا بهم ، وقتلوا أكثر الجند الذين معهم ، وانهزم باقيهم ، ونهبوا الحجّاج ، وقصدوا الكوفة فدخلوها ، وأغاروا عليها ، وقتلوا في أهلها ، فرماهم الناس بالنُّشّاب ، فخرجوا بعد أن نهبوا ، وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء ، فوصل الخبر إلى بغداذ ، فسُيّرت العساكر منها ، فلمّا سمع بهم بنو خفاجة انهزموا ، فأدركهم العسكر ، فقُتل منهم خلق كثير ، ونُهبت أموالهم ، وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة .

ذكر عدّة حوادث

فيها ، في ربيع الأوّل ، عاد السلطان من بغداذ إلى أصبهان ، وأخذ معه الأمير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدي بأمر الله من ابنة السلطان ، وتفرق الأمراء إلى بلادهم ، ثم عاد إلى بغداذ ، فتوفّي كما ذكرناه[1] .

وفيها ، في جمادى الأولى ، احترق نهر المعلّى ، فاحترق عقد الحديد إلى خربة الفرّاسين[2] ، إلى بلب[3] دار الضرب ، واحترق سوق الصاغة والصيارف ، والمخلّطين ، والزيّاتين ، ووكالة الطريق من الطُّهر إلى العصر ، فاحترق منها

---

1) Om. C.P.

2) AA. خزانة الفراسين .

3) Om. A.

Marfat.com

الأمر العظيم في الزمان القليل ، واحترق من الناس خلق كثير ، ثم ركب عميد الدولة بن جُهير ، وزير الخليفة ، وجمع السقّائين ، ولم يزل راكباً حتّى طفئت النار .

وفي هذه السنة توفّي عبد الباقي بن محمّد بن الحسين بن ناقيا[1] الشاعر البغداذيّ . سمع الحديث ، وكان يُتّهم بأنّه يطعن على الشرائع ، فلمّا مات كانت يده مقبوضة ، فلم يُطِق الغاسل فتحها ، فبعد جهدٍ فُتحتْ فإذا فيها مكتوب :

نزلتُ بجارٍ لا يخيبُ ضَيْفَهُ ، أُرَجّي نجاتي من عَذَابِ جَهَنّمِ
وإنّي على خوفي من الله واثقٌ بإنعامه ، واللهُ أكرمُ مُنْعِمِ

وفيها توفّي هبة الله بن عبد الوارث بن عليّ بن أحمد أبو القاسم الشيرازيّ الحافظ . أحد الرحّالين في طلب الحديث شرقاً وغرباً ؛ وقدم الموصل من العراق ؛ وهو الذي أظهر سماع الجعديّات لأبي محمّد الصّريفينيّ . ولم يكن يُعرف ذلك[2] .

1) A. باقيا .
2) A.

Marfat.com

ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

ذكر وزارة عزّ الملك بن نظام الملك لبركيارُق

كان عزّ الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيماً بخُوارزم ، حاكماً فيها وفي كلّ ما يتعلّق بها ؛ إليه المرجع في كلّ أمورها السلطانية. ، فلمّا كان قبل أن يُقْتَل أبوه حضر عنده خدمةً له وللسلطان ، فقُتل أبوه ، ومات السلطان ، فأقام بأصبهان إلى الآن .

فلمّا حصرها بركيارُق ، وكان أكثر[1] عسكره النظاميّة ، خرج من أصبهان هو وغيره من إخوته ، فلمّا اتّصل ببركيارُق احترمه ، وأكرمه ، وفوّض أمور دولته إليه ، وجعله وزيراً له .

ذكر حال تُتُش بن ألب أرسلان

كان تُتُش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام، فلمّا كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه ، سار من دمشق إليه ببغداذ ، فلمّا كان بِهَيْتَ بلغه موته ، فأخذ هَيتَ ، واستولى عليها ، وعاد إلى دمشق يتجهّز لطلب السلطنة ، فجمع العساكر ، وأخرج الأموال وسار نحو حلب ،

1) A. عظم .

Marfat.com

وبها قسم الدولة آقسُنْقَر ، فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه ، وصغرهم . فعلم أنّه لا يطيق دفع تُتُش ، فصالحه ، وصار معه ، وأرسل إلى باغي سيان[1] . صاحب أنطاكية ، وإلى بوزان ، صاحب الرُّها وحرّان ، يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تُتُش حتّى يرَوا ما يكون من أولاد ملكشاه ، ففعلوا . وصاروا معه . وخطبوا له في بلادهم ، وقصدوا الرحبة ، فحصروها ، وملكوها في المحرّم من هذه السنة ، وخطب لنفسه بالسلطنة .

ثم ساروا إلى نَصِيبين ، فحصروها ، فسبّ أهلُها تاج الدولة ، ففتحها عنوةً وقهراً ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، ونُهبت الأموال ، وفعل فيها الأفعال القبيحة ، ثم سلّمها إلى الأمير محمّد بن شرف الدولة العُقَيليّ ، وسار يريد الموصل ، وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن جُهير ، وكان في جزيرة ابن عمر ، فأكرمه ، واستوزره .

٤

ذكر وقعة المُغَيَّر وأخذ الموصل من العرب

كان إبراهيم بن قُريش بن بدران ، أمير بني عُقَيْل ، قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه ، فلمّا حضر عنده اعتقله ، وأنفذ فخر الدولة بن جُهير إلى البلاد ، فملك الموصل وغيرها ، وبقي إبراهيم مع ملكشاه ، وسار معه إلى سَمَرْقَنْد ، وعاد إلى بغداذ ، فلمّا مات ملكشاه أطلقته تركان خاتون من الاعتقال ، فسار إلى الموصل .

وكان ملكشاه قد أقطع عمّته صفيّة مدينة بَلَد ، وكانت زوجة شرف الدولة ، ولها منه ابنها عليّ ، وكانت قد تزوّجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم ،

---

1) C. E. in margin: باغيسيان in manuscripts

فلمّا مات ملكشاه قصدت الموصل ، ومعها ابنها عليّ ، فقصدها محمّد بن شرف الدولة ، وأراد أخذ الموصل ، فافترقت العرب فرقتَيْن : فرقة معه ، وأخرى مع صفيّة وابنها عليّ ، واقتتلوا بالموصل عند الكُناسة ، فظفر عليٌّ ، وانهزم محمّد ، وملك عليٌّ الموصل .

فلمّا وصل إبراهيم إلى جُهَيْنَة ، وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ ، سمع أنّ الأمير عليّاً[1] ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها ، ومعه أمّه صفيّة ، عمّة ملكشاه ، فأقام مكانه ، وراسل صفيّة خاتون ، وتردّدت الرسل ، فسلّمت البلد إليه ، فأقام به .

فلمّا ملك تُتُش نَصِيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة ، ويُعطيه طريقاً إلى بغداذ لينحدر ، ويطلب الخطبة بالسلطنة ، فامتنع إبراهيم من ذلك ، فسار تُتُش إليه ، وتقدّم إبراهيم أيضاً نحوه ، فالتقوا بالمُضَيَّع ، من أعمال الموصل ، في ربيع الأوّل ، وكان إبراهيم في ثلاثين ألفاً ، وكان تُتُش في عشرة آلاف ، وكان آقسَنْقَر على ميمنته ، وبوزان على ميسرته ، فحمل العرب على بوزان ، فانهزم[1] ، وحمل آقسنقَر على العرب فهزمهم ، وتمّت الهزيمة على إبراهيم والعرب ، وأُخذ إبراهيم أسيراً وجماعة من أمراء العرب ، فقُتلوا صبراً ، ونُهبت أموال العرب وما معهم من الإبل والغنم والخيل وغير ذلك ، وقَتل كثيرٌ من نساء العرب أنفسهنّ خوفاً من السبي والفضيحة .

وملك تُتُش بلادهم الموصل وغيرها ، واستناب بها عليّ بن شرف الدولة مسلم ، وأمّه صفيّة عمّة تُتُش ، وأرسل إلى بغداذ يطلب الخطبة ، وساعده

---

1) A.

---

١ على.

Marfat.com

كوهرائين على ذلك ، فقيل لرسوله : إنّا ننتظر[1] وصول الرسل من العسكر؛ فعاد إلى تُتُش بالجواب .

ذكر ملك تُتُش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام

فلمّا فرغ تاج الدولة تُتُش من أمر العرب ، ومُلْك الموصل وغيرها من بلادهم . سار إلى ديار بكر في ربيع الآخر ، فملك ميّافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان . وسار منها إلى أذربيجان . فانتهى خبره إلى ابن أخيه ركن الدين بركيارُق ، وكان قد استولى على كثير من البلاد ، منها : الرَّيّ ، وهَمَذان . وما بينهما ، فلمّا تحقّق الحال سار في عساكره ليمنع عمّهُ عن البلاد . فلمّا تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقَر لبوزان[1] : إنّما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا ، والآن فقد ظهر ابنه ، ونريد أن نكون معه . فاتّفقا على ذلك وفارقا تُتُش ، وصارا مع بركيارق .

فلمّا رأى تاج الدولة تُتُش ذلك علم أنّه لا قوّة له بهم ، فعاد إلى الشام ، واستقامت البلاد لبركيارق ، فلمّا قوي أمره سار كوهرائين ، إلى العسكر[2] يعتذر من مساعدته لتاج الدولة ، تُتُش ، وأعانه برسق[2] ، وتعصّب عليه كمشتكين الجاندار ، فأُخذ إقطاعه ، وأُعطي الأمير يلبرد زيادةً ، وولي شحنكيّة بغداذ عوض كوهرائين ، وتفرّق عن كوهرائين أصحابه ، فكان ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

.....

1) A. 2) Om. A.

---

١ انتظر .

ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها

في هذه السنة ، في جمادى الآخرة ، ملك عسكر المستنصر بالله العلويّ ، صاحب مصر ، مدينة صور .

وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة : إنّ أمير الجيوش بدراً ، وزير المستنصر ، سيّر العساكر إلى مدينة صور ، وغيرها ، من ساحل الشام ، وكان مَن بها قد امتنع من طاعتهم ، فملكها ، وقرّر[1] أمورها ، وجعل فيها الأمراء .

وكان قد ولّى[2] مدينة صور[3] الأمير الذي يُعرف بمُنير الدولة الجيوشيّ ، فعصى على المستنصر وأمير الجيوش ، وامتنع بصور ، فسُيّرت العساكر من مصر إليه ، وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه ، فلمّا وصل العسكر المصريُّ إلى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ، ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش ، وسلّموا البلد . وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع . ونُهب من البلد شيء كثير ، وأُسر منير الدولة ومَن معه من أصحابه . وحُملوا إلى مصر . وقُطع على أهل البلد ستّون ألف دينار ، فأجحفت بهم .

ولمّا وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قُتلوا جميعهم ولم يُعفَ عن واحد منهم .

---

1) A. ودبر .
2) A. سلم .
3) A. add. إلى .

ذكر قتل إسماعيل[1] بن ياقوتي خال بركيارُق

في هذه السنة ، في شعبان ، قُتل إسماعيل بن ياقوتي بن داود ، وهو خال بركيارق ، وابن عمّ ملكشاه .

وسبب قتله أنّه كان بأذربيجان أميراً عليها ، فأرسلت إليه تركان خاتون ، زوجة ملكشاه ، تُطمعه أن تتزوّج به ، وتدعوه إلى محاربة بركيارق ، فأجابها إلى ذلك . وجمع خلقاً كثيراً من التركمان وغيرهم ، وصار أصحاب سرهنك ساوتكين في خيله . وأرسلت إليه تركان خاتون كربوقا ، وغيره من الأمراء ، في عسكر كثير مدداً له ، فجمع بركيارق عساكره ، وسار إلى حرب خاله إسماعيل ، فالتقوا عند الكَرَج[1] . فانحاز الأمير يلبرد إلى بركيارق ، وصار معه ، فانهزم إسماعيل وعسكره ، وتوجّه إلى أصبهان ، فأكرمتْه تركان خاتون ، وخطبت له ، وضربت اسمه على الدينار بعلم ابنها محمود بن ملكشاه .

وكاد الأمر في الوصلة يتمّ بينهما ، فامتنع الأمراء من ذلك لا سيّما الأمير أُنَر[2] ، وهو مدبّر الأمر ، وصاحب الجيش ، وآثروا[3] خروج إسماعيل عنهم ، وخافوه ، وخاف هو أيضاً منهم ، ففارقهم ، وراسل أخته زُبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم . فأذنتْ له في ذلك ، فوصل إليهم ، وأقام عندهم أيّاماً يسيرة ، فخلا به كشتكين الجاندار ، وآقسنقَر ، وبوزان ، وبسطوه في القول ، فأطلعهم على سرّه ، وأنّه يريد السلطنة ، وقتْلَ بركيارق ، فوثبوا عليه فقتلوه ، وأعلموا أخته خبره[2] فسكتت عنه .

---

1) A. كرج . 2) A. انز . 3) A. وابدا .

---

١ إسمايل .

٢ اخبره .

Marfat.com

ذكر أخذ الحُجّاج

في هذه السنة انقطع الحجّ من العراق لأسباب أوجبت ذلك ، وسار الحاجّ من دمشق مع أميرٍ أقامه تاج الدولة تُتُش صاحبها ، فلمّا قضوا حجّهم وعادوا سائرين[1] سيّر أمير مكّة ، وهو محمّد بن أبي هاشم ، عسكراً فلحقوهم بالقرب من مكّة ، ونهبوا كثيراً من أموالهم وجِمالهم ، فعادوا إليها ، ولقوه ، وسألوه أن يُعيد عليهم ما أخذ منهم ، وشكوا إليه بُعْدَ ديارهم ، فأعاد بعض ما أخذ منهم ، فلمّا أيِسوا منه ساروا من مكّة عائدين على أقبح صورة ، فلمّا أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدّة جهات ، فصانعوهم على مال أخذوه من الحاجّ، بعد أن قُتل منهم جماعة وافرة، وهلك فيه [كثيرون] بالضعف والانقطاع ، وعاد السالم على أقبح صورة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، قدم إلى بغداذ أردشير بن منصور أبو الحسين الواعظ ، العباديُّ ، وأكثر الوعظ بالمدرسة النظاميّة ، وهو مَرْوَزيّ ، وقدم بغداذ قاصداً للحجّ ، وكان له قبول عظيم ، بحيث أنّ الغزاليّ وغيره من الأئمّة ومشايخ الصوفيّة الكبار يحضرون مجلسه ، وذُرع في بعض المجالس الأرض التي فيها الرجال، فكان طولها مائة وخمسة وسبعين[1] ذراعاً ، وعرضها مائة

---

1) A.

---

١ وسبعون :

وعشرين[1] ذراعاً . وكانوا يزدحمون ازدحاماً كثيراً ، وكان النساء أكثر من ذلك . وكان له كرامات ظاهرة ، وعبادات كثيرة .

وكان سبب منعه من الوعظ أنّه نهى أن يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح ، وقال هو ربا . فمُنع من الوعظ ، وأُخرج من البلد .

وفيها وقعت الفتنة ببغداذ بين العامّة . وقصد كلّ فريق الفريق الآخر ، وقطعوا الطرقات بالجانب الغربيّ ، وقتل أهل النصرية مُصلحيّاً ، فأرسل كوهرائين فأحرقها ، واتّصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة ، وكان للعميد الأغرّ أبي المحاسن الدّهستانيّ في إطفاء هذه الفتنة أثر حسن .

وفيها ، في شعبان ، سار سيف الدولة صدقة بن مَزْيد إلى السلطان بركيارق، فلقيه بنَصيبين ، وسار معه إلى بغداذ ، فوصلها في ذي القعدة ومعه وزيره عزّ الملك بن نظام الملك ، وخرج عميد الدولة والناس إلى لقائه من عَقَرْقُوف .

وفيها وُلد للمستظهر بالله ولد سُمّي الفضل ، وكني أبا منصور ، ولُقّب عُمدة الدين ، وهو المسترشد بالله .

وفيها ، في رمضان ، قُتل الأمير يلبرد ، قتله بركيارق ، وكان من الأمراء الكبار مع أبيه ، فزاده بركيارق إقطاع كوهرائين ، وشحنكيّة بغداذ ، فلمّا وصل إلى دَقُوقَا أُعيد منها لأنّه تكلّم ، فيما يتعلّق بوالدة السلطان بركيارق ، بكلام شنيع ، فلمّا وصل إليه أصبح مقتولاً .

وفيها ، في المحرّم[1] ، توفّي عليُّ بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشيُّ ، المكاريُّ ، المعروف بشيخ الإسلام ، وكان فاضلاً ، عابداً ، كثير السماع ،

1) Om. A.

---

١ وعشرون .

Marfat.com

إلاّ أنّ الغرائب في حديثه كثيرة لا يُدرى ما سببها ؛ . والأمير أبو نصر عليّ ابن هبة الله بن عليّ بن جعفر العجليُّ ، المعروف بابن ماكولا ، مصنّف كتاب الإكمال ، قتله غلمانه الأتراك بكَرمَان ، ومولده سنة اثنتين وأربعمائة، وكان حافظاً[1] .

وفيها ، في صفر ، توفّي أبو محمّد عامر الضرير ، وكان فقيهاً شافعيّاً ، مقرئاً ، نحويّاً ، وكان يصلّي في رمضان بالإمام المقتدي بأمر الله .

وفي جمادى الأولى توفّي الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدي ، وأمّه ابنة السلطان ملكشاه ، وإليه تُنسب الجعفريّات[2] .

وفي رجب توفّي الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن المحسن الوكيل بالمخزن ، وكان فقيهاً شافعيّاً ، كثير الإحسان إلى أهل العلم ، وكان محموداً في ولايته .

وفيها توفّي كمال الملك الدّهستانيُّ الذي كان عميد بغداذ .

وفي رمضان توفّي المشطب[3] بن محمّد الحنفيّ بالكُحَيْل من أرض الموصل ، وكان الخليفة قد أرسله إلى بركيارُق ، وكان بالموصل ، ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا . وكان شيخاً كبيراً ، عالماً ، مكرّماً عند الملوك ؛ وحُمل إلى العراق ، ودُفن عند أبي حنيفة .

وفيه توفّي القاضي أبو عليّ يعقوب بن إبراهيم المَرزُبانيُّ ، قاضي باب الأزْج . وولي مكانه القاضي أبو المعالي عزيزي ، وكان أبو المعالي شافعيّاً ، أشعريّاً ، مغالياً ، وله مع أهل باب الأزج أقاصيص وحكايات عجيبة .

وفيها توفّي نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث ، وأبو الفتح

.....

1) Om. A. 2) C. P. الجعفريتان . 3) A. المتلبب .

Marfat.com

التنكّيُّ ، له كنيتان ، سافر [في] البلاد شرقاً وغرباً ، روى صحيح مسلم وغيره ، وكان ثقة ، ومولده سنة ستّ وأربعمائة .

وفي ذي الحجّة منها توفّي أبو الفرج عبد الواحد بن محمّد بن عليّ الحنبليُّ ، الفقيه ، وكان وافر العلم ، غزير الدين ، حسن الوعظ والسّمت .

Marfat.com

٤٨٧

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

ذكر الخطبة للسلطان بركيارُق

في هذه السنة ، يوم الجمعة رابع عشر المحرّم ، خُطب ببغداذ للسلطان بركيارُق بن ملكشاه ، وكان قَدِمها أواخر سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] ، وأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يطلب الخطبة ، فأُجيب إلى ذلك ، وخُطب له ، ولُقّب ركن الدين .

وحمل الوزير عميد الدولة بن جُهير الخِلع إلى بركيارق ، فلبسها ، وعُرض التقليد على الخليفة ليعلّم عليه ، فعلّم فيه ، وتوفّي فجأةً على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى ، وولي ابنه الإمام المستظهر بالله الخلافة ، فأرسل الخِلع والتقليد إلى السلطان بركيارق ، فأقام ببغداذ إلى ربيع الأوّل من السنة ، وسار عنها إلى الموصل .

ذكر وفاة المقتدي بأمر الله

في هذه السنة ، يوم السبت خامس عشر المحرّم ، توفّي الإمام المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأةً ، وكان قد أُحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلّم فيه ، فقرأه ، وتدبّرَهُ ، وعلّم فيه ، ثم قُدّم إليه طعام ، فأكل منه ، وغسل يدَيْه ، وعنده قهرمانته

Marfat.com

شمس النهار، فقال لها : ما هذه الأشخاص التي دخلتْ عليّ بغير إذن ؟ قالت: فالتفتُ فلم أر شيئاً ، ورأيتُه قد تغيّرت حالته ، واسترختْ يداه ورجلاه ، وانحلّت قوّته ، وسقط إلى الأرض . فظننتها غشيةً قد لحقتْه ، فحللتُ أزرار ثوبه ، فوجدتُه وقد ظهرت عليه أمارات الموت ، ومات لوقته .

قالت : فتماسكتُ ، وقلتُ لجارية عندي : ليس هذا وقتَ إظهار الجزع والبكاء[1] ، فإن صِحْتِ قتلتُكِ . وأحضرتُ الوزير فأعلمتُه الحال ، فشرعوا في البَيعة لوليّ العهد . وجهّزوا المقتدي ، وصلّى عليه ابنه المستظهر بالله ، ودفنوه. وكان عمره ثمانياً[1] وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيّام، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غيرَ يومَيْن ، وأمّه أمّ ولد أرمنيّة تُسمّى أُرجُوان ، وتدعى قرّة العين ، أدركتْ خلافته ، وخلافة ابنه المستظهر بالله ، وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله .

ووزر له فخر الدولة أبو نصر بن جُهير ، ثم أبو شجاع ، ثم عميد الدولة[2] أبو منصور بن جُهير .

وقضاته : أبو عبد الله الدامغانيُّ ، ثم أبو بكر الشاميُّ .

وكانت أيّامه كثيرة الخير ، واسعة الرزق ، وعظمت الخلافة أكثر ممّا كان من قبله ، وانعمرت ببغداذ عدّة محالّ في خلافته منها : البصَليّة ، والقطيعة ، والحلبة ، والمقتديّة ، والأجمة ، ودرب القيار[3] ، وخربة[4] ابن جَردة ، وخربة[5] الهرّاس ، والخاتونيّتَيْن .

1) Om. A.

2) Hic in A. major incipit lacuna, quæ usque ad finem capitis 4 ti anni 493 procedit, et a manu recentiore male expleta est Codicem 741 = B. hinc contuli.

3) B. القبار .

4) B. وخراب .

5) B. وخزانة .

---

١ ثمان .

Marfat.com

وأمر بنفي المغنّيات والمفسدات من بغداذ ، وبيع دورهنّ ، فنُفينَ ، ومنع الناس أن يدخل أحد الحمّام إلا بمئزر ، وقلع الهراديّ ، والأبراج التي للطيور ، ومنع من اللعب بها لأجل الاطّلاع على حُرَم الناس ، ومنع من إجراء ماء الحمّامات إلى دجلة ، وألزم أربابها بحفر آبار للمياه ، وأمر أنّ من يغسل السمك المالح يعبر إلى النَّجمي فيغسله هناك ؛ ومنع الملاّحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين ؛ وكان قويّ النفس ، عظيم الهمّة من رجال بني العبّاس .

ذكر خلافة المستظهر بالله

لمّا توفّي المقتدي بأمر الله ، أُحضر ولده أبو العبّاس أحمد المستظهر بالله ، وأُعلم بموته ، وحضر الوزير فبايعه ، وركب إلى السلطان بركيارُق ، فأعلمه الحال ، وأخذ بيعته للمستظهر بالله .

فلمّا كان اليوم الثالث من موت المقتدي أظهر ذلك . وحضر عزّ الملك ابن نظام الملك وزير بركيارق ، وأخوه بهاء الملك ، وأمراء[1] السلطان ، وجميع[2] أرباب المناصب[3] : النقيبان طِراد العبّاسيُّ ، والمعمّر العلويُّ في[4] أصحابهما ، وقاضي القضاة ، والغزاليُّ ، والشاشيُّ ، وغيرهما من العلماء ، فجلسوا في العزاء ، وبايعوا ، وكان للمستظهر بالله لمّا بويع ستّ عشرة سنة وشهران .

---

1) B. وأمر .

2) B. وجمع .

3) B. add. وجمع .

4) Om. B.

Marfat.com

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقَر وملك تُتُش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداذ

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، قُتل قسيم الدولة آقسنقَر ، جدّ ملوكنا بالموصل الآن ، أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقَر .

وسبب قتله أنّ تاج الدولة تُتُش لمّا عاد من أذربيجان منهزماً لم يزل يجمع العساكر ، فكثُرت جموعه ، وعظم حشده ، فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب[1] السلطنة ، فاجتمع قسيم الدولة آقسنقَر ، وبوزان ، وأمدّهما ركن الدين بركيارُق بالأمير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل ، فلمّا اجتمعوا ساروا إلى طريقه ، فلقوه ، عند نهر سَبَعين[2] قريباً من تلّ السلطان ، بينه وبين حلب ستّة فراسخ ، واقتتلوا ، واشتدّ القتال ، فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقَر ، فانهزموا ، وتبعهم الباقون ، فتمّت الهزيمة ، وثبت آقسنقَر ، فأُخذ أسيراً ، وأُحضر عند تُتُش ، فقال له : لو ظفرتَ بي ما كنتَ صنعتَ ؟ قال : كنتُ أقتلك ! فقال له : أنا أحكم عليك بما كنتَ تحكم عليّ ؛ فقتله صبراً .

وسار نحو حلب ، وكان قد دخل إليها كربوقا ، وبوزان ، فحفظاها منه ، وحصرها تُتُش ولجّ في قتالها حتّى ملكها ، • سلّمها إليه المقيم بقلعة الشريف ، ومنها دخل البلد[3] ، وأخذهما أسيرَيْن ، وأرسل إلى حرّان والرُّها ليسلّموه[1] من بهما • وكانتا لبوزان ، فامتنعوا من التسليم إليه ، فقُتل بوزان ، وأُرسل رأسه إليهم[2] وتسلّم البلدَيْن .

---

1) C. P. ليخطب .

2) Om. C. P.

3) Om. B.

---

١ ليسلمهما .

Marfat.com

وأمّا كربوقا فإنّه أرسله إلى حمص ، فسجنه بها إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تُتُش .

وكان قسيم الدولة أحسن الأمراء سياسةً لرعيّته ، وحفظاً لهم ، وكانت بلاده بين رخص عامّ ، وعدل شامل ، وأمن واسع ، وكان قد شرط على أهل كلّ قرية من بلاده ، متى أُخذ عندهم[1] قفل ، ، أو أحد[2] من الناس ، غَرِم أهلها جميع ما يؤخذ من الأموال من قليل وكثير ، فكانت السيّارة ، إذا بلغوا قرية من بلاده ، ألقوا رحالهم وناموا ، وحرسهم أهل القرية إلى أن يرحلوا ، فأمنت الطرق .

وأمّا وفاؤه ، وحُسن عهده ، فيكفيه فخراً أنّه قُتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته .

فلمّا ملك تُتُش حرّان والرُّها سار إلى الديار الجزَريّة فملكها جميعها ، ثم ملك ديار بكر وخِلاط ، وسار إلى أذربيجان فملك بلادها كلّها ، ثم سار منها إلى هَمذان فملكها ، ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك ، وكان بخُراسان ، فسار منها إلى السلطان بركيارق ليخدمه ، فوقع عليه الأمير قماج ، وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه بأصبهان ، فنهب فخر الملك ، فهرب منه ونجا بنفسه ، فجاء إلى هَمذان فصادفه تُتُش بها ، فأراد قتله ، فشفع فيه باغي سيان[3] ، وأشار عليه أن يستوزره لميل الناس إلى بيته ، فاستوزره ، وأرسل إلى بغداذ يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله ، وكان شِحنته ببغداذ ايتكين جب ، فلازم الخدمة بالديوان ، وألحّ في طلبها ، فأُجيب إلى ذلك ، بعد أن سمعوا أنّ بركيارق قد انهزم من عسكر عمّه تُتُش ، على ما نذكره .

---

1) C. P. أحدهم .

2) C. P. واحد .

3) C. P. بسان .

Marfat.com

ذكر انهزام بركيارُق من عمّه تُتُش
وملكه أصبهان بعد ذلك

في هذه السنة ، في شوّال ، انهزم بركيارُق من عسكر عمّه تُتُش . وكان بركيارق بنَصِيبين ، فلمّا سمع بمسير[1] عمّه إلى أذربيجان ، سار هو من نَصِيبين . وعبَر دجلة من بلد فوق الموصل ، وسار إلى إربل ، ومنها إلى بلد سُرخاب بن بدر إلى أن بقي بينه وبين عمّه تسعة فراسخ ، ولم يكن معه غير ألف رجل ، وكان عمّه في خمسين ألف رجل ، فسار الأمير يعقوب بن آبق من عسكر عمّه ، فكبسه وهزمه ، ونهب سواده ، ولم يبق معه إلاّ برسق[2] ، وكمشتكين الجاندار ، واليارق ، وهم من الأمراء الكبار ، فسار إلى أصبهان .

وكانت خاتون أمّ أخيه محمود قد ماتت ، على ما نذكره ، فمنعه من بها من الدخول إليها ، ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه ، فلمّا قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقيه ، ودخل البلد ، واحتاطوا عليه ، فاتّفق أنّ أخاه محموداً حُمّ وجُدر ، فأراد الأمراء أن يكحلوا بركيارق ، فقال لهم أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب : إنّ الملك محموداً قد جُدر ، وما كأنّه يسلم منه ، وأراكم تكرهون أن يليكم ، ويملك البلاد تاج الدولة ، فلا تعجلوا على بركيارق ، فإن مات محمود أقيموه ملكاً ، وإن سلم محمود فأنتم تقدرون على كحله . فمات محمود سلخ شوّال ، فكان هذا من الفرج بعد الشدّة ، وجلس بركيارق للعزاء بأخيه .

وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين وأربعمائة . وقصده مؤيّد الملك بن نظام الملك ، فاستوزره في ذي الحجّة ، وكان أخوه عزّ الملك بن نظام الملك

---

1) B. بلغه مسير .

2) B: برشق .

Marfat.com

قد مات لمّا كان مع بركيارق بالموصل ، وحُمل إلى بغداذ ، فدُفن بالنظاميّة ، وكان أصبحَ الناس وجهاً ، وأحسنهم خُلقاً وسيرةً ، وكان قد أجرى الناس على ما بأيديهم من توقيعات أبيه في الإطلاقات من خاصّته[1] ، منها ببغداذ مائتا كرّ غلّة ، وثمانية عشر ألف دينار أميريّ .

ثم إنّ بركيارق جُدر ، بعد أخيه ، وعوفي وسلم ، فلمّا عوفي كاتب مؤيّد الملك وزيرُه الأمراء العراقيّين ، والخُراسانيّين ، واستمالهم ، فعادوا كلّهم إلى بركيارق ، فعظم شأنه وكثُر عسكره[1] .

ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر

في هذه السنة ، في ٥ ذي القعدة[2] ، توفّي أمير الجيوش بدر الجماليّ ، صاحب الجيش بمصر ، وقد جاوز ثمانين سنة ، وكان هو الحاكم في دولة المستنصر ، والمرجوع إليه .

وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وجرى بينه وبين الرعيّة والجند بدمشق ما خاف [منه] على نفسه ، فخرج عنها هارباً ، وجمع وحشد ، وقدم إلى الشام فاستولى عليه بأسره سنة ستّ وخمسين [وأربعمائة] ، ثمّ خالفه أهل دمشق مرّة أخرى ، فهرب منهم سنة ستّين ، وخرب العامّة والجند قصر الإمارة ، ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر ، وتقدّم بها ، وصار صاحب الأمر .

---

1) B. جمعه .

2) B. ربيع الأول .

---

١ خاصه .

Marfat.com

قال علقمة بن ٭ عبد الرزّاق[1] العليميُّ : قصدتُ بدراً الجماليَّ بمصر ، فرأيتُ أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه ، قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه ، قال : فبينا أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد ، فخرج علقمة في أثره ، وأقام إلى أن رجع من صيده ، فلمّا قاربه وقف على نشز من الأرض ، وأومأ برُقعة في يده ، وأنشأ يقول :

نحنُ التّجارُ ، وهذه أعلاقُنا ، دُرٌّ ، وجَودُ يمينِك المُبتاعُ
قَلّبْ ، وفتّشْها بسَمعك إنّما هيَ جَوهرٌ تختاره الأسماعُ
كَسَدَتْ علَينا بالشآم ، وكلّما قَلَّ النّفاقُ تَعطّلَ الصُّنّاعُ
فأتَاكَ يحملُها إليكَ تِجارُها ومَطيُّها الآمالُ والأطماعُ
حتّى أنَاخُوها ببَابِك ، والرّجَا مِن دونِك السِّمْسارُ والبَيّاعُ
فوهبْتَ ما لم يُعطِه[2] في دهره هَرِمٌ ، ولا كعْبٌ ، ولا القَعْقاعُ
وسبَقْتَ هذا الناسَ في طلب العُلى فالناسُ ، بعدَك ، كلّهم أتْباعُ
يا بدرُ أُقسِمُ لو بِكَ اعتصَمَ الورَى ، ولَجُوا إليكَ جميعُهم ، ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازي فألقاه وانفرد عن الجيش ؛ وجعل يسترِدّ الأبيات وهو ينشدُها إلى أن استقرّ في مجلسه ، ثم قال لجماعة غلمانه وخاصّته : من أحبّني فليخلع على هذا الشاعر ؛ فخرج من عنده ومعه سبعون بغلاً ، يحمل الخِلع والتحف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج من عنده وفرّق كثيراً من ذلك على الشعراء ؛ ولمّا مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل .

---

1) B. الوراق . 2) B. تعطه .

ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي

في هذه السنة ، ثامن عشر ذي الحجّة ، توفّي المستنصر بالله أبو تميم معدّ ابن أبي الحسن عليّ الظاهر لإعزاز دين الله العلويُّ ، صاحب مصر والشام ، وكانت خلافته ستّين سنة وأربعة أشهر ، وكان عمره سبعاً[1] وستّين سنة ، وهو الذي خطب له البساسيريُّ ببغداذ ، وقد ذكرنا ذلك .

وكان الحَسن بن الصَّبّاح ، رئيس هذه[1] الطائفة الإسماعيليّة ، قد قصده في زيّ تاجر ، واجتمع به ، وخاطبه في إقامة الدعوة له ببلاد العجم ، فعاد ودعا الناس إليه سرّاً ، ثم أظهرها ، وملك القلاع ، كما ذكرناه ، وقال للمستنصر : مَن إمامي بعدَك ؟ فقال : ابني نِزار ، وهو أكبر أولاده ، والإسماعيليّةُ إلى يومنا هذا يقولون بإمامة نزار .

ولقي المستنصر شدائد وأهوالاً ، وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر ، أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقي لا يملك غير سَجّادته التي يجلس عليها ، وهو مع هذا صابرٌ غيرُ خاشع ، وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبع وستّين وأربعمائة وغيرها .

ولمّا مات وليَ بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله، ومولده في المحرّم سنة سبع وستّين وأربعمائة ، وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار ، فخلعه الأفضل وبايع المستعلي بالله .

وسبب خلعه أنّ الأفضل ركب مرّة ، أيّام المستنصر ، ودخل دهليزَ القصر

---

1) B:

---

١ سبع.

Marfat.com

من باب الذهب راكباً ، ونزار خارج ، والمجاز مظلم ، فلم يره الأفضل ، فصاح به نزار : انزل ، يا أرمنيّ ، كلب[1] ، عن الفرس ، ما أقلّ أدبك ! فحقدها عليه ، فلمّا مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفسه ، وبايع المستعلي ، فهرب نزار إلى الإسكندريّة ، وبها ناصر الدولة أفتكين ، فبايعه أهل الإسكندريّة ، وسمّوه المصطفى لدين الله ، فخطب الناس ، ولعن الأفضلَ ، وأعانه أيضاً القاضي جلال الدولة بن عمّار ، قاضي الإسكندريّة . فسار إليه الأفضل ، وحاصره بالإسكندريّة ، فعاد عنه مقهوراً ؛ ثم ازداد عسكراً ، وسار إليه ، فحصره وأخذه ، وأخذ أفتكين فقتله ، وتسلّم المستعلي نزاراً فبنى[1] عليه حائطاً فمات ، وقتل القاضي جلال الدولة بن عمّار ومن أعانه[2] .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، رأى بعض اليهود بالغَرب رؤيا أنّهم سيطيرون ، فأخبر اليهود بذلك ، فوهبوا أموالهم وذخائرهم ، وجعلوا ينتظرون الطيران ، فلم يطيروا . وصاروا ضحكةً بين الأمم .

وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها ، إلاّ أنّه[3] لم يكن الهدم كثيراً[4] .

---

1) C. P. جلب .
2) B. أطاعه .
3) Om. C. P.
4) C. P. كثيراً .

---

١ نزار فبنا .
٢ أنها
٣ كثيرة .

Marfat.com

وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجا ، فاحترقت نهر طابق ، وصارت تلولاً ، فلمّا احترقت عبر يُمن ، صاحب الشرطة ، فقتل رجلاً مستوراً ، فنفر الناس منه ، وعُزل في اليوم الثالث .

وفيها توفّي محمّد بن أبي هاشم الحسينيُّ ، أمير مكّة ، وقد جاوز سبعين سنة ، ولم يكن له ما يُمدَح به ، وكان قد نهب بعض الحجّاج سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، قتل السلطان بركيارُق عمّه تكش وغرّقه ، وقتل ولده معه ، وكان ملكشاه قد أخذه[1] ، لمّا خرج عليه ، وكحله[2] ، وحبسه بقلعة تكريت ، فلمّا ملك بركيارق أحضره إليه ببغداذ ، وسار بمسيره ، فظفر بملطّفات إليه من أخيه تُتُش يحثّه على اللحاق به ، وقيل إنّه أراد المسير إلى بلخ لأنّ أهلها كانوا يريدونه ، فقتله ، فلمّا غرق بقَيَ[1] بسرّ من رأى ، فحُمل إلى بغداذ ، فدُفن عند قبر أبي حنيفة .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، كانت وقعة بين الأمير أُنَر وتورانشاه ابن قاورت بك ، وكانت تركان خاتون الجلاليّة ، والدة محمود بن ملكشاه ، قد أرسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ، ولم يُحسن الأمير أُنَر تدبير بلاد فارس ، فاستوحش منه الأجناد ، واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا أُنَر . ومات تورانشاه ، بعد الكسرة ، بشهر ، من سهم[3] أصابه فيها .

وفيها استولى أصْبَهْبَذ بن ساوتكين على مكّة ، حرسها الله . عنوةً ، وهرب منها الأمير قاسم بن أبي هاشم العلويُّ صاحبها ، وأقام بها إلى شوّال . وجمع

---

1) Om. B.

2) B. كحله .

3) B. بشهرين لسهم .

---

١ فنا .

Marfat.com

الأمير قاسم وكبسه بعُسفان ، وجرى بينهما حرب في شوّال من هذه السنة ، فانهزم أصْبَهْبذ ، ودخل قاسم إلى مكّة ، ومضى أصبَهْبذ إلى الشام وقدم إلى بغداذ .

وفيها ، في رجب ، أحرق شحنة بغداذ ، وهو أيتكين ، جَب[1] باب البصرة[2] ؛ وسبب ذلك أنّ النقيب طراداً[1] الزينبيّ كان له كاتب يُعرف بابن سِنان ، فقُتل ، فأنفذ النقيب إلى الشحنة يستدعي منه من يقيم السياسة ، فأنفذ حاجبه محمّداً ، فرجمه أهل باب البصرة ، وأدمَوه ، فرجع إلى صاحبه فشكا إليه منهم ، فأمر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم ، فسار إليهم في جماعة كثيرة ، وتبعهم أهل الكرخ ، فأحرقوا ونهبوا ، فأرسل الخليفة إلى الشحنة يأمره بالكفّ عنهم فكفّ .

وفيها ، في رمضان ، توفّيت تركان خاتون الجلاليّة بأصبهان ، وهي ابنة طفغاج[3] خان ، وهو من نسل افراسياب التركيّ ، وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة تُتُش لتتّصل به ، فمرضت وعادت وماتت ، وأوصت إلى الأمير أُنَر وإلى الأمير سرمز[4] شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ، ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ، ومعها عشرة آلاف فارس أتراك .

وفيها ، في ذي القعدة . توفّي أبو الحسين بن الموصلايا ، كاتب ديوان الزمام ببغداذ[5] .

---

1) B. حب .
2) B. النصر .
3) B. طنغاج .
4) B. سرمن .
5) B. add. وانقضت السنة .

---

١ طراد .

Marfat.com

٤٨٨

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم

في هذه السنة غدر شاهملك التركيُّ بيحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس ، وقبض عليه .

وكان شاهملك هذا من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق ، فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه ، فسار إلى مصر في مائة فارس ، فأكرمه الأفضل أمير الجيوش ، وأعطاه إقطاعاً ومالاً ، ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجه من مصر ، فخرج هو وأصحابه هاربين ، فاحتالوا حتّى أخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجّهوا إلى المغرب ، فوصلوا إلى طَرابُلس الغرب ، وأهل البلد كارهون لواليها ، فأدخلوهم البلد ، وأخرجوا الوالي ، وصار شاهملك أمير البلد .

فسمع تميم الخبر ، فأرسل العساكر إليها ، فحصروها ، وضيّقوا على الترك ففتحوها ، ووصل شاهملك معهم إلى المهديّة ، فسُرّ به تميم وبمن معه ، وقال: وُلد لي مائة وِلد أنتفع بهم ؛ وكانوا لا يخطىء لهم سهم .

فلم تطل الأيّام حتّى جرى منهم أمر غيّر تميماً عليهم ، فعلم شاهملك ذلك ، وكان داهياً ، خبيثاً ، فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ، ومعه شاهملك ، وكان أبوه تميم قد تقدّم إليه أن لا يقرّب شاهملك ، فلم يقبلْ . فلمّا أبعدوا في طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه ، وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه إلى مدينة سَفَاقُس .

وبلغ الخبر تميماً . فركب ، وسيّر العساكر في أثرهم ، فلم يدركوهم ، ووصل شاهملك بيحيى بن تميم إلى سفاقُس ، فركب صاحبها ، واسمه حمّو[1] ، وكان قد خالف على تميم . ولقي يحيى . ومشى في ركابه راجلاً ، وقبّل يده وعظّمه . واعترف له بالعبوديّة ، فأقام عنده أيّاماً ، ولم يذكره أبوه بكلمة ، وكان قد جعله وليّ عهده ، فلمّا أخذ أقام أبوه مقامه ابناً له آخر اسمه المثنّى .

ثم إنّ صاحب سفاقُس خاف يحيى على نفسه أن يثور معه الجند وأهل البلد ويملّكوه عليهم ، فأرسل إلى تميم كتاباً يسأله في إنفاذ الأتراك وأولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى ؛ ففعل ذلك بعد امتناع ، وقدم يحيى ، فحجبه أبوه عنه[1] مدّةً . ثم أعاده إلى حاله ، ورضي عنه ، ثم جهّز تميم عسكراً إلى سفاقُس ، ويحيى معهم[2] ؛ فساروا إليها وحصروها برّاً وبحراً ، وضيّقوا على الأتراك بها ، وأقاموا عليها شهرَيْن ، واستولوا عليها ، . وفارقها الأتراك إلى قَابِس[3] .

وكان تميم لمّا رضي عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنّى ، وداخله الحسد . فلم يملك نفسه ، فنُقل عنه إلى أبيه ما تحيّر قلبه عليه ، فأمر بإخراجه من المهديّة بأهله وأصحابه ، فركب في البحر ومضى إلى سفاقُس ، فلم يمكّنه عامله من الدخول إليها ، وقصد مدينة قابِس ، وبها أمير يقال له مكين[4] بن كامل الدهسمانيُّ ، فأنزله وأكرمه ، فحسّن له المثنّى الخروج معه إلى سفاقُس والمهديّة ، وأطمعه فيهما ، وضمن الإنفاق على الجند من ماله ، فجمع مكين[4] من يمكنه جمعه ، وسار إلى سفاقُس ، ومعهما شاهملك التركيُّ وأصحابه ، فنزلوا على سفاقُس وقاتلوها .

---

1) B. عنه .
2) B. صحبتهم .
3) Om. C. P.
4) B. مكن

---

١ حموا .

وسمع تميم ، فجرّد إليها جنداً ، فلمّا علم المثنّى ومن معه أنّهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها إلى المهديّة ، فنزلوا عليها وقاتلوها ، وكان الذي يتولّى القتال في المهديّة يحيى بن تميم ، وظهرت منه شهامة ، وشجاعة . وحزم ، وحُسن تدبير ، فلم يبلغْ أولئك منها غرضاً ، فعادوا خائبين ، وقد تلف ما كان مع المثنّى من مال وغيره ، وعظم أمر يحيى ، وصار وهو المشار إليه .

ذكر قتل أحمد خان صاحب سَمَرْقَنْد[1]

في هذه السنة ، في المحرّم ، قُتل أحمد خان ، صاحب سَمَرْقَنْدَ ، وكان قد كرهه عسكره واتّهموه بفساد الاعتقاد ، وقالوا : هو زنديق[1] .

وكان سبب ذلك أنّ السلطان ملكشاه ، لمّا فتح سمرقَند وأسر أحمد خان هذا ، قد وكّل به جماعة من الديلم ، فحسّنوا له معتقدهم ، وأخرجوه إلى الإباحة ، فلمّا عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدلّ على انحلاله من الدين ، فلمّا كرهه أصحابه ، وعزموا على قتله ، قالوا لمستحفظ قلعة كاسان ، وهو طغرل ينّال بك ، ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله ، فيتمكّنوا من قتله ، فعصى طغرل ينّال بك ، فسار أحمد خان والعسكر إلى قتاله ، فلمّا نازل القلعة تمكّن العسكر منه ، وقبضوا عليه ، وعادوا إلى سمرقند ، وأحضروا القضاة والفقهاء ، وأقاموا خصوماً ادعوا عليه الزندقة ، فجحد ، فشهد عليه

1) Hoc caput deest in B.

١ زنلق .

جماعة بذلك . فأفتى الفقهاء بقتله ، فخنقوه ، وأجلسوا ابنَ عمّه مسعوداً[1] مكانه وأطاعوه .

ذكر ما فعله يوسف بن آبق ببغداذ

في هذه السنة ، في صفر ، سيّر الملك تُتُش يوسفَ بن آبق التركمانيّ شِحنة لبغداذ ، ومعه جمع من التركمان ، فمُنع من دخول بغداذ ، وورد إليه صدقة بن مَزْيَد صاحب الحِلّة . وكان يكره تُتُش ، ولم يخطب له في بلاده ، فلمّا سمع ابن آبق بوصوله عاد إلى طريق خراسان ونهب بَاجِسْرا ، وقاتله العسكر يبَعْقُوبا ، فهزمهم ونهبهم[2] أفحش نهب وأكثر معه من التركمان وعاد إلى بغداذ .

وكان صدقة قد رجع إلى الحِلّة ، فدخل يوسف بن آبق إلى بغداذ ، وأراد نهبها والإيقاع بأهلها ، فمنعه أمير كان معه من ذلك ، ثم وصل إليه الخبر بقتل تُتُش ، فرحل عن بغداذ إلى الموصل ، وسار من هناك إلى حلب .

ذكر الحرب بين بركيارُق وتُتُش وقتل تُتُش

في هذه السنة ، في صفر ، قُتِل تُتُش بن ألب أرسلان .

وكان سبب ذلك أنّه لمّا هزم السلطان بركيارُق ، كما ذكرناه ، سار من

---

1) Om. C. P.

2) B. ونهبها .

---

١ مسعود .

Marfat.com

موضع الوقعة إلى همذان ، وقد تحصّن بها أمير آخرُ ، فرحل تُتُش عنها ، فنبه أمير آخرُ لأجل أثقاله ، فعاد عليه تُتُش فكسره ، فعاد إلى همذان ، واستأمن إليه ، وصار معه .

وبلغ تُتُش مرض بركيارق ، فسار إلى أصبهان ، فاستأذنه أمير آخرُ في قصد جرباذقان لإقامة الضيافة وما يحتاج إليه ، فأذن له ، فسار إليها ، ومنها إلى أصبهان ، وعرّفهم خبر تُتُش .

وعلم تُتُش خبره ، فنهب جرباذقان ، وسار إلى الرَّيّ ، وراسل الأمراء الذين بأصبهان يدعوهم إلى طاعته ، ويبذل لهم البذول الكثيرة ، وكان بركيارق مريضاً بالخُدَري ، فأجابوه يعدونه بالانحياز إليه ، وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق . فلمّا عوفي أرسلوا إلى تُتُش : ليس بيننا غير السيف ؛ وساروا مع بركيارق من أصبهان ، وهم في نفر يسير ، فلمّا بلغوا جرباذقان أقبلت إليهم العساكر من كلّ مكان ، حتّى صاروا في ثلاثين ألفاً ، فالتقوا بموضع قريب من الرَّيّ ، فانهزم عسكر تُتُش وثبت هو ، فقُتل ؛ قيل قتله بعض أصحاب آقسنقَر ، صاحب حلب ، أخذاً بثأر صاحبه .

وكان قد قُبض على فخر الملك بن نظام الملك ، وهو معه ، فأطلق ، واستقام الأمر والسلطنة لبركيارق ، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه ، بالأمس ينهزم من عمّه تُتُش ، ويصل إلى أصبهان في نفر يسير ، فلا يتبعه أحد ، ولو تبعه عشرون فارساً لأخذوه لأنّه بقي على باب أصبهان عدّة أيّام ، ثم لمّا دخلها أراد الأمراء كحله ، فاتّفق أنّ أخاه حُمّ ثاني يوم وصوله ، وجُدر ، فمات ، فقام في الملك مقامه ، ثم جُدر هو وأصابه معه سِرسام ، فعوفي ، وبقي مذ كسره عمّه إلى أن عوفي وسار عن أصبهان أربعة أشهر لم يتحرّك عمّه ، ولا عمل شيئاً ، ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد :

وفي سِرٌّ في عُلاك ، وإنّما كلامُ العِدى ضَربٌ من الهَذَيانِ

Marfat.com

ذكر حال الملك رُضوان وأخيه دُقاق بعد قتل أبيهما

كان تاج الدولة تُتُش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رُضوان ، وكتب إليه من بلد الجبل . قبل المصافّ الذي قُتل فيه ، يأمره أن يسير إلى العراق ، ويقيم بدار المملكة ، فسار في عدد كثير منهم : إيلغازي بن أُرْتُق ، وكان قد سار إلى تُتُش ، فتركه عند ابنه رضوان ، ومنهم : الأمير وثاب بن محمود[1] ابن صالح بن مرداس ، وغيرهما ، فلمّا قارب هَيْتَ بلغه قتل أبيه ، فعاد إلى حلب ، ومعه والدته ، فملكها ، وكان بها أبو القاسم الحسن بن عليّ الخُوارزميُّ ، قد سلّمها إليه تُتُشُ وحكّمه في البلد والقلعة .

ولحق برضوان زوج أمّه جناح الدولة الحسين بن أيتكين ، وكان مع تُتُش ، فسلم من المعركة ، وكان مع رضوان أيضاً أخواه الصغيران : أبو طالب وبَهرام ، وكانوا كلّهم مع أبي القاسم كالأضياف لتحكّمه في البلد ؛ واستمال جناح الدولة المغاربة ، وكانوا أكثر جند القلعة ، فلمّا انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان ، واحتاطوا على أبي القاسم ، وأرسل إليه رضوان يطيّب قلبه ، فاعتذر ، فقبل عذره ، وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ، ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه ، بعد قتله ، نحو شهرَيْن .

وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة ، وخالف عليهم الأمير باغي سيان[2] بن محمّد بن ألب التركمانيُّ ، صاحب أنطاكية ، ثم صالحهم ، وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر ، لخلوّها من والٍ يحفظها ، فساروا جميعاً ، وقدم عليهم أمراء الأطراف الذين كان تُتُش رتّبهم فيها ، وقصدوا سَرُوج فسبقهم إليها الأمير سُقمان بن أُرتُق جَدّ[3] أصحاب الحصن اليوم ،

---

1) B. محمد . 2) C. P. باغي سان ; سنان . 3) Add. B. مرلا .

Marfat.com

وأخذها ، ومنعهم عنها ، وأمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان وتظلّموا إليه من عساكره وما يفسدون من غلاّتهم ، ويسألونه الرحيل ، فرحل عنهم إلى الرُّها .

وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط ، وكان يضمن البلد من بوزان ، فقاتل المسلمين بمن معه ، واحتمى بالقلعة ، وشاهدوا من شجاعته ما لم يكونوا[1] يظنّونه ، • ثم ملكها رضوان[1] ، وطلب باغي سيان[2] القلعة من رضوان ، فوهبها له ، فتسلّمها وحصّنها ، ورتّب رجالها ، وأرسل إليهم أهلُ حرّان • يطلبونهم ليسلّموا إليهم حرّان[3] ، فسمع ذلك قراجة أميرها ، فاتّهم ابن المفتّي ، وكان ابن المفتّي هذا قد اعتمد عليه تُتُش في حفظ البلد ، فأخذه ، وأخذ معه بني أخيه ، فصلبهم .

ووصل الخبر إلى رضوان ، وقد اختلف جناح الدولة وباغي سيان ، وأضمر كلّ واحد منهما الغدر بصاحبه ، فهرب جناح الدولة إلى حلب . فدخلها ، واجتمع بزوجته أمّ الملك رضوان ، وسار رضوان وباغي سيان ، فعبرا الفرات إلى حلب ، فسمعا بدخول جناح الدولة إليها ، ففارق باغي سيان الملك رضوان ، وسار إلى أنطاكية ، ومعه أبو القاسم الخُوارزميّ ، وسار رضوان إلى حلب .

وأمّا دقاق بن تُتُش فإنّه كان قد سيّره أبوه إلى عمّه السلطان ملكشاه ببغداذ ، وخطب له ابنة السلطان ، وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلاليّة وابنها محمود إلى أصبهان ، وخرج إلى السلطان بركيارق سرّاً ، وصار معه ، ثم لحق بأبيه ، وحضر معه الوقعة التي قُتل فيها .

1) Om. C. P.

2) Codd. باغي سان .

3) Om. C. P.

---

١. لا كانوا .

Marfat.com

فلمّا قُتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أيتكين الحلبيّ ، وسار به إلى حلب ، وأقام عند أخيه الملك رضوان ، فراسله الأمير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سِرّاً ، يدعوه ليملّكه دمشق ، فهرب من حلب سِرّاً ، وجدّ في السير ، فأرسل أخوه رضوان عِدّة من الخيّالة ، فلم يدركوه ، فلمّا وصل إلى دمشق فرح به الخادم ، وأظهر الاستبشار ، ولقيه ، فلمّا دخلها أرسل إليه باغي سيان يشير عليهِ بالتفرّد بملك دمشق عن أخيه رضوان .

واتّفق وصول معتمد الدولة طغدكين إلى دمشق ، ومعه جماعة من خواصّ تُتُش وعسكره ، وقد سلموا ، فإنّه كان قد شهد الحرب مع صاحبه ، وأُسِر ، فبقي إلى الآن ، وخلص من الأسر ، فلمّا وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق . وأرباب دولته ، وبالغوا في إكرامه ؛ وكان زوج والدة دقاق[1] فمال إليه لذلك ، وحكّمه في بلاده ، وعملوا على قتل الخادم ساوتكين ، فقتلوه ، وسار إليهم باغي سيان[2] من أنطاكية ، ومعه أبو القاسم الخوارزميّ ، فجعله وزيراً لدقاق ، وحكّمه في دولته .

ذكر وفاة المعتمد بن عبّاد

في هذه السنة توفّي المعتمد بن عبّاد ، الذي كان صاحب الأندلس ، مسجوناً بأغْمَاتَ ، من بلد المغرب ، وقد ذكرنا كيف أُخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، فبقي مسجوناً إلى الآن ، وتوفّي ، وكان من محاسن الدنيا كرماً ، وعلماً ، وشجاعة ، ورئاسة تامّة ، وأخباره مشهورة ، وآثاره مأثورة .

---

1) Om. R.

2) C. P. باغي سيان .

Marfat.com

وله أشعار حسنة ، فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحُبس :

سلّتْ عليّ يدُ الخُطوبِ سُيوفَها ... فجذذْنَ[1] من جسدي الحصيفَ[2] الأمتنا
ضربتْ بها أيدي الخُطوبِ ، وإنّما ... ضَرَبَتْ رقابَ الآملينَ بها المُنَى[2]
يا آملي الطاماتِ من نفحاتِنا ، ... كُفّوا ، فإنّ الدّهرَ كفّ أكُفّنا

وله من قصيدة يصف القيد في رجله :

تعطّفَ في ساقي تعطّفَ أرقمٍ ، ... يُساورُها عضّاً بأنيابِ ضيغمِ
وإنّي مَن كانَ الرجالُ بسيْبِهِ ، ... ومن سيْفه[2] في جنّةٍ وجهنّمِ

وقال في يوم عيد :

فيما مضى كنتَ بالأعيادِ مسرورا ، ... فساءك العيدُ[3]، في أغمات ، مأسورا
قد كانَ دهرُك إن تأمرُه مُمتثِلاً ، ... فردّكَ الدهرُ منهيّاً ، ومأمورا
من بات بعدكَ في مُلكٍ يُسَرُّ به ، ... فإنّما باتَ بالأحلامِ مسرورا

وكان شاعره أبو بكر بن اللّبانة يأتيه وهو مسجون ، فيمدحه لا لجدوى ينالها منه ، بل رِعايةً لحقّه وإحسانه القديم إليه . فلمّا توفّي أتاه ، فوقف على قبره ، يوم عيدٍ ، والناس عند قبور أهليهم ، وأنشد ، بصوت عالٍ[3] :

مليكَ الملوكِ السامعُ فأُنادي[4] ، ... ألم قد عدَاك عن الجوابِ عوادي

---

1) B. فجذت . 2) B. سبقه . 3) B. [illegible] 4) B. ما أنا

---

١ المصيف .
٢ المنا .
٣ صرت كالعيد .

Marfat.com

لمّا خلَتْ منكَ القصورُ ، ولم تكُن فيها ، كما قد كنتَ في الأعيادِ
فَمثَلتُ[1] في هذا الثّرى لكَ خاضِعاً[2] وتَخِذتُ قَبْرَكَ مَوضِعَ الإنشادِ

وأخذ في إتمام القصيدة ، فاجتمع الناس كلّهم عليه يبكون . ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الأمر ، فلنقف عند هذا .

ذكر وفاة الوزير أبي شجاع

في هذه السنة توفّي الوزير أبو شجاع محمّد بن الحسين بن عبد الله ، وزير الخليفة ، في جمادى الآخرة ، وأصْله من رُوذراور ، ووُلد بالأهواز ، وقرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ ، وكان عالماً بالعربية ، وله تصانيف منها : ذيل تجارب الأمم ، وكان عفيفاً ، عادلاً ، حسن السيرة ، كثير الخير والمعروف ، وكان موته بمدينة رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، كان مجاوراً فيها .

ولمّا حضره الموت أمر فحُمل إلى مسجد النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فوقف بالحضرة وبكى ، وقال : يا رسول الله ! قال الله ، عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾[3] ؛ وقد جئت معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك .

وبكى فأكثر ، وتوفّي من يومه ، ودُفن عند قبر إبراهيم ابن النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم .

---

1) B. ضلت . 2) B. خاشعاً . 3) Coran. 4, vs. 63.

Marfat.com

ذكر الفتنة بنَيسابور

في هذه السنة ، في ذي الحجّة ، جمع أمير كبير من أمراء خُراسان جمعاً كثيراً ، وسار بهم إلى نَيسابور ، فحصرها ، فاجتمع أهلُها وقاتلوه أشدّ قتالٍ ، ولازم حصارهم نحو أربعين يوماً ، فلمّا لم يجد له مطمعاً فيها سار عنها في المحرّم سنة تسع وثمانين [وأربعمائة] ، فلمّا فارقها وقعت الفتنة بها بين الكراميّة وسائر الطوائف من أهلها ، فقُتل بينهم قتلى كثيرة .

وكان مقدّم الشافعيّة أبا القاسم ابن إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجُوينيّ ، ومقدّم الحنفيّة القاضي محمّد بن أحمد بن صاعد ، وهما متّفقان على الكراميّة ، ومقدّم الكراميّة محمشاد ، فكان الظفر للشافعيّة والحنفيّة على الكراميّة ، فخربت مدارسهم ، وقُتل كثير منهم ومن غيرهم ، وكانت فتنة عظيمة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، شرع الخليفة في عمل سور على الحريم ، وأذن الوزير عميد الدولة بن جُهير للعامّة في التفرّج والعمل ، فزيّنوا البلد ، وعَمِلوا[1] القِباب ، وجدّوا في عمارته .

وفيها ، في شهر رمضان ، جُرح السلطان بركيارق ، جرحه إنسان سنّريّ[1]

---

1) B. سفري .

---

١ وعمل .

له من أهل سجستان ، في عضده ، ثم أخذ الرجل ، وأعانه رجلان أيضاً من أهل سجستان ، فلمّا ضُرب الرجل الجارح اعترف أنّ هذين الرجلين وضعاه ، واعترفا بذلك ، فضُربا الضرب الشديد ، ليقرّا على من أمرهما بذلك ، فلم يقرّا ، فقُرّبا إلى الفيل ليُجعلا تحت قوائمه ، وقُدّم أحدهما ، فقال : اتركوني وأنا أعرّفكم ؛ فتركوه ، فقال لصاحبه : يا أخي لا بدّ من هذه القتلة ، فلا تفضح أهل سجستان بإفشاء الأسرار ؛ فقُتلا .

وفيها توجّه الإمام أبو حامد الغزاليُّ إلى الشام ، وزار القدس ، وترك التدريس في النظاميّة ، واستناب أخاه ، وتزهّد ، ولبس الخشن ، وأكل الدون ، وفي هذه السفرة صنّف إحياء علوم الدين ، وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق ، وعاد إلى بغداذ بعدما حجّ في السنة التالية ، وسار إلى خراسان .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، خُطب لوليّ العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله[1] .

وفيها عزل بركيارق وزيرَه مؤيّد الملكِ بن نظام الملك ، واستوزر أخاه فخر الملك ؛ وسبب ذلك أنّ بركيارق لمّا هزم عمّه تُتُش ، وقتله ، أرسل خادماً ليُحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان ، فاتّفق مؤيّد الملك مع جماعة من الأمراء ، وأشاروا عليه بتركها ، فقال : لا أريد الملك إلاّ لها ، وبوجودها عندي ؛ فلمّا وصلتْ إليه وعلمت الحال تنكّرت على مؤيّد الملك ، وكان مجد الملك أبو الفضل البلاسانيُّ قد صحبها في طريقها ، وعلم أنّه لا يتمّ له أمر مع مؤيّد الملك ، وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك • تَبَاعد[1] بسبب جواهر خلّفها أبوهم نظام الملك ، فلمّا علم فخر الملك تنكّرَ أم[2] السلطان على أخيه

---

1) Cm. B. 2) B. مكرم .

---

١ متباعداً .

Marfat.com

مؤيّد الملك أرسل وبذل أموالاً جزيلة في الوزارة ، فأُجيب إلى ذلك ، وعُزل أخوه وولي هو .

وفي هذه السنة ، في جمادى الأولى ، توفّي أبو محمّد رزق الله بن عبد الوهّاب التميميُّ ، الفقيه الحنبليُّ ، وكان عارفاً بعدّة علوم ، وكان قريباً من السلاطين .

وفيها ، في رجب ، توفّي أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيرون ، المعروف بابن الباقلانيّ ، وهو مشهور ، ومولده سنة ستّ[1] وأربعمائة .

وفيها ، في شعبان ، توفّي قاضي القضاة أبو بكر محمّد بن المظفّر الشاميُّ ، وكان من أصحاب أبي الطَّيّب الطَّبَريّ ، ولم يأخذ على القضاء أجراً ، وأقرّ[1] الحقّ مقرّه ، ولم يحابِ[2] أحداً من خلق الله ، ادّعى عنده بعض الأتراك على رجل شيئاً ، فقال : ألك بيّنة ؟ قال : نعم ! فلان ، والمشطب الفقيه الفرغانيُّ ؛ فقال : لا أقبل شهادة المشطب لأنّه يلبس الحرير ؛ فقال . التركيُّ : فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير ؛ فقال[2] : لو شهدا عندي على باقة بقل لم أقبل شهادتهما ؛ وولي القضاء بعده أبو الحسن عليّ ابن قاضي القضاة أبي عبد الله محمّد الدامغانيّ .

وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمّد القزوينيُّ ، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وكان مغالياً في الاعتزال ، وقيل كان زيديّ المذهب .

وفيها توفّي القاضي أبو بكر بن الرطبيّ ، قاضي دُجَيْل ، وكان شافعيّ

---

1) 'Om. C. P.

2) Om. B.

---

١ وأقرّ .

٢ يحاب .

Marfat.com

المذهب . وولي بعده أخوه أبو العبّاس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحدّاد الأصبهانيُّ ، صاحب أبي نعيم الحافظ ، روى عنه حِلْيَة الأولياء ، وهو أكبر من أخيه أبي المعالي[1] ؛ وأبو عبد الله محمّد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ابن حُميد الحميديُّ الأندلسيُّ ، وُلد قبل العشرين وأربعمائة ، وسمع الحديث ببلده ، ومصر ، والحجاز ، والعراق ، وهو مصنّف الجمع بين الصحيحَيْن ، وكان ثقةً فاضلاً ، وتوفّي في ذي الحجّة ، ووقف كتبه فانتفع بها الناس .

1) B. ملي .

Marfat.com

٤٨٩

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

ذكر قتل يوسف بن آبق والمجنّ الحلبيّ

في هذه السنة ، في المحرّم ، قُتل يوسف بن آبق الذي ذكرنا أنّه سيّره تاج الدولة تُتُش إلى بغداذ ونهب سوادها .

وكان سبب قتله أنّه كان بحلب ، بعد قتل تاج الدولة ، وكان بحلب إنسان يقال له المِجنّ ، وهو رئيس الأحداث بها ، وله أتباع كثيرون ، فحضر عند جناح الدولة حسين ، وقال له : إنّ يوسف بن آبق يكاتب باغي سيان[1] ، وهو على عزم الفساد ؛ واستأذنه في قتله ، فأذن له ، وطلب أن يعينه بجماعة من الأجناد ، ففعل ذلك ، فقصد المِجنّ الدار التي بها يوسف ، فكبسها من الباب والسطح ، وأخذ يوسف فقتله ، ونهب كلّ ما[1] [كان] في داره ، وبقي بحلب حاكماً ، فحدّثته نفسه بالتفرّد بالحكم عن الملك رضوان ، فقال لجناح الدولة : إنّ الملك رضوان أمرني بقتلك ، فخذ لنفسك ؛ فهرب جناح الدولة إلى حِمص ، وكانت له ، فلمّا انفرد المِجنّ بالحكم تغيّر عليه رضوان ، وأراد منه أن يفارق البلد ؛ فلم يفعل ، وركب في أصحابه ، • فلو همّ[2] بالمحاربة لفعل ، ثمّ أمر أصحابه أن ينهبوا ماله ، وأثاثه ، ودوابّه ، ففعلوا ذلك ، واختفى ، فطُلب

---

1) C. P. باغي سان .

2) B. فأمرهم .

Marfat.com

فوُجد بعد ثلاثة أيّام ، فأُخذ وعُوقب وعُذّب ، ثم قُتل هو وأولاده ، وكان من السواد يشقّ الخشب ، ثم بلغ هذه الحالة .

ذكر وفاة منصور بن مروان

في هذه السنة ، في المحرّم ، توفّي منصور بن نظام الدين بن نصر الدولة بن مروان ، صاحب ديار بكر[1] ، وهو الذي انقرض أمر بني مروان على يده ، حين حاربه فخر الدولة بن جُهير ، وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة ، وتركه عند رجل يهوديّ ، فمات في داره ، وحملتْه زوجته إلى تربة آبائه ، فدفنته ثم حَجّت[1] ، وعادت إلى بلد البشنويّة ، فابتاعت ديراً من بلد فَنَك بقرب[2] جزيرة ابن عمر ، وأقامت فيه تعبد الله .

وكان منصور شجاعاً ، شديد البخل ، له في البخل حكايات عجيبة . فتعساً لطالب الدنيا ، المعرض عن الآخرة ، ألا ينظر[2] إلى فعلها بأبنائها ؛ بينما منصور هذا ملِكٌ من بيت ملك آل أمره إلى أن مات في بيت يهوديّ ، نسأل الله تعالى أن يحسّن أعمالنا ، ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة ، بمنّه وكرمه .

---

1) B. add. بالجزيرة .

2) Om. B.

---

١ حجب .

٢ تنظر .

Marfat.com

ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضاً

في هذه السنة ملك تميم بن المعزّ مدينة قابِس ، وأخرج منها أخاه عمراً[1] .

وسبب ذلك أنّها كان بها إنسان يقال له • قاضي بن[2] إبراهيم بن بلمونه فمات[3] ، فولّى أهلُها عليهم عمرو بن المعزّ ، فأساء السيرة ، وكان قاضي ابن إبراهيم عاصياً على تميم ، وتميم يُعرض عنه ، فسلك عمرو طريقه في ذلك[4] ، فأخرج تميم العساكر إلى أخيه • عمرو ليأخذ المدينة منه ، فقال له بعض أصحابه : يا مولانا لمّا كان فيها قاضي توانَيتَ[5] عنه وتركتَه ، فلمّا وليها أخوك جرّدت إليه العساكر ؛ فقال : لمّا كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلاً علينا ، وأمّا اليوم ، وابن المعزّ • بالمهديّة ، وابن المعزّ[6] بقابِس ، فهذا[2] ما لا يمكن السكوت عليه .

وفي فتحها يقول ابن خطيب سُوسَة القصيدة المشهورة التي أوّلها :

ضَحِكَ الزّمانُ ، وكان يُلْقَى عابِسَا لمّا فتَحْتَ بحدّ سيفِك قابِسَا
اللهُ يعلمُ ما حَوَيتَ ثِمارَها إلاّ وكان أبوك ، قبلُ ، الغارِسا
من كانَ في زُرقِ الأسنّةِ خاطباً ، كانت لَهُ قللُ البلادِ عرائسَا
فابشِرْ تميم بن المعزّ بفتكةٍ تركَتْك مِن أكنافِ قابِسَ قابِسَا

.....

1) Codd. عمراً . 2) Om. C. P. 3) C. P. add. قاضي بن .
4) B. العصيان . 5) Om. C. P. 6) Om. B.

---

١ عمروآ .
٢ هذا .

Marfat.com

ولّوا ، فكَمْ تركوا هُناك مَصانِعاً ومَقاصراً ، ومَخالداً ، ومَجالسا
فكأنّها قَلْبٌ ، وهُنّ وساوِسٌ ، جاء اليقينُ ، فذاد[1] عنه وساوِسا

ذكر ملك كربوقا الموصل

في هذه السنة ، في ذي القعدة ، ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل ، وقد ذكرنا أنّ تاج الدولة تُتُش أسره لمّا قتل آقسنقَر وبوزان ، فلمّا أسره أبقى عليه ، طمعاً في استصلاح حميه[1] الأمير أُنَر ، ولم يكن له بلد يملكه إذا قتله ، كما فعل بالأمير بوزان ، فإنّه قتله واستولى[2] على بلاده الرُّها وحَرّان .

ولم يزل قوام الدولة محبوساً بحلب إلى أن قُتل تُتُش ، وملك ابنه الملك رضوان حلبَ[2] ، فأرسل السلطان بركيارُق رسولاً يأمره بإطلاقه وإطلاق أخيه[3] التونتاش ، فلمّا أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطّالين ، فأتيا حَرّان فتسلّماها ، وكاتبهما محمّد بن شرف الدولة مسلم بن قُريش ، وهو بنَصِيبين ، ومعه ثروان بن وهيب ، وأبو الهيجاء الكرديُّ ، يستنصرون بهما على الأمير عليّ بن شرف الدولة ، وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تُتُش بعد وقعة المُضَيَّع .

---

1) B. جبه .

2) B. حتى استول .

---

١ فزاد .
٢ حلباً .
٣ أخاه .

Marfat.com

فسار كَربوقا إليهم ، فلقيه محمّد بن شرف الدولة على مرحلتَيْن من نَصِيبين ، واستحلفهما لنفسه ، فقبض عليه كربوقا بعد اليمين ، وحمله معه ، وأتى[1] نَصِيبين ، فامتنعت عليه ، فحصرها أربعين يوماً ، وتسلّمها ، وسار إلى الموصل فحصرها ، فلم يظفر منها بشيء ، فسار عنها إلى بَلَد ، وقتل بها محمّدَ بن شرف الدولة ، وغرّقه ، وعاد إلى حصار الموصل ، ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا ، وترك التونتاشَ شرقيّ الموصل ، فاستنجد عليّ ابن مُسلّم صاحبُها بالأمير جكرمِش ، صاحب جزيرة ابن عمر ، فسار إليه نجدةً له ، فلمّا علم التونتاش بذلك سار إلى طريقه ، فقاتله ، فانهزم جكرمش ، وعاد إلى الجزيرة منهزماً ، وصار في طاعة كربوقا ، وأعانه على حصر الموصل ، وعلمت الأقوات بها وكلّ شيء ، حتّى ما يوقدونه ، فأوقدوا القِيرَ ، وحَبّ القطن .

فلمّا ضاق بصاحبيها عليّ الأمر فارقها وسار إلى الأمير صدقة بن مَزْيد بالحِلّة ، وتسلّم كربوقا البلد بعد أن حصره تسعة أشهر ، وخافه أهله لأنّه بلغهم أنّ التونتاش يريد نهبهم ، وأنّ كربوقا يمنعه من ذلك ، فاشتغل التونتاش بالقبض على أعيان البلد ، ومطالبتهم بودائع البلد[2] ، واستطال على كربوقا ، فأمر بقتله ، فقُتل في اليوم الثالث ، وأمن الناس شرّه ، وأحسن كربوقا السيرة فيهم ، وسار نحو الرَّحبة ، فمُنع عنها ، فملكها ونهبها واستناب بها وعاد .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اجتمع ستّة كواكب في بُرج الحوت ، وهي الشمسُ ، والقمرُ ، والمشتري ، والزُّهَرَةُ ، والمرّيخُ ، وعُطاردُ ، فحكم المنجّمون

---

1) B. إلى .

2) B. العرب .

Marfat.com

بطُوفان يكون في الناس يقارب طُوفان نوح ، فأحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عَيْسون المنجّم ، فسأله ، فقال : إنّ طُوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت ، والآن فقد اجتمع ستّة منها ، وليس منها زُحَل ، فلو كان معها لكان مثل طُوفان نوح ، ولكن أقول إنّ مدينة ، أو بقعة من الأرض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة ، فيغرقون ؛ فخافوا على بغداذ ، لكثرة من يجتمع فيها من البلاد ؛ فأُحكمت المسنّيات ، والمواضع التي يُخشى منها الانفجار والغرق .

فاتّفق أن الحجّاج نزلوا بوادي المياقت[1] ، بعد نَخلَة ، فأتاهم سيل عظيم فأغرق أكثرهم ، ونجا من تعلّق بالجبال ، وذهب المال ، والدوابّ ، والأزواد ، وغير ذلك . فخلع الخليفة على المنجّم .

وفيها ، في صفر ، درّس الشيخ أبو عبد الله الطبريُّ الفقيه الشافعيُّ بالمدرسة النِّظاميّة ببغداذ ، رتّبه فيها فخر الملك بن نظام الملك ، وزير بركيارُق .

وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مَزْيد ، فأرسل في أثرهم عسكراً ، مقدّمه ابن عمّه قُريش بن بدران بن دُبَيْس بن مَزْيد ، فأسرته خفاجة ، وأطلقوه ، وقصدوا مشهد الحسين بن عليّ ، عليه السّلام ، فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر ، فوجّه إليهم صدقة جيشاً ، فكبسوهم ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً في المشهد ، حتّى عند الضريح ، وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور ، فسلم هو والفرس .

وفي هذه السنة ، في صفر ، توفّي القاضي أبو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرّة النعمان والمستولي على أمورها ، وكان ، رجل زمانه همةً وعلماً[2] .

، وفيها ، في ربيع الأوّل ، توفّي أبو بكر محمّد بن عبد الباقي المعروف

---

1) B. المنالت .

2) B. عالماً في عدة علوم قد قارب ثمانين سنة .

Marfat.com

بابن الخاضبة ، المحدّث ، وكان عالماً .

وفيها ، في رمضان ، توفّي أبو بكر عمر بن السّمرقنديّ ، ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

وفيها ، في رمضان ، توفّي أبو الفضل عبد الملك بن إبراهيم المقدسي المعروف بالهمذانيّ ، وكان عالماً في عدّة علوم ، وقد قارب ثمانين سنة[1] .

Marfat.com

1) Om. B.

٤٩٠

ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة

ذكر قتل أرسلان أرغون

في هذه السنة ، في المحرّم ، قُتل أرسلان • أرغون بن ألب أرسلان ، أخو السلطان ملكشاه ، بمرو ، وكان قد ملك خراسان[1] .

وسبب قتله أنّه كان شديداً على غلمانه ، كثير الإهانة لهم والعقوبة ، وكانوا يخافونه [خوفاً] عظيماً ، فاتّفق أنّه الآن طلب غلاماً له، فدخل عليه وليس معه أحد ، فأنكر عليه تأخّرَهُ عن الخدمة ، فاعتذر ، فلم يقبل عذره ، وضربه ، فأخرج الغلام سكّيناً معه وقتله ، وأُخذ الغلام ، فقيل له : لِمَ فعلتَ هذا ؟ فقال : لأريح الناس من ظلمه .

وكان سبب ملكه خراسان أنّه كان له ، أيّام أخيه ملكشاه ، من الإقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار ، وكان معه ببغداذ لمّا مات ، فسار إلى هَمذان في سبعة غلمان ، واتّصل به جماعة ، فسار إلى نَيسابور ، فلم يجد فيها مطمعاً ، فتمّم[2] إلى مرو ، وكان شِحنة مرو أمير اسمه قودن[3] من مماليك ملكشاه ، وهو الذي كان سبب تنكّر السلطان ملكشاه على نظام الملك ، وقد تقدّم ذلك في قتل نظام الملك ، فمال إلى أرسلان أرغون ، وسلّم البلد إليه ، فأقبلت العساكر إليه ، وقصد بَلخ ، وبها فخر الملك بن نظام الملك ، فسار عنها ،

---

1) Om. B. 2) B. فمر . 3) C. P. قوذر .

Marfat.com

ووزر لتاج الدولة تُتُش ، على ما ذكرناه .

وملك أرسلان أرغون بَلخ ، وتِرمِذ ، ونَيسابور ، وعامّة خراسان ، وأرسل إلى السلطان بركيارق وإلى وزيره مؤيّد الملك بن نظام الملك يطلب أن يقرّ عليه خراسان ، كما كانت لجدّه داود ، ما عدا نَيسابور ، ويبذل[1] الأموال ولا ينازع في السلطنة . فسكت عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمّه تُتُش ، فلمّا عزل السلطان بركيارقُ مؤيّدَ الملك عن وزارته ، ووليها أخوه فخر الملك ، واستولى على الأمور مجدُ الملك البلاسانيُّ ، قطع أرسلان أرغون مراسلة بركيارق ، وقال : لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاسانيّ ؛ فندب بركيارق حينئذ عمّه بوربرس[2] بن ألب أرسلان ، وسيّره في العساكر لقتاله .

وكان قد اتّصل بأرسلان عمادُ الملك أبو القاسم بن نظام الملك ، ووزر له ، فلمّا وصلت العساكر إلى خراسان لقيهم أرسلان أرغون ، وقاتلهم ، وانهزم منهم ، وسار منهزماً إلى بَلْخ ، وأقام بوربرس والعساكر التي معه بهراة .

ثم جمع أرغون عساكر جمّة وسار إلى مرو ، فحصرها أيّاماً ، وفتحها عنوةً ، وقتل فيها وأكثر ، وقلع أبواب سورها وهدمه ، فسار إليه بوربرس من هَرَاة ، فالتقيا وتصافّا ، فانهزم بوربرس سنة ثمان وثمانين [وأربعمائة] .

وسبب هزيمته أنّه كان معه من جملة العساكر التي سيّرها[1] معه بركيارق أمير آخُر[3] ملكشاه ، وهو من أكابر الأمراء ، والأمير مسعود بن تاجر ، وكان أبوه مقدّم عسكر داود ، جدّ ملكشاه ، ولمسعود منزلة كبيرة ، ومحلّ عظيم ، عند النّاس كافّة[2] ، وكان بين أمير آخُر وبين أرسلان مودّة قديمة ؛ فأرسل

---

1) C. P. وبذل .

2) B. ubique بوديرس .

3) B. add. اسمه .

---

١ الذي سير .

٢ كافة الناس .

Marfat.com

إليه أرسلان أرغون يستميله ، ويدعوه إلى طاعته ، فأجابه إلى ذلك .

ثم إنّ مسعود بن تاجر قصد أمير آخُر زائراً له ، ومعه ولده ، فأخذهما وقتلهما ، فضعف أمر بوربرس ، وانهزم من أرسلان أرغون . وتفرّق عسكره ، وأُسر ، وحُمل إلى أرسلان أرغون . وهو أخوه . فحبسه بترمِذ ، ثم أمر به فخُنق بعد سنة من حبسه ، وقتل أكابر عسكر خراسان ممّن كان يخافه ويخشى تحكّمه عليه ، وصادر وزيره عماد الملك بثلاثمائة ألف دينار ، وقتله ، وخرب[1] أسوار مدن خراسان ، منها : سور سبزوار ، وسور مرو الشاهجان ، وقلعة سَرْخَس ، وقهندز نَيسابور ، وسور شَهْرَسْتَان ، وغير ذلك ، خربه جميعه سنة تسع وثمانين [وأربعمائة] ، ثم إنّه قُتل هذه السنة كما ذكرنا .

ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، وصل عسكرٌ كثير من مصر إلى ثغر صور ، بساحل الشام ، فحصرها وملكها .

وسبب ذلك أنّ الوالي بها ، ويُعرف بكتيلة ، أظهر العصيان على المستعلي ، صاحب مصر ، والخروج عن طاعته ، فسيّر إليه جيشاً ، فحصروه بها ، وضيّقوا عليه وعلى من معه من جنديّ وعاميّ ، ثم افتتحها عنوةً بالسيف ، وقُتل بها خلق كثير ، ونُهب منها المال الجزيل ، وأُخذ الوالي أسيراً بغير أمان ، وحُمل إلى مصر فقُتل بها .

---

1) B. وحرق .

Marfat.com

ذكر ملك بركيارُق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر

كان بركيارُق قد جهّز العساكر مع أخيه الملك سَنْجَر ، وسيّرها إلى خُراسان لقتال عمّه أرسلان أرغون ، وجعل الأمير قماج أتابك سَنجَر ، ورتّب في وزارته أبا الفتح عليّ بن الحسين الطغرائيّ ، فلمّا وصلوا إلى الدامغان بلغهم خبر قتله ، فأقاموا ، حتّى لحقهم السلطان بركيارق ، وساروا إلى نَيسابور ، فوصل إليها خامس جمادى الأولى من السنة وملكها بغير قتال ، وكذلك سائر البلاد الخراسانيّة ، وساروا إلى بَلْخ .

وكان عسكر أرسلان أرغون قد ملّكوا بعد قتله ابناً له صغيراً ، عمره سبع سنين ، فلمّا سمعوا بوصول السلطان أبعدوا إلى جبال طخارستان ، وأرسلوا يطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، فعادوا ومعهم ابن أرسلان أرغون ، فأحسن السلطان لقاءه ، وأعطاه ما كان لأبيه من الإقطاع أيّام ملكشاه ، وكان وصوله إلى السلطان في خمسة عشر ألف فارس ، فما انقضى يومهم حتّى فارقوه ، واتّصلت كلّ طائفة منهم بأمير تخدمه ، وبقي وحده مع خادم لأبيه ، فأخذته والدة السلطان بركيارق إليها ، وأقامت له من يتولّى خدمته وتربيته .

وسار بركيارق إلى تِرمِذ فسُلّمت إليه ، وأقام عند بَلخ سبعة أشهر ، وأرسل إلى ما وراء النهر ، فأقيمت له الخطبة بسَمَرقند وغيرها ، ودانت له البلاد .

ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفاً

في هذه السنة لمّا كان السلطان بركيارُق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمّد ابن سليمان ، ويُعرف بأمير أميران ، وهو ابن عمّ ملكشاه ، . وتوجّه إلى

Marfat.com

بلخ[1] ، واستمدّ من صاحب غَزْنة ، فأمدّه بجيش كثير ، وفِيَلَة ، وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان ، فقويت شوكته ، ومدّ يده في البلاد ، فسار إليه الملك سَنجَر بن ملكشاه جريدة ، ولا يعلم به أمير أميران ، فكبسه ، فجرى بينهما قتال ساعة ، ثم أُسر ، وحُمل إلى بين يدي سَنجَر ، فأمر به فكُحل .

ذكر عصيان الأمير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خُراسان

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارُق .

وسبب ذلك أنّ الأمير قودن ، كان قد صار في جملة الأمير قماج ، فتوفّي ، والسلطان بمرو ، فاستوحش قودن[2] ، وأظهر المرض ، وتأخّر بمرو بعد مسير السلطان إلى العراق ، وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي ، وقد ولاّه السلطان خُوارِزم ، ولقّبه خُوارِزمشاه ، فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان ، فسبق العسكر إلى مرو في ثلاثمائة فارس ، وتشاغل بالشرب ، فاتّفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله ، فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه ، وساروا إلى خُوارزم ، وأظهروا أنّ السلطان قد استعملهما عليها فتسلّماها .

وبلغ الخبر إلى السلطان ، فتمّ المسير إلى العراق ، لمّا بلغه من خروج الأمير أنَر ومؤيّد الملك عن طاعته ، وأعاد ٭ أمير داذ حبشي[3] بن التونتاق[4] في جيش

---

1) Om. C. P.
2) Om. B.
3) B. الأمير داود الحبشي .
4) B. التومات .

Marfat.com

إلى خراسان لقتالهما ، فسار إلى هَراة، وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه ، فعاجلاه في خمسة عشر ألفاً ، فعلم أمير داذ[1] أنّه لا طاقة له بهما ، فعبر جَيحون ، فسارا إليه ، وتقدّم يارقطاش ليلحقه قودن ، فعاجله يارقطاش وحده وقاتله ، فانهزم يارقطاش وأُخذ أسيراً .

وبلغ الخبر إلى قودن ، فثار به عسكره ، ونهبوا خزائنه وما معه ، فبقي في سبعة نفر ، فهرب إلى بخارى ، فقبض عليه صاحبها ، ثم أحسن إليه ، وبقي عنده ، وسار من هناك إلى الملك سَنجَر ببلخ ، فقبله أحسن قبول ، وبذل له قودن أن يكفيه أموره ، ويقوم بجمع العساكر على طاعته ، فقُدّر أنّه مات عن قريب ، وأمّا يارقطاش فبقي أسيراً إلى أن قُتل أمير داذ ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ابتداء دولة محمّد بن خُوارزمشاه

في هذه السنة أمّر بركيارُق الأمير حبشي بن التونتاق على خُراسان ، كما ذكرناه ، فلمّا صفتْ له ، وقُتل قودن ، كما ذكرنا قبلُ ، ولِيَ خُوارزم الأمير محمّد بن أنوشتكين ، وكان أبوه أنوشتكين مملوك أمير من السلجوقيّة ، اسمه بلكباك[2] ، قد اشتراه من رجل من غَرْشِسْتَانَ فقيل له أنوشتكين غرشحه ، فكبر ، وعلا أمره ، وكان حسن الطريقة ، كامل الأوصاف ، وكان مقدّماً ، مرجوعاً إليه ، ووُلد له ولد سمّاه محمّداً ، وهو هذا ، وعلّمه ، وخرّجه ، وأحسن تأديبه ، وتقدّم بنفسه ، وبالعناية الأزليّة ،

فلمّا وليَ أمير داذ حبشي خُراسان كان خُوارِزمشاه اكنجي قد قُتل ،

---

1) B. داود . 2) B. بلكانك

Marfat.com

وقد تقدّم ذكره ، ونظر الأمير حبشي فيمن يولّيه خُوارِزم ، فوقع اختياره على محمّد بن أنوشتكين ، فولاّه خُوارِزم ، ولقّبه خوارِزمشاه ، فقصر أوقاته على مَعْدَلةٍ ينشرها ، ومكرُمة يفعلها ، وقرّب أهل العلم والدين ، فازداد ذكره حُسناً ، ومحلّه علوّاً .

ولمّا ملك السلطان سَنجَر خُراسان أقرّ محمّداً خوارزمشاه على خُوارزم وأعمالها ، فظهرت كفايته وشهامته ، فعظّم سَنجَر محلّه وقدره .

ثم إنّ بعض ملوك الأتراك جمع جموعاً ، وقصد خُوارزم ، ومحمّد غائب عنها . وكان طغرلتكين[1] بن اكنجي ، الذي كان أبوه خوارزمشاه ، قبلُ ، عند السلطان سَنجَر ، فهرب منه ، والتحق بالأتراك على خُوارزم ، فلمّا سمع خوارزمشاه محمّد الخبر بادر إلى خوارزم ، وأرسل إلى سَنجَر يستمدّه ، وكان بنَيسابور . فسار في العساكر إليه ، فلم ينتظره محمّد ، فلمّا قارب خوارزم هرب الأتراك إلى مَنْقَشْلاغَ ، وطغرلتكين أيضاً رحل إلى جندخان ، وكُفي خوارزمشاه شرّهم .

ولمّا توفّي خُوارزمشاه وليَ بعده ابنه إتسِز ، فمدّ ظلال الأمن ، وأفاض العدل ، وكان قد قاد الجيوش أيّام أبيه ، وقصد بلاد الأعداء ، وباشر الحروب ، فملك مدينة مَنْقَشْلاغ .

ولمّا وليَ بعد أبيه قرّبه السلطان سَنجَر ، وعظّمه ، واعتضد به ، واستصحبه معه في أسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدّماً وعلوّاً ؛ . وهو ابتداء مُلك بيت خُوارزمشاه تكَش ، وابنه محمّد الذي ظهرت التتر عليه ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى[2] .

---

1) B. add. محمد .

2) Om. C. P.

Marfat.com

ذكر الحرب بين رُضْوان وأخيه دُقَاق

في هذه السنة سار الملك رضوان إلى دمشق ، وبها أخوه دُقَاق ، عازماً على أخذها منه ، فلمّا قاربها ، ورأى حصانتها وامتناعها ، علم عجزه عنها ، فرحل إلى نابُلُس ، وسار إلى القُدْس ليأخذه ، فلم يمكنه ، وانقطعت العساكر عنه ؛ فعاد ومعه باغي[1] سيان ، صاحب أنطاكية ، وجناح الدولة .

ثم إنّ باغي سيان فارق رضوان ، وقصد دُقَاق ، وحسّن له محاصرة أخيه بحلب ، جزاء لما فعله ، فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغي سيان ، فأرسل رضوان رسولاً إلى سُقمان بن أُرتُق ، وهو بسَرُوجَ ، يستنجده ، فأتاه في خلق كثير من التركمان ، فسار نحو أخيه ، فالتقيا بقِنَّسْرِين ، فاقتتلا ، فانهزم دُقاق وعسكره ، ونُهبت خيامهم وجميع مالهم ، وعاد رضوان إلى حلب ، ثم اتّفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق قبل دُقاق ، وبأنطاكية ، وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين [وأربعمائة] .

ذكر الخطبة للعلويّ المصريّ بولاية رُضوان

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلويّ ، صاحب مصر .

وسبب ذلك أنّه كان عنده الأمير جناح الدولة ، وهو زوج أمّه ، فرأى من رضوان تغيّراً ، فسار إلى حمص ، وهي له ، فلمّا رأى باغي[2] سيان بُعْدَه

.....

1) C. P. ياغي .

2) C. P. ubique ياغي .

Marfat.com

عن رضوان صالحه ، وقدم إليه بحلب ، ونزل بظاهرها .

وكان لرضوان منجّم يقال له الحكيم أسعد ، وكان يميل إليه ، فقدّمه بعد مسير جناح الدولة ، فحسّن له مذاهب العلويّين المصريّين ، وأنّه رسل المصريّين يدعونه إلى طاعتهم ، ويبذلون له المال ، وإنفاذ[1] العساكر إليه ليملك دمشق ، فخطب لهم بشَيْزَرَ ، وجميع الأعمال سوى أنطاكية ، وحلَب[2] ، والمَعرّة ، أربع جُمع ، ثم حضر عنده سُقمان بن أرتُق ، وباغي سيان ، صاحب أنطاكية ، فأنكرا ذلك واستعظماه ، فأعاد الخطبة العبّاسيّة في هذه السنة ، وأرسل إلى بغداذ يعتذر ممّا كان منه .

وسار باغي سيان إلى أنطاكية ، فلم يُقم بها غير ثلاثة أيّام حتّى وصل الفرنج إليها وحصروها ، وكان بما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخُراسان بين أهل سَبَزوار وأهل خُسْرُوجِرْد ، وقتال عظيم ، فقُتل بينهم جماعة كثيرة ، وانهزم أهل خُسْرُوجِرْدَ .

وفيها قُتل عثمان ، وكيل دار نظام الملك ، وكان سبب قتله أنّه كان كاتبَ صاحب غَزنَة بالأخبار من قِبَلِ[3] السلطان ، فأُخذ وحُبس بتِرمِذَ مدّةً ، ثم اطّلع عليه ، وهو في الحبس ، أنّه كان يكاتبه أيضاً فقُتل .

وفي صفر منها قُتل عبد الرحمن السميريُّ ، وزير أمّ السلطان بركيارُق ، قتله باطنيٌّ غِيلةً ، وقُتل الباطنيُّ بعده .

---

1) B. وانتقلت . 2) B. وقلعة حلب . 3) B. جهة .

Marfat.com

وفيها ، في شعبان ، ظهر كوكب كبير له ذُؤابة ، وأقام يطلع عشرين يوماً ، ثم غاب ولم يظهر .

وفيها توفّي النقيب الطاهر أبو الغنائم محمّد بن عبد الله ، وكان ديّناً ، سخيّاً ، كريماً ، متعصّباً ، حنفيّ المذهب ، وولي النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة .

وفيها توفّي أبو القاسم يحيى بن أحمد[1] السيبي[2] وهو ابن مائة سنة وستّين[3] ، وهو صحيح الحواسّ ، وكان مقرئاً ، محدّثاً ، حاضر[1] القلب .

وفيها قُتل أرغش النظاميُّ ، مملوك نظام الملك ، بالريّ وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً بحيث أنّه تزوّج ابنة ياقوتي عمّ السلطان بركيارق ، قتله باطنيّ ، وقُتل قاتله .

وقُتل بُرسُق في شهر رمضان ، وهو من أكابر الأمراء ، قتله باطنيّ[4] ، وكان بُرسق من أصحاب السلطان طغرلبك ، وهو أوّل شحنة كان ببغداذ .

---

1) R. add. بن أحمد .
2) R. السيّ .
3) R. وستين سنة .
4) Om. R.

---

١ حاضر .

Marfat.com

٤٩١

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة أنطاكية

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج ، واشتداد أمرهم ، وخروجهم إلى بلاد الإسلام ، واستيلائهم على بعضها ، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فملكوا مدينة طُلَيْطُلَة وغيرَها من بلاد الأندلس ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صِقِلّية وملكوها ، وقد ذكرتُهُ أيضاً ، وتطرّقوا إلى أطراف إفريقية ، فملكوا منها شيئاً وأخذ منهم ، ثم ملكوا غيره على ما تراه .

فلمّا كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام ، وكان سبب خروجهم أنّ ملكهم بَردويل جمع جمعاً كثيراً من الفرنج ، وكان نسيب رُجار الفرنجيّ الذي ملك صِقِلّية ، فأرسل إلى رُجار يقول له : قد جمعتُ جمعاً كثيراً ، وأنا واصل إليك ، وسائر مِنْ عندك إلى إفريقية أفتحُها ، وأكون مجاوراً لك .

فجمع رُجار أصحابه ، واستشارهم في ذلك ، وقالوا : وحقّ الإنجيل هذا جيّد لنا ولهم ، وتصبح البلاد بلاد النصرانيّة . فرفع رجله وحبق حبقةً عظيمة[1] وقال : وحقّ ديني ، هذه خير من كلامكم ! قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إذا وصلوا إليّ أحتاج إلى كلفة كثيرة ، ومراكب تحملهم إلى إفريقية ، وعساكر

---

1) ق وبة .

Marfat.com

مِنْ عندي أيضاً ، فإن فتحوا البلاد كانت لهم ، وصارت المؤونة لهم من صِقِلّية ، وينقطع عنّي ما يصل من المال من ثمن الغلاّت كلّ سنة ، وإن لم يُفلحوا رجعوا إلى بلادي ، وتأذّيْتُ بهم ، ويقول تميم غدرتَ بي ، ونقضتَ عهدي ، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا ؛ وبلاد إفريقية باقية لنا ، متى وجدنا قوّة أخذناها .

وأحضر رسوله ، وقال له : إذا عزمتم على جهاد المسلمين ، فأفضل ذلك[1] فتح بيت المقدِس ، تخلّصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر ، وأمّا إفريقية فبيني وبين أهلها أيمان وعهود .

فتجهّزوا ، وخرجوا إلى الشام ، وقيل : إنّ أصحاب مصر من العلويّين ، لمّا رأوا قوّة الدولة السلجوقيّة ، وتمكّنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزّة ، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، ودخول أقسيس إلى مصر وحصرها ، خافوا[1] ، وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين ، والله أعلم[2] .

فلمّا عزم الفرنج على قصد الشام ، ساروا إلى القُسطنطينيّة ليعبروا المَجاز إلى بلاد المسلمين ، ويسيروا في البرّ ، فيكون أسهل عليهم ، فلمّا وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده ، وقال : لا أمكّنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتّى تحلفوا[2] لي أنّكم تسلّمون إليّ أنطاكية ؛ وكان قصده [أن] يحثّهم على الخروج إلى بلاد الإسلام ، ظنّاً منه أنّهم[3] أتراك لا يُبقون منهم أحداً ، لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد .

---

1) B. فاقصد بذلك

2) Om. B.

---

١ فخافوا .

٢ تحلفون .

٣ أن .

Marfat.com

فأجابوه إلى ذلك، وعبروا الخليج عند القُسطنطينيّة سنة تسعين [وأربعمائة] ، ووصلوا إلى بلاد قَلَنْج أرسلان بن سليمان بن قُتلمش ، وهي قُونِيَةُ وغيرها ، فلمّا وصلوا إليها لقيهم قَلَنْج أرسلان في جموعه ، ومنعهم ، فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين [وأربعمائة] ، واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمنيّ ، فسلكوها . وخرجوا إلى أنطاكية فحصروها .

ولمّا سمع صاحبها باغي[1] سيان بتوجّههم إليها ، خاف من النصارى الذين بها ، فأخرج المسلمين من أهلها ، ليس معهم غيرهم ، وأمرهم بحفر الخندق ، ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضاً ، ليس معهم مسلم ، فعملوا فيه إلى العصر . فلمّا أرادوا دخول البلد منعهم ، وقال لهم : أنطاكية لكم تهبونها[1] لي حتّى أنظر ما يكون منّا ومن الفرنج ؛ فقالوا له : من يحفظ أبناءنا ونساءنا ؟ فقال : أنا أخلفكم فيهم ؛ فأمسكوا ، وأقاموا في عسكر الفرنج ، فحصروها تسعة أشهر . وظهر من شجاعة باغي سيان ، وجودة رأيه ، وحزمه ، واحتياطه ما لم يشاهَد من غيره ، فهلك أكثر الفرنج موتاً ، ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبّقوا بلاد الإسلام[2] ، وحفظ باغي سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم ، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم .

فلمّا طال مقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج ، وهو زرّادٌ يُعرف برُوزَبه . وبذلوا له مالاً وأقطاعاً ، وكان يتولّى حفظ برج يلي الوادي . وهو مبنيّ على شبّاك في الوادي ، فلمّا تقرّر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزرّاد ، جاؤوا إلى الشبّاك ففتحوه ودخلوا منه ، وصعد جماعة كثيرة بالحبال ، فلمّا زادت عدّتهم على خمسمائة ضربوا البوق ، وذلك

---

1) C. P. يافي . 2) Om. B.

---

١ تهبوها .

Marfat.com

عند السحَر ، وقد تعب الناس من كثْرة السهر والحراسة ، فاستيقظ باغي سيان ، فسأل عن الحال ، فقيل : إنّ هذا البوق من القلعة ، ولا شكّ أنّها قد مُلكت ؛ ولم يكن من القلعة ، وإنّما كان من ذلك البرج ، فدخله الرعب ، وفتح باب البلد ، وخرج هارباً في ثلاثين غلاماً على وجهه[1] ، فجاء نائبه في حفظ البلد ، فسأل عنه ، فقيل إنّه هرب ، فخرج من باب آخر هارباً ، وكان ذلك معونة للفرنج ، ولو ثبت ساعةً لهلكوا[2] .

ثمّ إنّ الفرنج دخلوا البلد من الباب ، ونهبوه ، وقتلوا من فيه من المسلمين ، وذلك في جمادى الأولى .

وأمّا باغي سيان فإنّه لمّا طلع عليه النهار رجع إليه عقله ، وكان كالوَلهان[3] ، فرأى نفسه وقد قطع عدّة فراسخ ، فقال لمن معه : أين أنا ؟ فقيل : على أربعة فراسخ من أنطاكية ؛ فندم كيف خلص سالماً ، ولم يقاتل حتّى يزيلهم عن البلد أو يُقتل ، وجعل يتلهّف ، ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين ، فلشدّة ما لحقه سقَط عن فرسه مَغْشيّاً عليه ، فلمّا سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يُركبوه ، فلم يكن فيه مُسْكة [فإنّه كان] قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه ، واجتاز به إنسان أرمنيٌّ كان يقطع الحطب ، وهو بآخر رمَق ، فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى الفرنج بأنطاكية .

وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ، ودمشق ، بأنّنا لا[4] نقصد غير البلاد الّتي كانت بيد الروم ، لا نطلب سواها ؛ مكراً منهم وخديعةً ، حتّى لا يساعدوا صاحب أنطاكية .

---

1) Om. B.

2) B. لم يملكوه .

3) B. كالرهان .

4) B. add. نأخذ ولا .

ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم

لمّا سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج ، وملكهم أنطاكية ، جمع العساكر وسار إلى الشام ، وأقام بمَرْج دابِق ، واجتمعت معه عساكر الشام ، تُركها وعربها سوى من كان بحلب ، فاجتمع معه دُقاق بن تُتُش وطُغتكين[1] أتابِك ، وجناح الدولة ، صاحب حمص ، وأرسلان تاش ، صاحب سِنجَار ، وسليمان بن أرتُق ، وغيرهم من الأمراء ممّن ليس مثلهم . فلمّا سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم ، وخافوا لما هم فيه من الوَهْن ، وقلّة الأقوات عندهم ، وسار المسلمون ، فنازلوهم على أنطاكية ، وأساء كربوقا السيرة ، فيمن معه من المسلمين ، وأغضب الأمراء[1] وتكبّر عليهم ظنّاً منه أنّهم يقيمون معه على هذه الحال ، فأغضبهم ذلك ، وأضمروا له في أنفسهم الغدر ، إذا كان قتال ، وعزموا على إسلامه عند المصدوقة[2] .

وأقام الفرنج بأنطاكية ، بعد أن ملكوها ،، اثني[3] عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه ، وتقوّت الأقوياء بدوابّهم ، والضعفاء بالمَيتة وورق الشجر ، فلمّا رأوا ذلك أرسلوا إلى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد ، فلم يعطهم ما طلبوا ، وقال : لا تخرجون[2] إلاّ بالسيف .

وكان معهم من الملوك بردويل ، وصَنجيل ، وكُندفري ، والقُمّص ،

---

1) Variat hujus nominis scriptura, jam طنكين, jam طندكين .

2) B. للصدر . 3) B. ثلاثة .

---

١ ـ الآراء .

٢ ـ تخرجوا .

Marfat.com

صاحب الرُّها ، وبَيْمُنت[1] ، صاحب أنطاكية ، وهو المقدّم عليهم[2] . وكان معهم راهب مُطاع فيهم ، وكان داهية من الرجال ، فقال لهم : إنّ المسيح ، عليه السّلام ، كان له حربة مدفونة بالقسيانِ الذي بأنطاكية ، وهو بناء عظيم ، فإن وجدتموها فإنّكم تظفرون ، وإن لم تجدوها فالهلاك متحقّق .

وكان قد دفن قبل ذلك حربةً في مكان فيه ، وعفّى[1] أثرها، وأمرهم بالصوم والتوبة ، ففعلوا ذلك ثلاثة أيّام ، فلمّا كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم، ومعهم عامّتهم ، والصُّنّاع منهم ، وحفروا في جميع الأماكن[2] فوجدوها كما ذكر ، فقال لهم : أبشروا بالظفر ؛ فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرّقين من خمسة ، وستّة ، ونحو ذلك ، فقال المسلمون لكربوقا : ينبغي أن تقف على الباب ، فتقتل كلّ من يخرج ، فإنّ أمرهم الآن ، وهم متفرّقون ، سهل . فقال : لا تفعلوا ! أمهلوهم حتّى يتكامل خروجهم فنقتلهم . ولم يمكّن من معاجلتهم[3] ، فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين ، فجاء إليهم هو بنفسه ، ومنعهم ، ونهاهم .

فلمّا تكامل خروج الفرنج ، ولم يبق بأنطاكية أحد منهم ، ضربوا مصافّاً عظيماً ، فولّى المسلمون منهزمين ، لما عاملهم به كربوقا أوّلاً من الاستهانة بهم ، والإعراض عنهم ، وثانياً من منعهم عن قتل الفرنج ، وتمّت الهزيمة عليهم ، ولم يضرب أحد منهم بسيف ، ولا طعن برمحٍ ، ولا رمى بسهم ، وآخر من انهزم سُقمان بن أرتُق ، وجناح الدولة، لأنّهما كانا في الكمين، وانهزم كربوقا معهم . فلمّا رأى الفرنج ذلك ظنّوه مكيدة ، إذ لم يجرِ قتال ينُهزم من مثله ،

---

1) Codd. سمنت .

2) B. مقدم العسكر .

3) B. مقاتلتهم .

---

١ وعفّا .

٢ الامكان .

Marfat.com

وخافوا أن يتبعوهم . وثبت جماعة من المجاهدين ، وقاتلوا حِسبةً ، وطلباً للشهادة . فقتل الفرنج منهم ألوفاً ، وغنموا ما في العسكر من الأقوات والأموال والأثاث والدوابّ والأسلحة . فصلحتْ حالهم ، وعادت إليهم قوّتهم .

ذكر ملك الفرنج معرّة النُّعمان

لمّا فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا إلى مَعَرّة النّعمان ، فنازلوها ، وحصروها ، وقاتلهم أهلُها قتالاً شديداً ، ورأى الفرنج منهم شدّةً ونكاية ، ولقوا منهم الجدّ في حربهم . والاجتهاد في قتالهم ، فعملوا عند ذلك برجاً من خشب يوازي سور المدينة ، ووقع القتال عليه ، فلم يضرّ المسلمين ذلك ، فلمّا كان الليل خاف قوم من المسلمين . وتداخلهم الفشل والهلع ، وظنّوا أنّهم إذا تحصّنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها ، فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه ، فرآهم طائفة أخرى ، ففعلوا كفعلهم ، فخلا مكانهم أيضاً من السور .

. ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول ، حتّى خلا السور ، فصعد الفرنج إليه على السلاليم ، فلمّا علَوه تحيّر المسلمون[1] ، ودخلوا دورهم ، فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيّام ، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف ، وسبوا السبي الكثير ، وملكوه ، وأقاموا أربعين يوماً . وساروا إلى عَرْقَةَ فحصروها أربعة أشهر ، ونقبوا سورها عدّة نقوب ، فلم يقدروا عليها ، وراسلهم مُنقِذ، صاحب شَيْزَر ، فصالحهم عليها ، وساروا إلى حِمص وحصروها ، فصالحهم صاحبها جناح الدولة ، وخرجوا على طريق النواقير إلى عكّا ، فلم يقدروا عليها .

---

1) Om. B.

ذكر الحرب بين الملك سَنجَر ودولتشاه

كان دَوْلَتْشاه من أبناء الملوك السلجوقية ، فاجتمع عليهم جمع من عساكر بَيْغُو أخي طغرلبك ؛ وكانوا بطخارستان ، فأخذوا وَلْوالِجَ وكَنج . فسار إليهم السلطان سَنجَر وعساكره ، فوصل إلى بَلْخ ، فدخلها في رجب من هذه السنة ، وخرج منها لقتال دَوْلَتْشاه ، فلم يكن له من الجموع ما ثبت مقابل عسكر سَنجَر ، فقاتلوا شيئاً من قتال ، وانهزموا ، وأخذوا دَوْلتشاه أسيراً ، وأُحضر عند سَنجَر ، فعفا عنه من القتل ، وحبسه ، ثم بعد ذلك كحله ، وسيّر سَنجَر جيشاً إلى مدينة تِرمِذ ، فملكوها ، وسلّمها إلى طغرلتكين .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، جزيرة جَرْبَةَ وجزيرة قَرْقَنَّةَ ، ومدينة تُونُس ، وكان بإفريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس .

وفيها أرسلَ الخليفة رسولاً إلى السلطان بركيارق مستنفراً على الفرنج ، ومبالغاً في تعظيم الأمر وتداركه قبل أن يزداد قوّة .

وفي هذه السنة ، في شعبان ، توفّي أبو الحسن[1] أحمد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف ، ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، وكان فاضلاً في الحديث .

وفيها توفّي أبو الفضل عبد الوهّاب بن أبي محمّد التميميُّ الحنبليُّ ، وكان

---

1) B. الحسين .

Marfat.com

فاضلاً ، فصيحاً .

وفيها ، في شوّال ، توفّي طِراد بن محمّد الزينبيُّ ، وهو عالي الإسناد في الحديث ، وولِيَ نقابة العباسيّين من بعده ابنه شرف الدين عليّ بن طراد .

وفيها ، في ذي القعدة ، توفّي أبو الفتح المظفّر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المُسلمة ، وكان بيته مجمع الفضلاء وأهل الدين ؛ ومن جملة من كان عنده إلى أن توفّي الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ .

وفيها توفّي أبو الفرج سهل بن بشر[1] بن أحمد الاسفراييني ، وهو من أعيان المحدّثين .

Marfat.com

1) B. شير .

٤٩٢

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة

ذكر عصيان الأمير أُنَر[1] وقتله

لمّا سار السلطان بركيارُق إلى خُراسان ولّى الأميرَ أُنَر بلاد فارس جميعها ، وكانت قد تغلّب عليها الشوانكارة[2] على اختلاف بطونهم وقبائلهم ، واستعانوا بصاحب كَرمَان إيران شاه[3] بن قاورت ، فاجتمعوا ، وصافّوا الأمير أُنَر ، وكسروه ، وعاد مفلولاً إلى أصبهان ، وأرسل إلى السلطان يستأذنه في اللحاق به إلى خُراسان ، فأمره بالمقام ببلد الجبال ، وولاّه إمارة العراق ، وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته . فأقام بأصبهان ، ٥ وسار منها إلى أقطاعه بأذربيجان ، وعاد وقد انتشر أمر الباطنيّة بأصبهان ، فندب نفسه لقتالهم[4] ، وحصر قلعة على جبل أصبهان .

واتّصل به مؤيّد الملك بن نظام الملك ، وكان ببغداذ ، فسار منها إلى الحلّة ، فأكرمه صدقة ، وسار من عنده إلى الأمير أُنَر ، فلمّا اجتمع بالأمير أُنَر خوّفه هو وغيره من السلطان بركيارق ، وعظّموا عليه الاجتماع به ، وحسّنوا له البُعد عنه ، وأشاروا عليه بمكاتبة غِياث الدين محمّد بن ملكشاه ، وهو إذ ذاك بكَنْجَةَ ، فعزم على المخالفة للسلطان ، وتحدّث فيه ، فظهر ذلك ، فزاد خوفه

---

1) B. انز .

2) B. الشوانكار ; C. P. شوانكارة .

3) B. ان شاه ; C. P. ار بن شاه .

4) B. فهرب إلى قتالهم .

Marfat.com

من السلطان ، فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس ، وسار من أصبهان إلى الريّ ، وأرسل إلى السلطان يقول : إنّه مماوك ، ومطيع ، إن سلّم إليه مجد الملك البلاسانيّ ، وإن لم يسلّمه إليه فهو عاصٍ خارج عن الطاعة .

فبينما هو يفطر ، وكانت عادته [أن] يصوم أيّاماً من الأسبوع ، فلمّا قارب الفراغ من الإفطار هجم عليه ثلاثة نفر من الأتراك المولدين بخوارزم ، وهم من جملة خيله ، فصدم أحدهم المشعل فألقاه ، وصدم الآخر الشمعة فأطفأها ، وضربه الثالث بالسكّين فقتله ، وقتل معه جانداره ، واختلط الناس في الظلمة ، ونهبوا خزائنه ، وتفرّق عسكره ، وبقي مُلقّى فلم يوجد ما يُحمل عليه ، ثم حُمل إلى داره بأصبهان ، ودُفن بها .

ووصل خبر قتله إلى السلطان بركيارق ، وهو بخُوارِ الرَّيّ ، قد خرج من خراسان عازماً على قتاله ، وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره ، وفرح مجد الملك البلاسانيُّ بقتله ، وكان له مثل يومه عن قريب ، وكان عمر أُنَر سبعاً[1] وثلاثين سنة ، وكان كثير الصوم والصلاة والخير[1] والمحبّة للصالحين .

ذكر ملك الفرنج ، لعنهم الله ، البيت المقدّس

كان البيت المقدّس لتاج الدولة تُتُش ، وأقطعه للأمير سُقمان[2] بن أُرتُق التركمانيّ ، فلمّا ظفر الفرنج بالأتراك على أنطاكية ، وقتلوا فيهم ، ضعفوا ،

---

1) C. P.

2) C. P. سكمان .

---

١ سبع .

Marfat.com

وتفرّقوا ، فلمّا رأى المصريّون ضعف الأتراك ساروا إليه ، ومقدّمهم الأفضل ابن بدر الجماليُّ ، وحصروه ، وبه الأمير سُقمان ، وإيلغازي ابنا أُرتُق، وابن عمّهما سونج ، وابن أخيهما ياقوتي ، ونصبوا[1] عليه نيّفاً وأربعين منجنيقاً ، فهدموا مواضع من سوره ، وقاتلهم أهل البلد ، فدام القتال[1] والحصار نيّفاً وأربعين يوماً ، وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة .

وأحسن الأفضل إلى سُقمان وإيلغازي ومَن معهما ، وأجزل لهم العطاء ، وسيّرهم فساروا إلى دمشق ، ثم عبروا[2] الفرات ، فأقام سُقمان ببلد الرُّها وسار إيلغازي إلى العراق، واستناب المصريّون فيه رجلاً يُعرف بافتخار الدولة ، وبقي فيه إلى الآن . فقصده الفرنج ، بعد أن حصروا عكّا ، فلم يقدروا عليها ، فلمّا وصلوا إليه حصروه نيّفاً وأربعين يوماً ، ونصبوا عليه برجَيْن أحدهما من ناحية صِهْيَوْن ، وأحرقه المسلمون ، وقتلوا كلّ من به .

فلمّا فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأنّ المدينة قد مُلكتْ من الجانب الآخر ، وملكوها من جهة الشمال[2] منه ضَحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان ، وركب الناسَ السيفُ ، ولبث الفرنج في البلدة أُسبوعاً يقتلون فيه المسلمين ، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود ، فاعتصموا به ، وقاتلوا فيه ثلاثة أيّام ، فبذل لهم الفرنج الأمان ، فسلّموه إليهم ، ووفى[3] لهم الفرنج ، وخرجوا ليلاً إلى عَسْقَلان فأقاموا بها .

وقتل الفرنج ، بالمسجد الأقصى ، ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة

---

1) C. P. المنجنيق .
2) Codd. عبر .

---

١ ونصب .
٢ الشماليّ .
٣ ووفا .

Marfat.com

كثيرة من أئمّة المسلمين ، وعلمائهم ، وعبّادهم ، وزهّادهم ، ممّن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف ، وأخذوا من عند الصخرة نيّفاً وأربعين قِنديلاً من الفضّة ، وزن كلّ قِنديل ثلاثة آلاف وستّمائة درهم ، وأخذوا تَنّوراً من فضّة وزنه أربعون[1] رطلاً بالشامي ، وأخذوا من القناديل الصغار[2] مائة وخمسين قنديلاً ، نقرة ، ومن الذهب نيّفاً وعشرين قنديلاً[1] ، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء .

وورد المستنفَرون من الشام ، في رمضان ، إلى بغداذ صحبة القاضي أبي سعد الهَرَويّ ، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون ، وأوجع القلوب ، وقاموا بالجامع يوم الجمعة ، فاستغاثوا ، وبكوا وأبكوا[2] ، وذُكر ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظَّم مِن قتل الرجال ، وسبي الحريم والأولاد ، ونهب الأموال ، فلشدّة ما أصابهم أفطروا ، فأمر الخليفة أن يُسَيّر القاضي أبو محمّد الدامغانيُّ ، وأبو بكر الشاشيُّ ، وأبو القاسم الزنجانيُّ ، وأبو الوفا بن عُقيل ، وأبو سعد الحُلوانيُّ ، وأبو الحسين بن سماك[3] ، فساروا إلى حُلوان ، فبلغهم قتل[4] مجد الملك البلاسانيّ ، على ما نذكره ، فعادوا من غير بلوغ أرَب ، ولا قضاء حاجة .

واختلف السلاطين على ما نذكره ، فتمكّن الفرنج من البلاد ، فقال أبو المظفّر الآبِيوردِيُّ ، في هذا المعنى ، أبياتاً منها :

مَزَجْنَا دِماءً بالدُّموعِ السّواجمِ ، فلم يَبقَ منّا عُرضةً[3] للمَراحمِ

---

1) Om. B.
2) B.
3) B. السماك .
4) C. P. فمنعهم .

---

١ أربعين .
٢ الصغار .
٣ عرضة .

Marfat.com

وشرُّ سلاحِ المرءِ دَمعٌ يُفيضُهُ ، إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالصَّوارمِ
فلِمّاً ، بني الإسلامِ ، إنّ وراءكم وقائعَ يُلحِقْنَ الذُّرى بالمَناسِمِ
أتَهْنوْنَمةٌ في ظلّ أمْنٍ وغبطةٍ ، وعيشٍ كَنَوّارِ الخَميلةِ ناعمِ
وكيفَ تنامُ العَينُ ملء جُفونها ، على هفَواتٍ[1] أيقظتْ كلَّ نائمِ
وإخوانُكم بالشام يُضحي[2] مَقيلُهم ظهورَ المَذاكي ، أو بُطونَ القَشاعمِ
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الهوانَ ، وأنتُمُ تَجُرُّونَ ذَيلَ الخَفْض فعلَ المُسالمِ
وكَم من دماء قد أُبيحَت ، ومن دُمًى تَوارَى حَياءً حُسْنُها بالمَعاصمِ
بحيثُ السيوفُ البيضُ مُحْمَرَّةُ الظُّبى وسُمْرُ العَوالي داميَاتُ اللّهاذمِ
وبينَ اختلاس الطَّعْن والضَّرب وقفةٌ[3] تَظَلُّ لها الوِلْدانُ شيبَ القَوادمِ
وتلكَ حروبٌ مَن يَغِبْ عن غمارِها ليسلَم ، يَقرَعْ بَعدَها سنَّ نادمِ
سَكَكْنَ بأيدي المُشركينَ قَواضباً ، ستُغْمَدُ منهم في الطُّلى والجَماجمِ
يَكادُ لَهُنَّ المُستَجِنُّ بطيبةٍ يُنادي بأعلَى الصَّوتِ يا آلَ هاشمِ
أرَى أُمَّتي لا يَشْرَعُونَ إلى العِدَى رماحَهم ، والدِّينُ واهي الدَّعائمِ
ويَجتَنِبُونَ النارَ خَوفاً من الرَّدَى ، ولا يَحسَبُون العارَ ضَربةَ لازمِ
أترضى صَناديدُ الأعاريب بالأذَى ، ويُغْضي[4] على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ

ومنها :

فكَيتهُمُ ، إذ لم يَذُودوا حَمِيَّةً عن الدِّين ، ضنّوا غَيرةً بالمَحارمِ
وإن زهِدوا في الأجر ، إذ حَمِسَ الوَغى ، فهَلاّ أتَوْه رَغبةً في الغَنائمِ
لَئن أذعَنَتْ تلك الخَياشيمُ للبُرَى ، فلا عَطَسُوا[5] إلاّ بأجْدعَ راغمِ

---

1) B. هبوات . C. P. هبوات .
2) C. P. تضحي .
3) B. وقفة .
4) B. ويقضي .
5) B. عطشوا .

Marfat.com

دَعَوْناكُمُ ، والحربُ ترنُو مُلِحّةً إلينا ، بألْحاظ النُّسورِ القَشاعِمِ
تُراقبُ فينا غارةً عَربيّةً ، تُطِيلُ عليها الرُّومُ عَضَّ الأباهِمِ
فإنْ أنتُمُ لم تَغْضَبُوا بعدَ هذِهِ ، رمَيْنَا إلى أعدائِنا بالجَرائِمِ

ذكر الحرب بين المصريّين والفرنج

في هذه السنة ، • في رمضان[1] ، كانت وقعة بين العساكر المصريّة والفرنج ، وسببها أنّ المصريّين لمّا بلغهم ما تمّ على أهل القُدس ، جمع الأفضل أميرُ الجيوش العساكر ، وحشد ، وسار إلى عَسْقَلان ، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ، ويتهدّدهم ، فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا (ى[2] أثره ، وطلعوا على المصريّين ، عُقَيْب وصول الرسول ، ولم يكن عند المصريّين خبرٌ من وصولهم ، ولا من حركتهم ، ولم يكونوا على أُهْبةِ القتال ، فنادوا إلى ركوب خيولهم ، ولبسوا أسلحتهم ، وأعجلهم الفرنج ، فهزموهم ، وقتلوا منهم من قُتل ، وغنموا ما في المعسكر من مال وسلاح وغير ذلك .

وانهزم الأفضل ، فدخل عَسقَلان[3] ، ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجُمّيز ، وكان هناك كثيراً ، فأحرق الفرَنج بعضَ الشّجَر ، حتّى هلَك مَن فيه ، وقتلوا مَن خرج منه ، وعاد الأفضل في خواصّه إلى مصر ، ونازل الفرَنجُ عَسْقَلان ، وضايقوها ، فبذل لهم أهلها قطيعة اثني عشر ألف دينار ، وقيل عشرين ألف دينار ، ثم عادوا إلى القُدس .

---

1) Om. B. 2) B. ق . 3) Om. C. P.

Marfat.com

ذكر ابتداء ظهور السلطان محمّد بن ملكشاه

كان السلطان محمّد وسَنجَر أخوين[1] لأمّ وأبٍ ، أمّهما أمّ ولد ، ولمّا مات أبوه ملكشاه كان محمّد معه ببغداذ ، فسار مع أخيه محمود ، وتركان خاتون زوجة والده إلى أصبهان ، ولمّا حصر بركيارُق أصبهان خرج محمّد متخفّياً ، ومضى إلى والدته، وهي في عسكر أخيه بركيارُق، وقصد أخاه السلطان بركيارق ، وسار معه إلى بغداذ سنة ستّ وثمانين وأربعمائة ، وأقطعه بركيارق كَنْجَةَ وأعمالها ، وجعل معه أتابكاً له الأمير قتلغ[1] تكين ،فلمّا قوي محمّد قتله ، واستولى على جميع أعمال أرّان الذي من جملته كَنْجَة ، فعرف ذلك الوقت شهامة محمّد .

وكان السلطان[2] ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الأسوار الروادي ، وسلّمها إلى سرهنك ساوتكين الخادم ، وأقطع فضلون أسْتَراباذ ، وعاد فضلون ضمن بلاده ، ثم عصى فيها لمّا قوي ، فأرسل السلطان إليه الأمير بُوزان ، فحاربه وأسره ، وأقطع بلاده لجماعة منهم : باغي سيان ، صاحب أنطاكية ، ولمّا مات باغي سيان عاد ولده إلى ولاية أبيه في هذه البلاد ، وتوفّي فضلون ببغداذ سنة أربع وثمانين [وأربعمائة] وهو على غايةٍ من الإضاقة في مسجد على دجلة .

وقد ذكرنا فيما تقدّم تنقّل الأحوال بمؤيّد الملك عبيد الله بن نظام الملك ، وأنّه كان عند الأمير أنَر ، فحسّن له عصيان السلطان بركيارق ، فلمّا قُتل

---

1) B. صالح .

2) C. P. add. محمد بن .

---

١ إخوان .

Marfat.com

أنّر سار إلى الملك محمّد ، فأشار عليه بمخالفة أخيه ، والسعي في طلب السلطنة ، ففعل ذلك . وقطع خطبة بركيارق • من بلاده[1] ، وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيّد الملك .

واتّفق قتل مجد الملك البلاسانيّ ، واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق ، وفارقوه وساروا نحو السلطان محمّد ، فلقوه بخُرّقان ، فصاروا معه ، وساروا نحو الرّيّ .

وكان السلطان بركيارق لمّا فارقه عسكره سار مجدّاً إلى الرّيّ ، فأتاه بها الأمير ينّال بن أنوشتكين الحسامي ، وهو من أكابر الأمراء ، ووصل إليه أيضاً عزّ الملك منصور بن نظام الملك ، وأمّه ابنة ملك الأبخاز ، ومعه عساكر جمّة ، فبلغه مسير أخيه محمّد إليه في العساكر ، فسار من الريّ إلى أصبهان ، فلم يفتح أهلها له الأبواب . فسار إلى خُوزِسْتان ، على ما نذكره .

وورد السلطان محمّد إلى الريّ ثاني ذي القعدة ، فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلّفت بعد ابنها[2] ، فأخذها مؤيّد الملك وسجنها في القلعة ، وأخذ خطّها بخمسة آلاف دينار ، وأراد قتلها ، وأشار عليه ثقاته أن لا يفعل ذلك . فلم يقبل منهم ، وقالوا له : العسكر محبّون لولدها ، وإنّما استوحشوا منه لأجلها ، ومتى قُتلت عدلوا عليه[2] ، فلا تغترّ بهؤلاء الجند ، فإنّهم غدروا بمن أحسن إليهم أوثق ما كان بهم ؛ فلم يصْغِ إلى قولهم ، ورفعها إلى القلعة ، وخُنقت ، وكان عمرها اثنتين وأربعين سنة . فلمّا أسر السلطان بركيارق مؤيّد الملك رأى خطّه في تذكرته بخمسة آلاف دينار ، فكان أعظم الأسباب في قتله .

---

1) Om. G. P.

2) B. إليه .

Marfat.com

ذكر الخطبة ببغداذ للملك محمّد

لمّا قوي أمر السلطان محمّد سار إليه سعد الدولة كوهرائين من بغداذ ، وكان قد استوحش من السلطان بركيارق ، فاجتمع هو وكربوقا ، صاحب الموصل ، وجكرمش ، صاحب الجزيرة[1] ، وسُرخاب بن بدر ، صاحب كِنكَوَر ، وغيرها ، فساروا إلى السلطان محمّد ، فلقوه بقُمّ ، فردّ سعد الدولة إلى بغداذ ، وخلع عليه ، وسار كربوقا وجكرمش في خدمته إلى أصبهان ، ولمّا وصل كوهرائين إلى بغداذ خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمّد . فأجاب إلى ذلك ، وخُطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجّة ، ولُقّب غياث الدنيا والدين .

ذكر قتل مجد الملك البلاسانيّ

قد ذكرنا تحكّم مجد الملك أبي الفضل أسعد بن محمّد في دولة السلطان بركيارق ، وتمكّنه منها . فلمّا بلغ الغاية التي لا مزيدَ عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب .

وأمّا سبب قتله ، فإنّ الباطنيّة لمّا توالى منهم قتلُ الأمراء الأكابر من الدولة السلطانيّة ، نسبوا ذلك إليه ، وأنّه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه ؛ وعظّم ذلك قتلُ الأمير برسق ، فاتّهم أولادُه زنكي واقبوري وغيرهما ، مجدَ الملك بقتله ، وفارقوا السلطان .

• وسار السلطان إلى زَنجَان لأنّه بلغه خروج السلطان محمّد[2] عليه ، على

---

1) R. جزيرة ابن عمر .

2) R. محمود ومؤيد الملك .

Marfat.com

ما ذكرناه . فطمع حينئذ الأمراء ، فأرسل أمير آخُر ، وبلكابك ، وطغايرك ابن اليزن[1] . وغيرهم . إلى الأمراء بني برسق يستحضرونهم إليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك إليهم ليقتلوه ، فحضروا عندهم ، فأرسلوا إلى السلطان بركيارق ، وهم بِسِجَاس ، مدينة قريبة من هَمذان ، يلتمسون تسليمه إليهم ، ووافقهم على ذلك العسكر جميعه ، وقالوا : إن سُلّم إلينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة ، وإن منعنا فارقنا ، وأخذناه قهراً . فمنع السلطان منه . فأرسل مجد الملك إلى السلطان يقول له : المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك . وتقتلني أنت لئلاّ يقتلني القوم فيكون فيه وهنٌ على دولتك . فلم تَطبْ نفس السلطان بقتله ، وأرسل إليهم يستحلفهم على حِفْظِ نفسه ، وحبسه في بعض القلاع . فلمّا حلفوا سلّمه إليهم ، فقتله الغلمان قبل أن يصل إليهم ، فسكنت الفتنة .

ومن العجب أنّه كان لا يفارقه كَفَنُه سفراً وحضراً ، ففي بعض الأيّام فتح خازنه صندوقاً ، فرأى الكفَن ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ إنّ أمري لا يؤول إلى كفن ، والله ما أبقى إلاّ طريحاً على الأرْض . فكان كذلك ، ورُبّ كلمةٍ تقول لقائلها دَعْني .

ولمّا قُتل حُمل رأسه إلى مؤيّد[1] الملك بن نظام الملك . وكان مجد الملك خيّراً، كثير الصلاة بالليل ؛ كثير الصدقة ، لا سيّما على العلويّين وأرباب البيوتات[2] ، وكان يكره سفك الدماء ، وكان يتشيّع إلاّ أنّه كان يذكر الصحابة ذكراً حسناً ، ويلعن مَن يسبّهم . ولمّا قُتل أرسل الأمراء يقولون للسلطان: المصلحة أن تعود إلى الريّ ، ونحن نمضي إلى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهمّ . فسار

---

1) C. P. الزن ; B. الزون .

2) B. البيوت .

---

١ يؤيد:

بعد امتناع ، وتبعه مائتا فارس لا غير ، ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه . وعاد إلى الريّ ، وسار العسكر إلى السلطان محمّد .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في شعبان ، وصل الكيا أبو الحسن عليٌّ بن محمّد الطبريُّ المعروف بالهرّاس ، الفقيه الشافعيُّ ، ولقبُه عماد الدين شمس الإسلام ، برسالة من السلطان بركيارق إلى الخليفة ، وهو من أصحاب إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجوَينيّ ، ومولده سنة خمسين وأربعمائة ، واعتنى بأمره مجد الملك البلاسانيُّ ، وقام له الوزير عميد الدولة بن جُهير لمّا دخل عليه .

وفيها قُتل أبو القاسم ابن إمام الحرمَيْن ، أبي المعالي الجُوَينيّ[1] بنَيسابور ، وكان خطيبها ، واتّهم العامّة أبا البركات الثعلبيّ بأنّه هو الذي سعى في قتله ، فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه .

وفيها كان بخراسان غلاء شديد ، تعذّرت فيه الأقوات ، ودام ستّيْن ، وكان سببه أنّ البرد أهلك الزروع جميعها ، ولحق الناس بعده وباء جارف ، فمات منهم ، خلق كثير[2] عجزوا عن دفنهم لكثرتهم .

وفيها ، في شعبان ، توفّي أبو الغنائم الفارقيُّ ، الفقيه الشافعيُّ ، بجزيرة ابن عُمَر ، وكان إماماً فاضلاً زاهداً .

وفيها ، في صفر ، توفّي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعاليُّ ، وعمره

---

1) Om. C. P.

2) Om. C. P. et addit من .

Marfat.com

نحو تسعين سنة ، وكان عالي الإسناد في الحديث ، وقيل توفّي سنة ثلاث وتسعين [وأربعمائة] .

وفيها ، في شعبان ، توفّي أبو غالب محمّد بن عليّ بن عبد الواحد بن الصبّاغ الفقيه الشافعيُّ ، تفقّه على ابن عمّه أبي نصر ، وكان حسن الخُلق ، متواضعاً .

٤٩٣

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارُق ببغداذ

في هذه السنة أُعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداذ .

وسبب ذلك أنّ بركيارق سار في العام الماضي • من الريّ[1] إلى خُوزستان ، فدخلها وجميع من معه على حالٍ سيّئة ؛ وكان أمير عسكره حينئذ ينّال ابن أنوشتكين الحُساميّ ، وأتاه غيره من الأمراء ، وسار إلى واسط ، فظلم عسكره الناس ، ونهبوا البلاد ؛ واتّصل به الأمير صدقة بن مَزْيد ، صاحب الحلّة ، ووثب على السلطان قوم ليقتلوه ، فأُخذوا وأُحضروا بين يديْه ، فاعترفوا أنّ الأمير سرمز ، شِحنة أصبهان ، وضعهم على قتله ، فقُتل أحدهم ، وحُبس الباقون ، وسار إلى بغداذ ، فدخلها سابع عشر صفر ، وخُطب له ببغداذ يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومَيْن .

وكان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعي ، وهو في طاعة السلطان محمّد ، فسار إلى داي[2] مَرْج ، ومعه إيلغازي بن أرتُق وغيره من الأمراء ، فأرسل إلى مؤيّد الملك والسلطان محمّد يستحثهما على الوصول إليه ، فأرسلا إليه كربوقا ، صاحب الموصل ، وجكرمش ، صاحب جزيرة ابن عُمر ، فأمّا جكرمش فاستأذن كوهرائين في العود إلى بلده ، وقال إنّه قد اختلّت الأحوال[3] ،

.....

1) Om. C. P.

2) Lacuna in C. P.

3) C. P. أحواله .

Marfat.com

فأذن له ، وبقي مع كوهرائين جماعة من الأمراء ، فاتّفقوا على أن يصدروا عن رأيٍ واحدٍ لا يختلفون ، ثم اتّفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركيارق يقولون له : اخرج إلينا ، فما فينا مَن يقاتلك[1] .

وكان الذي أشار بذا[2] كربوقا ، وقال لكوهرائين : إنّنا لم نظفر من محمّد ومؤيّد الملك بطائل ؛ وكان منحرفاً عن مؤيّد الملك . فسار بركيارق إليهم ، فترجّلوا ، وقبّلوا الأرض ، وعادوا معه إلى بغداذ . وأعاد إلى[3] كوهرائين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودوابّ وغير ذلك ، واستوزر بركيارق ببغداذ الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ بن محمّد الدِّهِستانيّ ، وقبض على عميد الدولة ابن جُهير ، وزير الخليفة ، وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لمّا تولاّها هو وأبوه أيّام ملكشاه ، فاستقرّ الأمر على مائة ألف دينار وستّين ألف دينار يحملها إليه ، وخلع الخليفة على السلطان بركيارق .

ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وإعادة خطبة محمّد ببغداذ

في هذه السنة سار بركيارُق من بغداذ على شَهرزور ، فأقام بها ثلاثة أيّام ، والتحق [به] عالَم كثير من التركمان وغيرهم . فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه ، فكاتبه رئيس هَمَذان ليسير إليها ويأخذ أقطاع الأمراء الذين مع أخيه ، فلم يفعل ، وسار نحو أخيه ، فوقعت الحرب بينهم رابع رجب ، وهو المصافّ الأوّل بين بركيارق وأخيه السلطان محمّد بإسْبِيذْرُوذَ ، ومعناه النهر الأبيض ، وهو على عدّة فراسخ من هَمَذان .

---

1) B. يقابلك . 2) B. بها . 3) Om. B.

Marfat.com

وكان مع محمّد نحو عشرين ألف مقاتل ، وكان محمّد في القلب ، ومعه الأمير سرمز ، وعلى ميمنته أمير آخُر ، وابنه إياز ، وعلى ميسرته مؤيّد الملك ، والنظاميّة ، وكان السلطان بركيارق في القلب ، ووزيره الأعزّ أبو المحاسن ، وعلى ميمنته كوهرائين وعزّ الدولة بن صدقة بن مَزْيَد ، وسُرخاب بن بدر ، وعلى ميسرته كربوقا وغيره ، فحمل كوهرائين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمّد ، وبها مؤيّد الملك ، والنظاميّة ، فانهزموا ، ودخل عسكر بركيارق في خيامهم ، فنهبوهم ، وحملت ميمنة محمّد على ميسرة بركيارق ، فانهزمت الميسرة ، وانضافت ميمنة محمّد إليه في القلب على بركيارق ومَنْ معه ، فانهزم بركيارق ، ووقف محمّد مكانه ، وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يدَيْه ، وكبا به فرسه ، فأتاه خراسانيّ فقتله ، وأخذ رأسه ، وتفرّقت عساكر بركيارق ، وبقي في خمسين فارساً .

وأمّا وزيره الأعزّ أبو المحاسن فإنّه أخذ أسيراً ، فأكرمه مؤيّد الملك ابن نظام الملك ، ونصب له خيماً وخركاة ، وحمل إليه الفُرش والكسوة ، وضمّنه عمادة بغداذ ، وأعاده إليها ، وأمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان محمّد ببغداذ ، فلمّا وصل إليها خاطب في ذلك ، فأُجيب إليه ، وخُطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب .

ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين

في هذه السنة ، في رجب ، قُتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبلُ ، وكان ابتداء أمره أنّه كان خادماً للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة ابن بويه ، انتقل إليه • من امرأة[1] من قُرقُوب بخُوزِستان ، وكان إذا توجّه

1) Om. B.

Marfat.com

إلى الأهواز حضر عندها ، واستعرض حوائجها ، وأصاب أهلُها منه خيراً كثيراً ، فأرسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر إلى بغداذ ، فلمّا قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه إلى قلعة طَبَرَك ، فلمّا مات أبو نصر انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان ، ووقاه بنفسه لمّا جرحه يوسف الخُوارزميُّ .

وكان ألب أرسلان قد أقطعه واسط ، وجعله شِحنة لبغداذ ، فلمّا قُتل ألب أرسلان أرسله ابنه ملكشاه إلى بغداذ ، فأحضر له الخِلع والتقليد ، ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الأمر ، وتمام القدرة ، وطاعة أعيان الأمراء ، وخدمتهم إيّاه ، وكان حليماً ، كريماً ، حسن السيرة ، لم يصادر أحداً من أهل ولايته ، ومناقبه كثيرة .

ذكر حال السلطان بركيارُق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضاً وقتل أمير داذَ حبشي

لمّا انهزم السلطان بركيارُق من أخيه السلطان محمّد سار قليلاً ، وهو في خمسين فارساً ، ونزل عُتُمَةَ ، واستراح ، وقصد الرَّيّ ، وأرسل إلى من كان يعلم أنّه يريده ، ويؤثر دولته ، فاستدعاه ، فاجتمع معه جمع صالح ، فسار إلى اسفرايين ، وكاتب أميرَ داذَ حبشي بن التونتاق ، وهو بدامغان ، يستدعيه ، فأجابه يشير عليه بالمقام بنَيسابور حتّى يأتيه ، وكان بيده حينئذ أكثر خُراسان وطَبَرستان وجُرجان ، فلمّا وصل بركيارق إلى نَيسابور قبض على رؤسائها ، وخرج بهم ، وأطلقهم بعد ذلك ، وتمسّك بعميد خُراسان أبي محمّد ، وأبي القاسم بن أبي المعالي الجوينيّ . فأمّا أبو القاسم فمات مسموماً في قبضه ، . وقد تقدّم أنّه قُتل سنة اثنتين وتسعين [وأربعمائة] .

وعادَ بركيارق فاستدعى[1] أمير داذَ ، فاعتذر بقصد السلطان سَنجرَ بلاده في عساكر بَلْخ ، ويسأل السلطان بركيارق أن يصل إليه ليعينه على الملك سَنجرَ ، فسار إليه في ألف فارس، فلم يعلم بقدومه إلاّ الأمراء الكبار من أصحاب سَنجرَ ، ولم يُعْلموا الأصاغرَ لئلاّ ينهزموا .

وكان مع أمير[2] داذَ عشرون ألف فارس ، فيهم من رجّالة الباطنيّة خمسة آلاف ، ووقع المصافّ بين بركيارق وأخيه سَنجرَ خارج النُّوشَجَان ؛ وكان الأمير بزغش في ميمنة سنجرَ ، والأمير كندكز في ميسرته . والأمير رُستم في القلب ، فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله ، وانهزم أصحابه وأصحاب سنجرَ . واشتغل العسكر بالنهب ، فحمل عليهم بزغش وكندكز ، فقتلا المنهزمين ، وانهزم الرجّالة إلى مضيق بين جبلَيْن ، فأرسل عليهم الماء فأهلكهم ، ووقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق ، وكان قد أخذ والدة أخيه سنجرَ لمّا انهزم أصحابه أوّلاً ، فخافت أن يقتلها بأمّه . فأحضرها وطيّب قلبها ، وقال : إنّما أخذتُك حتّى يطلق أخي سنجرَ مَنْ عنده من الأسرى ، ولستِ كفؤاً لوالدتي حتّى أقتلَك . فلمّا أطلق سَنجرَ الأسرى أطلقها بركيارق .

وهرب أمير داذَ إلى بعض القُرى . وأخذه بعض التركمان ، فأعطاه في نفسه مائة ألف دينار ، فلم يطلقه ، وحمله إلى بزغش فقتله ..

وسار بركيارق[1] إلى جُرجَان ثم إلى دَامغَان ، وسار في البرّيّة ، ورؤي[3] في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارساً ، وجمازة واحدة[2] ، ثم كثر جمعه ،

---

1) Om. C. P.

2) Finis lacunæ in A.

---

١ استدعى .

٢ الأمير .

٣ ورأى .

وصار معه ثلاثة آلاف فارس ، منهم : جاولي سقاووا ، وغيره . وسار إلى أصبهان بمكاتبة من أهلها ، فسمع السلطان محمّد ، فسبقه إليها ، فعاد إلى سُمَيْرَم .

ذكر فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس ، وكان صاحبها حَمّو[1] قد عاد فتغلّب[1] عليها ، واشتدّ أمره بوزير كان عنده قد قصده ، وهو من كتّاب المعزّ ، كان حسن الرأي والتدبير ، فاستقامت به دولته ، وعظم شأنه . فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه ، ووعده ، وبالغ في استمالته ، فلم يقبل . فسيّر تميم جيشاً إلى حصار سفاقُس ، وأمر الأمير الذي جعله مقدّم الجيش أن يهدم ما حول المدينة ويحرقه ، ويقطع الأشجار سوى ما يتعلّق بذلك الوزير فإنّه لا يتعرّض له ، ويبالغ في صيانته . ففعل ذلك . فلمّا رأى حمّو[2] ما فعل بأملاك الناس ، ما عدا الوزير ، اتّهمه ، فقتله . فاختلّ نظام دولته ، وتسلّم عسكر تميم المدينة ، وخرج حمّو منها ، وقصد مكن بن كامل الدهمانيّ ، فأقام عنده ، فأحسن إليه ، ولم يزل عنده حتّى مات .

ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته

لمّا أطاق مؤيّدُ الدولة ، وزيرُ السلطان محمّد ، الأعزّ أبا المحاسن ، وزيرَ بركيارق ، وصمّنه عمادة بغداذ ، أمره أن يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد

1) C. P. جعق ; A. B. حمر

2) A. حمر ; B. حموما .

---

١ تغلّب .

Marfat.com

الدولة بن جُهير ، فسار من العسكر ، وسمع عميد الدولة الخبر ، فأمر أصْبَهْبَذ صباوة بن خمارتكين بالخروج إلى طريق الأعزّ وقتله .

وكان أصْبَهْبَذُ قد حضر الحرب مع بركيارق ، ولمّا انهزم العسكر قصد بغداذ . فخرج إلى طريق الأعزّ أبي المحاسن . فلقيه قريباً من بَعْقُوبَا . فأوقع بمن معه . والتجأ الأعزّ إلى القرية واحتمى . فلمّا رأى أصبهبذ صباوة ذلك أرسل إليه يقول له : إنّك وزير السلطان بركيارق . وأنا مملوكه . فإن كنتَ على خدمته فاخرج إلينا حتّى نسير إلى بغداذ ونُقيم الخطبة للسلطان، وأنت الصاحب الذي لا يُخَالَفُ[1] ، وإن لم تُجِبْ إلى هذا ، فما بيننا غير السيف . فأجابه الأعزّ إلى ذلك . واجتمعا . فعرّفه صباوة الذي أمره به عميد الدولة من قتله . وباتا تلك الليلة . وأرسل الأعزّ إلى الأمير إيلغازي بن أُرتُق . وكان قد ورد في صحبته . وفارقه نحو الراذان . فحضر في الليل . فانقطع حينئذ أمل صباوة منه . وفارقه .

وسار الأعزّ إلى بغداذ وخاطب في عزل عميد الدولة ، فعُزل في رمضان ، وأُخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار . وقُبض عليه وعلى إخوته . وبقي معزولاً إلى سادس عشر شوّال، فتوفّي محبوساً في دار الخلافة ؛ ومولده في المحرّم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة . وكان عاقلاً . كريماً . حليماً ، إلاّ أنّه كان عظيم الكبر . يكاد يُعَدّ كلامه عدّاً . وكان إذا كلّم إنساناً كلمات يسيرة هُنّىء ذلك الرجل بكلامه .

---

1) A. تخالف .

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كشتكين بن الدانشمند طايلو ، وإنّما قيل له ابن الدانشمند لأنّ أباه كان معلّماً للتركمان وتقلّبت به الأحوال ، . حتّى ملك[1] . وهو صاحب مَلَطْيَة وسِيواس وغيرهما ، بيمندَ الفرنجيَّ ، وهو من مقدّمي الفرنج ، قريب مَلَطْيَةَ ، وكان صاحبها قد كاتبه ، واستقدمه إليه ، فورد عليه في خمسة آلاف ، فلقيهم ابن الدانشمند ، فانهزم بيمند وأُسر .

ثمّ وصل من البحر سبعة قمامصةٍ من الفرنج ، وأرادوا تخليص بيمند ، فأتوا إلى قلعة تسمّى[2] أنكوريّةَ ، فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين ، وساروا إلى قلعة أخرى فيها إسماعيل بن الدانشمند ، وحصروها ، فجمع ابن الدانشمند جمعاً كثيراً ، ولقي الفرنج ، وجعل له كميناً ، وقاتلهم . وخرج الكمين عليهم ، فلم يُفْلِتْ أحدٌ من الفرنج ، وكانوا ثلاثمائة ألف ، غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا مجروحين .

وسار ابن الدانشمند إلى مَلَطْيَة ، فملكها وأسر صاحبها ، ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكية ، فلقيهم وكسرهم ، وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة .

---

1) B. 2) Om. C. P.

Marfat.com

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ ، في شعبان ، وعظم ضررهم ، فأمر الخليفة كمالَ الدولة يُمن بتهذيب البلد ، فأخذ جماعة من أعيانهم ، وطلب الباقين فهربوا .

وفيها أيضاً انحلّت الأسعار بالعراق ، وكان كُرّ الحنطة قد بلغ سبعين[1] ديناراً[1] ، وربّما زاد كثيراً في بعض الأوقات ، وانقطعت الأمطار ، ويبست الأنهار ، وكثر الموت ، حتّى عجزوا عن دفن الموتى ، فحُمل في بعض الأوقات ستّة أموات على نعش واحد ، وعدمت الأدوية والعقاقير .

وفيها ، في رجب ، سار بيمند الفرنجيُّ ، صاحب أنطاكية ، إلى قلعة أفَامِيَة ، فحصرها ، وقاتل أهلَها أيّاماً ، وأفسد زروعها . ثم رحل عنها[2] .

وفيها ، في آخر رمضان ، قُتل الأمير بلكابك سرمز بأصبهان ، بدار السلطان محمّد ، وكان كثير الاحتياط من الباطنيّة لا يفارقه لُبسُ الدِّرع ومَن يمنع عنه ، ففي ذلك اليوم لم يلبسْ درعاً ، ودخل دار السلطان في قلّة ، فقتله الباطنيّة ، فقُتل واحد ونجا آخر .

وفيها توفّي أبو الحسن البِسطاميُّ الصوفيُّ ، ورباطه مشهور على دجلة غربيّ بغداذ ، بناه أبو الغنائم بن المحلبان .

وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جَرْدة ، وأصْله من عُكْبَرا ، وإليه

---

1) C. P. تسعين . 2) B.

---

١ دينار .

Marfat.com

يَنسب مسجد ابن جَرْدة ، وخَرابة ابن جردة ببغداذ .

وفيها توفّي أبو عليّ يحيى بن جَزْلَة الطبيب ، وكان نصرانيّاً فأسلم ، وهو مصنّف كتاب المنهاج .

وفيها ، في شوّال ، توفّي عبد الرزّاق الصوفيُّ ، الغزنويُّ ، المقيم برباط عَنّاب ، وحجّ عدّة حجّات على التجريد ، ولم يخلّف ما تكفّن فيه ، فقالتْ زوجته : إذا متَّ افتضحنا ، قال : لِمَ تفتضح ؟ قالت : لأنّك ليس لك ما تُكفّن فيه . فقال : إنّما أفتضح إذا خلّفتُ ما أُكفّن فيه .

وفيها ، في رمضان ، توفّي عزّ الدولة أبو المكارم محمّد بن سيف الدولة صدقة بن مَزْيد .

Marfat.com

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

ذكر الحرب بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وقتل مؤيّد الملك

في هذه السنة ، ثالث جمادى الآخرة ، كا للصافّ الثاني بين السلطان بركيارُق والسلطان محمّد ، وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين [وأربعمائة] انهزام السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمّد ، وتنقّلَهُ في البلاد ، إلى أصبهان ، وأنّه لم يدخلها ، وسار منها إلى خُوزِستان ، وأتى عسكرَ مُكرَم ، فأتاه الأميران زنكي والبكي ابنا برسق[1] ، وصارا معه ، وأقام بها شهرَيْن ، وسار منها إلى همذان ؛ فاتّصل به الأمير إياز .

وكان سبب ذلك أنّ أمير آخُر قد مات مُذْ قريب ، فاتّهم إياز مؤيّد الملك بأنّه سقاه السمّ ، وقوّى ذلك عنده أنّ وزير أمير آخُر هرب عُقَيْب موته ، فازداد ظنّ إياز باتّهامه ، فظفر بالوزير ، فقتله .

وكان إياز قد اتّخذه أمير آخُر ولداً ، • واتّصل به العسكر[2] ، ووصّى له بجميع ماله ، فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطانَ بركيارق ، واتّصل به ، ومعه خمسة آلاف فارس ، • وصار من جملة[3] عسكره .

وسار السلطان محمّد إلى لقاء أخيه ، فلمّا تقارب العسكران استأمن الأمير مُرخاب بن كَيْخَسرو ، صاحب آوة ، إلى السلطان بركيارق ، فأكرمه .

---

1) A. برشق . 2) Om. C. P. 3) A. B. من .

Marfat.com

ووقع المصافّ ثالث جمادى الآخرة ، وكان مع السلطان بركيارق خمسون ألفاً . ومع أخيه السلطان محمّد خمسة عشر ألفاً ، فالتقوا ، فاقتتلوا يومَهم أجمع ، وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمّد إلى بركيارق ، فيُحسن إليهم .

ومن العجب الدالّ على الظفر أنّ رجّالة بركيارق احتاجوا إلى تراس ، فوصل إليه يوم المصافّ بكرةً اثنا عشر حملاً سلاحاً من همَذان منها ثمانية أحمال تراس ، ففُرّقت فيهم ، فلمّا وصلتْ نزل السلطان بركيارق ، وصلّى ركعتَيْن شكراً لله تعالى .

ولم يزل القتال بينهم إلى آخر النهار ، فانهزم السلطان محمّد وعسكره ، وأُسر مؤيّد الملك ، أسره غلام لمجد الملك البلاسانيّ وأُحضر عند السلطان بركيارق ، فسبّه ، وأوقفه[1] على ما اعتمده معه • من سبّ والدته مرّةً ، ونسبته إلى مذهب الباطنيّة أخرى ، ومن حمْل أخيه محمّد[1] على عصيانه ، والخروج عن طاعته إلى غير ذلك ، ومؤيّد الملك ساكت لا يُعيد كلمة ، فقتله بركيارق بيده ، وألقي على الأرض عدّة أيّام ، حتّى سأل الأمير إياز في دفنه ، فأذن فيه ، فحُمل إلى تُربة أبيه بأصبهان فدُفن معه .

وكان بخيلاً ، سيء السيرة مع الأمراء ، إلاّ أنّه كان كثير المكر والحيل في إصلاح أمر الملك ، وكان عمره لمّا قُتل نحو خمسين سنة .

وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل ابن عليّ الدّهستانيّ ، فلمّا قُتل مؤيّد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولاً إلى بغداذ، وهو أبو إبراهيم الأسداباذيّ[2] ، لأخذ أموال مؤيّد الملك ، فنزل ببغداذ بدار مؤيّد الملك ، وسُلّم إليه محمّد الشرابيُّ ، وهو ابن خالة مؤيّد الملك ،

---

1) Om. B.

2) A. الاسترابادي ; B. الاسابادي .

Marfat.com

فأخذت منه الأموال والجواهر بعد مكروهٍ[1] أصابه ، وعذابٍ ناله ، وأخذ له ذخائر من مواضع أخَر ببلاد العجم منها : قطعة بَلَخش ، وزنها واحد وأربعون[1] مثقالاً .

ولمّا فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار إلى الرَّيّ ، فوصل إليه هناك قوام الدولة كربوقا ، صاحب الموصل ، ونور الدولة دُبَيْس بن صدقة بن مَزْيَد .

ذكر حال السلطان محمّد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سَنجَر

لمّا انهزم السلطان محمّد ، سار طالباً خُراسان إلى أخيه سَنجَر ، وهما لأمّ واحدة ، فأقام بجُرجان ، وراسل أخاه يطلب منه مالاً وكسوة ، وغير ذلك ، فسيّر إليه ما طلب ، وتردّدت الرسل بينهما ، حتّى تحالفا واتّفقا .

ولم يكن بقي مع السلطان محمّد غير أميرَيْن في نحو[2] ثلاثمائة فارس ، فلمّا استقرّت القواعد بينهما سار الملك سَنجَر من خُراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمّد ، فاجتمعا بجُرجان ، وسارا منها إلى دامغان ، فخرّبها العسكر الخراسانيُّ ، ومضى أهلها هاربين إلى قلعة كردكوه ، وخرّب العسكر ما قدروا عليه من البلاد ، وعمّ الغلاء تلك الأصقاع ، حتّى أكل الناس الميتة والكلاب ، وأكل الناس بعضهم بعضاً . وسارا إلى الريّ ، فلمّا وصلا إليها

---

1) B. نكد .

2) A. B. ونحو .

---

١ أحد وأربعين .

انضمّ إليهما النّظاميّة وغيرهم ، فكثر جمعهما . وعظمت شوكتهما ، وتمكّنت من القلوب هيبتهما .

ذكر ما فعله السلطان بركيارُق ودخوله بغداذ

لمّا كان السلطان بركيارق بالريّ، بعد انهزام أخيه محمّد ، اجتمعت عليه العساكر الكثيرة ، فصار معه نَحو مائة ألف فارس ، ثُم إنّهم ضاقت عليهم الميرة . فتفرّقت العساكر . فعاد دُبيس بن صدقة إلى أبيه ، وخرج الملك مودود ابن إسماعيل بن ياقوتي بأذربيجان . فسيّر إليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس ، واستأذن الأمير إياز في أن يقصد داره بهَمَذان يصوم بها شهر رمضان ، ويعود بعد الفطر ، فأذن له ، وتفرّقت العساكر لمثل ذلك ، وبقي في العدد القليل .

فلمّا بلغه أنّ أخويْه قد جمعا الجموع ،«وحشدا الجنود[1] ، وأنّهما لمّا بلغهما قلّة من معه جدّا في المسير إليه ، وطويا المنازل ليعاجلاه ، قبل أن يجمع جموعه وعساكره ، فلمّا قارباه سار من مكانه ، وقد طمع فيه من كان يهابه . وأيِس منه من كان يرجوه . فقصد نحو همَذان ليجتمع هو وإياز ، فبلغه أنّ إياز[2] قد راسل السلطان محمّداً ليكون معه ومن جملة أعوانه ، خوفاً على ولايته ، وهي همذان وغيرها ، فلمّا سمع ذلك عاد عنها ، وقصد خُوزِستان، فلمّا قرب من تُستَر كاتب الأمراء بني برسق[3] يستدعيهم إليه ، فلم يحضروا لمّا علموا أنّ إياز[2] لم يحضر ، وللخوف من السلطان محمّد ، فسار نحو العراق . فلمّا بلغ حُلوان أتاه رسول الأمير إياز يسأل التوقّف ليصل إليه .

---

1) B. الجنوده ؛ 2) A. لياز ؛ 3) A. برشق .

وسبب ذلك أنّ إياز[1] راسل السلطان محمّداً في الانضمام إليه[2] ، والمصير في جملة عسكره ؛ فلم يقبله ؛ وسيّر العساكر إلى همذان . ففارقها منهزماً ، ولحق بالسلطان بركيارق ؛ ، فأقام السلطان بركيارق[3] بحُلوان . ووصل إليه إياز ، وساروا جميعهم إلى بغداذ .

وأخذ عسكر محمّد ما تخلّف للأمير إياز بهَمذان من مال ، ودوابّ ، وبَرْك ، وغير ذلك ، فإنّه أُعجل عنه ، وكان من جملته خمسمائة حِصان عربيّة ، قيل كان يُساوي كلّ حصان منها ما بين ثلاثمائة دينار إلى خمسمائة دينار ، ونهبوا داره ، وصادروا جماعة من أصحابه ، وصودر رئيس همَذان بمائة ألف دينار .

ولمّا وصل إياز إلى بركيارق تكاملتْ عدّتهم خمسة آلاف فارس ، وقد ذهبت خيامهم وثَقَلهم ؛ ووصل بركيارق إلى بغداذ سابع عشر ذي القعدة ، وأرسل الخليفة إلى طريقه يلتقيه أمين[4] الدولة بن موصلايا في الموكب[5] ، ولمّا كان عيد الأضحى نفّذ الخليفة منبراً إلى دار السلطان ، وخطب عليه الشريف أبو الكرم ، وصلّى صلاة العيد . ولم يحضر بركيارق لأنّه كان مريضاً .

وضاقت الأموال على بركيارق ، فلم يكن عنده ما يُخرجه على نفسه وعلى عساكره ؛ فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة وقلّة المال . ويطلب أن يُعان بما يخرجه ؛ فتقرّر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار ؛ حملها الخليفة إليه ، ومدّ بركيارق وأصحابه أيديهم إلى أموال الناس ، فعمّ ضررهم ، وتمنّى أهل البلاد زوالهم عنهم ، ودعتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطّة شنعاء ، وذلك أنّه قدم عليهم أبو محمّد عبيد الله بن منصور ، المعروف بابن صليحة[6] ،

---

1) A. إيازا .
2) B.
3) Om. A.
4) A. B. أمير .
5) A. B. المراكب .
6) C. P. صلجة .

Marfat.com

قاضي جَبلَةَ من بلاد الشام وصاحبها ، منهزماً من الفرنج ؛ على ما نذكره ، ومعه أموال جليلة المقدار ، فأخذوها منه .

ذكر خلاف صدقة بن مَزْيَد على بركيارُق

في هذه السنة خرج الأمير صدقة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد ، صَاحب الحِلّة ، عن طاعة السلطان بركيارُق ، وقطع خطبته من بلاده ، وخطب فيها للسلطان محمّد .

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن الدّهستانيّ ، وزير السلطان بركيارق ، أرسل إلى صدقة يقول له : قد تخلّف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار ، وكذا وكذا ديناراً لسنين كثيرة ، فإن أرسلتَها ، وإلاّ سيّرنا العساكر إلى بلادك وأخذناها منك . فلمّا سمع هذه الرسالة قطع الخطبة ، وخطب لمحمّد .

فلمّا وصل السلطان بركيارق إلى بغداذ على هذه الحال أرسل إليه مرّة بعد مرّة يدعوه إلى الحُضور عنده ، فلم يُجِبْ إلى ذلك ، فأرسل إليه الأمير إياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان ، ويضمن له كلّ ما[1] يريده ، فقال : لا أحضر ، ولا أطيع السلطان ، إلاّ إذا سلّم وزيره أبا المحاسن إليّ ، وإن لم يفعلْ فلا يتصوّر منّي الحضور عنده أبداً ، ويكون في ذلك ما يكون ، فإن سلّمه إليّ ، فأنا العبد المخلص في العبوديّة بالحسن والطاعة . فلم يُجَبْ إلى ذلك ، فتمّ على مقاطعته ، وأرسل إلى الكوفة ، وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها إليه .

---

١ كلما .

ذكر وصول السلطان محمّد إلى بغداذ ورحيل السلطان بركيارُق عنها

في هذه السنة ، في السابع والعشرين [من] ذي الحجّة ، وصل السلطان محمّد وسَنجَر إلى بغداذ ، وكان السلطان محمّد لمّا استولى على همَذان وغيرها سار إلى بغداذ ، فلمّا وصل إلى حُلوان سار إليه إيلغازي بن أُرتُق في عساكره ، وخدمه ، وأحسن في الخدمة ، وكان عسكر محمّد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع .

فلمّا وصلت الأخبار بذلك كان بركيارق على شدّة من المرض ، يُرجف عليه خواصّه بُكْرةً وعشيّاً ، فماج أصحابه ، وخافوا ، واضطربوا ، وحاروا ، وعبروا به في محفّة إلى الجانب الغربيّ ، فنزلوا بالرَّملة ، ولم يبق في بركيارق غير روح يتردّد ، وتيقّن أصحابه موته ، وتشاوروا في كفنه ، وموضع دفنه .

فبينما هم كذلك إذ قال لهم : إني أجد نفسي قد قويت ، وحركتي قد تزايدت ؛ فطابت نفوسهم ، وساروا ، وقد وصل العسكر الآخر ، فتراءى الجمعان بينهما دجلة ، وجرى بينهما مراماة[1] وسباب ، وكان أكثر ما يسبّهم عسكر محمّد يا باطنيّة ، يُعَيّرونهم بذلك ، ونهبوا البلاد في طريقهم إلى أن وصلوا إلى واسط .

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ ، فنزل بدار المملكة ، فبرز إليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمّن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه ،

---

1) A. مراسلة ; B. مراسلات .

Marfat.com

والاستبشار بقدومه ، وخُطب له بالديوان ، ونزل الملك سَنجَر بدار كوهراثين، وكان محمّد قد استوزر بعد مؤيّد الملك خطير[1] الملك أبا منصور محمّد بن الحسين ، وقدم إليه في المحرّم سنة خمس وتسعين [وأربعمائة] الأمير سيف الدولة صدقة ، وخرج الخلق كلّهم إلى لقائه .

ذكر حال قاضي جبلة

هو أبو محمّد عبيد[2] الله بن منصور المعروف بابن صليحة ، وكان والده رئيسها أيّام كان الروم مالكين لها على المسلمين ، يقضي بينهم ، فلمّا ضعف أمر الروم ، وملكها المسلمون ، وصارت تحت حكم جلال[3] الملك أبي الحسن عليّ بن عمّار ، صاحب طرابلس ، كان منصور على عادته في الحكم فيها . فلمّا توفّي منصور قام ابنه أبو محمّد مقامه ، وأحبّ الجنديّة ، واختار الجندَ : فظهرت شهامته ، فأراد ابن عمّار أن يقبض عليه، فاستشعر منه ، وعصى عليه . وأقام الخطبة العبّاسيّة ، فبذل ابن عمّار لدُقاق بن تُتُش مالاً ليقصده ويحصره ، ففعل ، وحصره ، فلم يظفر منه بشيء ، وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنُشّابة في ركبته وبقي أثرها .

وبقي أبو محمّد بها مطاعاً إلى أن جاء الفرنج ، لعنهم الله ، فحصروها ، فأظهر[4] أنّ السلطان بركيارق قد توجّه إلى الشام ، وشاع هذا ، فرحل الفرنج ، فلمّا تحقّقوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا[5] حصاره ، فأظهر أنّ المصريّين قد توجّهوا لحربهم ، فرحلوا ثانياً ، ثم عادوا ، فقرّر مع النصارى الذين بها أن

---

1) A. B. خطيب .
2) C. P. عبد .
3) A. B. جمال .
4) A. فاظهروا .
5) A. B. عادوا إلى .

Marfat.com

يراسلوا الفرنجَ ، ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلّموه إليهم ويملكوا البلد ، فلمّا أتتهم الرسالة جهّزوا نحو[1] ثلاثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم ، فتقدّموا إلى ذلك البرج ، فلم يزالوا يرقون في الحبال ، واحداً بعد واحد[2] ، وكلّما صار عند ابن صليحة ، وهو على السور ، رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين ؛ فلمّا أصبحوا رمى[1] الرؤوس إليهم فرحلوا عنه .

وحصروه مرّة أخرى ، ونصبوا على البلد برج خشب ، وهدموا برجاً من أبراجه ، وأصبحوا وقد بناه أبو محمّد ، ثم نقب في السور نقوباً ، وخرج من الباب وقاتلهم ، فانهزم منهم ، وتبعوه ، فخرج أصحابه من تلك النقوب ، فأتوا الفرنجَ من ظهورهم ، فولّوا منهزمين وأسر مقدّمهم[3] المعروف بكند اصطبل[4] ، فافتدى نفسه بمال جزيل .

ثم علم أنّهم لا يقعدون عن طلبه ، وليس له من يمنعهم عنه ، فأرسل إلى طغتكين أتابك يلتمس منه إنفاذ من يثق به ليسلّم إليه ثغر جَبلَة ، ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله ، فأجابه إلى ما التمس ، وسيّر إليه ولده تاج الملوك بوري ، فسلّم إليه البلد ، ورحل إلى دمشق ، وسأله أن يسيّره إلى بغداذ ، ففعل ، وسيّره ومعه من يحميه إلى أن وصل إلى الأنبار .

ولمّا صار بدمشق أرسل ابن عمّار صاحب طرابلس إلى الملك دُقاق ، وقال : سلّم إليّ ابن صليحة عُرياناً ، وخذ ماله أجمع ، وأنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار ؛ فلم يفعل . فلمّا وصل إلى الأنبار أقام بها أيّاماً ، ثم سار إلى بغداذ ، وبها السلطان بركيارق ، فلمّا وصل أحضره الوزير الأعزّ أبو المحاسن عنده ،

---

1) B. رما .

2) C. P. آخر .

3) B. فارسهم .

4) C. P. أصطيل .

Marfat.com

وقال له : السلطان محتاجٌ ، والعساكر يطالبونه بما ليس عنده ، ونريد منك ثلاثين ألف دينار ، وتكون له[1] مِنّةٌ عظيمة ، تستحقّ بها المكافأة والشكرَ . فقال : السمع والطاعة ؛ ولم يطلب أن يَحُطّ[2] شيئاً ، وقال : إنّ رحلي ومالي في الأنبار بالدار التي نزلتها ؛ فأرسل الوزير إليها جماعة ، فوجدوا فيها مالاً كثيراً ، وأعلاقاً نفيسة ، فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغٍ عجيب الصنعة ، ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شيء كثير .

كان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمّد إلى هاهنا ، بعد قتل الباطنيّة ، فإنّها كانت أواخر السنة [illegible] وكان قتلهم في شعبان ، وإنّما قدّمناها لنتبع بعض الحادثة بعضاً لا يفصل بينهما شيء .

وأمّا تاج الملوك بوري ، فإنّه لمّا ملك جَبلَة ، وتمكّن منها ، أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها ، وفعلوا بهم أفعالاً أنكروها ، فراسلوا القاضي فخر الملك أبا عليّ عمّار[3] بن محمّد بن عمّار ، صاحب طرابلس ، وشكوا إليه ما يفعل بهم ، وطلبوا منه أن يرسل إليهم بعض أصحابه ليسلّموا إليه البلد ، ففعل ذلك ، وسيّر إليهم عسكراً[4] ، فدخلوا جَبلَة ، واجتمعوا بأهلها ، وقاتلوا تاج الملوك ومَن معه ، فانهزم الأتراك ، وملك عسكر ابن عمّار جَبلَة ، وأخذوا تاج الملوك أسيراً ، وحملوه إلى طرابلس ، فأكرمه ابن عمّار ، وأحسن إليه ، وسيّره إلى أبيه بدمشق ، واعتذر إليه ، وعرّفه صورة الحال ، وأنّه خاف أن يملك الفرنج جَبلَة .

---

1) B. منك .
2) C. P. يحفظ .
3) C. P.
4) B. add. وافراً .

Marfat.com

ذكر قتل الباطنيّة

في هذه السنة ، في شعبان ، أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنيّة ، وهم الإسماعيليّة وهم الذين كانوا قديماً يسمّون قرامطة[1] ، ونحن نبتدىء بأوّل أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم .

فأوّل ما عُرف من أحوالهم ، أعني هذه الدعوة الأخيرة التي اشتهرت بالباطنيّة ، والإسماعيليّة ، في أيّام السلطان ملكشاه ، فإنّه[2] اجتمع منهم ثمانية عشر رجلاً ، فصلّوا صلاة العيد في ساوة ، ففطن بهم الشُّحنة ، فأخذهم وحبسهم ، ثم سئل فيهم فأطلقهم ، فهذا أوّل اجتماع كان لهم .

ثمّ إنّهم دعوا مؤذّناً من أهل ساوة كان مقيماً بأصبهان ، فلم يجبهم إلى دعوتهم ، فخافوه أن[1] ينمّ عليهم ، فقتلوه ، فهو أوّل قتيل لهم ، وأوّل دم أراقوه[3] ، فبلغ[4] خبره إلى نظام الملك ، فأمر بأخذ من يُتّهم بقتله ، فوقعت التهمة على نجّار اسمه طاهرٌ ، فقُتل ، ومُثّل به ، وجرّوا برجله في الأسواق ، فهو أوّل قتيل منهم ، وكان والده واعظاً . وقدم إلى بغداذ مع السلطان بركيارق سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] فحظي[5] منه ، ثم قصد البصرة فوليّ القضاء بها ، ثم توجّه في رسالة إلى كَرْمان ، فقتله العامّة في الفتنة التي جرت ، وذكروا أنّه باطنيّ .

ثم إنّ الباطنيّة قتلوا نظام الملك ، وهي أوّل فتكة[6] مشهورة كانت لهم ، وقالوا : قتل نجّاراً فقتلناه به .

---

1) A. c. artic.
2) B. فالهم .
3) Om. C. P.
4) B. فباح .
5) A. B. فمضي .
6) A. B. فتكة .

---

١ لا .

Marfat.com

وأوّل موضع غلبوا عليه وتحصّنوا به بلدٌ عند قَايِنَ ، كان متقدّمهُ على مذهبهم ، فاجتمعوا عنده ، وقَووا به ، فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كَرمان إلى قاين ، فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنيّة ، فقتل أهلَ القفل أجمعين ، ولم ينجُ منهم غير رجل تركمانيّ ، فوصل إلى قاينَ[1] فأخبر بالقصّة ، فتسارع أهلها مع القاضي[2] الكرمانيّ[3] إلى جهادهم ، فلم يقدروا عليهم .

ثم قُتل نظام الملك ، ومات السلطان ملكشاه ، فعظم أمرهم . واشتدّت شوكتهم ، وقويت أطماعهم .

وكان سبب قوّتهم بأصبهان أنّ السلطان بركيارق لمّا حصر أصبهان ، وبها أخوه محمود[4] . وأُمّه خاتون الجلاليّة ، وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنيّة بها . وانتشرت . وكانوا متفرّقين في المحالّ . فاجتمعوا ، وصاروا يسرقون مَن قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم : فعلوا هذا بخلق كثير ، وزاد الأمر . حتّى إنّ الإنسان كان إذا تأخّر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقّنوا قتله . وفعلوا للعزاء به ، فحذر الناس ، وصاروا لا ينفرد أحد . وأخذوا في بعض الأيّام مؤذّناً ، أخذه جارٌ له باطنيّ ، فقام أهله للنياحة عليه . فأصعده الباطنيّة إلى سطح داره وأروه أهله كيف يلطمون ويبكون ، وهو لا يقدر [أن] يتكلّم خوفاً منهم .

ذكر ما فعل بهم العامّة بأصبهان

لمّا عمّت هذه المصيبة الناس بأصبهان ، أذن الله تعالى في هتك أستارهم ، والانتقام منهم ، فاتّفق أنّ رجلاً دخل دار صديق له ، فرأى فيها ثياباً ،

---

1) A. كرمان . 2) A. addd. علي . 3) A. B. التركماني .
4) A. B. محمد .

ومداسات، وملابس لم يعهدها ، فخرج من عنده ، وتحدّث بما كان ، فكشف الناسُ عنها ، فعلموا أنّها[1] من المقتولين .

وثار[1] الناس كافّة يبحثون عمّن قُتل منهم ، ويستكشفون ، فظهروا على الدروب التي هم فيها . وإنّهم كانوا إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منها وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صُنعت لذلك .

وكان على باب دربٍ منها رجلٌ ضرير ، فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده[2] خطوات إلى باب الدرب ، فيفعل ذلك ، فإذا دخل الدرب أُخذ وقُتل ، فتجرّد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمّد الخجنديُّ ، الفقيه الشافعيُّ ، وجمع جمّ الغفير[3] بالأسلحة ، وأمر بحفر أخاديد ، وأوقد فيها النيران ، وجعل العامه يأتون بالباطنيّة أفواجاً ومنفردين ، فيلقون في النار ، وجعلوا إنساناً على أخاديد النيران ، وسمّوه مالكاً ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً .

ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم

واستولوا على عدّة حصون منها قلعة أصبهان ، وهذه القلعة لم تكن قديماً ، وإنّما بناها السلطان ملكشاه .

وسبب بنائها أنّه كان قد أتاه رجل من مقدّمي الروم ، فأسلم وصار معه ، فاتّفق أنّه سار[4] يوماً إلى الصيد ، فهرب منه كلبٌ حسن الصيد ، وصعد

---

1) C. P. وسار .
2) A. B. يقوده به .
3) C. P. جماعة .
4) B. add. معه .

---

١ أنّه .

Marfat.com

هذا الجبل ، فتبعه السلطان والروميُّ معه ، فوجده موضعَ القلعة ، فقال له الروميُّ : لو أنّ عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصناً ننتفع به ؛ فأمر ببناء القلعة ، ومنع منها نظام الملك ، فلم يُقبل قوله ، فلمّا فرغتْ جعل فيها دزداراً .

فلمّا انقضت أيّام السلطان ملكشاه ، وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزدار ، وجعلت غيره فيها ، وهو إنسان ديلميٌّ اسمه زيار ، فمات ، وصار بالقلعة إنسان خُوزيٌّ ، فاتّصل به أحمد بن عطّاش ، وكان الباطنيّة قد ألبسوه تاجاً[1] ، وجمعوا له أموالاً ، وقدّموه عليهم مع جهله ، وإنّما كان أبوه مقدّماً فيهم ، فلمّا اتّصل بالدزدار بقي معه ، ووثق به ، وقلّده الأمور ، فلمّا توفّي الدزدار استولى أحمد بن عطّاش عليها ، ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخذ الأموال ، وقتْل النفوس ، وقطع الطريق ، والخوف الدائم ، فكانوا يقولون : إنّ قلعةً يدلّ عليها كلبٌ ، ويشير بها كافر لا بدّ وأن يكون خاتم أمرها الشرّ .

ومنها ألَمُوت ، وهي من نواحي قَزوين ، قيل إنّ ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التصيّد ، فأرسل يوماً عُقاباً ، وتبعه ، فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة ، فوجده موضعاً حصيناً ، فأمر ببناء قلعة عليه ، فسمّاها ألُهْ مُوت ومعناه بلسان الديلم : تعليم العُقاب ، ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان .

وفيها قلاع حصينة أشهرها ألَمُوت ، وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجَعْفريّ ، وقد استناب فيها رجلاً علويّاً ، فيه بلهٌ وسلامة صَدْرٍ .

وكان الحسن بن الصبّاح رجلاً شهماً ، كافياً ، عالماً بالهندسة ، والحساب والنجوم ، والسحر ، وغير ذلك ؛ وكان رئيس الريّ إنسان يقال له أبو مُسلم ، وهو صهر نظام الملك ، فاتّهم الحسن بن الصبّاح بدخول جماعة من دعاة

---

1 Add. B. واجتمعوا .

Marfat.com

المصريّين عليه ، فخافه ابن الصبّاح ، وكان نظام الملك يكرمه ، وقال له يوماً من طريق الفراسة : عن قريب يُضلّ[1] هذا الرجل ضعفاء العوامّ ؛ فلمّا هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه .

وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطّاش ، الطبيب الذي ملك قلعة أصبهان ، ومضى ابن الصبّاح فطاف البلاد ، ووصل إلى مصر ، ودخل على المستنصر صاحبها ، فأكرمه ، وأعطاه مالاً ، وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته ، فقال له الحسن : فمَنِ الإمامُ بعدك ؟ فأشار إلى ابنه نِزار ؛ وعاد من مصر إلى الشام ، والجزيرة ، وديار بكر ، والروم ، ورجع إلى خُراسان ، ودخل كاشْغَر ، وما وراء النهر ، يطوف على قوم يُضلّهم ، فلمّا رأى قلعة أَلَمُوت ، واختير أهل تلك النواحي ، أقام عندهم ، وطمع في إغوائهم ، ودعاهم في السرّ ، وأظهر الزهد ، ولبس المِسْحَ[2] ، فتبعه أكثرهم ، والعلويُّ صاحب القلعة حسن الظنّ فيه ، يجلس إليه يتبرّك به ، فلمّا أحكم الحسن أمره ، دخل يوماً على العلويّ بالقلعة ، فقال له ابن الصبّاح : اخرج من هذه القلعة ؛ فتبسّم العلويّ ، وظنّه يمزح ، فأمر ابن الصبّاح بعض أصحابه[3] بإخراج العلويّ ، فأخرجوه[4] إلى دامغان ، وأعطاه ماله وملك القلعة .

ولمّا بلغ الخبر إلى نظام الملك بعث عسكراً إلى قلعة أَلَمُوت ، فحصروه فيها ، وأخذوا عليه الطرق ، فضاق ذرعه بالحصر ، فأرسل مَن قتل نظام الملك ، فلمّا قُتل رجع العسكر عنها .

ثمّ إنّ السلطان محمّد بن ملكشاه جهّز نحوها العساكر ، فحصرها ، وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

---

1) A. B. يضل .
2) A. B. للسوح .
3) Om. C. P.
4) C. P. فأخرج .

Marfat.com

ومنها طَبَسُ ، وبعض قُهِسْتانَ ، وكان سبب ملكهم لها أنّ قُهِسْتانَ كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور ، أمراء خراسان ، أيّام السامانيّة ، وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المُنَوّر ، وكان رئيساً مُطاعاً عند الخاصّة والعامّة ، فلمّا ولي كلسارغ قُهِسْتانَ ظلم الناس وعسفهم ، وأراد أختاً للمنوّر بغير حلّ ، فحمل ذلك المنوّر على أن التجأ إلى الإسماعيليّة ، وصار معهم ، فعظم حالهم في قُهِسْتان ، واستولوا عليها ومن جملتها • خُورُ ، وخُوسف[1] ، وزوزن ، وقاين ، وتُون ، وتلك الأطراف المجاورة لها .

ومنها قلعة وَسْنَمكُوه[2] ، ملكوها ، وهي بقرب أبهَر ، سنة أربع وثمانين [وأربعمائة] ، وتأذّى بهم الناس ، لا سيّما أهل أبهَر ، فاستغاثوا بالسلطان بركيارق ، فجعل عليها من يحاصرها ، فحوصرت ثمانية أشهر ، وأخذت منهم سنة تسع وثمانين [وأربعمائة] ، وقُتل كلّ من بها عن آخرهم .

ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان ، كانت لمؤيّد الملك ابن نظام الملك ، وانتقلت إلى جاولي سقاوواه فجعل بها إنساناً تركيّاً ، فصادقه نجّارٌ باطنيّ ، وأهدى له هديّة جميلة ، ولزمه حتّى وثق به ، وسلّم إليه مفاتيح القلعة ، فعمل دعوةً للتركيّ وأصحابه ، فسقاهم الخمر ، فأسكرهم ، واستدعى ابن عطّاش ، فجاء في جماعة من أصحابه ، فسلّم إليهم القلعة ، فقتلوا من بها سوى التركيّ فإنّه هرب ؛ وقوي ابن عطّاش بها ، وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة .

ومن قلاعهم المذكورة أُستُونَاوَنْدُ ، وهي بين الرَّيّ وآمل ، ملكوها بعد ملكشاه ، نزل منها صاحبها ، فقُتل وأخذت منه .

ومنها أَرْدَهُنُ ، وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصبّاح .

---

1) Om. A. B.

2) A. وسبكوه ; B. وسيكوه .

ومنها كُردكوه وهي مشهورة .

ومنها قلعة الناظر بخُوزستان ؛ وقلعة الطُّنبُور وبينها[1] وبين أرّجان فرسخان أخذها[2] أبو حمزة الإسكاف ، وهو من أهل أرّجان ، سافر إلى مصر ، وعاد داعيةً لهم .

وقلعة[3] خلادخان[4] ، وهي بين فارس وخُوزستان ، وأقام بها المفسدون نحو مائتَيْ سنة يقطعون الطريق حتّى فتحها عضد الدولة بن بُوَيْه ، وقتل من بها[5] .

فلمّا صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير أُنَر[6] ، فجعل بها دزداراً ، فأنفذ إليه الباطنيّة الذين بأرّجان يطلبون منه بَيْعها فأبى[1] ، فقالوا له: نحن نرسل إليك من يناظرك حتّى يظهر لك الحقّ ؛ فأجابهم إلى ذلك ، فأرسلوا إليه إنساناً ديلمياً يناظره ، وكان للدزدار مملوك قد ربّاه ، وسلّم إليه مفاتيح القلعة ، فاستماله الباطنيُّ ، فأجابه إلى القبض على صاحبه ، وتسليم القلعة إليهم ، فقبض عليه ، وسلّم القلعة[7] إليهم ، ثم أطلقه ، واستولوا بعد ذلك على عدّة قلاع هذه أشهرها .

ذكر ما فعله جاولي سقاووا بالباطنيّة

في هذه السنة قتل جاولي سقاووا خلقاً كثيراً منهم .

وسبب ذلك أنّ هذا الأمير كانت ولايته البلاد التي بين رامَهُرْمُز وأرّجان .

---

1) A. B. وبينهما .
2) B. أخذهما .
3) A. B. بقلعة .
4) C. P. حلادحان ; B. خلاوخان .
5) A. B. add. قال .
6) A. B. انز .
7) In Cod. A. lacunae folii unius exstat, quam manus replevit recentior.

---

١ فابا .

Marfat.com

فلمّا ملك الباطنيّة القلاع المذكورة بخُوزِسْتان وفارِسَ ، وعظم شرّهم ، وقطعوا الطريق بتلك البلاد ، واقف جماعة من أصحابه ، حتّى أظهروا الشغب عليه ، وفارقوه ، وقصدوا الباطنيّة ، وأظهروا أنّهم معهم ، وعلى رأيهم ، فأقاموا عندهم حتّى وثقوا بهم .

ثم أظهر جاولي أنّ الأمراء بني برسق يريدون قصده وأخذ بلاده ، وأنّه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم ؛ والمسير إلى هَمَذان ، فلمّا ظهر ذلك وسار قال مَن عند الباطنيّة من أصحابه [مِمّن] لهم الرأي : إنّنا نخرج إلى طريقه ونأخذه وما[1] معه من الأموال ؛ فساروا إليه في ثلاثمائة من أعيانهم وصناديدهم ، فلمّا التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم ، ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر ، صعدوا إلى الجبل وهربوا ، وغنم جاولي ما معهم من دوابّ ، وسلاح ، وغير ذلك .

ذكر قتل صاحب كرمان الباطنيّ . وملك غيره[2]

كان تيرانشاه[3] بن تورانشاه[4] بن قاوَرت بك هو الذي قتل الأتراك الإسماعيليّة ، وليسوا منسوبين[1] إلى هذه الطائفة الباطنيّة ، إنّما نُسبوا إلى أمير اسمه إسماعيل . وكانوا من أهل السنّة ؛ قتَل منهم ألفَيْ رجل صبراً ، وقطع أيدي ألفَيْن ، ووفد[2] عليه إنسان يقال له : أبو زُرْعَةَ ، كان كاتباً بخُوزستان ،

---

1) C. P. ونأخذ ما .

2) Om. C. P.

3) Variae scriptio تيرانشاه et بيرانشاه , سيرانشاه , برانشاه .

4) A. B. موورانشاه .

---

١ منسوبون .

٢ وفق .

Marfat.com

فحسّن له مذهب الباطنيّة ، فأجاب إليه .

وكان عنده فقيه حنفيّ يقال له : أحمد بن الحسين البلخيّ ، كان مطاعاً في الناس ، فأحضره عندَه ليلاً ، وأطال الجلوس معه ، فلمّا خرج من عنده أنبه بعض قطه ، فلمّا أصبح الناس دخلوا عليه ، وفيهم صاحب جيشه ، فقال لتيرانشاه : أيّها الملك من قتل هذا الفقيه ؟ فقال : أنت شِحنة البلد ، تسألني مَن قتله ؟ فقال : أنا أعرف قاتله ! ونهض من عنده ، فطارقه في ثلاثمائة فارس ، وسار إلى أصبهان ، . فأرسل في أثره ألفَيْ فارس ليردّوه ، فقاتلهم ، وهزمهم ، وسار إلى أصبهان[1] ، وبها السلطان محمّد ومؤيّد الملك ، فأكرمه السلطان ، وقال : أنت والد الملوك .

وامتعض عسكر كَرمان بعد مسيره ، واجتمعوا ، وقاتلوا تيرانشاه ، وأخرجوه عن مدينة بَرْدَسِيرَ . التي هي مدينة كَرمان[1] ، فلمّا فارقها اتّقى القاضي والبلد ، وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك ، وسار تيرانشاه إلى مدينة بُمّ من كَرمان ، فحاربه أهلها ومنعوه منها، وأخذوا ما معه من أموال وجواهر ، وقصد قلعة سُمَيْرم وتحصّن بها ، وفيها أمير يُعرف بمحمّد بهستون ، فأرسل أرسلانشاه جَيْشاً حصروا القلعة ، فقال محمّد بهستون لتيرانشاه : انصرف عنّي ، فلستُ أرى الغدر بك ، وأنا رجل مسلم[2] ، ومقامك عندي يؤذيني ، وأتّهم بك في ديني . فلمّا عزم على الخروج أرسل محمّد بهستون إلى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يُعلمه بمسير تيرانشاه ، فجرّد عسكراً إلى طريقه ، فخرجوا عليه ، وأخذوه وما معه ، وأحضر أيضاً أبا زُرْعة ، فأرسل أرسلانشاه قتلهما ، وتسلّم جميع بلاد كَرمان .

---

1) Om. C. P.

2) Hic in A. hiatus duarum dictionum.

ذكر السبب في قتل بركيارُق الباطنيّة

لمّا اشتدّ أمر الباطنيّة ، وقويت شوكتهم ، وكثر عددهم ، صار بينهم وبين أعدائهم ذحولٌ وإحنٌ ، فلمّا قتلوا جماعة من الأمراء الأكابر ، وكان أكثر من قتلوا مَن هو في طاعة محمّد ، مخالفٌ للسلطان بركيارق ، مثل شِحنة أصبهان سرمز ، وأرغش ، وكمش[1] النظاميّين ، وصهره ، وغيرهم ، نسب أعداء بركيارق ذلك إليه ، واتّهموه بالميل إليهم .

فلمّا ظفر السلطان بركيارق، وهزم أخاه السلطان محمّداً ، وقتل مؤيّدَ الملك وزيره ، انبسط جماعة منهم في العسكر ، واستغووا كثيراً منهم ، وأدخلوهم في مذهبهم ، وكادوا يظهرون بالكثرة والقوّة ، وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم ، وزاد أمرهم ، فصاروا يتهدّدون من لا يوافقهم بالقتل ، فصار يخافهم من يخالفهم ، حتّى إنّهم لم يتجاسر أحدٌ منهم ، لا أمير ولا متقدّمٌ ، على الخروج من منزله حاسراً بل يلبس تحت ثيابه دِرْعاً ، حتّى إنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن كان يلبس زرَديّة تحت ثيابه ، واستأذن السلطانَ بركيارق خواصُّه في الدُّخول[1] عليه بسلاحهم ، وعرّفوه خوفهم ممّن يقاتلهم، فأذن لهم في ذلك .

وأشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم ، وأعلموه ما يتّهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم ، حتّى إنّ عسكر أخيه السلطان محمّد يشنّعون بذلك ، وكانوا في المصافّ يكبّرون عليهم ، ويقولون يا باطنيّة . فاجتمعت هذه البواعث كلّها ، فأذن السلطان في قتلهم ، والفتك بهم ، وركب

---

1) A. B. وكبش .

---

١ الوخول.

Marfat.com

هو والعسكر معه ، وطلبوهم ، وأخذوا جماعةً من خيامهم ولم يفلت منهم إلاّ من لم يُعرف .

وكان ممّن اتُّهم بأنّه مقدّمهم الأمير محمّد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكَويْه ، صاحب يَزْد ، فهرب ، وسار يومه وليلته ، فلمّا كان اليوم الثاني وُجد في العسكر قد ضلّ الطريق ولا يشعر ، فقُتل ، وهذا موضع المثل : أتتك بحائن رِجلاه ، ونُهبت خيامُه ، فوُجد عنده السلاح المعدّ ، وأُخرج الجماعة المتّهمون إلى الميدان فقُتلوا ، وقُتل منهم جماعة براء لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم ، وفيمن قُتل ولد كيقباذ ، مستحفظ تكريت ، فلم يغيّر والده خطبة بركيارق . ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ، ونقض جامع البلد ، وكان يقاربها ، لئلاّ يؤتى منه ، وجعل بيعةً في البلد جامعاً ، وصلّى الناس فيه .

وكتب إلى بغداذ بالقبض على أبي إبراهيم الأسداباذيّ الذي كان قد وصل إليها رسولاً من بركيارق ليأخذ مال مؤيّد الملك ، وكان من أعيانهم ورؤوسهم ، فأُخذ وحُبس ، فلمّا أرادوا قتله قال : هبوا أنكم قتلتموني ، أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن ؟ فقُتل ، ولم يصلّ عليه أحدٌ ، وأُلقي خارج السور ، وكان له ولد كبير قُتل بالعسكر معهم .

وقد كان أهل عانةَ نُسبوا إلى هذا المذهب قديماً ، فأُنهي حالهم إلى الوزير أبي شجاع أيّام المقتدي بأمر الله ، فأحضرهم إلى بغداذ ، فسأل مشايخهم على الذي يقال فيهم ، فأنكروا وجحدوا ، فأطلقهم .

واتُّهم أيضاً الكيا الهرّاس ، المدرّس بالنظاميّة ، بأنّه باطنيّ ، ونُقل ذلك عنه إلى السلطان محمّد ، فأمر بالقبض عليه ، فأرسل المستظهر بالله من استخلصه ، وشهد له بصحّة الاعتقاد ، وعلوّ الدرجة في العلم ، فأُطلق .

ذكر حصر الأمير بزغش [1] قهستان وطبس

في هذه السنة جمع الأمير بزغش ، وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر ، جموعاً كثيرة ، وقوّاهم بالمال والسلاح ، وسار إلى بلد الإسماعيلية ، فنهبه ، وخرّبه ، وقتل فيهم فأكثر ، وحصر طبس ، وضيّق عليها ، ورماها بالمنجنيق ، فخرّب كثيراً من سورها ، وضعُف من بها ، ولم يبق إلاّ أخذها ، فأرسلوا إليه الرشا الكثيرة ، واستنزلوه عمّا كان يريده منهم [2] ، فرحل عنهم وتركهم ، فعادوا عمارة ما انهدم من سورها ، وملأوها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك ، ثم عاودهم بزغش سنة سبع وتسعين [وأربعمائة] ، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ما ملك الفرنج من الشام

فيها سار كُتُغري ، ، ملك الفرنج [3] بالشام ، وهو صاحب البيت المقدّس ، إلى مدينة عكّة ، بساحل الشام ، فحصرها ، فأصابه سهم فقتله ، وكان قد عمر مدينة يافا وسلّمها إلى قُمُص من الفرنج اسمه : طنكري ، فلمّا قُتل كُتُغري سار أخوه بَغْدَوين إلى البيت المقدّس في خمسمائة فارس وراجل ، فبلغ الملك دُقاق ، صاحب دمشق ، خبره ، فنهض إليه في عسكره ، ومعه الأمير جناح الدولة في جموعه ، فقاتله ، فنُصِر على الفرنج .

وفيها ملك الفرنج مدينة سَرُوج من بلاد الجزيرة ، وسبب ذلك أنّ الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرُّها بمكاتبة من أهلها لأنّ أكثرهم أرمن ، وليس بها

---

1) B. بزغش : 2) Cm. A. 3) Cm. A. B.

Marfat.com

من المسلمين إلاّ القليل ، فلمّا كان الآن جمع سُقمان بسَروج جمعاً كثيراً من التركمان ، وزحف إليهم ، فلقوه وقاتلوه ، فهزموه في ربيع الأوّل . فلمّا تمّت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سَروج ، فحصروها وتسلّموها ، وقتلوا كثيراً من أهلها وسبَوا حريمَهم ، ونهبوا أموالهم ، ولم يسلم إلاّ من مضى منهزماً .

وفيها ملك الفرنجِ مدينة حَيْفا ، وهي بالقرب من عكّة على ساحل البحر ، ملكوها عَنوةً ، وملكوا أرْسُوفَ بالأمان ، وأخرجوا أهلها منها .

وفيها ، في رجب ، ملكوا مدينة قَيْسَارية بالسيف ، وقتلوا أهلها ، ونهبوا ما فيها .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في شهر رمضان ، تقدّم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر ، وأن يُصلّى فيه صلاة التراويح ، ولم تكن جرت بذلك عادة ، وأمر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وهذا أيضاً لم تجْرِ به عادة ، وإنّما تُرك الجهر بالبَسْملة في جوامع بغداذ لأنّ العلويّين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها ، فتُرك ذلك مخالفة لهم لا اتّباعاً لمذهب أحمد الإمام[1] ، وأمر أيضاً بالقنوت على مذهب الشافعيّ ، فلمّا كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر ، وازدحم الناس عنده ، وكان زعيم الرؤساء أبو القاسم عليّ بن فخر الدولة بن جُهير أخو عميد الدولة قد أُطلق من الاعتقال ، فاختلط بالناس ، وخرج إلى ظاهر بغداذ من ثلمةٍ في السور ، وسار إلى سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد ،

---

1) C. P. أحد .

فاستقبله وأنزله وأكرمه .

وفيها ، في المحرّم ، توفّي جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء بن المُسلمة ، وهو أستاذ دار الخليفة .

وفيه توفّي القاضي أحمد بن محمّد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصبّاغ الفقيه الشافعيّ ، وأخذ الفقه عن ابن عمّه الشيخ أبي نصر بن الصبّاغ ، وكان يصوم الدهر ، وروى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ وغيره .

وفيه توفّي الملك أبو سعد محمّد بن منصور المستوفي ، الخوارزميّ ، بأصبهان ، وكان مستوفياً في ديوان السلطان ملكشاه ، فبذل مائة ألف دينار حتّى ترك الاستيفاء ، وبنى[1] مشهداً على قبر أبي حنيفة ، رحمة الله عليه ، ومدرسةً بباب الطاق ، ومدرسةً بمرو جميعها للحنفيين .

وفيها ، في صفر ، توفّي القاضي أبو المعالي عزيزي ، وكان شافعيّاً ، أشعريّاً ، وهو من جيلان ، وله مصنّفات كثيرة حسنة ، وكان ورعاً ، وله مع أهل باب الأزج أخبار ظريفة ، وكان قاضياً عليهم ، وكانوا يُبغضونه ويبغضهم[2] .

وتوفّي أسعد بن مسعود بن عليّ بن محمّد أبو إبراهيم المُتيميّ من ولد عُتبة ابن غَزْوان نَيسابوريّ[3] ، ولد سنة أربع وأربعمائة ، وروى عن أبي بكر الحيريّ[4] وغيره .

وتوفّي في صفر محمّد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمّد بن طوق أبو الفضائل الربعيّ الموصليّ الفقيه الشافعيّ ، تفقّه على أبي إسحاق الشيرازيّ ؛

---

1) A. B. بنى . 2) Om. C. P. 3) B. بنيسابور .

4) A. الحيري .

Marfat.com

وسمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ وغيره ، وكان ثقةً صالحاً .

وتوفّي في ربيع الأوّل منها محمّد بن عليّ بن عبيد الله بن أحمد بن صالح ابن سليمان بن ودعان أبو نصر القاضي الموصليّ ، وهو صاحب الأربعين الودعانيّة وقد تكلّموا فيها ، قيل إنّه سرقها ، وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشميّ ، والغالب على حديثه المناكير .

وتوفّي فيها ، في ربيع الأوّل ، نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر القاري أبو الطيّب ، ومولده سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، سمع ابن رزقويه وغيره ، وصارت إليه الرحلة لعلوّ إسناده ، وكان سماعه صحيحاً .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر بأحكام الله

في هذه السنة توفّي المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن معدّ المستنصر بالله العلويّ ، الخليفة المصريّ ، لسبع عشرة خلتْ من صفر ، وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستّين وأربعمائة ، وكانت خلافته سبع سنين وقريب شهرين ، وكان المدبّر لدولته الأفضل .

ولمّا توفّي وليَ بعده ابنه أبو عليّ المنصور ، ومولده ثالث عشر المحرّم سنة تسعين وأربعمائة ، وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه ، وله خمس سنين وشهر وأربعة أيّام ، ولُقّب الآمر بأحكام الله ، ولم يكن [بين] من تسمّى بالخلافة قطّ أصغر منه ومن المستنصر ، وكان المستنصر أكبر من هذا ، ولم يقدر [أن] يركب وحده على الفرس لصغر سنّه ، وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام ، ولم يزل كذلك يدبّر الأمر إلى أن قُتل سنة خمس عشرة وخمسمائة .

ذكر الحرب بين السلطان بركيارُق
والسلطان محمّد والصُّلح بينهما

في هذه السنة، في صفر، كان المصافّ الثالث بين السلطانين بركيارُق ومحمّد.

قد ذكرنا سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] قدوم السلطان محمّد إلى بغداذ، ورحيل السلطان بركيارق عنها إلى واسط مريضاً، فأقام السلطان محمّد ببغداذ إلى سابع عشر المحرّم من هذه السنة، وسار عنها هو وأخوه السلطان[1] سَنجَر عائدين إلى بلادهما[1]، وسَنجَر يقصد خراسان[2]، والسلطان محمّد يقصد همَذان. فلمّا سار محمّد عن بغداذ وصلت الأخبار أنّ بركيارق قد اعترض خاصّ الخليفة بواسط[3] وسُمع منه في حقّ الخليفة ما يقبح نقلُه، فأرسل الخليفة وأعاد السلطانَ محمّداً إلى بغداذ، وذكر له ما نُقل إليه، وعزم على الحركة مع محمّد إلى قتال بركيارق، فقال السلطان محمّد: لا حاجة إلى حركة أمير المؤمنين، فإني أقوم في هذا القيام المرضي. وسار عائداً، ورتّب ببغداذ أبا المعالي المفضل ابن عبد الرزّاق في جباية الأموال وإبلغازي[4] شحنةً.

وكان لمّا دخل بغداذ قد خلّف عسكره بطريق خُراسان، فنهبوا البلاد وخرّبوها، فأخذهم السلطان محمّد معه، وجدّ السير إلى رُوذراور.

وأمّا السلطان بركيارق فقد تقدّم سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] أنّه سار من بغداذ عند وصول محمّد إليها قاصداً إلى واسط، فلمّا سمع عسكر واسط

---

1) Om. C. P.
2) A. B. بلاده بخراسان .
3) Om. A. B.
4) Om. B.

---

١ بلادهم.

Marfat.com

بقربه منهم .. خافوا منه ، وأخفوا نساءهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، وجمعوا السفن جميعها ، وأحضروها إلى الزنبلية ، فأقاموا هناك ..

ووصل السلطان ، وهو شديد المرض ، يحمل في محفة ، وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير ، فإنهم كانوا يجدون السير خوفاً أن يتبعهم السلطان محمد ، أو الأمير صدقة ، صاحب الحلة ، فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ، ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ..

ولما وصلوا إلى واسط عوفي بركيارق ، ولم يكن له ولأصحابه همة غير العبور من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ، فلم يجد[1] هناك سفينة ، وكان الزمان شتاء ، شديد البرد ، والماء زائداً[1] ، وكان أهل البلد قد خافوهم ، فلزموا الجامع ومنازلهم ، فخلت الطرق والأسواق من مجتاز فيها ، فخرج القاضي أبو علي الفارقي إلى العسكر ، واجتمع بالأمير إياز ، والوزير ، واستعطفهما للخلق ، وطلب إنفاذ[2] شحنة يطمئن القلوب ، فأجابوه إلى ملتمسه ، وقالوا له : نريد أن تجمع لنا من يعبر دوابنا في الماء ، ونسبح[3] معها ، فجمع لهم من شباب واسط ، وأعطاهم الأجرة الوافرة ، فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال ، وكان الأمير إياز بنفسه يسوق الدواب ، ويفعل ما يفعله الغلمان ، ولم يكن معهم غير سفينة واحدة حضرت مع السلطان من بغداد ، فعبروا أموالهم وسلاحهم[4] فيها . فلما صاروا في الجانب الشرقي أمنوا ، ونهب العسكر البلد ، فرجع القاضي وجدد الطلب في الكف عنهم ، فأجيب إلى ذلك ، فأرسل معه من يمنع من النهب ..

---

1) A. يجدوا .. 2) Om. C. P. 3) A. B. ونسبح .

4) C. P. ورحالهم ..

---

١) زائدة .

ثم إن عسكر والسلطان أرسلوا إلى السلطان بركيارق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة فأمّنهم، فحضر أكثرهم عنده، وساروا معه إلى بلاد بني برسق، فحضروا أيضاً عنده وخدموه، واجتمعت العساكر عليه..

وبلغه مسير أخيه محمد عن بغداد، فسار يتبعه على نهاوند، فأدركه بروذراور، وكان العسكران متقاربين في القلة، كل واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك، فتصافوا، أول يوم، جميع النهار، ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد، وعادوا في اليوم الثاني، ثم تواقفوا كذلك، ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفين فيخرج إليه من يقاتله، فإذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه، وسلّم عليه، ويعود عنه..

ثم خرج الأمير بلدجي[1] وغيره من عسكر محمد إلى الأمير إياز والوزير الأعز، فاجتمعوا، واتفقوا على الصلح، لما قد عمّ الناس من الضرر، والملل، والوهن، فاستقرت القاعدة أن يكون بركيارق السلطان، ومحمد الملك، ويُضرب له ثلاث نوب، ويكون له من البلاد جنزة، وأعمالها، وأذربيجان، وديار بكر، والجزيرة، والموصل، وأن يمده السلطان بركيارق بالعساكر، حتى يفتح ما يمتنع عليه منها، وحلف كل واحد منهما لصاحبه، وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الأول، وسار بركيارق إلى مرج قراتكين قاصداً ساوة، والسلطان محمد إلى أسداباذ، وتفرق العسكران وقصد كل أمير أقطاعه..

---

(1) بلدجي.

Marfat.com

ذكر الحرب بين السلطان بركيارُق ومحمّد
وانفساخ الصلح بينهما

في هذه السنة ، في جمادى الأولى[1] ، كان المصافّ الرابع بين السلطان بركيارق وأخيه محمّد .

وكان سببه أنّ السلطان محمّداً سار من روذراور[2] ، من الوقعة المذكورة ، إلى أسداباذ ، ومنها إلى قَزوين ، ونسب الأمراء الذين سعوا في ذلك الصلح إلى المخامرة عليه ، والتقاعد به ، فوضع رئيس قَزوين أن يتوسّل إليه بأولئك الأمراء ليحضر[3] دعوته ، فاستشفع الرئيس بهم إلى السلطان ، فحضر دعوته ، بعد أن امتنع ، ووصّى خواصّه بحمل السلاح تحت أقبيتهم ، وحضر الدعوة ومعه الأمير أيتكين ، وبسمل[4] ، فقتل الأميرَ بسمل[4] ، • وهو من أكابر الأمراء[5] ، وكحل الأميرَ أيتكين .

وكان الأمير ينّال بن أنوشتكين الحُساميّ قد فارق بركيارقَ ، وأقام مجاهداً للباطنيّة الذين في القلاع والجبال ، فقصد الآن السلطان محمّداً ، وسار معه إلى الرَّيّ يضرب النُّوَب الخمس ، واجتمعت إليه العساكر ، وأقام ثمانية أيّام ، ووافاه أخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ، ووقع بينهما المصافّ عند الرَّيّ ، وكانت عدّة العسكرَيْن متقاربة كلّ عسكر منهما عشرة آلاف فارس ، فلمّا اصطفّوا حمل الأمير سُرخاب بن كَيخَسْرو الديلميُّ ، صاحب أبة[6] ، على الأمير ينّال ، فهزمه ، وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمّد ، وتفرّقوا ،

---

1) A. B. add. أيضاً .
2) A. B. روذوار .
3) A. B. ليحضروا .
4) A. بسك .
5) Om. A. B.
6) A. B. أوة .

Marfat.com

ومضى معظمهم نحو طبرستان ، ولم يُقْتَلْ في هذا المصاف غير رجل واحد قُتل صبراً .

ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ، ونُهبت خزائن محمّد ، ومضى في قفر يسير إلى أصبهان ، وحمل هو علمه بيده ليتبعه أصحابه ، وسار في طلبه الأمير البكي بن برسق[1] ، والأمير إياز إلى قُمّ ، وتتبّع السلطان بركيارق أصحاب أخيه محمّد ، وأخذ أموالهم .

ذكر حصار السلطان محمّد بأصبهان

انهزم السلطان محمّد من الوقعة التي ذكرناها بالريّ ، مضى إلى أصبهان في سبعين فارساً ، والبلد في حكمه ، وفيه نائبه ، ومعه من الأمراء الأمير ينّال ، ، وغيره من الأمراء[2] ، ودخل المدينة في ربيع الأوّل ، وأمر بتجديد ما تشعّث من السور ، وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكَوَيْه سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، عند خوفه من طغرلبك ، وأمر محمّد بتعميق الخندق حتّى صعد الماء فيه ، وسلّم إلى كلّ أمير باباً ، وكان معه في البلد ألف ومائة فارس وخمس مائة راجل ، ونصب المجانيق .

ولمّا علم السلطان بركيارق بمسير أخيه محمّد إلى أصبهان سار يتبعه ، فوصلها[3] في جمادى الأولى ، وعساكره كثيرة ، تزيد على خمسة عشر ألف فارس ، ومعها مائة ألف من الحواشي ، وأقام يحاصر البلد ، وضيّق عليه .

وكان السلطان محمّد يدور كلّ ليلة على سور البلد ثلاث دفعات ، فلمّا زاد

---

1) A. برشق 2) B. [illegible] 3) A. B. فوصل إليها .

الأمر في الحصار ، أخرج نصفاء والفقراء من البلد ، حتّى خلت المنازل ، وعُدمت الأقوات ، وأكل الناس الخيل ، والجمال ، وغير ذلك ، وقلّت الأموال ، فاضطرّ السلطان محمّد إلى أن يستقرض من أعيان البلد ، فأخذ مالاً عظيماً ، ثم عاود الجندُ الطلب ، فقسّط على أهل البلد شيئاً آخر ، وأخذه منهم بالشدّة والعنف ، فلم تزل الأسعار تغلو ، حتّى بلغ عشرة أمنان[1] من الحنطة بدينار ، وأربعة أرطال لحماً بدينار ، وكلّ مائة رطل تبناً بأربعة دنانير ، ورخصت الأمتعة وهانت لعدم الطالب .

وكانت الأسعار ، في عسكر بركيارق ، رخيصةً . فبقي الحصار على البلد إلى عاشر ذي الحجّة ، فلمّا رأى السلطان محمّد أنّه لا قدرة له على الدفع عن البلد ، وكلّما جاء أمره يضعف ، قوّى عزمه[1] على مفارقته وقصْد جهةٍ أخرى ، يجمع فيها العساكر ، ويعود يدفع الخصم عن الحصار ، فسار عن البلد في مائة وخمسين فارساً ، ومعه الأمير ينّال ، واستخلف بالبلد جماعة من الأمراء الكبار في باقي العسكر ، فلمّا فارق العسكرَ والبلدَ لم يكن في دوابّهم ما يدوم على السير[2] ، لقلّة[2] العلف في الحصار ، فنزل على ستّة فراسخ .

فلمّا سمع بركيارق بمسيره سيّر وراءه الأمير إياز في عسكر كثير ، وأمره بالجدّ في السَّيْر في طلبه ، فقيل : إنّ محمّداً سبقهم ، فلم يدركوه ، فرجعوا ، وقيل : بل أدركوه ، فأرسل إلى الأمير إياز يقول : أنت تعلم أنّني[3] لي في رقبتك عهود وأيمان ما نُقِضَتْ ، ولم يكن منّي إليك ما تبالغ في أذاي . فعاد عنه ، وأرسل له خيلاً ، وأخذ علَمَه ، والجَتَر ، وثلاثة أحمال دنانير ،

---

1) C. P. أمره . 2) C. P. يدفع . 3) C. P. R. أن .

---

١ أمنا .

٢ لقلة .

Marfat.com

وعاد إلى بركيارق ، فدخل إليه ، وأعلام أخيه السلطان محمّد منكوسة ، فأنكر بركيارق ذلك ، وقال: إن كان قد أساء، فلا ينبغي أن يعتمد معه هذا ؛ . فأخبره الخبر[1] ، فاستحسن ذلك منه .

فلمّا فارق محمّد أصبهان اجتمع من المفسدين ، والسواديّة ، ومن يريد النهب ، ما يزيد على مائة ألف نفس ، وزحفوا إلى البلد بالسلاليم ، والدبابات ، وطمّوا الخندق بالتبن ، والتصقوا بالسور ، وصعد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد [أن] يحمي حريمه وماله، فعادوا خائبين، فحينئذ أشار الأمراء على بركيارق بالرحيل ، فرحل ثامن عشر ذي الحجّة من السنة ، واستخلف على البلد القديم ، الذي يقال له شَهْرِسْتان ، ترشك الصوابيَّ في ألف فارس مع ابنه ملكشاه ، وسار إلى همذان ؛ وكان هذا من أعجب ما سُطر أنّ سلطاناً محصوراً قد تقطّعت موادّه ، وهو يخطب له في أكثر البلاد ، ثم يخلص من الحصر الشديد ، وينجو من العساكر الكثيرة التي كلّها قد شرع إليه رمحه ، وفوّق إليه سهمه .

ذكر قتل الوزير الأعزّ ووزارة الخطير أبي منصور

في هذه السنة ، ثاني عشر صفر ، قُتل الوزير الأعزّ أبو المحاسن عبد الجليل ابن محمّد الدِّهِسْتانيُّ ، وزير السلطان بركيارق على أصبهان ، وكان مع بركيارق محاصراً لها ، فركب هذا اليوم من خيمته إلى خدمة السلطان ، فجاء شابٌّ أشقر ، قيل : إنّه كان من غلمان أبي سعيد الحدّاد ، وكان الوزير قتله في العام الماضي ، فانتهز الفرصة فيه ، وقيل : كان باطنيّاً ، فجرحه عدة جراحات ، . فتفرّق أصحابه عنه ، ثم عادوا إليه ، فجرح أقربهم منه جراحات[2] أنخنته ، وعاد إلى

---

1) A. 2) Om. A. B.

الوزير فتركه بآخر رمق .

وكان كريماً ، واسع الصدر ، حسن الخلق ، كثير العمارة ، وقد الناس منه لأنه دخل في الوزارة ، وقد تغيّرت القوانين ، ولم يبق دخلٌ ولا مال ، ففعل الضرورة ما خافه الناس بسببه .

وكان حسن المعاملة مع التجار ، فاستغنى به خلق كثير ، فكانوا يسألونه ليعاملهم ، فلمّا قُتل ضاع منهم مال كثير .

حُكي أن بعض التجار باعه متاعاً بألف دينار ، فقال له : خذ بها حنطة من الرازان خمسين كرّاً ، كلّ كرّ بعشرين ديناراً ؛ فامتنع التاجر من أخذها ، وقال : لا أريد غير الدنانير . فلمّا كان من الغد دخل إليه التاجر ، فقال له : يُهنئك ، يا فلان ! فقال : وما هو ؟ قال: خبر حنطتك ؛ فقال : ما لي حنطة ، ولا أريدها ؛ قال : بلى ، وقد بيعت كلّ كرّ بخمسين ديناراً ؛ فقال : أنا لم أتعمّل بها ! فقال الوزير : ما كنتُ لأفسخ عقداً عقدتُهُ . قال : فخرجتُ ، وأخذتُ ثمن الحنطة ألفَيْن وخمسمائة دينار ، وأضفتُ إليها مثلها وعاملته ، فقُتل فضاع الجميع .

وكان قد اتفق عليه عمل الكيمياء ، واختصّ به إنسان كيميائيّ ، فكان يعمله الشهر بعد الشهر ، والحول بعد الحول ، وقال له بعض أصحابه ، وقد أحاله عليه بكرّ حنطة ، فاستزاده : لو كان صادقاً في عمله ، لما كان يستزيد من القدر القليل ؛ وقُتل ولم يصحّ له منه[1] شيء

ولمّا قُتل الأعزّ أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو منصور الميبُذيّ الذي كان وزير السلطان محمّد .

وكان سبب فراقه لوزارة محمّد أنّه كان معه بأصبهان ، وبركيارق يحاصره ،

---

1) Cm. A. B.

Marfat.com

وقد سلّم إليه محمّدٌ باباً من أبوابها ليحفظها ، فقال له الأمير يَنّال بن أنوشتكين : كنتَ قد كلّفتَنَا[1] ، ونحن بالريّ ، لنقصد همذان ، وقلتَ : أنا أقيم بالعسكر من مالي ، وأحصل لهم ما يقوم بهم ، ولا بدّ من ذلك . فقال له الخطير : أنا أفعل ذلك . فلمّا كان الليل فارق البلد ، وخرج من الباب الذي كان مُسَلَّماً إليه ، وقصد بلده مَيْبُذ ، وأقام بقلعتها متحصناً ، فأرسل إليه السلطان بركيارق وحصره ، فنزل منها مستأمناً ، فحُمل على بغلٍ بإكافٍ إلى العسكر ، فوصله في طريقه قَتْل الوزير الأعزّ ، وكتاب السلطان له بالأمان ، وطُيّب قلبه ، فلمّا وصل إلى العسكر خلع عليه واستوزره .

حادثة يُعْتَبَر بها

في سنة ثلاث وتسعين [وأربعمائة] بيع رحل بُني جُهير ودورهم بباب العامّة ، ووصل ثمن ذلك إلى مؤيّد الملك ، ثم قُتل في سنة أربع وتسعين مؤيّد الملك ، وبيع ماله وبَرَكه ، وأُخذ الجميع وحُمل إلى الوزير الأعزّ ، وقُتل الوزير الأعزّ ، هذه السنة ، وبيع رحله ، واقتُسمت أمواله ، وأخذ السلطان ومن وليَ بعده أكثرها ، وتفرّقت أيدي سبا ، وهذا عاقبة خدمة الملوك .

ذكر الفتنة بين إيلغازي وعامّة بغداذ

في هذه السنة ، في رجب ، كانت فتنة شديدة بين عسكر الأمير إيلغازي ابن أُرتُق ، شِحنة بغداذ ، وبين عامّتها .

---

1) A. B. كانتبتنا .

وسببها أنّ إيلغازي كان بطريق خراسان ، فعاد إلى بغداذ . فلمّا وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة ، فنادوا ملاّحاً ليعبر بهم ، فتأخّر ، فرماه أحدهم بنشّابة ؛ فوقعت في مَشْعره فمات ، فأخذ العامّة القاتل ، وقصدوا باب النُّوبي ، فلقيهم ولد إيلغازي مع جماعة ، فاستنقذوه ، ورجمهم العامّة بسوق الثلاثاء ، فمضى إلى أبيه مستغيثاً ، فأخذ حاجبُ الباب من له في هذه الحادثة عملٌ فلم يُقنع إيلغازي ذلك ؛ فعبر بأصحابه إلى محلّة الملاّحين ، المعروفة بمربّعة القطّانين ، ويتبعهم خلق كثير ، فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه ، فعطف عليهم العيّارون فقتلوا أكثرهم .

ونزل من سَلِم في السفن ليعبروا دجلة ، فلمّا توسّطوها ألقَى الملاّحون أنفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا ، فكان الغريق أكثر من القتيل ، وجمع إيلغازي التركمان ، وأراد نهب الجانب الغربيّ ، فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة ، والكيا الهرّاس ، المدرّس بالنظاميّة ، فمنعاه من ذلك ، فامتنع .

ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها

في هذه السنة ، في العشرين من شوّال ، قصد الأمير إسماعيل ، صاحب البصرة ، مدينة واسط للاستيلاء عليها .

ونحن نبتدىء بذكر إسماعيل ، وتنقّل الأحوال به إلى أن ملك البصرة ، وهو إسماعيل بن سلانجق ، وكان إليه في أيّام ملكشاه شحنكيّة الريّ ، ولمّا وليها كان أهل الريّ والرُّستاقيّة قد أعيَوا مَنْ وليهم ، وعجز الولاة عنهم ، فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها ، وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذّبوا بها ، وأرسل مِن شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاودَ وشُكُلاً للدوابّ ، ثم عُزل عنها .

ثمّ إنّ السلطان بركيارق أقطع البصرة للأمير قماج ، فأرسل إليها هذا الأمير

إسماعيل نائباً عنه ، فلمّا فارق قماج بركيارق ، وانتقل إلى خراسان ، حدّثته نفسه بالتغلّب على البصرة ، والاستبداد ، فانحدر مهذّب الدولة بن أبي الجبر [1] من البطيحة إليه ليحاربه ، ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسديّ ، صاحب الجزيرة الدُّبيسيّة ، فأقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ، ووصلوا إلى مَطَارا .

فبينما معقل يقاتل قريباً من القلعة التي بناها ينّال بمَطَارَا ، وجدّدها إسماعيل وأحكمها ، أتاه سهم غَرَبٍ فقتله ، فعاد ابن أبي الجبر إلى البطيحة ، وأخذ إسماعيل سفنه ، وذلك سنة إحدى وتسعين [وأربعمائة] ، فاستمدّ ابن أبي الجبر كوهرائين ، فأمدّه بأبي الحسن الهرويّ ، وعبّاس بن أبي الجبر ، فلقياه ، فكسرهما وأسرهما ، وأطلق عبّاساً على مال أرسله أبوه ، واصطلحا .

وأمّا الهرويّ فبقي في حبسه مدّةً ، ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار ، فلم يصحّ له منها شيء .

وقوي حال إسماعيل ؛ فبنى [1] قلعة بالأُبُلّة ، وقلعة بالشاطىء مقابل مَطّارا ، وصار مخوفَ الجانب وأمن البصريّون به ، وأسقط شيئاً من المكوس ، واتّسعتْ إمارته باشتغال السلاطين ، وملك المَشّان ، واستضافها إلى ما بيده .

فلمّا كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه ، فقوي طمعه في واسط ، فأصعد في السفن إلى نَهْرَابان [2] ، وراسلهم في التسليم ، فامتنعوا من ذلك ، وقالوا : راسلناك ، وقد رأينا غير ذلك الرأي . فأصعد إلى الجانب الشرقيّ ، فخيّم تحت النخيل ، وسفنه بين يديْه ، وخيّم جند واسط حِذاءه ،

---

1) A. الخير ; B. sine p. Ita ubique.

2) A. B. نهراجان .

---

١ فبنا .

وراسلهم ، ووعدهم ، وهم لا يجيبونه[1] .

واتّفقت العامّة مع الجند ، وشتموه أقبح شتم ، فلمّا أيس منهم عاد إلى البصرة ، وساروا بإزائه من الجانب الآخر ، فوصل إلى العَمَر ، وعبّر طائفة من أصحابه فوق البلد، وهو يظنّ أنّ البلد خالٍ[1] ، وأنّ الناس قد خرجوا منه ، لمّا رأى كثرة مَن بإزائه ، فيوقع الحريق في البلد، فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم ، فكان ظنّه خائباً لأنّ العامّة كانوا على دجلة ، أوّلهم في البلد ، وآخرهم مع الأتراك بإزائه[2] .

فلمّا عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم ، ومعهم العامّة ، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً ، وأسروا خلقاً كثيراً ، وألقى الباقون أنفسهم في الماء ، فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنّها ، وصار[3] أعيان أصحابه مأسورين ، وعاد إلى البصرة ، وكان عوده من سعادته ، فإنّه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمّد بن مضر بن محمود[4] البصرة ذلك الوقت[5] ، وله أعمال واسعة ، منها : نصف عُمان ، وجَنّابَة ، وسِيراف ، وجزيرة بني نَفِيس .

وكان سبب قصده إيّاها أنّه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يُعرف بجعفرك ، وآخر اسمه زنجوَيْه ، والثالث بأبي الفضل الأُبُلّيّ ، فأطمعوه في أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلةً في البحر إلى أبي سعد هذا وغيره ، فعمل نيّفاً وعشرين قطعةً ، فلمّا علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة ، فأتوا إلى دجلة البصرة ، وذلك في السنة الخالية ، فأقاموا

---

1) A. B. يحسرونه at A. in marg. لعله يخشونه .

2) A. et B. addd. فتوقع الحريق في البلد .

3) A. B. وعاد .

4) C. P. محمويه .

5) Om. C. P.

---

١ خالياً .

Marfat.com

بها محاربين[1] ، وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل ، وقتلوا صاحب قلعة الأُبُلّة ، وكاتبوا بني برسق[2] بخُوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكراً ليساعدوهم على أخذ البصرة ، فتمادى الجواب ، وركن الطائفتان إلى الصلح ، على أن يسلّم إليهم إسماعيل جعفرك ورفيقه ، ويُقطعهم مواضع ذكروها من أعمال البصرة .

فلمّا رجعوا لم يفعل شيئاً من ذلك ، وأخذ مركبَيْن لقوم من أصحاب أبي سعد ، فحمله ذلك على أن سار بنفسه في قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ، ووصل إلى فوهة نهر الأبلّة .

وخرج عسكر إسماعيل في عدّة مراكب ، ووقع القتال بينهم ، وكان البحريّون في نحو عشرة آلاف ، وإسماعيل في سبعمائة ، وأصعد البحريّون في دجلة ، فأحرقوا عدّة مواضع ، وتفرّق عسكر إسماعيل ، فبعضه بالأبلّة ، وبعضه بنهر الدير ، وبعضه في مواضع أخر .

فلمّا ضعف إسماعيل عن مقاومة أبي سعد طلب من وكيل[3] الخليفة ، على ما يتعلّق بديوانه من البلاد ، أن يسعى في الصلح ، فأرسل إليه في ذلك ، فأعاد الجواب يذكر قُبح ما عامله به إسماعيل مرّة بعد أخرى ، وتكرّرت الرسائل بينهم ، فأجاب إلى الصُّلح ، فاصطلحا ، واجتمعا ، وعاد أبو سعد إلى بلاده ، وحمل كلّ واحد منهما لصاحبه هديّة جميلة .

ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانيّ الموصل وجكرمش بعده وملك سُقمان الحصن

في هذه السنة ، في ذي القعدة ، توفّي قوام الدولة كربوقا ، عند مدينة خُوَيّ ، وكان السلطان بركيارق قد أرسله في العام الماضي إلى أذربيجان ، كما

.....

1) A. غارتين ; B. غاريين . 2) A. برشق . 3) A. B. ديوان .

Marfat.com

ذكرناه ، فاستولى على أكثرها ، وأتى إلى خُوَيّ ، فمرض بها ثلاثة عشر يوماً ، وكان معه أصْبَهْبذ صباوة بن خمارتكين ، وسُنْقُرْجَهْ ، فوصّى إلى سُنْقُرْجَهْ ، وأمر الأتراك بطاعته ، وأخذ له على عسكره العهد ، ومات على أربعة فراسخ من خُوَيّ ، ولُفّ في زليّة لعدم ما يكفّن فيه ودُفن بخُوَيّ .

وسار سُنْقُرْجَه وأكثر العسكر إلى الموصل ، فتسلّمها ، فأقام بها ثلاثة أيّام ، وكان أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانيّ ، وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها ، وسألوه أن يبادر إليهم ليسلّموا إليه البلد ، فسار مجدّاً ، فسمع سُنقرجَه بوصوله ، فظنّ أنّه جاء إليه خدمةً له ، فخرج ليستقبله في أهل البلد ، فلمّا تقاربا نزل كلّ واحد منهما لصاحبه عن فرسه ، واعتنقا ، وبكيا على قوام الدولة ، فتسايرا[1] .

فقال سُنقُرْجَهْ لموسى في جملة حديثه : أنا مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا المخَدّة ؛ والمنصبُ ، والأموال ، والولايات لكم وبحكمكم .

فقال موسى : مَنْ نحن حتّى يكون لنا مناصب ودسوتٌ ؟ الأمرُ في هذا إلى السلطان يرتّب فيه من يريد ، ويولّي من يختار .

وجرى بينهما محاوراتٌ ، فجذب سُنقُرْجَهْ سيفه وضربه صفحاً على رأسه فجرحه ، فألقى موسى نفسه إلى الأرض ، وجذب سُنقُرجَهْ فألقاه إلى الأرض ، وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذي كان أبوه صاحب ديار بكر ، فجذب سكّيناً وضرب بها رأس سُنقُرْجَه فأبانه ، ودخل موسى البلد ، وخلع على أصحاب سُنقُرْجَهْ ، وطيّب نفوسهم فصارت الولاية له .

ولمّا سمع شمس الدولة جكرمش ، صاحب جزيرة ابن عُمَر ، الخبر

---

1) Om. C. P.

قصد نَصِيبين وتسلّمها ، وسار موسى قاصداً إلى الجزيرة ، فلمّا قارب جكرمش غدر بموسى عسكره ، وصاروا مع جكرمش ، فعاد موسى إلى الموصل ، وقصده جكرمش ، وحصره مدة طويلة ، فاستعان موسى بالأمير سُقمان بن أُرتُق ، وهو يومئذ بديار بكر ، وأعطاه حصن كِيفا وعشرة آلاف دينار ، فسار سقمان إليه ، فرحل جكرمش عنه .

وخرج موسى لاستقبال سُقمان ، فلمّا كان موسى عند قرية تسمّى كَرَاثا ، وثب[1] عليه عدّة من الغلمان القوامية ، فقتلوه : رماه أحدهم بنشّابه فقتله ، فعاد أصحابه منهزمين ، ودُفن على تلّ هناك يُعرف الآن بتلّ موسى ، ورجع الأمير سُقمان إلى الحصن ، فملكها وهي بيد أولاده إلى يومنا هذا ، سنة[1] عشرين وستّمائة ، وصاحبها حينئذ غازي[2] بن قرا أرسلان بن داود بن سُقمان بن أُرتُق .

وقصد جكرمش الموصل وحصرها أيّاماً ، ثم تسلّمها صُلحاً ، وأحسن السّيرة فيها ، وأخذ القوامية الذين قتلوا موسى ، فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور ، وملك العرب والأكراد ، فأطاعوه .

ذكر حال صِنجيل الفرنجيّ
وما كان منه في حصار طرابلس

كان صِنجِيل الفرنجيّ ، لعنه الله ، قد لقي قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش ، صاحب قونية ، وكان صِنجيل في مائة ألف مقاتل ، وكان قلج أرسلان

1) A. B. add. خمس و .

2) A. محمود بن محمد ; B. add. ابن ante محمود .

---

١ فوثب .

Marfat.com

في عدد قليل[1] ، فاقتتلوا ، فانهزم الفرنج وقُتل منهم كثير ، وأسر كثير ، وعاد قلج أرسلان بالغنائم ، والظفر الذي لم يحسبه .

ومضى صِنجِيل مهزوماً في ثلاثمائة ، فوصل إلى الشام ، فأرسل فخر الملك[2] ابن عمّار ، صاحب طرابلس ، إلى الأمير ياخز[3] ، خليفة جناح الدولة على حمص ، فإلى الملك دُقاق بن تُتُش ، يقول : من الصواب أن يعاجل صنجيل إذ[4] هو في هذه العدّة القريبة ؛ فخرج الأمير ياخز[3] بنفسه ، وسيّر دُقاق ألفَيْ مقاتل ، وأتتهم الأمداد[5] من طرابلس ، فاجتمعوا على باب طرابلس ، وصافّوا صنجيل هناك ، فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس ، ومائة إلى عسكر دمشق ، وخمسين إلى عسكر حمص ، وبقي هو في خمسين .

فأمّا عسكر حمص فإنّهم انكسروا عند المشاهدة ، وولّوا منهزمين ، وتبعهم عسكر دمشق .

وأمّا أهل طرابلس فإنّهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم ، فلمّا شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتَيْن الباقيتين ، فكسروا أهل طرابلس ، وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ، ونازل صنجيل طرابلس وحصرها .

وأتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها ، وكذلك أهل السواد ، وأكثرهم نصارى ، فقاتل من بها أشدّ قتال ، فقُتل من الفرنج ثلاثمائة ، ثم إنّه هادنهم على مال وخيل ، فرحل عنهم إلى مدينة أنطَرسُوسَ ، وهي من أعمال طرابلس ، فحصرها ، وفتحها ، وقتل من بها من المسلمين ، ورحل إلى حصن الطُّوبان[6] ، وهو يقارب رَفَنِيَةَ ، ومقدّمه يقال له ابن العريض ، فقاتلهم ، فنصر عليه أهل الحصن ، وأسر ابن العريض منه فارساً من أكابر فرسانه ، فبذل صِنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير ، فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك .

---

1) A. B. يسير ; in C. P. قريب superscriptum est.
2) A. B. الدولة .
3) C. P. ماجر .
4) A. B. ان .
5) A. B. الأمراء .
6) C. P. المطوبان .

Marfat.com

ذكر ما فعله الفرنج

في هذه السنة أطلق الدانشمندُ بيمندَ الفرنجيَّ ، صاحب أنطاكية ، وكان قد أسره ، وقد تقدّم ذكر ذلك ، وأخذ منه مائة ألف دينار ، وشرط عليه إطلاق ابنة باغي[1] سيان الذي كان صاحب أنطاكية ، وكانت في أسره .

ولمّا خلص بيمند من أسره عاد إلى أنطاكية ، فقويت نفوس أهلها به ، ولم يستقرّ حتّى أرسل إلى أهل العواصم وقِنَّسْرِينَ وما جاورها يطالبهم بالإتاوة ، فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشمند .

وفيها سار صنجيل إلى حصن الأكراد فحصره ، فجمع جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويحبسه ، فقتله باطنيٌّ بالمسجد الجامع ، فقيل : إنّ الملك رضوان ربيبه وضع عليه مَن قتله ، فلمّا قُتل صبّح صنجيل حمص من الغد ، ونازلها ، وحصر أهلها ، وملك أعمالها .

ونزل القُمّص على عكّة في جمادى الآخرة ، وضيّق عليها ، وكاد يأخذها ، ونصب عليها المنجنيقات والأبراج ، وكان له في البحر ستّ عشرة قطعة ، فاجتمع المسلمون من سائر السواحل ، وأتوا إلى منجنيقاتهم ، وأبراجهم[2] ، فأحرقوها ، وأحرقوا سفنهم أيضاً ، وكان ذلك نصراً عجيباً أذلّ الله به الكفّار .

وفيها صار القُمّص الفرنجيُّ ، صاحب الرُّها ، إلى بيروت من ساحل الشام ، وحصرها وضايقها ، وأطال المقام عليها ، فلم ير فيها طمعاً فرحل عنها .

وفيها ، في رجب ، خرجت عساكر مصر إلى عَسْقَلان ليمنعوا الفرنج عمّا بقي في أيديهم من البلاد الشامية ، فسمع بهم بردويل ، صاحب القدس ،

---

1) C. P. ماغي .

2) Om. B ; A. وابراجتهم .

Marfat.com

فسار إليهم في سبعمائة فارس ، وقاتلهم ، فنصر الله المسلمين ، وانهزم الفرنج ، وكثر القتل فيهم ، وانهزم بردويل ، فاختفى في أجمة قصب ، فأُحرقت تلك الأجمة ، ولحقت النار بعض جسده[1] ، ونجا منها إلى الرَّملة ، فتبعه المسلمون ، وأحاطوا به فتنكّر[2] ، وخرج منها إلى يافا ، وكثر القتل والأسر في أصحابه .

ذكر عود قلعة خُفْتِيذْكان[3] إلى سُرخاب بن بدر

في هذه السنة عادت قلعة خُفْتِيذْكان[4] إلى الأمير سُرخاب بن بدر بن مهلهِل .

وكان سبب أخذها منه أنّ القرابلي ، وهو من ٥ قبيل من[5] التركمان يقال لهم سَلغُر ، كان قد أتى إلى بلد سُرخاب ، فمنعه من المراعي ، وقتل جماعة من أصحابه ، فمضى قرابلي إلى التركمان ، واستجاش بهم ، وجاء في عسكر كثير ، فلقيه سُرخاب وقاتله ، فقتل قرابليٌ من أصحابه الأكراد قريباً من ألفَيْ رجل ، وانهزم سُرخاب إلى بعض جباله في عشرين رجلاً .

فلمّا سمع المستحفظان بقلعة خُفْتِيذْكانَ ذلك ، وكانا رجلَيْن حدّثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها ، وكان بها ذخائره ، وأمواله ، وقدرها يزيد على ألفَيْ ألف دينار ، فتملّكاها ، واجتاز بها السلطان بركيارق ، فأنفذا إليه مائتَيْ ألف دينار ، واستولى التركمان على جميع بلاد سُرخاب بن بدر ، سوى دَقُوقا وشَهرَزور ، فلمّا كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظَيْن الآخرَ ، وأرسل

---

1) B. جنده .
2) A. B. فسار .
3) A. حقيدكان ; B. حقيدكان .
4) Sine punctis in A.
5) Om. A. B.

Marfat.com

إلى سُرخاب يطلب منه الأمان ليسلّم إليه القلعة ، فأمّنه على نفسه ، وعلى ما حصل بيده من أموالها ، فسلّمها إليه ووفى[1] له .

ذكر قتل قدرخان صاحب سَمَرْقَنْد

قد ذكرنا قبلُ قدوم الملك سَنجرَ مع أخيه السلطان محمّد إلى بغداذ وعوده[1] إلى خُراسان ، فلمّا وصل إلى نَيسابور خطب لأخيه محمّد بخُراسان جميعها ، ولمّا كان ببغداذ طمع قدرخان جبريل بن عمر ، صاحب سَمَرْقَنْدَ ، في خُراسان لبعده عنها ، وجمع عساكر تملأ الأرض ، قيل : كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفّار ، وقصد بلاد سَنجرَ .

وكان أمير من أمراء سَنجرَ ، اسمه كُنْدُغدي ، قد كاتب قَدرخانَ بالأخبار ، وأعلمه مرض سَنجرَ ، بعد عوده إلى بلاده ، وأنّه قد أشفى على الهلاك ، وقوّى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانَيْن بركيارق ومحمّد ، وبشدّة[2] عداوة بركيارق لسَنجرَ ، وأشار عليه بالسرعة مهما[2] الاختلاف واقع ، وأنّه متى أسرع مَلَكَ خراسان والعراق . فبادر قدرخان وأقدم ، وقصد البلاد ، فبلغ السلطانَ[3] سنجر الخبر ، وكان قد عوفي ، فبادر وسار نحوه قاصداً قتاله ومنعه عن البلاد ، وكان من جملة من معه كندغدي[4] المذكور ، وهو لا يتّهمه بشيء ممّا فعل ، فوصل إلى بلْخ في ستّة آلاف فارس ، فبقي بينه وبين قدرخان

---

1) A. B. وعود سنجر .
2) B. فادام .
3) Om. C. P.
4) A. كون طوغدي .

---

١ ووفا .
٢ ولشدة .

Marfat.com

نحو خمسة أيّام ، فهرب كُندُغدي إلى قدرخان ، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه على الاتّفاق والمناصحة ، وسار من عنده إلى تِرمِذ ، فملكها . وكان الباعث للكندغدي على ما فعل • حسده للأمير[1] بزغش على منزلته .

ثم تقدّم قدرخان ، فلمّا تدانَى[12] العسكران أرسل سنجَر يذكّر قدرخان العهود والمواثيق القديمة ، فلم يصْغِ إلى قوله ، وأذكى سنجَر العيون والجواسيس على قدرخان ، فكان لا يخفى عنه شيء من خبره ، فأتاه من أخبره أنّه نزل بالقرب من بَلْخ ، وأنّه خرج متصيّداً في ثلاثمائة فارس ، فندب سنجَر ، عند ذلك ، الأمير بزغش لقصده ، فسار إليه ، فلحقه وهو على تلك الحال ، فقاتله ، فلم يصبر من مع قدرخان ، فانهزموا ، وأسر كُندُغدي وقدرخانَ ، وأحضرهما عند سنجَر ، فأمّا قدرخان فإنّه قبّل الأرض واعتذر ، فقال له سنجَر : إن خدمتَنا ، أو لم تخدمنا ، فما جزاؤك إلاّ السيف ؛ ثم أمر به فقُتل .

فلمّا سمع كندغدي الخبر نجا بنفسه ، ونزلَ في قناة ، ومشى فيها فرسخَيْن تحت الأرض ، على ما به من النَّقْرِس ، وقتل فيها حيّتَيْن عظيمتَيْن ، وسبق أصحابه إلى مخرجها ، وسار منها في ثلاثمائة فارس إلى غزنة . وقيل : بل جمع سنجَر عساكر كثيرة ، والتقى هو وقدرخان ، • وجرى بينهما مصافّ ، وقتال عظيم ، أكثر فيه القتل فيهم ، فانهزم قدرخان[3] وعسكره ، وحُمل أسيراً إلى سنجَر ، فقتله ، وحصر تِرمِذ ، وبها كُنْدُغدي ، فطلب الأمان ، فأمّنه سنجَر ، ونزل إليه ، وسلّم تِرمِذ ، فأمره سنجَر بمفارقة بلاده ، فسار إلى غزنة ، فلمّا وصل إليها أكرمه صاحبها علاء الدولة ، وحلّ عنده المحلّ الكبير .

1) A. B. الأمير . 2) A. B. ترامى . 3) Om. B.

١ تدانا .

Marfat.com

واتّفق أنّ صاحب غَزْنَة عزم على قصد أوتان[1] ، وهي جبال منيعة ، على أربعين فرسخاً من غَزْنَة ، وقد عصى عليه فيها قوم ، وتحصّنوا بمعاقلها ، ووعور مسالكها ، فقاتلهم عسكر[2] علاء الدولة ، فلم يظفروا منهم بطائل ، فتقدّم كُندغدي منفرداً عنهم ، فأبلى بلاء حسناً ، ونُصر عليهم ، وأخذ غنائمهم ، وحملها إلى علاء الدولة ، فلم يقبل منها شيئاً ، ووفّرها عليه ، فغضب العسكر ، وحسدوه على ذلك ، وعلى قربه من صاحبهم ، ونفاقه عليه ، فأشاروا بقبضه ، وقالوا : إنّا لا نأمن أن يقصد بعض الأماكن فيفعل في أمر الدولة ما لا يمكن تلافيه . فقال : قد تحقّقتُ قصدكم ، ولكن بمن أقبض عليه ؟ فإنّي أخاف أن آمركم بالقبض عليه ، فينالكم منه ما تفتضحون به . فقالوا : الصواب أن تولّيه ولاية ويُقبض[3] عليه إذا سار إليها . فولاّه حصنَيْن جرت عادته أن يسجن فيهما من يخاف جانبه ، فسار إليهما .

فلمّا قاربهما عرف ما يراد منه ، فأحرق جميع ماله ، ونحر جماله ، وسار جريدة ، وكان في مدّة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعّبها[4] ، فإنّه ندم على قصد تلك الجهة ، فلمّا سار سأل راعياً عن الطريق التي يريدها ، فدلّه ، فأخذه معه خوفاً أن يكون قد غرّه ، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى قريب هَرَاة ، فمات هناك ، وهو من مماليك تُتُش[5] بن ألب أرسلان الذي كحله أخوه ملكشاه ، وسجنه بتَكْريت ، وقد تقدّم ذكر حادثته[6] .

---

1) A. C. P. أوبان .
2) Om. C. P.
3) A. وتقبض .
4) A. A. وشعبها .
5) A. B. تكش .
6) A. B. حديثه .

Marfat.com

ذكر ملك محمّد خان سمرقند

في هذه السنة أحضر السلطان[1] سَنجَر محمّداً أرسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان ، من مَرْوَ ، وملّكه سَمَرْقَنْد، بعد قتل قدرخان، وكان محمّد خان هذا من أولاد الخانيّة بما وراء النهر ، وأمّه ابنة السلطان ملكشاه ، فدفع[2] عن ملك آبائه ، فقصد مَرْوَ ، وأقام بها إلى الآن .

فلمّا قُتل قدرخان ولاّه سنجَر أعماله ، وسيّر معه العساكر الكثيرة ، فعبروا النهر ، فأطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها ، وعظم شأنه ، وكثُرت جموعه ، إلاّ أنّه انتصب له أمير اسمه هاغُوبك ، وزاحمه في الملك ، فطمع فيه ، فجرى له معه حروب احتاج في بعضها إلى الاستنجاد بعساكر سنجَر ، على ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالى .

ولمّا ملك محمّد خان البلاد أحسن إلى الرعايا بوصيّة من سَنجَر ، وحقن الدماء ، وصار بابه مقصداً ، وجنابه ملجأ .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة أبي سعد بن الموصلايا إلى الحلّة السّيفيّة ، مستجيراً بسيف الدولة صدقة .

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ وزير السلطان بركيارق كان يُنسب إليه أنّه هو الذي يميل جانب الخليفة إلى السلطان محمّد ، فسار خائفاً ، واعتزل خاله أمين

---

1) Om. C. P.

2) A. B. فرفع .

Marfat.com

الدولة الديوان ، وجلس في داره ، فلمّا قُتل الوزير الأعزّ ، على ما ذكرنا ، عاد تاج الرؤساء من الحلّة إلى بغداذ ، وعاد خاله إلى منصبه .

وفي ربيع الأوّل أيضاً ورد العميد المهذّب أبو المجد ، أخو الوزير الأعزّ ، إلى بغداذ ، نائباً عن أخيه ، ظنّاً منه أنّ إيلغازي لا يخالفهم ، حيث كان بركيارق ومحمّد قد اتّفقا ، كما ذكرناه ، فقبض عليه إيلغازي ، ولم يتغيّر عن طاعة محمّد .

وفيها ، في جمادى الأولى ، ورد إلى بغداذ ابن تُكش بن ألب أرسلان ، وكان قد استولى على الموصل ، فخدعه من كان بها ، حتّى سار عنها إلى بغداذ ، فلمّا وصل إليها زوّجه إيلغازي بن أُرتُق ابنته .

وفيها ، في شهر رمضان ، استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزّاق ، ولُقّب عضد الدين .

وفيها ، في صفر ، قتل الرّبَعيّون[1] بهيت قاضي البلد أبا عليّ بن المثنّى ، وكان ورعاً ، فقيهاً ، حنفيّاً ، من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدامغانيّ ، وكان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول[2] بين القبائل ، فنسبوه في ذلك إلى التحامل عليهم ، فقتله أحدهم ، فندم الباقون على قتله وقد فات الأمرُ .

وفيها بنى[2] سيف الدولة صدقة بن منَزْيد الحِلّة بالجامعَيْن ، وسكنها ، وإنّما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربيّة .

---

1) B. et C. P. sine punctis.

2) A. B. القبول .

---

١ الربعيون .

٢ بنا .

Marfat.com

وفي جمادى الأولى قُتل المؤيّد بن شرف الدولة مُسلم بن قُريش أمير بني عُقَيْل ، قتله بنو نُمير عند هَيت قِصاصاً .

وفيها توفّي القاضي البَنْدَنِيجيُّ الضرير ، الفقيه الشافعيُّ ، انتقل إلى مكّة ، فجاور بها أربعين سنة يدرّس الفقه ، ويسمع الحديث ، ويشتغل بالعبادة .

وفيها توفّي أبو عبد الله الحسين بن محمّد الطبريّ بأصبهان ، وكان يدرّس فقه الشافعيّ[1] بالمدرسة النظاميّة ، وقد جاوز تسعين سنة ، وهو من أصحاب أبي إسحاق .

وفيها توفّي الأمير منظور بن عمارة الحسينيُّ ، أمير المدينة ، على ساكنها السلام ، وقام ولده مقامَهُ ، وهو من ولد المهنّا ، وقد كان قَتَلَ المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاسانيُّ لعمارة القبّة التي على قبر الحسن بن عليّ والعبّاس ، رضي الله عنهما ، وكان من أهل قُمّ ، فلمّا قُتل البلاسانيّ قتله منظور بعد أن أمّنه ، وكان قد هرب منه إلى مكّة ، فأرسل إليه بأمانه .

---

1) Om. C. P.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة

ذكر استيلاء ينّال على الرَّيّ وأخذها منه ووصوله إلى بغداذ

كانت الخطبة بالرَّيّ للسلطان بركيارق ، فلمّا خرج السلطان محمّد من أصبهان ، على ما ذكرناه ، ومعه ينّال بن أنوشتكين الحُسامي ، استأذنه في قصد الرَّيّ وإقامة الخطبة له بها ، فأذن له ، فسار هو وأخوه عليّ بن أنوشتكين ، فوصلا إليها في صفر ؛ فأطاع من بها من نوّاب بركيارق ، وخطب لمحمّد بالرَّيّ ، واستولى[1] ينّال على البلد ، وعسف أهله ، وصادرهم بمائتَيْ ألف دينار ، وأقام بها إلى النصف من ربيع الأوّل ، فورد إليه الأمير برسق[2] بن برسق[2] من عند السلطان بركيارق ، فوقع القتال بينهم على باب الريّ ، فانهزم ينّال وأخوه عليّ .

فأمّا عليّ فعاد إلى ولايته قَزوِين ، وسلك ينّال الجبال ، فقُتل من أصحابه كثير ، وتشتّتوا ، فأتى[3] إلى بغداذ في سبعمائة رجل ، فأكرمه الخليفة ، واجتمع هو وإيلغازي وسقمان ابنا أرتُق بمشهد أبي حنيفة ، وتحالفوا على مناصحة السلطان محمّد ، وساروا إلى سيف الدولة صدقة ، فحلف لهم أيضاً على ذلك ، وعادوا .

---

1) Om. B.

2) A. B. برشق .

3) Codd. فأتوا .

Marfat.com

ذكر ما فعله ينّال بالعراق

قد ذكرنا وصول ينّال بن أنوشتكين إلى بغداذ قبلُ . فلمّا استقرّ ببغداذ ظلم الناس بالبلاد جميعاً ، وصادرهم ، واستطال أصحابه على العامّة بالضرب والقتل والتقسيط ، وصادر العُمّال .

فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغانيّ ينهاه عن ذلك ، ويقبّح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان ، وتردّد أيضاً إلى إيلغازي ، وكان ينّال قد تزوّج هذه الأيّام بأخته ، وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تُتُش ، حتّى توسّط الأمر معه ، فمضوا إليه[1] ، وحلّفوه على الطاعة ، وترْك ظلم الرعيّة ، وكفّ أصحابه ، ومنْعهم ، فحلف ، ولم يقف على اليمين ، ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة .

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة ، وعرّفه ما يفعله ينّال من نهب الأموال ، وسفك الدماء ، وطلب منه أن يحضرَ بنفسه ليكفّ ينّال ، فسار من حِلّته في رمضان ، ووصل بغداذ رابع شوّال ، وضرب خيامه بالنجميّ ، واجتمع هو وينّال ، وإيلغازي ، ونوّاب ديوان الخليفة ، وتقرّرت القواعد على مالٍ يأخذه ويرحل عن العراق ، فطلب ينّال المهلة ، فعاد صدقة عاشر شوّال إلى حِلّته ، وترك ولده دُبيساً ببغداذ ليمنعه من الظلم والتعدّي عمّا استقرّ الأمر عليه ، فبقي ينّال إلى مستهلّ ذي القعدة ، وسار إلى أوَانَا ، فنهب ، وقطع الطريق ، وعسف الناس ، وبالغ في الفعل القبيح ، وأقطع القُرى لأصحابه ، فأرسل الخليفة إلى صدقة في ذلك ، فأرسل ألف فارس ، وساروا إليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة ، وإيلغازي ، شِحنة بغداذ ، فلمّا سمع ينّال

---

1) B.

Marfat.com

بقربهم منه عبر دجلة ، وسار إلى باجِسْرَى[1] وشحنها ، وقصد شَهرَابَانَ ، فمنعه أهلها ، فقاتلهم ، فقُتل بينهم قتلى ، ورحل عنهم ، وسار إلى أذربيجان قاصداً إلى السلطان محمّد ، وعاد دُبَيْس بن صدقة ، وإيلغازي ، • شِحنة بغداذ[2] ، إلى مواضعهم .

ذكر وصول كمشتكين القَيْصريّ شحنة إلى بغداذ والفتنة بينه وبين إيلغازي وسُقمان وصدقة

في هذه السنة ، منتصف ربيع الأوّل ، ورد كمشتكين القيصريّ إلى بغداذ ، شِحنةً ، أرسله إليها السلطان بركيارق ، وقد ذكرنا في السنة المتقدّمة رحيل بركيارق من[3] أصبهان إلى همذان، فلمّا وصلها أرسل إلى بغداذ كمشتكين شحنةً، فلمّا سمع إيلغازي، وهو شِحنة ببغداذ ، للسلطان محمّد، أرسل إلى أخيه سُقمان ابن أرتُق ، صاحب حصن كيفا ، يستدعيه إليه ليعتضد به على منعه ، وسار إلى سيف الدولة صدقة بالحِلّة ، واجتمع به ، وسأله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة بركيارق ، فأجابه إلى ذلك وحلف له ، فعاد إيلغازي .

وورد سُقمان في عساكر ، ونهب في طريقه تَكْريت ، وسبب تمكّنه منها أنّه أرسل جماعة من التركمان إلى تَكريت ، معهم أحمال جُبنٍ ، وسمن ، وعسل ، فباعوا ما معهم ، وأظهروا أنّ سُقمان قد عاد عن الانحدار ، فاطمأنّ أهل البلد ، ووثب التركمان ، تلك الليلة ، على الحرّاس فقتلوهم ، وفتحوا الأبواب ، وورد إليها سُقمان ، ودخلها ونهبها ، ولمّا وصل إلى بغداذ نزل بالرَّمْلَة .

---

1) A. ناخسرى ; B. باحسروا . 2) Om. C. P. 3) Add. A. على

Marfat.com

وأمّا كشتكين فوصل ، أوّل ربيع الأوّل ، إلى قَرميسينَ ، وأرسل الى من له هوًى مع بركيارق، وأعلمهم بقربه منهم ، فخرج إليه جماعة منهم، فلقوه بالبَنْدَنيجَيْنِ ، وأعلموه الأحوال ، وأشاروا عليه بالمعاجلة ، فأسرع السير ، فوصل إلى بغداذ منتصف ربيع الأوّل ، ففارق إيلغازي داره ، واجتمع بأخيه سُقمان ، وأصعدا من الرملة ، ونهبا بعض قرى دُجَيْل ، فسار طائفة من عسكر كشتكين وراءهما ، ثم عادوا عنهما ، وخُطب للسلطان بركيارق ببغداذ ، فأرسل كشتكين القيصريَّ إلى سيف الدولة صدقة ، ومعه حاجب من ديوان الخليفة ، في طاعة بركيارق ، فلم يجب إلى ذلك ، وكشف القناع ببغداذ[1] في مخالفته ، وسار من الحِلّة إلى جسر صَرْصَر ، فقُطعتْ خطبة بركيارق ببغداذ ، ولم يُذْكَر على منابرها أحدٌ من السلاطين ، واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير .

ولمّا وصل سيف الدولة إلى صَرْصَرَ أرسل إلى إيلغازي وسُقمان ، وكانا بحَرّيي ، يعرّفهما أنّه قد أتى لنصرتهما ، فعادا ونهبا دُجَيْلاً ، ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة ، وأخذت الأموال ، وافتضّت الأبكار ، ونهب العرب والأكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك ، إلاّ أنّهم لم يُنقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد معهنّ ، لكنّهم استقصوا في أخذ الأموال بالضرب والإحراق[2] ، وبطلت معايش الناس ، وغلت الأسعار ، فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط ، فصار ثلاثة أرطال بقيراط ، وجميع الأشياء كذلك .

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة في الإصلاح ، فلم تستقرّ قاعدة ، وعاد إيلغازي وسُقمان ومعهما دُبَيْس بن سيف الدولة صدقة من دُجَيْل ، فخيّموا بالرملة ، فقصدهم جماعة كثيرة من العامّة ، فقاتلوهم ، فقُتل من

---

1) Om. C. P.

2) A. B. والاعراق .

العامّة أربعة نفر ، وأخذ منهم جماعة ، فأطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم ، وازداد الأمر شدّةً على الناس ، فأرسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدامغانيّ ، وتاج الرؤساء بن الموصلايا إلى سيف الدولة يأمره[1] بالكفّ عن الأمر الذي هو ملابسه ، ويعرّفه ما الناس فيه، ويعظّم الأمر عليه، فأظهر طاعة الخليفة، إنْ أخرج القيصريَّ من بغداذ ، وإلاّ فليس غير السيف ، وأرعد وأبرق .

فلمّا عاد الرسول استقرّ الأمر على إخراج القيصريّ من بغداذ ، ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر ، وسار إلى النّهروان ، وعاد سيف الدولة إلى بلده ، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد ببغداذ ، وسار القيصريُّ إلى واسط ، فخاف الناس منه ، وأرادوا الانحدار منها[2] ليأمنوا ، فمنعهم القيصريُّ ، وخطب لبركيارق بواسط ، ونهبوا كثيراً من سوادها .

فلمّا سمع صدقة ذلك سار إلى واسط ، فدخلها ، وعدل في أمها ، وكفّ عسكره عن أذاهم ، ووصل إليه إيلغازي بواسط ، وفارقها القيصريُّ ، ونزل متحصّناً بدِجلة ، فقيل لسيف الدولة : إنّ هناك مخاضة ؛ فسار إليها بعسكره وقد لبسوا السلاح ، فلمّا رآهم عسكر القيصريّ تفرّقوا عنه ، وبقي في خواص أصحابه ، فطلب الأمان من سيف الدولة ، فأمّنه ، فحضر عنده ، فأكرمه ، وقال له : قد سمنتَ ؛ قال : وتركتَنا نسمن ؟ أخرجتَنا من بغداذ ، ثم من واسط ، ونحن لا نعقل .

ثم بذل صدقة الأمان لجميع عسكر واسط ، ومن كان مع القيصريّ ، سوى رجلَيْن ، فعادا إليه فأمّنهما[1] ، وعاد القيصريُّ إلى بركيارق ، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد بواسط ، وخُطب بعده لسيف الدولة وإيلغازي ، واستناب كلّ

---

1) A. B. يأمرونه . 2) C. P. ت .

---

١ فعادوا إليه فأمنهم .

Marfat.com

واحد منهما فيها ولدَهُ ، وعادا عنها في العشرين من جمادى الأولى ، وأمن أهل واسط ممّا كانوا يخافونه .

فأمّا إيلغازي فإنّه أصعد إلى بغداذ ؛ وأمّا سيف الدولة صدقة فإنّه عاد إلى الحِلّة ، وأرسل ولده الأصغر منصوراً مع إيلغازي إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه ، فإنّه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة ، فوصل إلى بغداذ، وخاطب في ذلك ، فأُجيب إليه .

ذكر استيلاء صدقة على هيت

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش[1] ، أقطعه إيّاها السلطان ألب أرسلان ، ولم تزل معه حتّى قُتل ، فنظر فيها عمداء بغداذ إلى أن مات السلطان ملكشاه ، ثم أخذها أخوه تُتُش بن ألب أرسلان . فلمّا استولى السلطان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان • بن وهب[2] بن وُهَيْبة ، وأقام هو وجماعة من بني عُقَيْل عند سيف الدولة صدقة ، وكانا متصافيَيْن[3] ، وكان صدقة يزوره كثيراً ثم تنافرا .

وكان سبب ذلك أنّ صدقة زوّج بنتاً له من ابن عمّه ، وكان ثروان قد خطبها ، فلم يجبه إلى ذلك ، فتحالفت عُقَيْل ، وهم في حِلّة سيف الدولة ، أن يكونوا يداً واحدة عليه ، فأنكر صدقة ذلك ، وحجّ ثروان عُقَيْبَ ذلك وعاد مريضاً ، فوكّل به صدقة ، وقال : • لا بدّ من هيت ؛ فأرسل ثروان حاجبه ، وكتب خطّه بتسليم البلد إليه .

---

1) A. قراس . 2) Opp. A. B. 3) B. متضامنين .

Marfat.com

وكان بهَيت حينئذ[1] محمّد بن رافع بن رفاع[2] بن ضُبيعة بن مالك بن مقلّد ابن جعفر ، وأرسل صدقة ابنه دُبَيْساً مع الحاجب ليتسلّمها فلم يسلّم إليه محمّد، فعاد دُبَيْس إلى أبيه ، فلمّا أخذ صدقة واسطاً ، هذه النوبة ، أصعد في عسكره إلى هَيت ، فخرج إليه منصور بن كثير ابن أخي ثروان ، ومعه جماعة من أصحابه ، فلقوا سيف الدولة ، وحاربوه ساعة من النهار .

ثم إنّ جماعة من الرَّبَعيّين[3] فتحوا لسيف الدولة البلد ، فدخله أصحابه ، فلمّا رأى ذلك منصور ومن معه سلّموا البلد إليه ، فملكه يوم نزوله ، وخلع على منصور وجماعة من وجوه[4] أصحابه ، وعاد إلى حِلّته ، واستخلف عليه ابن عمّه ثابت بن كامل .

ذكر الحرب بين بركيارُق ومحمّد

في هذه السنة ، ثامن جمادى الآخرة ، كان المصافّ الخامس بين السلطان بركيارُق والسلطان محمّد .

وكانت كَنْجَةُ وبلاد أرّان جميعها للسلطان محمّد ، وبها عسكره ، ومقدّمهم الأمير غزغلي ، فلمّا طال مقام محمّد بأصبهان محصوراً توجّه غزغلي والأمير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمّد بن مؤيّد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ، ليراهم بعين الطاعة .

وكان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمّد زَنْجَان ممّا يلي أذربيجان ، فوصلوا إلى الريّ في العشرين من ذي الحجّة سنة خمس وتسعين [وأربعمائة] ، ففارقه

---

1) Om. B.
2) C. P. نفاع ; om. B.
3) A. B. الديسيين .
4) C. P.

Marfat.com

عسكر بركيارق ، . ودخلوه وأقاموا[1] به ثلاثة أيّام .

ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمّد من أصبهان ، وأنّه وصل إلى ساوة ، فساروا إليه ، ولحقوه بهمذان ومعه ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين الحساميّ ، فبلغ عددهم[1] ستّة آلاف فارس، فأقاموا بها إلى أواخر المحرّم، فأتاهم الخبر بأنّ السلطان بركيارق قد أتاهم ، فتلوّنوا في رأيهم ، فسار ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين إلى الرَّيّ ، على ما ذكرناه ، وعزم السلطان محمّد على التوجّه إلى شَرْوان ، فوصل إلى أرْدَبِيل ، فأرسل إليه الملك[2] مودود بن إسماعيل بن ياقوتي ، صاحب بعض أذربيجان ، وكانت قبله لأبيه إسماعيل بن ياقوتي ، وهو خال السلطان بركيارق ، وكانت اخته زوجة السلطان محمّد ، وهو مطالب السلطان بركيارق بثأر أبيه ، وقد تقدّم مقتله أوّل دولة بركيارق ، وقال له : ينبغي أن تقدم إلينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك ، وقتال خصمنا ؛ فسار إليه مجدّاً ، وتصيّد في طريقه بين أرْدَبِيل وبَيْلَقَانَ ، وانفرد عن عسكره ، فوثب عليه نمر ، وهو غافل ، فجرح السلطان محمّداً في عضده ، فأخذ سكّيناً وشقّ بها جوف النمر فألقاه عن فرسه ونجا .

ثم إنّ مودود بن إسماعيل توفّي في النصف من ربيع الأوّل ، وعمره اثنتان وعشرون[2] سنة ، ولمّا بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمّد والملك مودود سار غير متوقّف ، فوصل بعد موت مودود ، وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمّد ، وحلفوا له ، وفيهم سكمان القُبُطيّ ، ومحمّد بن باغي سيان[3] ، الذي كان أبوه صاحب أنطاكية ، وقزل أرسلان بن السبع الأحمر ،

---

1) A. B. ودخله عسكر محمد وأقام .

2) C. P. الأمير .

3) A. باغي سيان .

---

١ ثلثهم .

٢ اثنين وعشرين .

Marfat.com

فلمّا وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خُوَيّ من أذربيجان عند غروب الشمس ، ودامت إلى العشاء الآخرة .

فاتّفق أنّ الأمير إياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين ، وحمل بهم ، وقد أعيا العسكر من الجهتَيْن ، على عسكر السلطان محمّد ، فكسرهم[1] ، وولّوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد .

فأمّا السلطان بركيارق فإنّه قصد جبلاً بين مَراغة وتبريز ، كثير العُشْب والماء[2] ، فأقام به أيّاماً ، وسار إلى زَنْجان .

وأمّا السلطان محمّد فإنّه سار مع جماعة من أصحابه إلى أرجيش ، من بلاد أرمينية ، على أربعين فرسخاً من الوقعة ، وهي من أعمال خِلاط ، من جملة أقطاع الأمير سكمان القُبطيّ ، وسار منها إلى خِلاط ، واتّصل به الأمير عليّ صاحب أرْزَن الروم ، وتوجّه إلى آنى ، وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروّاديّ ، ومنها سار إلى تبريز من أذربيجان[3] . وسنذكر باقي أخبارهم سنة سبع وتسعين [وأربعمائة] عند صلحهم إن شاء الله .

وكان الأمير محمّد بن مؤيّد الملك بن نظام الملك مع السلطان محمّد في هذه الوقعة ، فمرّ منهزماً ، ودخل ديار بكر ، وانحدر منها إلى جزيرة ابن عُمَر ، وسار منها إلى بغداذ ، وكان في حياة أبيه يقيم ببغداذ في سوق المدرسة ، فاتّصلت الشكاوى منه إلى أبيه ، فكتب إلى كوهرائين بالقبض[4] عليه ، فاستجار بدار الخلافة ، وتوجّه سنة اثنتين وتسعين [وأربعمائة] إلى مجد الملك البلاسانيّ ، ووالده حينئذ بكَنْجَة عند السلطان محمّد ، قبل أن يخطب لنفسه بالسلطنة ، وتوجّه بعد قتل[5] مجد الملك إلى والده ، وقد صار وزير السلطان محمّد ، وخطب

---

1) A. مهزوم ; B. مهزومهم .
2) Om. C. P.
3) Om. C. P.
4) C. C. لقبض .
5) Om. C. P.

لمحمّد بالسلطنة ، وبقي بعد قتل والده ، واتّصل بالسلطان محمّد ، وحضر معه هذه الحرب فانهزم .

ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة

في هذه السنة ، منتصف رجب ، قُبض على الوزير سديد الملك أبي المعالي ، وزير الخليفة ، وحُبس في دارٍ بدار الخلافة ، وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان ، فنُقلوا إليه ، وكان محبسه جميلاً .

وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة ، فإنّه قضى[1] عمره في أعمال السلاطين ، وليس لهم هذه القواعد ، ولمّا قُبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان .

ومن عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيّام أنّ سديد الملك كان يسكن في دار عميد الدولة بن جُهير ، وجلس فيها مجلساً عامّاً يحضره الناس لوعظ المؤيّد عيسى الغزنويّ ، فأنشدوا أبياتاً ارتجلها :

سديدَ الملكِ سُدْتَ ، وخُضْتَ بحراً عميقَ اللُّجّ ، فاحفَظْ فيه رُوحَكْ
وأحْيِ مَعالمَ الخَيراتِ ، واجعَلْ لِسانَ الصِّدقِ في الدُّنيا فُتُوحَكْ
وفي الماضين مُعْتَبَرٌ ، فأسرِجْ مَرُوحَك في السلامة ، أو جَموحَكْ

ثم قال سديد الملك : مَن شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ، ولو

---

١ قضا .

بعد زمان ؛ ثم أشار إلى الدار وقرأ : ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[1] ، فقبض على الوزير بعد أيّام .

ذكر ملك الملك دُقاق مدينة الرَّحبة

في هذه السنة ، في شعبان ، ملك الملك دُقاق بن تُتُش ، صاحب دمشق ، مدينة الرَّحْبة ، وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان ، فلمّا قُتل كربوقا استولى عليها ، فسار دُقاق وطُغتكين أتابكه إليه ، وحصراه بها ، ثم رحل عنه .

وتوفي قايماز هذه السنة في صفر ، وقام مقامه غلامٌ تركيّ اسمه حسن ، فأبعد عنه كثيراً من جنده ، وخطب لنفسه ، وخاف من دُقاق ، فاستظهر ، وأخذ جماعة من السالاريّة الذين يخافهم ، فقبض عليهم ، وقتل جماعة من أعيان البلد ، وحبس آخرين وصادرهم . فتوجّه دُقاق إليه وحصره ، فسلّم العامّة البلد إليه ، واعتصم حسن بالقلعة ، فأمّنه دُقاق ، فسلّم القلعة إليه ، فأقطعه إقطاعاً كثيراً بالشام ، وقرّر أمر الرَّحْبة ، وأحسن إلى أهلها ، وجعل فيها من يحفظها ، ورحل عنها إلى دمشق .

---

1) Cor. 14, vi. 45.

Marfat.com

ذكر أخبار الفرنج بالشام

كان الأفضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكاً لأبيه ، لقبه سعد الدولة ، ويُعرف بالطواشي[1] ، إلى الشام لحرب الفرنج ، فلقيهم بين الرَّمْلة ويافا ، ومقدّم الفرنج يُعرف بيَغْدُوين ، لعنه الله تعالى ، وتصافّوا واقتتلوا ، فحملت الفرنج حملة صادقة ، فانهزم المسلمون .

وكان المنجّمون يقولون لسعد الدولة: إنّك تموت مُتَردياً ؛ فكان يحذر من ركوب الخيل ، حتّى إنّه ولِيَ بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط ، فقلعه خوفاً أن يزلق به فرسه ، أو يعثُر ، فلم ينفعه الحذر عند نزول[2] القدر ، فلمّا كانت هذه الوقعة انهزم ، فتردّى به فرسه ، فسقط ميّتاً ، وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين .

فأرسل الأفضل بعده ابنه شرف المعالي في جمع كثير ، فالتقوا هم والفرنج بيَازُوزَ ، بقرب الرَّملة ، فانهزم الفرنج ، وقُتل منهم مقتلة عظيمة ، وعاد من سلم منهم مغلولين ، فلمّا رأى بَغْدُوين شدّة الأمر ، وخاف القتل والأسر ، ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه ، فلمّا أبعد المسلمون خرج منه إلى الرَّملة . وسار شرف المعالي بن الأفضل من المعركة ، ونزل على قصر بالرَّملة ، وبه سبعمائة من أعيان الفرنج ، وفيهم بَغْدُوين ، فخرج متخفّياً إلى يافا ، وقاتل ابن الأفضل من بقي خمسة عشر يوماً ، ثم أخذهم[3] ، فقتل منهم أربعمائة صبراً ، وأسر ثلاثمائة إلى مصر .

ثم اختلف أصحابه في مقصدهم ، فقال قوم : نقصد البيت المقدّس

---

1) B. بالقواي . 2) B. حلول . 3) Om. A. B.

Marfat.com

وتملكه ؛ وقال قوم : تقصد يافا وتملكها[1] .

فبينما هم في هذا الاختلاف ، إذ وصل إلى الفرنج خلق كثير في البحر ، قاصدين زيارة البيت المقدّس ، فتلبهم بغدوين للغزو معه ، فساروا إلى عَسْقَلان ، وبها شرف المعالي ، فلم يكن يقوى بحربهم ، فلطف الله تعالى بالمسلمين ، فرأى الفرنج البحريّة حصانة عَسْقَلان ، وخافوا البيات ، فرحلوا إلى يافا ، وعاد ولد الأفضل إلى أبيه ، فسيّر رجلاً يقال له تاج العجم • في البرّ ، وهو[1] من أكبر[2] مماليك أبيه ، وجهّز معه أربعة آلاف فارس ، وسيّر في البحر رجلاً يقال له القاضي ابن قادوس ، في الأسطول ، فنزل الأسطول على يافا ، ونزل تاج العجم على عَسقلان ، فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتّفقا على حرب الفرنج ، فقال تاج العجم : ما يمكنني أن أنزل إليك إلاّ بأمر الأفضل ؛ ولم يحضر عنده ، ولا أعانه ، فأرسل القادوسيُّ إلى قاضي عسقلان ، وشهودها ، وأعيانها ، وأخذ خطوطهم بأنّه أقام على يافا عشرين يوماً ، واستدعى تاج العجم ، فلم يأته ، ولا أرسل رجلاً ، فلمّا وقف الأفضل على الحال أرسل مَنْ قبض على تاج العجم ، وأرسل رجلاً ، لقبه جمال الملك ، فأسكنه عَسقلان ، وجعله متقدّم العساكر الشاميّة .

وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج ، لعنهم الله ، البيت المقدّس ، وفلسطين ، ما عدا عَسقلان ، ولهم أيضاً يافا ، وأرسُوفُ ، وقَيسارِيَةُ ، وحَيفا ، وطَبَرِيَةُ ، واللاّذِقِيَة[2] ، وأنطاكيةُ ، ولهم بالجزيرة الرُّها ، وسَروج .

وكان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام ، والموادّ تأتيها ، وبها فخر الملك

---

1) Om. B. 2) B.

---

١ وتملكه .

٢ واللاذقية .

Marfat.com

ابن عمّار ، وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ، ويقتلون من وجدوا ، وقصد بذلك أن يخلو السواد ممّن يزرع لتقلّ الموادّ من الفرنج فيرحلوا عنه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، سادس المحرّم ، توفّيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، التي كانت زوجة السلطان طغرلبك ، وكانت موصوفة بالدين ، وكثرة الصدقة ، وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها ، لأنّه أبلغ عنها أنّها تسعى في إزالة دولته .

وفيها ، في شعبان أيضاً ، استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم ابن جُهير ، واستقدمه من الحِلّة من عند سيف الدولة صدقة ، وقد ذكرنا في السنة المتقدّمة[1] سبب مسيره إليها ، فلمّا قدم إلى بغداذ خرج كلّ أرباب الدولة فاستقبلوه ، وخُلع عليه الخِلع التامّة ، وأُجلس[2] في الديوان ولُقّب قوام الدين .

وفيه[3] أيضاً قُتل أبو المظفّر بن الخُجَنْدِيّ بالرَّيّ ، وكان يعِظُ الناس ، فقتله رجل علويّ حين نزل من كرسيّه ، وقُتل العلويُّ ودُفن الخُجَنْدِيُّ بالجامع ، وأصل بيت الخُجَنْدِيّ من مدينة خُجَنْدَةَ ، بما وراء النهر ، ويُنسبون إلى المهلّب بن أبي صُفرة ، وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمّد ابن ثابت الخُجَنْدِيّ يعظ بمَرْوَ ، فأعجبه كلامه ، وعرف محلّه من الفِقه والعلم ، فحمله إلى أصبهان ، وصار مدرّساً بمدرسته بها ، فنال جاهاً عريضاً ،

---

1) Om. C. P. 2) A. B. وجلس . 3) A. B. وفيها .

ودنيا واسعة ، وكان نظام الملك يتردّد إليه ويزوره .

وفيها جمع ساغربك[1] ، بما وراء النهر ، جموعاً كثيرة ، وهو من أولاد الخانيّة ، وقصد محمّد خان الذي ملّكه السلطان سَنجَر سَمَرْقَند ، ونازعه في ملكها ، فضعف محمّد خان عنه ، فأرسل إلى السلطان سنجَر يستنجده ، فسار إلى سَمَرْقَند ، فأبعد عنه ساغربك[2] ، وخافه ، واحتمى منه ، وأرسل يطلب الأمان من سنجَر ، والعفو ، فأجابه إلى ما طلب ، وحضر ساغربك[2] عنده ، وقرّر الصُّلح بينه وبين محمّد خان ، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه ، وعاد إلى خراسان ، فوصل إلى مَرو في ربيع الأوّل سنة سبع وتسعين وأربعمائة .

وفيها توفّي أبو المعالي[3] الصالح ، ساكن باب الطاق ، وكان مُقِلاً من الدنيا ، له كرامات ظاهرة .

---

1) A. ساغويك ; B. ساغونك .

2) A. B. ساغويك .

3) Add. A. B. الرجل .

Marfat.com

٤٩٧

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

ذكر ملك بكتك بن بهرام بن أرتق مدينة عانة

في هذه السنة ، في المحرّم ، استولى بكتك بن بهرام بن أرتُق ، وهو ابن أخي إيلغازي بن أرتُق ، على مدينة عانة ، والحديثة ، وكان له مدينة سَروج ، فأخذها الفرنج منه ، فسار عنها إلى عانة وأخذها من بني يَعيش بن عيسى بن خِلاط ، فقصد بنو يَعيش سيف الدولة صدقة بن مَزْيد ، ومعهم مشايخهم ، فسألوه الإصعاد إليها ، وأن يتسلّمها منهم ، ففعل وأصعد معهم .

فرحل التركمان وبهرام عنها ، وأخذ صدقة رهائنهم ، وعاد إلى حِلّته ، فرجع بَكتك إليها ومعه ألفا رجل من التركمان ، فمانعه أصحابه قليلاً ، واستدلّ على المخاضة إليها ، فخاضها وعبر ، وملكهم ونهبهم ، وسبى [1] جميع حُرَمهم وانحدر طالباً هيت من الجانب الشاميّ ، فبلغ إلى قريب منها ، ثم رجع من يومه ، ولمّا سمع صدقة جهّز العساكر ، ثم أعادهم عند عود بكتك .

---

١ وسبا .

ذكر غارة الفرنج على الرُّهَا وقلعة جَعْبَر

في هذه السنة ، في صفر ، أغار الفرنج من الرُّها على مرج الرَّقّة وقلعة جَعْبَر ، وكانوا لمّا خرجوا من الرُّها افترقوا فرقتَيْن ، وأبعدوا يوماً واحداً تكون الغارة على البلدَيْن فيه ، ففعلوا ما استقرّ بينهم ، وأغاروا ، واستاقوا المواشي ، وأسروا مَن وقع بأيديهم من المسلمين ، فكانت القلعة[1] والرَّقّة لسالم ابن مالك بن بدران بن المقلّد بن المسيّب سلّمها إليه السلطان ملكشاه سنة تسع[2] وسبعين [وأربعمائة]، وقد ذكرناه فيها .

ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمّد

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، وقع الصُّلح بين السلطانَيْن بركيارق ومحمّد ابنَيْ ملكشاه .

وكان سببه أنّ الحروب تطاولت بينهما ، وعمّ الفساد ، فصارت الأموال منهوبة ، والدماء مسفوكة ، والبلاد مخرّبةً ، والقرى محرقةً ، والسلطنة مطموعاً[13] فيها ، محكوماً عليها ، وأصبح الملوك مقهورين ، بعد أن كانوا قاهرين ، وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه[2] ليدوم تحكّمهم ، وانبساطهم ، وإدلالهم .

---

1) C. P. الوقعة ; B. قلعة جعبر .

2) B. سبع .

3) A. B. مطموعاً .

---

١ مطموعة .

٢ ويختزونه .

Marfat.com

وكان السلطان بركيارق حينئذ بالريّ والخطبة له بها ، وبالجبل، وطَبَرِستان ، وخُوزستان ، وفارس ، وديار بكر ، والجزيرة ، وبالحَرمَيْن الشريفَيْن .

وكان السلطان محمّد بأذربيجان، والخطبة له فيها[1] ، وببلاد أرانيّة ، وأرمينية، وأصبهان ، والعراق ، كلّها ما عدا تَكريت .

وأمّا أعمال البطائح فيُخطب ببعضها لبركيارق ، وببعضها لمحمّد .

وأمّا البصرة فكان يُخطب فيها لهما جميعاً .

وأمّا خُراسان فإن السلطان سنَجَر كان يُخطب له في جميعها ، وهي من حدود جُرجان إلى ما وراء النهر ، ولأخيه السلطان محمّد .

فلمّا رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوماً ، والطمع من العسكر زائداً ، أرسل القاضي أبا المظفّر الجُرجانيَّ الحنفيَّ ، وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفّار الهمَذانيَّ ، المعروف بصاحب قراتكين ، إلى أخيه محمّد في تقرير قواعد الصلح، فسارا إليه ، وهو بالقرب من مراغَة ، فذكرا له ما أُرسلا فيه ، ورغّباه في الصلح وفضيلته ، وما شمل البلاد من الخراب ، وطمع عدوّ الإسلام في أطراف الأرض . فأجاب إلى ذلك ، وأرسل فيه رُسلاً ، واستقرّ الأمر ، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه ، وتقرّرت القاعدة : أنّ السلطان بركيارق لا يعترض[2] أخاه محمّداً في الطبل ، وأن لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له ، وأن لا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرَيْن ، ولا يعارض أحد من العسكر في قصد أيّهما شاء ، وأن يكون للسلطان محمّد من النهر المعروف بإسبيذَرُوذَ ، إلى باب الأبواب ، وديار بكر ، والجزيرة ، والموصل ، والشام ، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة .

---

١ فيه .

٢ يتعرض .

Marfat.com

فأجاب بركيارق إلى هذا ، وزال الخلف ، والشغب ، وأرسل السلطان محمّد إلى أصحابه بأصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد ، وتسليمه إلى أصحاب أخيه ، • وسار السلطان بركيارق إلى أصبهان ، فلمّا سلّمها[1] إليه أصحاب أخيه[1] دعاهم إلى أن يكونوا معه ، وفي خدمته ، فامتنعوا ، ورأوا لزوم خدمة صاحبهم ، فسمّاهم أهل العسكريْن جميعاً : أهل الوفاء ، وتوجّهوا من أصبهان ، ومعهم حريم السلطان محمّد ، إليه ، وأكرمهم بركيارق ، وحمل لأهل أخيه المال الكثير ، ومن الدوابّ ثلاثمائة جمل ، ومائة وعشرين بغلاً ، تحمل الثّقَل ، وسيّر معهم العساكر يخدمونهم .

ولما وصلت رسل السلطان بركيارق إلى الخليفة المستظهر بالله بالصُّلح ، وما استقرّت القواعد عليه ، حضر إيلغازي بالديوان ، وسأل في إقامة الخطبة لبركيارق، فأُجيب إلى ذلك ، وخُطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى ، وخُطب له ، من الغد ، بالجوامع ، وخُطب له أيضاً بواسط .

ولمّا خطب إيلغازي ببغداذ لبركيارق ، وصار في جملته ، أرسل الأمير صدقة إلى الخليفة يقول : كان أمير المؤمنين ينسب إليّ[2] كلّ ما[2] يتجدّد من إيلغازي من إخلالٍ[3] بواجب الخدمة ، وشرط الطاعة ، ومن اطّراح المراقبة ، والآن ، فقد أبدى[3] صفحته للسلطان[4] الذي استنابه ، وأنا غير صابرٍ على ذلك، بل أسير لإخراجه عن بغداذ .

---

1) Om. A. B.
2) C. P.
3) A. B. إخلاله .
4) A. B. لسلطانه .

١ سلمه .
٢ كلّما .
٣ أبدا .

Marfat.com

فلمّا سمع إيلغازي ذلك شرع في جمع التركمان ، وورد صدقة بغداذ ، فنزل مقابل التاج ، وقبّل الأرض ، ونزل في مخيّمه بالجانب الغربيّ ، ففارق إيلغازي بغداذ إلى بَعقُوبا ، وأرسل إلى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصُّلح الواقع ، وأنّ إقطاعه حُلوان وغيرها في جملة بلاده ، وأنّ بغداذ التي هو شِحنةٌ فيها قد صارت له ، فذلك الذي أدخله في طاعته . فرضي عنه صدقة ، وعاد إلى الحِلّة .

وفي ذي القعدة سُيّرت الخِلَع من الخليفة للسلطان بركيارق ، وللأمير إياز ، ولوزير بركيارق ، وهو الخطير ، والعهد بالسلطنة ، وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا .

ذكر ملك الفرنج جُبَيْل وعكّا من الشام

في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة اللاّذِقيّة[1] ، فيها التجار ، والأجناد ، والحجّاج ، وغير ذلك ، واستعان[1] بهم صنجيل الفرنجيّ على حصار طرابلس ، فحصروها معه برّاً وبحراً ، وضايقوها ، وقاتلوها أيّاماً ، فلم يروا فيها مطمعاً ، فرحلوا عنها إلى مدينة جُبَيْل، فحصروها، وقاتلوا عليها[2] قتالاً شديداً . فلمّا رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أماناً ، وسلّموا البلد إليهم ، فلم تف[3] الفرنج لهم بالأمان ، وأخذوا أموالهم ، واستنقذوها[4] بالعقوبات وأنواع العذاب .

---

1) A. واستغاث .
2) B. أهلها .
3) A. B. يف .
4) C. P. واستنقذوا أموالهم .

---

١ لاذقية

Marfat.com

فلمّا فرغوا من جُبيل ساروا إلى مدينة عكّا ، استنجدهم الملك بغدوين ، ملك الفرنج[1] ، صاحب القدس على حصارها ، فنازلوها ، وحصروها في البرّ والبحر .

وكان الوالي بها اسمه بنا ، ويُعرف بزهر الدولة الجيوشيّ ، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل ، فقاتلهم أشدّ قتال ، فزحفوا إليه غير مرّة ، فعجز عن حفظ البلد ، فخرج منه ، وملك الفرنج البلد بالسيف قهراً ، وفعلوا بأهله الأفعال الشنيعة ، وسار الوالي به إلى دمشق ، فأقام بها ، ثم عاد إلى مصر ، واعتذر إلى الأفضل فقبل عُذره .

ذكر غزو سُقمان وجكرمش الفرنج

لمّا استطال الفرنج ، خذلهم الله تعالى ، بما ملكوه من بلاد الإسلام ، واتّفق لهم اشتغال عساكر الإسلام ، وملوكه ، بقتال بعضهم بعضاً ، تفرّقت حينئذ بالمسلمين الآراء ، واختلفت الأهواء ، وتمزّقت الأموال .

وكانت حرّان لملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه[2] ، فاستخلف عليها إنساناً يقال له محمّد الأصبهانيّ ، وخرج في العام الماضي ، فعصى الأصبهانيّ على قراجه ، وأعانه أهل البلد لظلم قراجه .

وكان الأصبهانيّ جَلداً ، شهماً ، فلم يترك بحرّان من أصحاب قراجه سوى غلام تركيّ يُعرف بجاولي ، وجعله أصْفَهْسَلار العسكر ، وأنس به ، فجلس معه يوماً للشرب ، فاتّفق جاولي مع خادم له[3] على قتله فقتلاه وهو سكران .

---

1) Om. C. P. 2) A. B. قراجا semper. 3) B.

فعند ذلك سار الفرنج إلى حرّان وحصروها .

فلمّا سمع معين الدولة سُقمان ، وشمس الدولة جكرمش ذلك ، وكان بينهما حرب ، وسُقمان يطالبه بقتل ابن أخيه ، وكلّ منهما يستعدّ للقاء صاحبه ، وأنا أذكر سبب قتل جكرمش له ، إن شاء الله تعالى ، أرسل[1] كلّ منهما إلى صاحبه يدعوه إلى الاجتماع معه لتلافي أمر حرّان ، ويعلمه أنّه قد بذل نفسه لله تعالى ، وثوابه ، فكلّ واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه ، وسارا ، فاجتمعا على الخابور ، وتحالفا ، وسارا إلى لقاء الفرنج .

وكان مع سُقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ، ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك ، والعرب ، والأكراد ، فالتقوا على نهر البَليخ ، وكان المصافّ بينهم هناك ، فاقتتلوا ، فأظهر المسلمون الانهزام ، فتبعهم الفرنج نحو فرسخَيْن ، فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤوا ، وامتلأت أيدي التركمان من الغنائم ، ووصلوا إلى الأموال العظيمة ، لأنّ سواد الفرنج كان قريباً ، وكان بيمُند ، صاحب أنطاكية ، وطنكري[1] ، صاحب الساحل ، قد انفردا[2] وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم ، إذا اشتدّت الحرب ، فلمّا خرجا رأيا الفرنج منهزمين ، وسوادهم منهزماً ، فأقاما إلى الليل ، وهربا ، فتبعهما المسلمون ، وقتلوا من أصحابهما كثيراً ، وأسروا كذلك ، وأفلتا في ستّة فرسان .

وكان القُمّص بردويل ، صاحب الرُّها ، قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم ، وخاضوا نهر البَليخ ، فوَحِلت خيولهم ، فجاء تركمانيّ[3] من أصحاب سُقمان

---

1) A. B. وتنكري .

---

١ فأرسل .

٢ انفرد .

٣ تركمان .

فأخذهم[1] ، وحملَ بردويل إلى خيم صاحبه ، وقد سار فيمن معه لاتّباع بيمند . فرأى أصحاب جكرمش أنّ أصحاب سُقمان قد استولوا على مال الفرنج ، ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل ، فقالوا لجكرمش : أيّ منزلةٍ تكون لنا عند الناس ، وعند التركمان إذا انصرفوا[2] بالغنائم دوننا ؟ وحسّنوا له أخذ القُمّص ، فأنفذ فأخذ القُمّص من خيم سُقْمان، فلمّا عاد سُقْمان شقّ عليه الأمر ، وركب أصحابه للقتال ، فردّهم ، وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمّهم باختلافنا ، ولا أؤثر شفاء غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين . ورحل لوقته ، وأخذ سلاح الفرنج ، ورایاتهم ، وألبس أصحابه لبسهم ، وأركبهم خيلهم ، وجعل يأتي حصون شَيْحَانَ[3] ، وبها الفرنج ، فيخرجون ظنّاً منهم أنّ أصحابهم نُصروا . فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدّة حصون .

وأمّا جكرمش فإنّه سار إلى حرّان . فتسلّمها . واستخلف بها صاحبه . وسار إلى الرُّها ، فحصرها خمسة عشر يوماً ، وعاد إلى الموصل ومعه القُمّص الذي أخذه من خيام سُقمان ، ففاداه بخمسة وثلاثين ديناراً ، ومائة وستّين أسيراً من المسلمين ، وكان عدّة القتلى من الفرنج يقارب اثني عشر ألف قتيل .

ذكر وفاة دُقاق وملك ولده

في هذه السنة ، في شهر رمضان ، توفّي الملك دُقاق بن تُتُش بن ألب أرسلان ، صاحب دمشق ، وخطب أتابكه طغتكين لولد له صغير ، له سنة

---

1) Codd. فأخلوهم . 2) B. أفردوا . 3) C. P. سحمل ; B. سحمان .

واحدة ، وجعل اسم المملكة فيه ، ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش[1] بن تُتُش ، عمّ هذا الطفل ، في ذي الحجّة ، وله من العمر اثنتا عشرة[1] سنة .

ثم إنّ طغتكين أشار عليه بقصد الرَّحبة ، فخرج إليها فملكها وعاد ، فمنعه طغتكين من دخول البلد . فمضى إلى حصون له ، وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دُقاق[2] .

وقيل إنّ سبب استيحاش بكتاش من طغتكين أنّ والدته خوّفته منه ، وقالت : إنّه زوج والدة دُقاق ، وهي لا تتركه حتّى تقتلك ويستقيم الملك لولدها ؛ فخاف ، ثم إنّه حسّن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق ، وقصْد بعلبكّ ، وجمْع الرجال ، والاستنجاد بالفرنج ، والعَوْد إلى دمشق ، وأخْذها من طغتكين ، فخرج من دمشق سِرّاً في صفر سنة ثمان وتسعين [وأربعمائة] ، ولحقه الأمير أيتكين الحلبيُّ . وهو من جملة من قرّر مع بكتاش ذلك ، وهو صاحب بُصْرَى ، فعاثا في نواحي[3] حَوران ، ولحق بهما[2] كلّ من يريد الفساد ، وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه ، فأجابهما إلى ذلك ، وسار إليهما[4] فاجتمعا به ، وقرّرا القواعد معه ، وأقاما عنده مدّةً ، فلم يريا منه[5] غير التحريض على الإفساد في أعمال دمشق ، وتخريبها ، فلمّا يئسا من نصره عادا مِنْ عنده ، وتوجّها في البرّية إلى الرَّحْبة ، فملكها بكتاش وعاد عنها .

---

1) A. B. ليلناس variat deinde scripturanominis: يلياس , بكاش , نكاش .

2) Quae hinc ad finem capitis usque sequuntur, in C. P. ad exitum capitis praecedentis collocata sunt.

3) A. B. ناحية .

4) A. B. إليه .

5) C. P. عنده .

---

١ عشر .

٢ : بها .

Marfat.com

واستقام أمر طغتكين بدمشق واستبدّ بالأمر ، وأحسن إلى الناس ، وبثّ فيهم العدل ، فسُرّوا به سروراً كثيراً .

ذكر استيلاء صدقة على واسِط

في هذه السنة ، في شوّال ، انحدر سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد من الحِلّة إلى واسِط في عسكر كثير ، وأمر فنودي بها في الأتراك : من أقام فقد بَرِئتْ منه الذمّة ؛ فسار جماعة منهم إلى بركيارق ، وجماعة إلى بغداذ ، وصار مع صدقة جماعة منهم ، ثم إنّه أحضر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[1] ، صاحب البطيحة ، فضمّنه البلد لمدّة ، آخرها آخر السنة ، بخمسين ألف دينار ، وعاد إلى الحِلّة ، وأقام مهذّب الدولة بواسِط إلى سادس ذي القعدة ، وانحدر[2] إلى بلده .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، أطلق سديد الملك أبو المعالي من الاعتقال ، وهو الذي كان وزير الخليفة ، ولمّا أُطلق هرب إلى الحِلّة السّيفيّة ، ومنها إلى السلطان بركيارق ، فولاّه الإشراف على ممالكه .

وفيها توفّي أمين الدولة أبو سعد العلاء[3] بن الحسن بن الموصلايا ، فجأةً ، وكان قد أضرّ ، وكان بليغاً فصيحاً ، وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة

---

1) A. الخير .
2) A. B. وعاد منحدراً .
3) C. P.

Marfat.com

اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، خدم الخلفاء خمساً[1] وستّين سنة ، كلّ يوم تزداد منزلته ، حتّى تاب عن الوزارة ، وكان نَصرانيّاً ، فأسلم سنة أربع وثمانين [وأربعمائة] ، وكان كثير الصدقة ، جميل المحضر ، صالح النيّة ، ووقف أملاكه على أبواب البرّ ؛ ومكاتباته مشهورة حسنة ؛ ولمّا مات خلع على ابن اخته أبي نصر ، ولُقّب نظام الحضرتَيْن ، وقُلّد ديوان الإنشاء .

وفيها كانت ببغداذ بين العامّة فتن كثيرة ، وانتشر العيّارون .

وفيها قُتل أبو نعيم بن ساوة[1] الطبيب الواسطيُّ ، وكان من الحُذّاق في الطبّ ، وله فيه إصابات[2] حسنة .

وفيها عزل السلطان سَنجَر وزيرَهُ المجير أبا الفتح الطُّغرائي ، وسبب ذلك أنّ الأمير بزغش ، وهو أصْفَهْسَلار العسكر السَّنجريّ ، أُلقي إليه ملطّفٌ فيه : لا يتمّ لك أمرٌ مع هذا السلطان ، ووقع إلى سنجَر ، لا يتمّ لك أمر مع الأمير بزغش ، مع كثْرة جموعه ؛ فجمع بزغش أصحاب العمائم ، وعرض عليهم الملطّفَيْن ، فاتّفقوا على كاتب الطُّغرائي ، وظهرت عليه فقُتل[3] ، وقبض سَنجَر على الطُّغرائي ، وأراد قتله ، فمنعه بزغش ، وقال له : حقُّ خدمةٍ ؛ فأبعده إلى غزنة . وفيها جمع بزغش كثيراً من عساكر خُراسان ، وأتاه[4] كثير من المتطوّعة ، وسار إلى قتال الإسماعيليّة ، فقصد طَبَس ، وهي لهم ، فخربها وما جاورها من القلاع والقُرى ، وأكثر فيهم القتل ، والنهب ، والسبي ، وفعل بهم الأفعال العظيمة ، ثم إنّ أصحاب سنجَر أشاروا بأن يؤمَّنوا[5] ، ويُشرط عليهم أنّهم لا يبنون حصناً ، ولا يشترون سلاحاً ، ولا يدعون أحداً

---

1) A. B. رساده .
2) B. اختيارات .
3) A. فقبل وضمن .
4) C. P.
5) A. يزينوا ; B. يرموا .

---

١ خمس .

Marfat.com

إلى عقائدهم ، فسخط كثير من الناس هذا الأمان ، وهذا الصلح ، ونقموه على سَنجَر ؛ ثم إنّ بزغش ، بعد عوده من هذه الغزاة ، توفّي ، وكانت خاتمة أمره[1] الجهاد ، رحمه الله .

وفي هذه السنة توفّي أبو بكر عليُّ بن أحمد بن زكرياء الطُّرَيْثِيثيُّ ، وكان صوفيّاً محدّثاً مشهوراً .

وفي رجب توفّي القاضي أبو الحسين أحمد بن محمّد الثقفيُّ ، قاضي الكوفة ، ومولده في ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وهو من ولد عُرْوة ابن مسعود ، ومن تلاميذ القاضي الدامغانيّ ، وولي القضاء بعده ابنه أبو البركات.

وفي ربيع الآخر توفّي أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن البُسريّ البندار[2] ، المحدّث ، ومولده سنة أربع وأربعمائة .

---

1) A. B. أعماله .

2) A. B.

٤٩٨

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة السلطان بركيارُق

في هذه السنة ، ثاني شهر ربيع الآخر ، توفّي السلطان بركيارُق بن ملكشاه ، وكان قد مرض بأصبهان بالسلّ ، والبواسير ، فسار منها في محفّة طالباً بغداذ ، فلمّا وصل إلى بَرُوجِرْدَ ضعف عن الحركة ، فأقام بها أربعين يوماً ، فاشتدّ مرضه ، فلمّا أيِس من نفسه خلع على ولده ملكشاه ، وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر ، وخلع على الأمير إياز ، وأحضر جماعة الأمراء ، وأعلمهم أنّه قد جعل ابنه وليَّ عهده في السلطنة ، وجعل الأمير إياز أتابكه ، وأمرهم بالطاعة لهما ، ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده ، والذبّ عنها ، فأجابوا كلّهم بالسمع والطاعة ، وبذْل النفوس والأموال في حفظ ولده وسلطنته عليه ، واستحلفهم على ذلك ، فحلفوا ، وأمرهم بالمسير إلى بغداذ ، فساروا ، فلمّا كانوا على اثني عشر فرسخاً من بَرُوجِرْدَ وصلهم خبر وفاته ، وكان بركيارق قد تخلّف على عزم العود إلى أصبهان فعاجلته منيّته .

فلمّا سمع الأمير إياز بموته أمر وزيرَهُ الخطير الميبذيَّ وغيره بأن يسيروا مع تابوته إلى أصبهان ، فحُمل إليها ، ودُفن في تربة جدّتها له مُربّيته ، ثم ماتت بعد أيّام ؛ فدُفنت بإزائه ، وأحضر إياز السرادقات ، والخيام ، والجتر ، والشمسة ، وجميع ما يحتاج إليه السلطان ، فجعله برسم ولده ملكشاه .

Marfat.com

ذكر عمره وشيء من سيرته

لمّا توفّي بركيارق كان عمره خمساً[1] وعشرين سنة ، ومدّة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتي عشرة[2] سنة وأربعة أشهر ، وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد ، واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدّة ، ومُلك وزواله ، وأشرف ، في عدّة نُوَب ، بعد إسلام[1] النعمة ، على ذهاب المهجة[2] .

ولمّا قوي أمره ، في هذا الوقت ، وأطاعه المخالفون ، وانقادوا له ، أدركته منيّته ، ولم يُهْزَمْ في حروبه غير مرّة واحدة ، وكان أُمراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع ، حتّى إنّهم كانوا يطلبون نوّابه ليقتلوهم ، فلا يمكنه الدفع عنهم ، وكان متى خُطب له ببغداذ وقع الغلاء ، ووقفت المعايش والمكاسب ، وكان أهلها مع ذلك يحبّونه ، ويختارون سلطانه .

وقد ذكرنا من تغلّب الأحوال به ما وقفتُ عليه ، ومن أعجبها دخوله أصبهان هارباً من عمّه تُتُش ، فمكّنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه ، فاتّفق أنّ أخاه محموداً مات ، فاضطرّوا إلى أن يملّكوه ، وهذا من أحسن الفرج بعد الشدّة .

وكان حليماً ، كريماً ، صبوراً ، عاقلاً ، كثير المداراة[3] ، حسن القدرة ، لا يبالغ في العقوبة ، وكان عفوه أكثر من عقوبته .

---

1) A. B. اسلاب . 2) A. B. النبه .

---

١ خمس .

٢ عشر .

٣ المداراة .

Marfat.com

ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارُق

في هذه السنة خُطب لملكشاه بن بركيارُق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر ، وخُطب له بجوامع بغداذ[1] من الغد ، يوم الجمعة .

وكان سبب ذلك أنّ إيلغازي ، شِحنة بغداذ ، سار في المحرّم إلى السلطان بركيارق ، وهو بأصبهان ، يحثّه على الوصول إلى بغداذ ، ورحل مع بركيارق ، فلمّا مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والأمير إياز إلى بغداذ ، فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ، ولقوا في طريقهم برداً شديداً لم يشاهدوا مثله ، بحيث أنّهم لم يقدروا على الماء لجموده .

وخرج الوزير أبو القاسم عليّ بن جُهير ، فلقيهم من دَيَالى ، وكانوا خمسة آلاف فارس ، وحضر إيلغازي ، والأمير طغايرك ، بالديوان ، وخاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق، فأُجيب إليها ،وخُطب له، ولُقّب بألقاب جدّه ملكشاه، وهي جلال الدولة، وغيره من الألقاب، ونُثرت الدنانير عند الخطبة له .

ذكر حصر السلطان محمّد جكرمش بالموصل

لمّا اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمّد ، كما ذكرناه في السنة الخالية ، وسلّم محمّد مدينة أصبهان إلى بركيارق ، وسار إليها ، أقام محمّد بتبريزَ من أذربيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان ، فلمّا وصلوا استوزر سعدَ الملك أبا المحاسن لحسن أثره [الذي] كان في حفظ أصبهان ، وأقام إلى صفر من

---

1) C. P. بيتغاد .

هذه السنة ، وسار إلى مَراغة ، ثم إلى اربِل يريد قصد جكرمش ، صاحب الموصل ، ليأخذ بلاده .

فلمّا سمع جكرمش بمسيره إليه جدّد سور الموصِل ، ورمّ ما احتاج إلى إصلاح ، وأمر أهل السواد بدخول البلد ، وأذن لأصحابه في نهب من لم يدخل .

وحصر محمّد المدينة ، وأرسل إلى جكرمش يذكر له الصُّلح بينه وبين أخيه ، وأنّ في جملة ما استقرّ أن تكون الموصل[1] وبلاد الجزيرة له ، وعرض عليه الكتب من بركيارق إليه بذلك ، والأيمان على تسليمها إليه ، وقال له : إن أطعتَ فأنا لا آخذها منك ، بل أُقرّها بيدك ، وتكون الخطبة لي بها . فقال جكرمش : إنّ كُتُبَ السلطان وردت إليّ ، بعد الصلح ، تأمرني أن لا أُسلّم البلد إلى غيره .

فلمّا رأى محمّد امتناعه باكره القتال ، وزحف إليه بالنقّابين ، والدبابات ، وقاتل أهل البلد أشدّ قتال ، وقتلوا خلقاً كثيراً لمحبّتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم ، فأمر جكرمش ففُتح في السور أبواب لطاف يخرج منها الرجّالة يقاتلون ، فكانوا يكثرون القتل في العسكر ، ثم زحف محمّد مرّة ، فنقب في السور أصحابه ، وأدركهم الليل ، فأصبحوا وقد عمره أهل البلد ، وشحنوه بالمقاتلة ، وكانت الأسعار عندهم رخيصة في الحصار : كانت الحنطة تساوي كلّ ثلاثين مكوكاً بدينار ، . والشعير [كلّ] خمسين مكوكاً بدينار[2] .

وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتلّ يَعْفَر ، فكانوا يغيرون[1] على أطراف العسكر ، ويمنعون الميرة عنهم ، فدام القتال عليهم إلى عاشر جُمادى الأولى ، فوصل الخبر إلى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق ، فأحضر أهل

1) Add. A. ودیار بکر .

2) Om. A. B.

1: یغرون .

Marfat.com

البلد ، واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان ، فقالوا : أموالنا وأرواحنا بين يدَيْك ، وأنت أعرف بشأنك ، فاستشِر الجندَ ، فهم أعرف بذلك . فاستشار أمراءه ، فقالوا : لمّا كان السلطان حيّاً قد كنّا على الامتناع ، ولم يتمكّن أحد من طروق بلدنا ، وحيث توفّي فليس للناس اليوم سلطان غير هذا ، والدخول تحت طاعته أولى .

فأرسل إلى محمّد يبذل الطاعة ، ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل إليه ، فحضر الوزير عنده ، وأخذ بيده ، وقال : المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان ، فإنّه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه ؛ وأخذ بيده وقام ، فسار معه جكرمش ، فلمّا رآه أهل الموصِل قد توجّه إلى السلطان ، جعلوا يبكون ، ويضجون ، ويَحثُون التراب على رؤوسهم ، فلمّا دخل على السلطان محمّد أقبل عليه ، وأكرمه ، وعانقه ، ولم يمكّنه من الجلوس ، وقال : ارجع إلى رعيّتك ، فإنّ قلوبهم إليك ، وهم متطلّعون إلى عودك ؛ فقبّل الأرض وعاد ومعه جماعة من خواصّ السلطان ، وسأل السلطانَ من الغد أن يدخل البلد ليزيّن له ، فامتنع من ذلك ، فعمل سِماطاً ، بظاهر الموصل ، عظيماً ، وحمل إلى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار .

ذكر وصول السلطان إلى بغداذ
وصلحه مع ابن أخيه والأمير إياز

لمّا وصل خبر وفاة السلطان بركيارق إلى أخيه السلطان محمّد ، وهو يحاصر الموصل ، جلس للعزاء ، وأصلح جكرمش ، صاحب الموصل ، كما ذكرناه ، وسار إلى بغداذ ومعه سكمان القُطبيُّ ، وهو يُنسب إلى قطب الدولة إسماعيل

Marfat.com

ابن ياقوتي بن داود ، وإسماعيل ابن عمّ ملكشاه ، وسار معه جكرمش وغيرهما من الأمراء .

وكان سيف الدولة صدقة ، صاحب الحِلّة ، قد جمع خلقاً كثيراً من العساكر ، فبلغت عدّتهم خمسة عشر ألف فارس ، وعشرة آلاف راجل ، وأرسل ولدَيْه بدران ودُبَيْساً إلى السلطان محمّد يستحثّه على المجيء إلى بغداذ ، فاستصحبهما معه إلى بغداذ .

فلمّا سمع الأمير إياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذي معه من الدور ، ونصبوا الخيام بالزاهر ، خارج بغداذ ، وجمع الأمراء ، واستشارهم فيما يفعله ، فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ، ومنْعه عن السلطنة ، والاتّفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركيارق .

وكان أشدّهم في ذلك ينّال وصَباوة ، فإنّهما بالغا[1] في الإطماع في السلطان محمّد ، والمنع له عن السلطنة[1] ، فلمّا تفرّقوا قال له وزيره الصفي[2] أبو المحاسن: يا مولانا إنّ حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك ، وأنا أكثر التزاماً بك من هؤلاء ، وليس الرأي ما أشاروا به ؛ فإنّ كلامهم يقصد أن يسلك طريقاً ، وأن يقيم سوقاً لنفسه بك ، وأكثرهم يناوئك في المنزلة ، وإنّما يقعد بهم عن منازعتك قلّة العدد والمال ؛ والصواب مصالحة السلطان محمّد وطاعته ، وهو يُقرّك على إقطاعك ، ويزيدك عليه مهما أردتَ .

فتردّد رأي الأمير إياز بين الصُّلح والمباينة ، إلاّ أنّ حركتَهُ في المباينة ظاهرةٌ ، وجمع السفن التي ببغداذ عنده ، وضبط المشارع من متطرّقٍ إلى عسكره وإلى البلد .

---

1) Om. B.

2) A. B. الصيني .

---

١ فإنهم بالغوا .

Marfat.com

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ يوم الجمعة لثمانٍ بقين من جُمادى الأولى ، ونزل عند الجانب الغربيّ[1] بأعلى بغداذ ، وخطب له بالجانب الغربيّ ، ولملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقيّ ؛ وأمّا جامع المنصور فإنّ الخطيب قال فيه : اللهمّ أصلح سلطان العالم ! وسكت .

وخاف الناس من امتداد الشرّ والنهب ، فركب إياز في عسكره ، وهم عازمون على الحرب[2] ، وسار إلى أن أشرف على عسكر السلطان محمّد ، وعاد إلى مخيّمه ، فدعا الأمراء إلى اليمين مرّة ثانية على المخالصة لملكشاه ، فأجاب البعض ، وتوقّف البعض ، وقالوا : قد حلفنا مرّة ، ولا فائدة في إعادة اليمين ، لأنّنا إن وفينا بالأولى وفينا بالثانية ، وإن لم نَفِ بالأولى فلا نَفي[1] بالثانية .

فأمر إياز حينئذ وزيره الصفي أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمّد في الصلح ، وتسليم السلطنة إليه ، وترْك منازعته فيها ؛ فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر إلى عسكر محمّد ، واجتمع بوزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمّد ، فعرّفه ما جاء فيه ، فحضرا عند السلطان محمّد ، وأدّى الصفي رسالة صاحبه إياز ، واعتذاره[2] عمّا كان منه أيّام بركيارق ، فأجابه محمّد جواباً لطيفاً سكّن به قلبه وطيّب نفسه ، وأجاب إلى ما التمس منه من اليمين .

فلمّا كان الغد حضر قاضي القضاة ، والنقيبان ، والصفي وزير إياز ، عند السلطان محمّد ، فقال له وزيره سعد الملك : إنّ إياز يخاف لما تقدّم منه ،

---

1) A. B. add. عند بيعة وربا .

2) Finis Cod. A. Quae infra leguntur verba, alia addidit manus, ut lector crederet hic verum libri esse exitum.

---

١ نَفِ .

٢ واعتذار .

Marfat.com

وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك ، ولنفسه ، وللأمراء الذين معه . فقال السلطان : أمّا ملكشاه فإنّه ولدي ، ولا فرق بيني وبين أخي ، وأمّا إياز والأمراء فأحلف لهم ، إلاّ ينالَ الحُساميّ وصَباوة ؛ فاستحلفه الكيا الهرّاس ، مدرّس النظاميّة ، على ذلك ، وحضر الجماعة اليمين . فلمّا كان من الغد حضر الأمير إياز عند السلطان محمّد ، فلقيه وزير السلطان ، والناس كافّة[1] ، ووصل سيف الدولة صدقة ، ذلك الوقت ، ودخلا جميعاً إلى السلطان ، فأكرمهما ، وأحسن إليهما ، وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ، ووقف أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره[2] ، وأقام السلطان ببغداذ إلى شعبان ، وسار إلى أصبهان ، وفعل فيها ما سنذكره ، إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل الأمير إياز

في هذه السنة ، ثالث عشر جُمادى الآخرة ، قُتل الأمير إياز ، قتله السلطان محمّد .

وسبب ذلك أنّ إياز لمّا سلّم السلطنة إلى السلطان محمّد صار في جملته ، واستحلفه لنفسه ، فلمّا كان ثامن جُمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره ، وهي دار كوهرائين ، ودعا السلطان إليها ، وقدّم له شيئاً كثيراً من جملته الحبل[3] البلخش الذي أُخذ من تركة مؤيّد الملك بن نظام الملك ، وقد تقدّم ذكر ذلك ، وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد .

---

١ وكافّة الناس .

٢ ايساره .

٣ الجبل .

Marfat.com

وكان من الاتفاق الرديء أنّ إياز تقدّم إلى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ، ليعرضهم على السلطان ، فدخل عليهم رجل من أبهر يعطايب معهم ، ويضحكون منه ، مع كونه يتصوّف ، فقالوا له : لا بدّ من أن[1] نُلبسك درعاً ونعرضك ؛ فألبسوه الدرع تحت قميصه ، وتناولوه بأيديهم ، وهو يسألهم أن يكفّوا عنه ، فلم يفعلوا ، فلشدّة ما فعلوا به هرب منهم ، ودخل بين خواصّ السلطان معتصماً بهم ، فرآه السلطان مذعوراً ، وعليه لباس عظيم ، فاستراب به ، فقال لغلام له بالتركيّة ليلمسه من غير أن يعلم أحد ، ففعل ، فرأى الدرع تحت قميصه ، فأعلم السلطان بذلك ، فاستشعر ، وقال : إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح ، فكيف الأجناد ! وقوي استشعاره لكونه في داره ، وفي قبضته ، فنهض وفارق الدار وعاد إلى داره .

فلمّا كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة ؛ وإياز ، وجكرمش ، وغيرهم من الأمراء ، فلمّا حضروا أرسل إليهم : إنّه بلغنا أنّ قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش قصد ديار بكر ليتملّكها ، وسيّر منها إلى الجزيرة ، وينبغي أن نجتمع آراؤهم على من يسير إليه ليمنعه ويقاتله . فقال الجماعة : ليس لهذا غير الأمير إياز ؛ فقال إياز : ينبغي أن نجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مَزْيد على هذا الأمر ، والدَّفع . لهذا المقاصد ؛ فقيل ذلك للسلطان ، فأعاد الجواب يستدعي إياز ، وصدقة ، والوزير سعد الملك[1] ليُحرّر الأمر في حضرته ، فنهضوا ليدخلوا إليه .

وكان قد أعدّ جماعة من خواصّه ليقتلوا إياز إذا دخل إليه ، فلمّا دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه . فأمّا صدقة فتلقّى وجهه بكمّه ، وأمّا

---

1) B. بد .

Marfat.com

الوزير فإنّه غُشي عليه ، ولُفّ إياز في مسح وألقي على الطريق عند دار المملكة ، وركب عسكر إياز ، فنهبوا ما قدروا عليه من داره ، فأرسل السلطان مَن حماها من النهب ، وتفرّق أصحابه من يومهم ، وكان زوال تلك النعمة العظيمة ، والدولة الكبيرة ، في لحظة ، بسبب هزل ومزاح . فلمّا كان من الغد كفّنه قوم من المتطوّعة ، ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة ، رحمه الله .

وكان عمره قد جاوز أربعين سنة ، وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ، ثم صار بعد موته في جملة أمير آخُر ، فاتّخذه ولداً ، وكان غزير المروّة ، شجاعاً ، حسن الرأي في الحرب .

وأمّا وزيره الصفي فإنّه اختفى ، ثم أخذ وحُمل إلى دار الوزير سعد الملك ، ثم قُتل في رمضان وعمره ستّ وثلاثون[1] سنة ، وكان من بيت رئاسة بهمَذان .

ذكر وفاة سُقمان بن أرتق

كان فخر الملك بن عمّار ، صاحب طرابلس ، قد كاتب سُقمانَ يستدعيه إلى نصرته على الفرنج ، وبذل له المعونة بالمال والرجال ، فبينما هو يتجهّز للمسير أتاه كتاب طغتكين ، صاحب دمشق ، يخبره أنّه مريض قد أشفى على الموت ، وأنّه يخاف إن مات ، وليس بدمشق من يحميها ، أن يملكها الفرنج ، ويستدعيه ليوصّي إليه ، وبما يعتمده في حفظ البلد . فلمّا رأى ذلك أسرع في

---

١ وثلاثين .

Marfat.com

السير عازماً على أخذ دمشق، وقَصْد الفرنج في طرابلس، وإبعادهم عنها، فوصل إلى القريتَيْن .

واتّصل خبره بطغتكين ، فخاف عاقبة ما صنع ، ولقوّة فكره زاد مرضه . ولامه أصحابه على ما فرط في تدبيره وخوّفوه عاقبة . ما فعل[1] ، وقالوا له : قد رأيتَ سيّدك تاج الدولة لمّا استدعاه إلى دمشق ليمنعه[2] كيف قتله حين وقعت عينه عليه .

فبينما هم يديرون الرأي بأيّ حيلةٍ يردّونه أتاهم الخبر بأنّه وصل القريتَيْن ، ومات ، وحمله أصحابه وعادوا به ، فأتاهم فرج لم يحسبوه[1] ، . وكان مرضه الذي مات به الخوانيق ، يعتريه[3] دائماً ، فأشار عليه أصحابه بالعود إلى حصن كيفا ، فامتنع ، وقال : بل أسير ، فإن عوفيتُ تممتُ ما عزمتُ عليه ، ولا يراني الله تثاقلتُ عن قتال الكفّار خوفاً من الموت ، وإن أدركني أجلي كنتُ شهيداً سائراً في جهاد . فساروا ، فاعتقل لسانه يومَيْن ، ومات في صفر ، وبقي ابنه إبراهيم في أصحابه ، وجُعل في تابوت وحُمل إلى الحصن ، وكان حازماً داهياً ، ذا رأي ، كثير الخير ، وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كيفا .

وأمّا ملكه ماردين ، فإنّ كربوقا خرج من الموصل ، فقصد آمد ، وحارب صاحبها ، فاستنجد صاحبها ، وهو تركمانيّ ، بسُقمان ، فحضر عنده ، وصافّ كربوقا .

وكان عماد الدين زنكي بن آقسَنْقَر ، حينئذ ، صبيّاً قد حضر مع دربوه ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه ، فلمّا اشتدّ القتال ظهر سُقمان ، فألقى

---

1) R. أمره . 2) Om. E.

3) C. P. وكانت تعتريه ubi ٢٢ superscripta sunt, dubii signum.

---

١ يحسبونه .

Marfat.com

أصحاب آقسنقر زنكي ولد صاحبهم بين أرجل الخيل ، وقالوا : قاتلوا عن ابن صاحبكم ! فقاتلوا حينئذ قتالاً شديداً ، فانهزم سُقمان ، وأسروا ابن أخيه ياقوتي بن أرتُق ، فسجنه كربوقا بقلعة ماردين ، وكان صاحبها إنساناً[1] مغنّياً للسلطان بركيارق ؛ فطلب منه ماردين وأعمالها ، فأقطعه إيّاها ، فبقي ياقوتي في حبسه مدّةً ، فمضت زوجة أُرْتُق إلى كربوقا وسألتْه[2] إطلاقه ، فأطلقه ، فنزل عند ماردِين ، وكانت قد أعجبته ، فأقام ليعمل في تملّكها والاستيلاء عليها .

وكان مَن عندَ ماردِين من الأكراد قد طمعوا في صاحبها المغني ، وأغاروا على أعمال ماردين عدّة دفعات ، فراسله ياقوتي يقول : قد صار بيننا مودّة وصداقة ، وأريد أن أعمّر بلدك بأن أمنع عنه الأكراد ، وأغير[3] على الأماكن ، وآخذ الأموال أنفقها في بلدك وأقيم في الربض ؛ فأذن له في ذلك ، فجعل يغير[4] من باب خِلاط إلى بغداذ ، فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة ، طلباً للكسب ، وهو يكرمهم ، ولا يعترضهم ، فأمِنوا إليه .

فاتّفق أنّ في بعض الأوقات نزل معه[5] أكثرهم ، فلمّا عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم ، وسبَقَهم إلى القلعة ، ونادى من بها من أهليهم : إن فتحتم الباب ، وإلاّ ضربتُ أعناقهم ؛ فامتنعوا ، فقتل إنساناً منهم ، فسلّم القلعة مَن بها إليه وبقي بها .

ثم إنّه جمع جمعاً وسار إلى نَصِيبين ، وأغار على بلد جزيرة ابن عُمَر ، وهي لحكرمش ، فلمّا عاد أصحابه بالغَنيمة أتاهم جكرمش ، وكان ياقوتي قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح ، وركوب الخيل ، فحُمل إلى فرسه

---

1) Om. C. P.
2) B. add. في .
3) B. وأعبر .
4) B. يعبر .
5) B.

Marfat.com

فركبه ، وأصابه سهم فسقط منه ، فأتاه جكرمش ، وهو يجود[1] بنفسه ، فبكى عليه ، وقال له : ما حملك على ما صنعتَ يا باقوتي ؟ فلم يجبه ، فمات ، ومضت زوجة أرتُق إلى ابنها سُقمان ، وجمعت التركمان ، وطلبت بثأر ابن ابنها ، وحصر سُقمان نصيبين ، وهي لجكرمش ، فسيّر جكرمش إلى سُقمان مالاً كثيراً سِرّاً ، فأخذه ورضي ، وقال : إنّه قُتل في الحرب ، ولا يُعْرَف قاتله .

وملك ماردين بعد باقوتي أخوه عليّ ، وصار في طاعة جكرمش ، واستخلف بها أميراً اسمه عليّ أيضاً ، فأرسل عليّ الوالي بماردين إلى سُقمان يقول له : ابن أخيك يريد أن يسلّم ماردين إلى جكرمش ؛ فسار سُقمان بنفسه وتسلّمها ، فجاء إليه عليّ ابن أخيه وطلب إعادة القلعة إليه ، فقال : إنّما أخذتُها لئلاّ يخرب البيت ؛ فأقطعه جبل جُور ، ونقله إليه .

وكان جكرمش يعطي عليّاً كلّ سنة عشرين ألف دينار ، فلمّا أخذ عمّه سُقمان ماردين منه ، أرسل عليّ إلى جكرمش يطلب منه المال ، فقال : إنّما كنتُ أعطيتُك احتراماً لماردين ، وخوفاً من مجاورتك ، والآن فاصنع ما أنت صانع ، فلا قدرة لك عليّ .

ذكر حال الباطنيّة هذه السنة بخراسان

في هذه السنة سار جمع كثير من الإسماعيليّة من طُرَيْثيث ، عن بعض أعمال بَيْهَق ، وشاعت[2] الغارة في تلك النواحي ، وأكثروا القتل في أهلها ،

---

١ يجود .
٢ وساعت .

Marfat.com

والنهب لأموالهم ، والسبي لنسائهم ، ولم يقفوا على المدنة المتقدّمة .

وفي هذه السنة اشتدّ أمرهم ، وقويت شوكتهم ، ولم يكفّوا أيديهم عمّن يريدون قتله ، لاشتغال السلاطين عنهم . فمن جملة فعلهم : أنّ قفل الحاجّ تجمّع ، هذه السنة ، ممّا وراء النهر ، وخُراسان ، والهند ، وغيرها من البلاد ، فوصلوا إلى خُوارِ الرَّيّ ، فأتاهم الباطنيّة وقت السَّحَر ، فوضعوا فيهم السيف ، وقتلوهم كيف شاؤوا ، وغنموا أموالهم ودوابّهم ، ولم يتركوا شيئاً .

وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط ، وهو من شيوخ الشافعيّة ، أخذ الفقه عن الخُجَنْديّ ، وكان يدرّس بالرَّيّ ، ويعظ الناس ، فلمّا نزل من كرسيه أتاه باطنيّ فقتله .

ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام

في هذه السنة ، في شعبان ، كانت وقعة بين طنكري[1] الفرنجيّ ، صاحب أنطاكية ، وبين الملك رضوان ، صاحب حلب ، انهزم فيها رضوان .

وسببها أنّ طنكري حصر حصن أرتاحَ ، وبه نائب الملك رضوان ، فضيّق الفرنج على المسلمين ، فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرّفه ما هو فيه من الحصر . الذي أضعف نفسه[2] ويطلب النجدة ، فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة ، وسبعة آلاف من الرجّالة ، منهم ثلاثة آلاف من المتطوّعة ، فساروا حتّى وصلوا إلى قِنَّسْرِين ، وبينهم وبين الفرنج قليل ، فلمّا رأى طنكري كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح ، فأراد أن يجيب ، فمنعه أصْبَهبذ صباوة ، وكان قد قصده ، وصار معه بعد قتل إياز ، فامتنع من الصلح ،

---

1) B. بنكري ubique. 2) Om. B.

Marfat.com

واصطفّوا للحرب ، فانهزمت الفرنج من غير قتال ، ثم قالوا : نعود ونحمل عليهم حملةً واحدةً . فإن كانت لنا ، وإلاّ انهزمنا ؛ فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا ، وانهزموا . وقُتل منهم وأُسر كثير .

وأمّا الرجّالة فإنّهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لمّا انهزموا ، فاشتغلوا بالنهب . فقتلهم الفرنج ، ولم ينج إلاّ الشريد فأُخذ أسيراً ، وهرب مَن في أرتاح إلى حلب ، وملكه الفرنج ، لعنهم الله تعالى ، وهرب أصْبَهْبذ صباوة إلى طغتكين أتابك بدمشق ، فصار معه . ومن أصحابه[1] .

ذكر حرب الفرنج والمصريّين

في ذي الحجّة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء .

وسببها أنّ الأفضل ، وزير صاحب مصر ، كان قد سيّر ولده شرف المعالي في السنة الخالية إلى الفرنج ؛ فقهرهم ، وأخذ الرَّملة منهم ، ثم اختلف المصريّون والعرب . وادّعى كلّ واحد منهما أنّ الفتح له ؛ فأتاهم سَرِيّة الفرنج ، فتقاعد كلّ فريق منهما بالآخر ، حتّى كاد الفرنج يَظهَرون عليهم . فرحل عند ذلك شرف المعالي إلى أبيه بمصر ، فنفّذ ولدَهُ الآخر ، وهو سناء الملك حسين ، في جماعة من الأمراء منهم جمال الملك ، النائب بعسقلان للمصريّين ؛ وأرسلوا إلى طغتكين أتابك بدمشق يطلبون منه عسكراً ، فأرسل إليهم أصْبَهْبذ صَباوة ومعه ألف وثلاثمائة فارس .

وكان المصريّون في خمسة آلاف ، وقصَدَهم بَغدوين الفرنجيُّ ، صاحب

---

1) Om. B.

Marfat.com

القدس ، وعكّة ، ويافا ، في ألف وثلاثمائة فارس ، وثمانية آلاف راجل ، فوقع المصافّ بينهم بين عَسقَلان ويافا، فلم تظهر إحدى الطائفتَيْن على الأخرى، فقُتل من المسلمين ألف ومائتان ، ومن الفرنج مثلهم ، وقُتل جمال الملك ، أمير عسقلان .

فلمّا رأى المسلمون أنّهم قد تكافأوا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عَسْقلان ، وعاد صباوة إلى دمشق ، وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش[1] بن تُتُش ، وكان طغتكين قد عدل في الملك إلى ولد أخيه دُقاق ، وهو طفل ، وقد ذكرناه ، فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج ، والكون معهم .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خُراسان من أعمال العراق ، وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الأموال ، ويقطعون الطريق ، إلاّ أنّهم عندهم مراقبة . فلمّا كانت هذه السنة اطّرحوا المراقبة ، وعملوا الأعمال الشنيعة ، فاستعمل إيلغازي بن أُرتُق ، وهو شِحنة العراق ، على ذلك البلد ابنَ أخيه بَلَك بن بَهرام ابن أُرتُق ، وأمره بحفظه وحياطته ، ومَنْع الفساد عنه ، فقام في ذلك القيام[2] المرضيّ ، وحمى[1] البلاد، وكفّ الأيدي المتطاولة، وسار بَلَك إلى حصن خَانيجارَ، وهو من أعمال سُرخاب بن بدر ، فحصره وملكه .

وفيها ، في شعبان ، جعل السلطان محمّد قسيم الدولة سَنقَر البرسقيّ شِحنة

---

1) C. P. et R. at sine punct. بلتاش .

2) R. القام .

---

١ وحما .

Marfat.com

بالعراق ، وكان موصوفاً بالخير ، والدين ، وحسن العهد ، لم يفارق محمّداً في حروبه كلّها .

وفيها أقطع السلطان محمّد الكوفة للأمير قايماز ، وأوصى [1] صدقةَ أن يحمي أصحابه من خَفاجة ، فأجاب إلى ذلك .

وفيها ، في شهر رمضان ، وصل السلطان محمّد إلى أصبهان ، فأمّن أهلها ، ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط ، والعسف ، والمصادرة ، وشتّان بين خروجه منها هارباً متخفّياً ، وعوده إليها سلطاناً متمكّناً ، وعدل في أهلها ، وأزال عنهم ما يكرهون ، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم من الجند وغيرهم ، فصارت[1] كلمة العاميّ أقوى من كلمة الجنديّ ، ويد الجنديّ قاصرة عن العاميّ من هيبة السلطان وعدله .

وفيها كثر الجُدَري في كثير من البلدان ، لا سيّما العراق ، فإنّه كان به كلّه ، ومات به من الصبيان ما لا يحصى ، وتبعه وباء كثير ، وموت عظيم .

وتوفّي في هذه السنة ، في شوّال ، أحمد بن[2] محمّد بن أحمد أبو عليّ البردانيُّ ، الحافظ ، ومولده سنة ستّ وعشرين وأربعمائة ، سمع ابن غيلان ، والبرمكيَّ ، والعشاريَّ وغيرهم .

وتوفّي أبو المعالي ثابت بن بندار[3] بن إبراهيم البقّال ، ومولده سنة ستّ عشرة وأربعمائة ، سمع أبا بكر البرقانيَّ ، وأبا عليّ بن شاذان ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفي رابع جمادى الأولى توفّي أبو الحسن محمّد بن عليّ بن أبي الصقر ،

---

1) B. add. السلطان محمد . 2) Om. C. 3) B. مدار .

---

١ فصار .

الفقيه الشافعيُّ ، ومولده سنة تسع وأربعمائة ، وكان أديباً ، شاعراً ، فمن قوله :

من قالَ لي جاهٌ ، ولي حشمةٌ ، ولي قبولٌ عندَ مَولانا
ولم يَعُد ذاكَ[1] بنَفعٍ على صَدِيقِه ، لا كانَ مَن كانا

وفيها أيضاً توفّي أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا ، وكان كاتباً للخليفة جيّد الكتابة ، وكان عمره سبعين سنة ، ولم يخلّف وارثاً لأنّه أسلم ، وأهله نصارى ، فلم يرثوه ، وكان يبخَل ، إلاّ أنّه كان كثير الصدقة ؛ وأبو المؤيّد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنويُّ ، كان واعظاً ، شاعراً ، كاتباً ، قدم بغدادَ ، ووعظ بها ، ونصر مذهب الأشعريّ ، وكان له قبولٌ عظيم ، وخرج منها ، فمات باسفرايين .

١ فلك .

Marfat.com

٤٩٩

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

ذكر خروج منكبرس على السلطان محمّد

في هذه السنة ، في المحرّم ، أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس[1] بن ألب أرسلان ، وهو ابن عمّ السلطان محمّد ، العصيان للسلطان محمّد والخلاف عليه .

وسبب ذلك : أنّه كان مقيماً بأصبهان ، فلحقته ضائقة شديدة ، وانقطعت الموادّ عنه ، فخرج منها وسار إلى نَهاوَنْد ، فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر ، وظاهره على أمره جماعة من الأمراء ، وتغلّب على نَهاوند ، وخطب لنفسه بها ، وكاتب الأمراء بني برسق يدعوهم[2] إلى طاعته ونصرته .

وكان السلطان محمّد قد قبض على زنكي بن بُرسق[2] ، فكاتب زنكي إخوته ، وحذّرهم من طاعة منكبرس ، وما فيها من الأذى والخطر ، وأمرهم بتدبير الأمر في القبض عليه .

فلمّا أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة ، فسار إليهم ، وساروا إليه ، فاجتمعوا به ، وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم ، وهي بلد خُوزستان ، وتفرّق أصحابه ، وأخذوا منكبرس إلى أصبهان ، فاعتقله السلطان مع بني عمّه تُكش ، وأخرج زنكي بن بُرسق ، وأعاده إلى مرتبته ، واستنزله وإخوته عن أقطاعهم ، وهي ليشتر[3] ، وسابورُ خُواست

---

1) B. بوري برس . 2) Om. B. 3) B. الأسر .

Marfat.com

وغيرهما ، ما بين الأهواز وهمذان ، وأقطعهم عوضها الدّينَور وغيرها .

واتّفق أن ظهر بنَهاوند أيضاً ، في هذه السنة ، رجل من السواد ادّعى النبوّة، فأطاعه خلق كثير من السواديّة ، واتّبعوه ، وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها ، فكان يُخْرج ذلك جميعه ، وسمّى أربعة من أصحابه: أبا بكر ، وعُمَر ، وعثمان ، وعليّاً ، وقُتل بنَهاوند ، فكان أهلُها يقولون : ظهر عندنا ، في مدّة شهرَيْن ، اثنان ادّعى أحدهما النبوّة ، والآخر المملكة ، فلم يتمّ لواحد منهما أمره .

ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج

في هذه السنة ، في صفر ، كانت وقعة بين طغتكين أتابك ، صاحب دمشق ، وبين قُمّص كبير [1] من قمامصة الفرنج .

وسبب ذلك : أنّه تكرّرت الحروب ، والمغاورات ، بين عسكر دمشق وبَغدوين ، فتارة لهؤلاء [وتارة له] ، ففي آخر الأمر بنى [1] بَغدوين حصناً بينه وبين دمشق [2] نحو يومَيْن ، فخاف طغتكين من عاقبة ذلك ، وما يحدث به من الضرر ، فجمع عسكره وخرج إلى مقاتلتهم ، فسار بغدوين ملك القُدس ، وعكّا ، وغيرهما ، إلى هذا القُمّص ليعاضده ، ويساعده على المسلمين : فعرّفه القُمّص غناه عنه ، وأنّه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه ، فعاد بَغدوين إلى عكّا .

---

1) Om. C. P.

2) Om. B.

Marfat.com

وتقدّم طغتكين إلى الفرنج ، واقتتلوا ، واشتدّ القتال ، فانهزم أميران من عسكر دمشق ، فتبعهما طغتكين وقتلهما ، وانهزم الفرنج إلى حصنهم ، فاحتموا به ، فقال طغتكين : مَن[1] أحسن قتالهم وطلب منّي أمراً فعلته معه ، ومن أتاني بحجر[1] من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير . فبذل الرجّالة نفوسهم ، وصعدوا إلى الحصن وخرّبوه ، وحملوا حجارته إلى طغتكين ، فوفى[2] لهم بما وعدهم ، وأمر بإلقاء الحجارة في الوادي ، وأسروا مَن بالحصن ، فأمر بهم فقُتلوا كلّهم ، واستبقى الفرسان أسراء ، وكانوا مائتَيْ فارس ، ولم ينج ممّن كان في الحصن إلاّ القليل .

وعاد طغتكين إلى دمشق منصوراً ، فزُيّنَ البلد أربعة أيّام . وخرج منها إلى رَفَنِيَةَ ، وهو من حصون الشام ، وقد تغلّب عليه الفرنج ، وصاحبه ابن أُخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس ، فحصره طغتكين ، وملكه ، وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج .

ع

ذكر الحرب بين عُبادة وخفاجة

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عُبادة وخفاجة .

وسببها : أنّ رجلاً من عُبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملَيْن ، فجاء إليهم وطالبهم بهما[2] ، فلم يعطوه شيئاً ، فأخذ منهم غارة[2] أحد[3] عشرَ بعيراً ، فلحقته

---

1) Om. C. P.

2) B. عبادة .

3) B. أربعة .

---

١ ممن .

٢ فوفا .

٣ بها .

Marfat.com

خفَاجة ، وقتلوا من أصحابه رجلاً ، وقطعوا يد آخر ، وكان ذلك بالموقف من الحِلّة السيفيّة ، ففرق[1] بينهم أهلها .

فسمعت عُبادة الخبر ، فتواعدت ، وانحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها ، وساروا مع جماعة من أمرائهم ، فبلغت عدّتهم سبعمائة فارس ، وكانت خفَاجة دون هذه العدّة ، فراسلتهم خفَاجة يبذلون الدّية ويصطلحون ، فلم تجبهم إلى ذلك عُبادة ، وأشار به سيف الدولة صدقة ، فلم تقبل عُبادة ، فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكُوفة ، ومع عبادة الإبل والغنم بين البيوت ، فكمنّت لهم خفاجة ثلاثمائة فارس ، وقاتلوهم مطاردةً من غير جدّ في القتال ، فداموا كذلك ثلاثة أيّام ، ثم إنّهم اشتدّ بينهم القتال ، واختلطوا ، حتّى تركوا الرماح ، وتضاربوا بالسيوف .

فبينما هم كذلك ، وقد أعيا الفريقان من القتال ، إذ طلع كمين خفاجة ، وهم مستريحون[1] ، فانهزمت عُبادة ، وانتصرت عليهم خفَاجة ، وقُتل من وجوه عُبادة اثنا[2] عشر رجلاً ، ومن خفَاجة جماعة ، وغنمت خفَاجة الأموال من الخيل ، والإبل ، والغنم ، والعبيد ، والإماء .

وكان الأمير صدقة بن مزْيد قد أعان خفاجة سرّاً ، فلمّا وصل المنهزمون إليه هنّأهم[3] صدقة بالسلامة ، فقال له[4] بعضهم : ما زلتُ أقاتل ، وأضارب ، وأنا طامع في الظفر بهم ، حتّى رأيتُ فرسك الشقراء تحتَ أحدهم ، فعلمتُ أنّهم

---

1) C. P. ففارق .

---

١ مسترحون .

٢ اثني .

٣ فهنأهم .

٤ لهم .

Marfat.com

أجلبوا علينا بخيلك ورَجلك ، وأنّنا لا طاقة لنا بهم ، فنُصروا علينا بمعونتك ، وفلّونا بحدّك . فلم • يجبه صدقة[1] .

ذكر ملك صدقة البصرة

في هذه السنة ، في جُمادى الأولى ، انحدر سيف الدولة من الحِلّة إلى البصرة فملكها .

وقد ذكرنا فيما تقدّم تمكُّن إسماعيل بن أرسلانجق من البصرة ونواحيها ، وأقام بها عشر سنين نافذ الأمر ، وازداد قوّة وتمكّناً بالاختلاف الواقع بين السلاطين ، وأخذ الأموال السلطانيّة ؛ وكان قد راسل صدقةَ ، وأظهر له أنّه في طاعته وموافقته . فلمّا استقرّ الأمر للسلطان محمّد أراد أن يرسل إلى البصرة مُقطعاً يأخذها من إسماعيل ، فخاطب صدقة في معناه ، حتّى أقرّت البصرة عليه ، فأنفذ السلطان عميداً إليها ليتولّى ما يتعلّق بالسلطان هناك ، فمنعه إسماعيل، ولم يمكّنه[1] من عمله ، وفعل ما خرج به عن حدّ المجاملة ، فأمر السلطان صدقة بقصده ، وأخذ البصرة منه ، فتحرّك لذلك .

فاتّفق ظهور منكبرس ، وخلافه على السلطان ، وأنّه على قصد واسط ، فسُرّ إسماعيل بذلك ، وزاد انبساطه ، وأرسل صدقة حاجباً له ، وكان قبله قد خدم أباه وجدّه ، إلى إسماعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها إلى مهذب الدولة ابن أبي الجبر[2] لأنّها كانت في ضمانه ، فوصل إلى الشرطة ، وأخذ منها أربعمائة

---

1) B. يجبهم صلة إلى ذلك .

2) B. الخير .

---

١ تمكّنه .

Marfat.com

دينار ، فأحضره إسماعيل وحبسه ، وأخذ الدنانير منه ، فلمّا رأى صدقة مكاشفته سار من حِلّته ، وأظهر أنّه يريد قصد الرَّحبة ، ثم جدّ السير إلى البصرة، فلم يشعر إسماعيل إلاّ بقربه منه ، ففرّق أصحابه في القلاع التي استجدّها بمَطَارا ونَهر مَعْقِل ، وغيرهما ، واعتقل وجوه العبّاسيّين ، والعلويّين ، وقاضي البصرة ، ومدرّسها ، وأعيان أهلها .

ونازلهم صدقة ، فجرى قتال بين طائفة من عسكره ، وطائفة من البصريّين ، قُتل فيه أبو النجم بن أبي القاسم الورّاميُّ ، وهو ابن خال سيف الدولة صدقة ، فممّا مُدح به سيف الدولة ، ورُثي به أبو النجم بن أبي القاسم ، قول بعضهم :

تَهَنَّ ،ياخيرَ من يَحمي حريم حِمىً ، فتحاً أغَثْتَ به الدُّنيا معَ الدّينِ
ركبتَ للبَصْرةِ[1] الغرّاء في نُخَبٍ غُرٍّ ، كجَيشِ عليٍّ يومَ صِفّينِ
هوَى أبو النَّجم كالنَّجمِ المُنيرِ بها ، لكنّه كانَ رَجْماً للشَّياطينِ

وأقام صدقة محاصراً لإسماعيل بالبصرة ، فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها ، وأعلموه أنّهم لا يظفرون بطائل ، فأشار عليهم بالمقام ، وقالوا : إن رحلنا كانت كسرةً ؛ وكان رأي سيف الدولة المقام ، وقال : إن تعذّر عليّ فتح البصرة لم يطعني أحد ، واستعجزني الناس .

ثم إنّ إسماعيل خرج من البلد ، وقاتل صدقةَ ، فسار بعض أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد ، ودخلوه ، وقتلوا من السواديّة ، الذين جمعهم إسماعيل ، خلقاً كثيراً ، وانهزم إسماعيل إلى قلعته بالجزيرة ، فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله ، ففداه[2] أحد غلمانه بنفسه ، فوقعت الضربة فيه فأثخنته ، فنُهبت البصرة ، وغنم من معه من عرب البرّ ، وغيرهم ، ما

---

١ البصرة .
٢ ففداه .

Marfat.com

فيها ، ولم يسلم منهم إلاّ المحلّة المجاورة لقبر طلحة والمِرْبَد ، فإنّ العبّاسيّين دخلوا المدرسة النظاميّة وامتنعوا بها ، وحموا المِرْبَد ، وعمّت المصيبة لأهل البلد ، سوى من ذكرنا ، وامتنع إسماعيل بقلعته .

فاتّفق أنّ المهذّب بن أبي الجبر[1] انحدر في سفن كثيرة ، وأخذ القلعة التي لإسماعيل بمَطَارَا ، وقتل بها خلقاً من أصحاب إسماعيل ، وحمل إلى صدقة كثيراً فأطلقهم .

فلمّا علم إسماعيل بذلك أرسل إلى صدقة يطلب الأمان على نفسه ، وأهله ، وأمواله ، فأجابه إلى ذلك ، وأجّله سبعة أيّام ، فأخذ كلّ ما[1] يمكنه حمله ممّا يعزّ عليه ، وما لم يقدر على حمْله أهلكه بالماء وغيره ، ونزل إلى سيف الدولة ، وأمّن سيف الدولة أهل البصرة من كلّ أذًى ، ورتّب عندهم شِحنةً ، وعاد إلى الحلّة ثالث جمادى الآخرة ، وكان مقامه بالبصرة ستّة عشر يوماً .

وأمّا إسماعيل فإنّه لمّا سار صدقة إلى الحِلّة قصد هو الباسيان إلى أن وصله ماله في المراكب ، وسار نحوَ فارس ، وصار يتعنّت أصحابه ، وزوجته ، وقبض على جماعة من خواصّه وقال لهم : أنتم سقيتم ولدي أفراسياب السمّ حتّى مات ! وكان قد مات في صفر من هذه السنة ، ففارقه كثير منهم ، حتّى زوجته فارقته وسارت إلى بغداذ .

وأخذته الحُمّى ، وقويت عليه ، فلمّا بلغ رامَهُرْمُز انفرد في خيمته ، ولم يظهر لأصحابه يوماً وليلة ، فظهر لهم موته ، فنهبوا ماله وتفرّقوا ، فأرسل الأمير برامَهُرْمُز فردّهم وأخذ ما معهم من أمواله ، ودُفن بالقرب من

---

1) B. الخير .

---

١ كلّما .

Marfat.com

إيذَجَ ، وكان عمره قد جاوز خمسين سنة ، وكانت سيرته قد حسنت في أهل البصرة أخيراً .

ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها

في هذه السنة ، في شهر رمضان ، حصر الملك رضوان بن تُتُش نَصِيبين .

وسبب ذلك : أنّه عزم على حرب الفرنج ، واجتمع معه من الأمراء : إيلغازي بن أرتُق ، الذي كان شِحنة بغداذ ، وأصْبَهْبَذ صَباوة ، وألبي ابن أرسلان تاش ، صاحب سِنجار ، وهو صهر جكرمش ، صاحب الموصِل ، فقال إيلغازي : الرأي أنّنا نقصد بلاد جكرمش ، وما والاها ، فنملكها ، ونتكثّر بعسكرها والأموال . ووافقه ألبي ، فسار إلى نَصِيبين في عشرة آلاف فارس ، مستهلّ رمضان ، وكان قد جعل فيها أميرين من أصحابه في عسكر ، فتحصّنوا بالبلد ، وقاتلوا من وراء السور ، فرُمي ألبي بن أرسلان تاش بنشّابة ، فجُرح جرحاً شديداً ، فعاد إلى سِنجار .

وأمّا جكرمش فإنّه بلغه الخبر بنزولهم على نَصِيبين ، وهو بالحامّة[1] ، التي بالقرب من طَنْزَةَ ، يتداوى ، بمائها من[2] مرضه ، فرحل[3] إلى الموصل ، وقد أجفل إليها أهل السواد ، فخيّم على باب البلد ، عازماً على حرب رضوان ، واستعمل المخادعة ، فكاتب أعيانَ عسكر رضوان ، ورغّبهم ، حتّى أفسد نيّاتهم ، وتقدّم إلى أصحابه بنَصِيبين بخدمة الملك رضوان ، وبإخراج الإقامات إليه مع الاحتراز[4] منه ، وأرسل إلى رضوان يبذل له خدمته ، والدخول في

.....

1) B. بالجاية .
2) C. P. بحمّتها .
3) B. فدخل .
4) C. P. الاحتراس .

Marfat.com

طاعته ، ويقول له : إنّ السلطان محمّداً قد حصرني ، ولم يبلغ منّي غرضاً ، فترحّل عن صلح ، وإن قبضتَ على إيلغازي الذي قد عرفتَ أنت وغيرك فساده وشرّه فأنا معك ، ومُعينك بالرجال والأموال والسلاح .

فاتّفق هذا ، ورضوان قد تغيّرت نيّته[1] مع إيلغازي ، فازداد تغيّراً ، وعزم على قبضه ، فاستدعاه يوماً ، وقال له : هذه بلادٌ ممتنعة ، وربّما استولى الفرنج على حلب ، والمصلحة مصالحة جكرمش ، واستصحابه معنا ، فإنّه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمّل ، ونعود[2] إلى قتال الفرنج ، فإنّ ذلك ممّا يعود باجتماع شمل المسلمين . فقال له إيلغازي : إنّك جئتَ بحكمك، وأنت الآن بحكمي لا أمكّنك من المسير بدون أخذ هذه البلاد ، فإن أقمتَ ، وإلاّ بدأت بقتالك .

وكان إيلغازي قد قويتْ نفسه بكثْرة من اجتمع عنده من التركمان ، وكان الملك رضوان قد واعد قوماً من أصحابه ليقبضوا عليه ، فلمّا جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيّدوه ، فلمّا سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض ، ففارقوا[3] رضوان والتجأوا إلى سور المدينة ، وأصعد إيلغازي إلى قلعتها ، وخرج مَن بنَصِيبين من العسكر فأعانوه ، فلمّا رأى التركمان ذلك تفرّقوا ، ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها ، ورحل رضوان من وقته وسار إلى حلب .

وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصداً لحرب القوم ، فلمّا بلغ تلّ يَعْفَر أتاه المبشّرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق ، فرحل عند ذلك إلى سِنجار ، ووصلت إليه رسل رضوان[4] تستدعي منه النجدة ، ويعتذر عليه ما فعل بإيلغازي ، فأجابه مغالطة ، ولم يفِ له بما وعده ، ونازل سِنجار ليشفي غيظه من صهره ألبي بن أرسلان تاش بما اعتمده من معاداته ، ومظاهرة

---

1) C. P. تغير . 2) C. P. ويعود . 3) B. ومايلوا . 4) C. P . صنجار .

Marfat.com

أعدائه ، وكان ألبي على شدّةٍ من المرض بالسهم الذي أصابه على نَصِيبين ، فلمّا نزل جكرمش عليها أمر ألبي أصحابه أن يحملوه إليه ، فحملوه في محَفّة ، فحضر عنده ، وأخذ يعتذر ممّا كان منه ، وقال : جئتُ مذنباً ، فافعل بي ما تراه . فرقّ له وأعاده إلى بلده ، فلمّا عاد قضى[1] نحبه ، فلمّا مات عصى على جكرمش من كان بسِنجار ، وتمسّكوا بالبلد ، فقاتلهم[2] بقية رمضان ، وشوّالاً ، ولم يظفر منهم بشيء، فجاء تميرك أخو أرسلان تاش ، عمّ ألبي ، فأصلح حاله مع جكرمش ، وبذل له الخدمة ، فعاد إلى الموصل .

ذكر ملك طغتكين بُصْرى

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين [وأربعمائة] حال بكتاش[1] بن تُتُش ، وخروجه من دمشق ، واتّصاله بالفرنج ، ومعه أيتكين الحلبيُّ ، صاحب بُصْرى ، وسيْرهما إلى الرَّحْبة ، وعودهما عنها ، فلمّا ضعفت أحوالهم سار طغتكين إلى بُصرى فحصرها ، وبها أصحاب أيتكين، فراسلوا طغتكينَ ، وبذلوا له التسليم إليه، بعد أجلٍ قرّروه بينهم، فأجابهم إلى ذلك، فرحل عنهم إلى دمشق، فلمّا انقضى الأجل ، هذه السنة ، تسلّمها ، وأحسن إلى من بها ، ووفى[3] لهم بما وعدهم ، وبالغ في إكرامهم ، وكثر الثناء عليه ، والدعاء له ، ومالت النفوس إليه ، وأحبّوه.

1) C. P. بلتاش ; B. sine punctis.

---

١ قضا .

٢ فقاتله .

٣ ووفا .

Marfat.com

ذكر ملك الفرنج حصن أفاميَة

في هذه السنة ملك الفرنج حصن أفاميَة من بلد الشام .

وسبب ذلك : أنّ خلف بن ملاعب الكلابيّ كان متغلّباً على حِمص ، وكان الضرر به عظيماً ، ورجاله يقطعون الطريق ، فكثُر الحراميّة عنده ، فأخذها منه تُتُش بن ألب أرسلان وأبعده عنها ، فتقلّبت به الأحوال إلى أن دخل إلى مصر ، فلم يلتفت إليه من بها ، فأقام بها .

واتّفق أنّ المتولّي لأفامِية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر ، وكان يميل إلى مذهبهم ، يستدعي منهم من يسلّم إليه الحصن ، وهو من أمنع الحصون ، وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به ، وقال : إنّني أرغب في قتال الفرنج ، وأوثر الجهاد . فسلّموه إليه ، وأخذوا رهائنه ، فلمّا ملكه خلع طاعتهم ولم يرعَ حقّهم ، فأرسلوا إليه يتهدّدونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم. فأعاد الجواب : إنّني لا أنزل من مكاني ، وابعثوا إليّ ببعض أعضاء ولدي حتّى آكله ؛ فأيِسوا من رجوعه إلى الطاعة ، وأقام بأفامية يخيف السبيل ، ويقطع الطريق ، واجتمع عنده كثير من المفسدين ، فكثُرت أمواله .

ثم إنّ الفرنج ملكوا سَرْمِينَ ، وهي من أعمال حلب ، وأهلها[1] غُلاة في التشيّع ، فلمّا ملكها[2] الفرنج تفرّق أهلها[3] ، فتوجّه القاضي الذي بها[4] إلى ابن ملاعب وأقام عنده ، فأكرمه ، وأحبّه ، ووثق به ، فأعمل القاضي الحيلة عليه ، وكتب

---

١ وأهله .

٢ ملكه .

٣ أهله .

٤ به .

إلى أبي طاهر ، المعروف بالصائغ ، وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان ، ووجوه الباطنيّة ودُعاتهم ، ووافقهم على الفتك بابن ملاعب ، وأن يسلّم أفامية إلى الملك رضوان ، فظهر شيء من هذا ، فأتى إلى ابن ملاعب أولاده ، وكانوا قد تسلّلوا إليه من مصر ، وقالوا له : قد بلَغَنا عن هذا القاضي كذا وكذا ، والرأي أن تعاجله ، وتحتاط لنفسك ، فإن الأمر قد اشتهر وظهر . فأحضره ابن ملاعب ، فأتاه في كمّه مصحف ، لأنّه رأى أمارات الشرّ ، فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه[1] ، فقال له : أيّها الأمير ، قد علم كلّ أحدٍ أني أتيتُك خائفاً جائعاً ، فأمّنتَني ، وأغنيتَني ، وعزّزتَني ، فصرتُ ذا مالٍ وجاهٍ ، فإن كان بعض من حسدني على منزلتي منك ، وما غمرني من نعمتك سعى بي إليك ، فأسألك أن تأخذ جميع ما معي ، وأخرج كما جئتُ . وحلف له على الوفاء والنصح ، فقبل عذره وأمّنه .

وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن[2] الصائغ ، وأشار عليه أن يوافق رضوان على إنفاذ ثلاثمائة رجل من أهل سرمين ، وينفذ معهم خيلاً من خيول الفرنج ، وسلاحاً من أسلحتهم ، ورؤوساً من رؤوس الفرنج ، ويأتوا[1] إلى ابن ملاعب ويظهروا[2] أنّهم غزاة ويشكوا[3] من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم ، وأنّهم فارقوه ، فلقيهم طائفة من الفرنج ، فظفروا بهم ؛ ويحملوا[4] جميع ما معهم إليه ، فإذا أذن لهم في المقام اتّفقت آراؤهم على إعمال الحيلة عليه ، ففعل ابن[2]

---

1) Om. C. P. 2) Om. B.

---

١ ويأتون .

٢ ويظهرون .

٣ ويشكون .

٤ ويحملون .

Marfat.com

الصائغ ذلك ، ووصل القوم إلى أفامية ، وقدموا إلى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها ، فقبل ذلك منهم ، وأمرهم بالمقام عنده ، وأنزلهم في رَبَض أفامية .

فلمّا كان في بعض الليالي نام الحرّاس بالقلعة ، فقام القاضي ومَن بالحصن من أهل سَرمِين ، ودلّوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم ، وقصدوا أولاد ابن ملاعب ، وبني عمّه ، وأصحابه ، فقتلوهم ، وأتى القاضي وجماعة معه إلى ابن ملاعب ، وهو مع امرأته ، فأحسّ بهم ، فقال : مَن أنت ؟ فقال : ملك الموت جئتُ لقبض روحك ! فناشده الله ، فلم يرجع عنه ، وجرحه[1] ، وقتله ، وقتل أصحابه ، وهرب ابناه، فقُتل أحدهما ، والتحق الآخر بأبي الحسن ابن مُنقِذ ، صاحب شَيْزر ، فحفظه لعهد كان بينهما .

ولمّا سمع ابن الصائغ خبر أفامية سار إليها ، وهو لا يشكّ أنّها له ، فقال له القاضي : إن وافقتَني ، وأقمتَ معي ، فبالرحب والسَّعَة ، ونحن بحكمك ، وإلاّ فارجع من حيث جئتَ . فأيِس ابن الصائغ منه ، وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين ، غضبان على أبيه ، فولاّه طغتكين حصناً ، وضمن على نفسه حفظ الطريق ، فلم يفعل ، وقطع الطريق ، وأخذ القوافل ، فاستغاثوا إلى طغتكين منه ، فأرسل إليه مَنْ طلبه ، فهرب إلى الفرنج ، واستدعاهم إلى حصن أفامية ، وقال : ليس فيه غير قوت شهرٍ ؛ فأقاموا عليه يحاصرونه ، فجاع أهله ، وملكه الفرنج ، وقتلوا القاضي المتغلّب عليه ، وأخذوا الصائغ فقتلوه ، وكان هو الذي أظهر مذهب الباطنيّة بالشام .

• هكذا ذكر بعضهم أنّ أبا طاهر الصائغ قتله الفرنج بأفامية ، وقد قيل إنّ ابن بديع ، رئيس حلب ، قتله سنة سبع وخمسمائة ، بعد وفاة رضوان ، وقد ذكرناه هناك ، والله أعلم[2] .

---

1) B. وضربه .

2) Om. C. P.

Marfat.com

ذكر نهب العرب البصرة

قد ذكرنا استيلاء الأمير صدقة على البصرة ، وأنّه استناب بها مملوكاً كان لجدّه دُبَيْس بن مَزْيد ، اسمه التونتاش ، وجعل معه مائة وعشرين فارساً . فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضمّ إليها من العرب ، وقصدوا البصرة في جمع كثير ، فقاتلهم التونتاش ، فأسروه ، وانهزم أصحابه ، ولم يقدر مَن بها على حفظها ، فدخلوها بالسيف أواخر ذي القعدة ، وأحرقوا الأسواق ، والدور الحسان ، ونهبوا ما قدروا عليه ، وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوماً ، وتشرّد[1] أهلها[1] في السواد ، ونُهبت خزانة كتب كانت موقوفة ، وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء .

وبلغ الخبر صدقة ، فأرسل عسكراً ، فوصلوا وقد فارقها العرب . ثم إنّ السلطان محمّداً أرسل شِحنةً وعميداً إلى البصرة ، وأخذها من صدقة ، وعاد أهلها إليها وشرعوا في عمارتها .

ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج

كان صنجيل الفرنجيّ ، لعنه الله ، قد ملك مدينة جَبَلَةَ ، وأقام على طرابلس يحصرها، فحيث لم يقدر أن يملكها، بنى[2] بالقرب منها حصناً ، وبنى[2] تحته ربضاً ،

---

1) B. وفسد .

---

١ أهله .

٢ بنا .

Marfat.com

وأقام مُراصداً لها ، ومنتظراً وجود فرصةٍ فيها ، فخرج فخر الملك أبو عليّ ابن عمّار ، صاحب طرابلس ، فأحرق ربضه ، ووقف صنجيل على بعض سقوفه المتحرّقة ، ومعه جماعة من القمامصة والفرسان ، فانخسف بهم ، فمرض صنجيل من ذلك عشرة أيّام ومات ، وحُمل إلى القدس فدُفن فيه .

ثم إنّ ملك الروم أمر أصحابه باللاذقيّة ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس ، فحملوها في البحر ، فأخرج إليها فخر الملك بن عمّار أسطولاً ، فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد ، فظفر المسلمون بقطعة من الروم ، فأخذوها ، وأسروا من كان بها وعادوا .

ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت ، فعدمت الأقوات به ، وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحُرَمهم ، فجلا الفقراء ، وافتقر الأغنياء ، وظهر من ابن عمّار صبر عظيم ، وشجاعة ، ورأي سديد .

وممّا أضرّ بالمسلمين فيها أنّ صاحبها استنجد سُقمانَ بن أُرتُق ، فجمع العساكر وسار إليه ، فمات في الطريق ، على ما ذكرناه ، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه .

وأجرى ابن عمّار الجرايات على الجند والضعفى ، فلمّا قلّت الأموال عنده شرع يقسّط على الناس ما يخرجه في باب الجهاد ، فأخذ من رجلَيْن من الأغنياء مالاً مع غيرهما ، فخرج الرجلان إلى الفرنج وقالا : إنّ صاحبنا صادرنا ، فخرجنا إليكم لنكون معكم ؛ وذكرا لهم أنّه تأتيه الميرة من عَرْقَةَ والجبل ، فجعل الفرنج جمعاً على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء إلى البلد ، فأرسل ابن عمّار وبذل للفرنج مالاً كثيراً ليسلّموا الرجلَيْن إليه ، فلم يفعلوا ، فوضع عليهما من قتلهما غيلة[1] .

---

1) B. عندهم لعنهم الله .

Marfat.com

وكانت طرابلس من أعظم بلاد الإسلام وأكثرها تجمّلاً وثروةً ، فباع أهلها من الحلى ، والأواني الغريبة ، ما لا حدّ عليه ، حتّى بيع كلّ مائة درهم نقرة بدينار . وشتّان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيّام السلطان ألب أرسلان ، وقد ذكرتُ ظفره بهم سنة ثلاث وستّين وأربعمائة ، وقد كان بعض أصحابه ، وهو كمشتكين دواتي ، عميد الملك ، هرب منه خوفاً لمّا قُبض على صاحبه عميد الملك ، وسار إلى الرَّقة فملكها ، وصار معه كثير من التركمان ، فيهم : الأفشين ، وأحمد شاه ، فقتلاه ، وأرسلا أمواله إلى ألب أرسلان ، ودخل الأفشين بلاد الروم ، وقاتل الفردوس[1] ، صاحب أنطاكية ، فهزمه ، وقتل من الروم خلقاً كثيراً .

وسار ملك الروم من القُسطنطينيّة إلى مَلَطْيَةَ ، فدخل الأفشين بلاده ، ووصل إلى عَمّوريةَ ، وقتل في غزاته مائة ألف آدمي ، ولمّا عاد إلى بلاد الإسلام وتفرّق مَن معه خرج عليه عسكر الرُّها ، وهي حينئذ للروم ، ومعهم بنو نُمير من العرب ، فقاتلهم ، ومعه مائتا فارس ، فهزمهم ونهبهم ، ونهب بلاد الروم ، فأرسل ملك الروم رسولاً إلى القائم بأمر الله يسأله الصلح ، فأرسل إلى ألب أرسلان في ذلك ، فصالح الرومَ على مائة ألف دينار ، وأربعة آلاف ثوب أصنافاً[1] ، وثلاثمائة رأس بغالاً[2] . فشتّان بين الحالتَيْن .

وأقول شتّان بين حال أولئك المرْذولين الذين استعجزهم ، وبين حال الناس في زماننا هذا ، وهو سنة ستّ عشرة[2] وستّمائة مع الفرنج أيضاً والتتر ، وسترى ذلك مشروحاً ، إن شاء الله تعالى ، لتعلم الفرق ، نسأل الله تعالى أن

---

1) B. الفروردس .

2) B. خمس وعشرين .

---

١ أصناف .

٢ بغال .

ييسّر للإسلام وأهله قائماً يقوم بنصرهم ، وأن يدفع عنهم بمن أحبّ من خلقه ، وما ذلك على الله بعزيز[1] .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد إلى بغداذ إنسان من الملثّمين ، ملوك الغرب ، قاصداً إلى دار الخلافة ، فأكرم ، وكان معه إنسان يقال له الفقيه ، من الملثّمين أيضاً ، فوعظ الفقيه في جامع القصر[1] ، واجتمع له العالم العظيم ، وكان يعظ وهو متلثّم لا يظهر منه غير عينَيْه ، وكان هذا الملثّم قد حضر مع ابن الأفضل ، أمير الجيوش بمصر ، وقعتَهُ مع الفرنج ، وأبلى بلاء حسناً .

وكان سبب مجيئه إلى بغداذ : أنّ المغاربة كانوا يعتقدون في العلويّين ، أصحاب مصر ، الاعتقاد القبيح ، فكانوا ، إذا أرادوا الحجّ، يعدلون عن مصر، وكان أمير الجيوش بدر والد الأفضل أراد إصلاحهم، فلم يميلوا إليه، ولا قاربوه، فأمر بقتل مَنْ ظفر به منهم ، فلمّا ولِيَ ابنه الأفضل أحسن إليهم ، واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج ، وكان هذا من جملة مَنْ قاتل معه ، فلمّا خالط المصريّين خاف العود إلى بلاده ، فقدم بغداذ ، ثم عاد إلى دمشق ، ولم يكن للمصريّين حرب مع الفرنج إلاّ وشهدها ، فقُتل في بعضها شهيداً ، وكان شجاعاً فتّاكاً مقداماً .

وفيها ، في ربيع الآخر ، ظهر كوكب في السماء له ذؤابة ، كقوس قُزَح ،

---

1) R. التي بناه المنصور .

---

١ العزيز .

Marfat.com

آخذة من المغرب إلى وسط السماء ، وكان يُرى قريباً من الشمس قبل ظهوره ليلاً ، وبقي يظهر عدّة ليالٍ ، ثم غاب .

وفيها وصل الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمش ، صاحب بلاد الروم ، إلى الرُّها ليحصرها ، وبها الفرنج ، فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحرّان ليسلّموها إليه ، فسار إليهم وتسلّم البلد ، وفرح به الناس لأجل جهاد الفرنج ، فأقام بحرّان أيّاماً ، ومرض مرضاً شديداً ، أوجب عوده إلى مَلَطْيَةَ ، فعاد مريضاً ، وبقي أصحابه بحرّان .

وفي هذه السنة توفّي الشيخ أبومنصور الخيّاط المقري، إمام مسجد ابن جردة، وكان خيّراً صالحاً .

وفيها قُتل القاضي أبو العلاء صاعد بن أبي محمّد النَّيسابوريّ الحنفيُّ بجامع أصبهان ، قتله باطنيّ .

وفيها توفّي أبو الفوارس الحسين بن عليّ بن الحسين بن الخازن[1] ، صاحب الخطّ الجيّد ، وعمره سبعون[1] سنة ؛ قيل إنّه كتب خمسمائة ختمة .

وفيها ، في المحرّم ، توفّي القاضي أبو الفرج عبيد الله بن الحسن ، قاضي البصرة ، وله ثلاث وثمانون سنة ، وكان من الفقهاء الشافعيّة المشهورين ، تفقّه على الماورديّ ، وأبي إسحاق ، وأخذ النحو عن الرَّقّيّ، والدسّتان ، وابن بُرهان، وكان عفيفاً ، مُقدَّماً عند الخلفاء والسلاطين .

وفيها ، في المحرّم ، توفّي سهل بن أحمد بن عليّ الأرغيانيُّ ، أبو الفتح الحاكم ، تفقّه على الجُوَينيّ ، وبرز ، ثم ترك المناظرة ، وبنى رباطاً ، واشتغل

---

1) B. الحارث .

---

١ سبعين .

Marfat.com

بالعبادة وقراءة القرآن .

وفيها ، في صفر ، توفّي الأمير مهارش بن مجلّي[1] وله نحو ثمانين سنة ، وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحَدِيثَة ، وكان كثير الصلاة والصوم ، يحبّ الخير وأهله ؛ . ولمّا توفّي ملكَ الحَدِيثَةَ بعده ابنه سليمان[2] .

1) Add. B. بن عكب .

2) Om. B.

٥٠٠

ثم دخلت سنة خمسمائة

ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي أمير المسلمين يوسف بن تاشِفين ، ملك الغرب والأندلس ، وكان حسن السيرة ، خيّراً ، عادلاً ، يميل إلى أهل الدين والعلم ، ويكرمهم ، ويصدر عن رأيهم ، ولمّا ملك الأندلس ، على ما ذكرناه ، جمع الفقهاء وأحسن إليهم ، فقالوا له : ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافّة ؛ فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله ، أمير المؤمنين ، رسولاً ومعه هدية كثيرة ، وكتب معه كتاباً يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج ، وما اعتمده من نصرة الإسلام ، ويطلب تقليداً بولاية البلاد ، فكُتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ، ولُقّب أمير المسلمين ، وسُيّرت إليه الخِلع ، فسُرّ بذلك سروراً كثيراً ، وهو الذي بنى[1] مدينة مَرّاكُشَ للمرابطين ، وبقي على ملكه إلى سنة خمسمائة ، فتوفّي وملك بعده البلاد ولده عليُّ بن يوسف ، وتلقّب أيضاً أمير المسلمين ، فازداد في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم ، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ، ولانَ قلبه لها ، وظهر ذلك عليه .

وكان يوسف بن تاشفين حليماً ، كريماً ، ديّناً ، خيّراً ، يحبّ أهل العلم والدين ، ويحكّمهم في بلاده ؛ وكان يحبّ العفو والصفح عن الذنوب العظام ، فمن ذلك أنّ ثلاثة نفر اجتمعوا ، فتمنّى أحدهم ألف دينار يتّجر بها ، وتمنّى

---

١ بنا .

Marfat.com

الآخر عملاً يعمل[1] فيه لأمير المسلمين ، وتمنّى الآخر زوجته النفزاويّة[1] ، وكانت من أحسن النساء ، ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم ، وأعطى متمنّي المال ألف دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للذي تمنّى زوجته : يا جاهل ! ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ؟ ثم أرسله إليها ، فتركته في خيمة ثلاثة أيّام تحمل إليه كلّ يوم طعاماً واحداً ، ثم أحضرته وقالت له : ما أكلتَ هذه الأيّام ؟ قال : طعاماً واحداً ؛ فقالت : كلّ النساء شيء واحد . وأمرتْ له بمال وكسوة وأطلقتْه .

ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك

في هذه السنة قُتل فخر الملك أبو المظفّر عليُّ بن نظام الملك ، يوم عاشوراء ، وكان أكبر أولاده ، وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركيارُق ، فلمّا فارق وزارته قصد نَيسابور ، وأقام عند الملك سَنجَر بن ملكشاه ، ووزر له ، وأصبح يوم عاشوراء صائماً ، وقال لأصحابه : رأيتُ الليلة في المنام الحسين بن عليّ ، عليه السلام ، وهو يقول : عجّل إلينا ، وليكن إفطارك عندنا ؛ وقد اشتغل فكري به ، ولا محيد عن قضاء الله وقدره ! وقالوا له : يحميك[2] الله ، والصواب أن لا تخرج اليوم والليلة من دارك ؛ فأقام يومه يصلّي ، ويقرأ القرآن ، وتصدّق بشيء كثير .

1) C. P. المراوته ; B. sine punctis.

2) Om. C. P.

---

١ يعمله .

٢ يحميك .

فلمّا كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء ، فسمع صياح متظلّم ، شديد الحرقة ، وهو يقول : ذهب المسلمون ، فلم يبق من يكشف مظلمة ، ولا يأخذ يد ملهوفٍ ! فأحضره عنده ، رحمةً له ، فحضر فقال : ما حالك ؟ فدفع إليه رقعة ، فبينما فخر الملك يتأمّلها إذ ضربه بسكّين فقضى عليه ، فمات ، فحُمل الباطنيُّ إلى سَنجَر ، فقرّره ، فأقرّ على جماعة من أصحاب السلطان كذباً ، وقال : إنّهم وضعوني على قتله ؛ وأراد أن يقتل بيده وسعايته ، فقتل مَن ذكر ، وكان مكذوباً عليهم ، ثم قُتل الباطنيُّ بعدهم ، وكان عمر فخر الملك ستّاً[1] وستّين سنة .

ذكر ملك صدقة بن مَزْيد تكريت

في هذه السنة ، في صفر ، تسلّم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مَزْيد قلعة تكْريت ، وقد ذكرنا فيما تقدّم أنّها كانت لبني مقن العُقَيْليّين ، وكانت إلى آخر سنة سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن ، فمات ، ووليها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حمّاد ، ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ ، وتوفّي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، ووليها ولده أبو غشّام .

فلمّا كان سنة أربع وأربعين [وأربعمائة] وثب عليه عيسى فحبسه ، وملك القلعة والأموال ، فلمّا اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين [وأربعمائة] صالحه على بعض المال فرحل عنه .

---

١ ست .

وخافت زوجته أميرة ، بعد موته ، أن يعود أبو غشّام ، فيملك القلعة[1] ، فقتلته ، وكان قد بقي في الحبس أربع سنين ، واستنابت في القلعة أبا الغنائم بن المحلبان ، فسلّمها إلى أصحاب السلطان طغرلبك ، فسارت إلى الموصل ، فقتلها ابن أبي غشّام بأبيه ، وأخذ شرف الدولة مسلّم بن قريش مالها ، وردّ طغرلبك أمر القلعة إلى إنسان يُعرف بأبي العبّاس الرازيّ ، فمات بها بعد ستّة أشهر ، فملكها المهرباط ، وهو أبو جعفر محمّد بن أحمد بن خشنام من بلد الثغر ، فأقام بها إحدى وعشرين سنة ومات ، ووليها ابنه سنتَيْن ، وأخذتها منه تركان خاتون ، ووليها لها كوهراثين .

ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقَر ، صاحب حلب ، فلمّا قُتل صارت للأمير كمشتكين الجاندار ، فجعل فيها رجلاً يُعرف بأبي المصارع ، ثم عادت إلى كوهراثين إقطاعاً ، ثم أخذها منه مجد الملك البلاسانيُّ ، فولّى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلميّ ، فأقام بها اثنتي عشرة سنة ، فظلم أهلها ، وأساء السيرة ، فلمّا اجتاز به سُقمان بن أرتُق سنة ستّ وتسعين [وأربعمائة] ونهبها ، كان كيقباذ ينهبها ليلاً ، وسُقمان ينهبها نهاراً .

فلمّا استقرّ السلطان محمّد بعد موت أخيه بركيارق أقطعها للأمير آقسنقَر البرسقيّ ، شِحنة بغداذ ، فسار إليها وحصرها مدّة تزيد على سبعة أشهر ، حتّى ضاق على كيقباذ الأمر ، فراسل صدقةَ بن مَزْيَد ليسلّمها إليه ، فسار إليها في صفر هذه السنة وتسلّمها منه ، وانحدر البرسقيُّ ولم يملكها .

ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيّام ، وكان عمره ستّين سنة ، واستناب صدقة بها ورّامَ بن أبي فِراس بن ورّام ؛ وكان كيقباذ يُنسب إلى الباطنيّة ، وكان موته من سعادة صدقة ، فإنّه لو أقام عنده لعرّض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه[2] .

---

1) Om. B.

2) Om. C. P.

Marfat.com

ذكر الحرب بين عُبادة وخَفاجة

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، كانت حرب بين عُبادة وخَفاجة ، فظفرت عُبادة ، وأخذت بثأرها من خَفاجة .

وكان سبب ذلك أنّ سيف الدولة صدقة أرسل ولدَهُ بدران في جيش إلى طرف[1] بلاده ممّا يلي البطيحة ليحميها من خفاجة لأنّهم يؤذون أهل تلك النواحي ، فقربوا منه ، وتهدّدوا أهل البلاد ، فكتب إلى أبيه يشكو منهم ، ويعرّفه حالهم ، فأحضر عُبادة ، وكانت خَفاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه ، فلمّا حضروا عنده قال لهم ليتجهّزوا مع عسكره . ليأخذوا بثأرهم من خَفاجة ، فساروا في مقدّم عسكره[2] ، فأدركوا حلّة من خَفاجة من بني كليب ليلاً ، وهم غارّون ، لم يشعروا بهم ، فقالوا : مَنْ أنتم ؟ فقالت . عُبادة : نحن[3] أصحاب لديون ، فعلموا أنّهم عُبادة ، فقاتلوهم ، وصبرت خَفاجة ، فبينما هم في القتال إذ سُمع طبل الجيش ، فانهزموا ، وقتلت منهم عُبادة جماعة ، وكان فيهم عشرة من وجوههم ، وتركوا حُرَمهم[1] ، فأمر صدقة بحراستهنّ وحمايتهنّ ، وأمر العسكر أن يؤثروا عُبادة بما غنموه من أموال خَفاجة ، خلفاً لهم عمّا أُخذ منهم في العام الماضي .

وأصاب خَفاجة من مفارقة بلادها ، ونهْب أموالها ، وقتْل رجالها ، أمر عظيم ، وانترحت إلى نواحي البصرة ، وأقامت عُبادة في بلاد خَفاجة .

ولمّا انهزمت خَفاجة وتفرّقت ونُهبت أموالها ، جاءت امرأة منهم إلى الأمير

1) B. أطراف . 2) Om. B. 3) Om. C. P.

---

١ حرمتهم .

Marfat.com

صدقة ، فقالت له : إنّك سيتَنا ، وسلبتنا قوّتنا، وغرّبتنا[1]، وأضعتَ حُرمتنا، قابلك الله في نفسك ، وجعل صورة أهلك كصورتنا . فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك ، وأعطاها أربعين جملاً ، ولم يمض غير قليل حتّى قابل الله صدقةَ في نفسه وأولاده ، فإنّ دُعاء الملهوف عند الله بمكان .

ذكر مسير جاولي سقاوو إلى الموصل وأمر صاحبها جكرمش

في هذه السنة ، في المحرّم ، أقطع السلطان محمّد جاولي سقاوو الموصل ، والأعمال التي بيد جكرمش ، وكان جاولي قبل هذا قد استولى على البلاد التي بين خُوزستان وفارس ، وأقام بها سنين ، وعمر قلاعها وحصّنها ، وأساء السيرة في أهلها ، وقطع أيديَهم وجدع أنوفَهم وسمل أعينَهم .

فلمّا تمكّن السلطان محمّد من السلطنة خافه جاولي ، وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن التونتكين ، فتحصّن منه جاولي ، وحصره مودود ثمانية أشهر ، فأرسل جاولي إلى السلطان : إنّني لا أنزل إلى مودود ، فإن أرسلتَ غيره نزلتُ . فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر ، فنزل جاولي ، وحضر الخادمة بأصبهان ، فرأى من السلطان ما يحبّ ، وأمره السلطان بالمسير إلى الفرنج ليأخذ البلاد منهم ، وأقطعه الموصل وديار بكر[2] والجزيرة كلّها[3] .

وكان جكرمش لمّا عاد من عند السلطان إلى بلاده ، كما ذكرناه ، وعلم من نفسه الخدمة ، وحمل المال ، فلمّا استقرّ ببلاده لم يَفِ بما قال ، وتثاقل في الخدمة وحمل المال ، فأصلح بلاده لجاولي ، فجاءه[4] إلى بتناذ ، وأقام بها إلى

---

1) C. P. غيّبنا . 2) Om. C. P. 3) Om. R. 4) R. فسار .

Marfat.com

أوّل ربيع الأوّل ، وسار إلى الموصل ، وجعل طريقه على البوازيج ، فملكها وبقيها أربعة أيّام ، بعد أن أمّن أهلها ، وحلف لهم أنّه يحميهم ، فلمّا ملكها سار إلى[1] اربل .

وأمّا جكرمش فإنّه لمّا بلغه مسيره إلى بلاده كتب ، في جمع العساكر ، فأتاه[2] كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكرديّ الهذبانيّ ، صاحب إربل ، يذكر استيلاء جاولي على البوازيج ، ويقول له : إن لم تعجّل المجيء لنجتمع عليه ونمنعه ، وإلاّ اضطررتُ إلى موافقته والمصير معه . فبادر جكرمش وعبر إلى شرقيّ دجلة ، وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره ، وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده ، فاجتمعوا بقرية باكلّبا[3] من أعمال إربل .

ولقيهم جاولي وهو في ألف فارس ، وكان جكرمش في ألفَيْ فارس ، ولا يشكّ أنّه يأخذ جاولي باليد ، فلمّا اصطفّوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه، وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به ، . فهو لا يقدر [أن] يركب[4] ، وإنّما يُحمل في محفّة ، فلمّا انهزم أصحابه[5] قاتل عنه ركابيّ أسود قتالاً عظيماً ، فقُتل ، وقاتل معه واحد من أولاد الملك قلورت بك بن داود ، اسمه أحمد ، فقاتل بين يدَيْه ، فطُعن فجُرح وانهزم ، فمات بالموصل ، ولم يقدر أصحاب جاولي على . الوصول إلى[6] جكرمش ، حتّى قُتل الركابيُّ الأسود فحينئذ أخذوه أسيراً وأحضروه عند جاولي ، فأمر بحفظه وحراسته .

وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت إلى الموصل بعد مسيره بيومَيْن ، فساروا جرائد ليدركوا الحرب ، فلقيهم المنهزمون ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

---

1) B. نحو .
2) Loc. in C. P.
3) B. [illegible]
4) Om. B.
5) C. P. صاحبه .
6) Om. C. P.

Marfat.com

ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش

لمّا انهزم العسكر ، وأُسر جكرمش ، وصل الخبر إلى الموصل ، فأقعدوا في الأمر زنكي بن جكرمش ، وهو صبيّ عمره إحدى عشرة سنة ، وخطبوا له ، وأحضروا أعيان البلد ، والتمسوا منهم المساعدة ، فأجابوا إلى ذلك .

وكان مستحفظ القلعة مملوكاً لجكرمش اسمه غزغلي[1] ، فقام في ذلك المقام المَرضي ، وفرّق الأموال التي جمعها جكرمش ، والخيول ، وغير ذلك على الجند ، وكاتب سيفَ الدولة صدقة ، وقلج أرسلان ، والبرسقيّ ، شِحنة بغداذ ، بالمبادرة إليهم ، ومنْع جاولي عنهم ، ووعدوا كلاً منهم أن يسلّموا البلد إليه . فأمّا صدقة فلم يجبهم إلى ذلك ، ورأى طاعة السلطان ، وأمّا البرسقيّ وقلج أرسلان فنذكر حالهما .

ثم إنّ جاولي حصر الموصل ، ومعه كرماوي[2] بن خراسان التركمانيّ ، وغيره من الأمراء ، وكثر جمعه ، وأمر أن يُحمل جكرمش كلّ يوم على بَغل وينادى[1] أصحابه بالموصل ليسلّموا البلد ويخلّصوا صاحبهم ممّا هو فيه ، ويأمرهم هو بذلك ، فلا يسمعون منه ؛ وكان يسجنه في جُبّ ، ويوكل به من يحفظه لئلاّ يُسرق ، فأُخرج في بعض الأيّام ميتاً ، وعمره نحو ستّين سنة ، وكان شأنه قد علا ، ومنزلته قد عظمت ، وكان قد شيّد سور الموصل وقوّاه ، وبنى عليها فصيلاً ، وحفر خندقها ، وحصّنها غايةَ ما يقدر عليه .

وكان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب • بن

---

1) B. قزعلي .

2) B. طرماوي .

---

١ وينادون .

كسيرات[1] ، وبنو كسيرات إلى الآن بالموصل من أعيان أهلها ، وكان أبو طالب قد تقدّم عند جكرمش ، وارتفعت منزلته ، واستولى على أموره ، وحضر معه الحرب ، فلمّا أسر جكرمش هرب أبو طالب إلى إربل ، وكان أولاد أبي الهيجاء ، صاحب إربل ، قد حضروا الحرب مع جكرمش ، وأسرهم جاولي ، فأرسل إلى أبي الهيجاء يطلب ابن كسيرات ، فأطلقه وسيّره إليه ، فأطلق جاولي ابنَ أبي الهيجاء ، فلمّا حضر ابن كسيرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش ، وتحصيل الأموال ، فاعتقله اعتقالاً جميلاً .

وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان[2] عدوّاً لأبي طالب ، فأرسل إلى جاولي يقول له : إن قتلتَ أبا طالب سلّمتُ الموصل إليك . فقتله وأرسل رأسه إليه ، فأظهر الشماتة به ، وأخذ كثيراً من أمواله وودائعه ، فثار به الأتراك غضباً لأبي طالب ولتفرّده بما أخذ من أمواله ، فقتلوه ؛ وكان بينهما شهر واحد ، وقد رأينا كثيراً ، وسمعنا ما لا نحصيه [من] قُرب وفاة أحد المتعادين بعد صاحبه .

ذكر الحرب بين ملك القُسطنطينيّة والفرنج

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم ، صاحب القُسطنطينيّة ، وبين بيمُند الفرنجيّ ، فسار بيمند إلى بلد ملك الروم ونهبه ، وعزم على قصده ، فأرسل ملك الروم إلى الملك قلج أرسلان بن سليمان ، صاحب قُونيَة وأقصرا وغيرهما من تلك البلاد ، يستنجده ، فأمدّه بجمع من عسكره ، فقوي بهم ، وتوجّه إلى بيمُند ، فالتقوا وتصافّوا واقتتلوا ، وصبر الفرنج بشجاعتهم ، وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ، ودامت الحرب ، ثم أجلت الوقعة عن هزيمة

---

1) Om. C. P. 2) B. ودعات .

Marfat.com

الفرنجة ،، وأتى القتل على أكثرهم ،، وأسر كثير منهم ، واستولوا على
البلاد بالسيف ،، وعاد عسكر قلج أرسلان إلى بلادهم عازمين على المسير
إلى صاحبهم بالشام ،، فأتاهم خبر قتله ،، على ما نذكره إن شاء الله تعالى ،
فتركوا الملوك وأقاموا ..

ذكر ملك قلج أرسلان الموصل

قد ذكرنا أن الصليب جكرمش كتبوا إلى الأمير صدقة ، وتسليم الدولة
البرسقي ، وملك قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي ، صاحب بلاد الروم ،
يبتاعون كلأ منهم إليهم ليسلموا البلد إليه .. فأما صدقة فامتنع ، ورأى
طاعة السلطان ؛ ؛ وأما قلج أرسلان فإنه سار في عساكره فلما سمع جاولي
سقاوو بوصوله إلى نصيبين رحل عن الموصل ؛ ؛ وأما البرسقي فإنه كان
مشغولا بغداذ ،، فسار منها إلى الموصل ،، فوصلها بعد رحيل جاولي عنها ، فنزل
بالجانب الشرقي فلم يلتفت أحد إليه ،، ولا أرسلوا إليه كلمة ولا رسالة ، فقعد في
البلد[22] يومه ..

ثم إن قلج أرسلان نكث وصار إلى نصيبين أقام بها حتى كثر جمعه ،
فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل إلى سنجار ، وأودع رحله بها ،
واتصل به الأمير البلكباشي بن أرتق وجماعة من عسكر جكرمش ، فسار معه
أربعة آلاف فارس .. فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام ، ويقول له :
إن الفرنج قد عجز منهن بالشام عن مقاومتهم ؛ ؛ فسار إلى الرحبة ..

وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش إلى قلج أرسلان ، وهو بنصيبين ،

---

21) B. الثلاثة ..

22) Chron. C. E.

Marfat.com

فاستحلفوه لهم ، فحلف ، والمستحلفهم على الطلاقة لله والمناصحة ، وسلوا معهم الى الوصول ، فسلكها في الملامس والعشرين من رجب ، ونزل بالمعرقة[11] ، وخرج اليه ولد جكرمش وأصحابه ، فقطع عليهم ، وجلس على التخت ، واستقبل السلطان محمدا ، وخلب للقصه بعد المخيفة ، وأحسن إلى العسكر[22] ، وأتحف القلعة من غرغلي[33] ، مسلوك جكرمش ، وجعل له فيها دون الوزارة ، ورفع الرسوم المحدثة في الظلم ، وعدل في اللمس وتلطفهم ، وقال : من سعى إلي بمحدثة قطعته ؛ فلم يسع أحد بمحدث ، وأقر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم ابن الشهرزوري على القضاء بالموصل ، وجعل الزمانية لأبي البركات محمد بن محمد بن خسرو ، وهو والد شيخنا أبي الربيع سليمان ..

وكان في جملة فلج الرسلان الأمير إبراهيم بن ينال التركماني ، صاحب آمد ، ومحمد بن جبق التركماني ، صاحب حصن زياد ، وهو خرتبرت ..

فلما إبراهيم بن ينال ففكان سبب ملكه لمدينة آمد أن تاج الدولة تتش ، حين ملك ديار بكر ، سلمها إليه ، فبقيت بيده ؛ وأما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد ، أن هذا الحصن[44] كان بيد القلاذروس[55] الرومي ، تزوجه ملك الروم ، وكانت الرها وأنطاكية من أعماله ، فلما ملك سليمان ابن قتلمش ، ، والد فلج الرسلان هذا[66] ، أنطاكية ، وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ، ضعف القلاذروس عن المقاومة لما يحتاج إليه حصن زياد من الميرة والإقامة ، فأخذه جبق ، وأسلم القلاذروس على يد السلطان ملكشاه ، وأقره على الرها ، فلم يزل عليها حتى ملك ، وأخذها الأمير بوزان[77] بعده ..

---

11) Pinnacladdbinasaddidi. 22) Gen. BB. 33) BB. قورعلي .. 44) Gen. BB.

55) Gddd.sinepnochisubiqus. 66) Gen. CC. PP. 77) BB. تزان ..

---

11 الله ..

Marfat.com

وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد إنسان من الروم اسمه افرنجي[1] ، وكان يقطع الطريق ، ويُكثر قتل المسلمين ، فأرسل إليه جبق هدية ، وخطب إليه مودّته ، وأن يعين كلّ واحد منهما صاحبه ، فأجابه إلى ذلك ، فكان جبق يعين افرنجي على قطع الطريق وغيره ، وكذلك افرنجي يعين جبق ، فلمّا وثق كل واحد بصاحبه أرسل إليه جبق : إني أريد قصد بعض الأماكن ؛ وطلب أن يرسل إليه أصحابه ، ٥ فأرسلهم إليه ، فلمّا[2] ساروا معه في الطريق تقدّم بكتفهم ، وحملهم إلى قلعة افرنجي ، وقال لأهليهم[3] : والله لئن لم تسلّموا إليّ افرنجي لأضربنّ أعناقهم ، ولآخذنّ الحصن عنوةً ، ولأقتلنّكم على دم واحدٍ . ففتحوا له الحصن ، وسلّموا إليه افرنجي ، فسلخه ، وأخذ أمواله وسلاحه ، وكان عظيماً ، ومات جبق ، فولي بعده ابنه محمّد .

ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولي الموصل

قد ذكرنا أنّ قلج أرسلان لمّا وصل إلى نَصِيبين سار جاولي عن المَوصِل إلى سِنجار ، ثم إلى الرَّحبة ، فوصلها في رجب ، وحصرها إلى الرابع والعشرين من شهر رمضان ، وكان صاحبها حينئذ يُعرف بمحمّد بن السبّاق ، وهو من بني شيبان ، رتّبه بها الملك دُقاق لمّا فتحها ، وأخذ ولده رهينةً ، وحمله معه إلى دمشق ، فلمّا توفّي أرسل هذا الشيبانيُّ قوماً سرقوا ولده وحملوه إليه ، فلمّا وصل إليه خلع الطاعة للدمشقيّين ، وخطب في بعض الأوقات لقلج أرسلان . فلمّا وصل إليها جاولي وحصرها ، أرسل إلى الملك رضوان يعرّفه أنّه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ، ويشرط[4] عليه أنّه إذا

1) B. فرنجي . 2) Lac. in C. P. 3) B. لأعيانهم . 4) B. وشرط .

Marfat.com

تسلّم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده ، فلمّا استقرّت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان ، فاشتدّ الحصار على أهل البلد ، وضاقت عليهم الأمور .

واتّفق جماعة كانوا بأحد الأبراج ، وأرسلوا إلى جاولي ، واستحلفوه على حفظهم وحراستهم ، وأمروه أن يقصد البرج الذي هم فيه عند انتصاف الليل ، ففعل ذلك ، فرفع مَنْ في البرج أصحابه إليهم في الحبال ، فضربوا بوقاتهم وطبولهم ، فخذل مَن في البلد ، ودخله أصحاب جاولي في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ، ونهبوه إلى الظهر ، ثم أمر برفع النهب ، ونزل إليه محمّد الشيبانيُّ صاحب البلد ، وأطاعه ، وصار معه .

ثم إنّ قلج أرسلان لمّا فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جاولي سقاوو ليحاربه ، وجعل ابنه ملكشاه في دار الإمارة ، وعمره إحدى عشرة سنة ، ومعه أمير يدبّره ، وجماعة من العسكر ، وكانت عدّة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدّة الكاملة والخيل الجيّدة .

وسمع العسكر بقوّة جاولي ، فاختلفوا ، وكان أوّل مَن خالف عليه إبراهيم ابن ينّال ، صاحب آمد ، فإنّه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور إلى بلده ، وكذلك غيره ، وعمل قلج أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوّة جاولي وكثرة جموعه ، وأرسل إلى بلاده يطلب عساكره لأنّها كانت عند ملك الروم . نجدةً له على قتال الفرنج ، كما ذكرناه ، فلمّا وصل إلى الخابور بلغت عدّته خمسة آلاف[1] .

وكان مع جاولي أربعة آلاف ، من جملتهم الملك رضوان ، وجماعة من عسكره ، إلاّ أنّ شجعانه أكثر ، واغتنم جاولي قلّة عسكر قلج أرسلان ، فقاتله قبل وصول عساكره إليه ، فالتقوا في العشرين من ذي القعدة ، فحمل قلج أرسلان

---

1) Om. B.

Marfat.com

على القوم بنفسه ، حتّى خالطهم ، فضرب يد صاحب العَلَم فأبانها ، ووصل إلى جاولي بنفسه ، فضربه بالسيف ، فقطع الكراغند ولم يصل إلى بدنه ، وحمل أصحاب جاولي على أصحابه فهزموهم ، واستباحوا ثَقَلهم وسوادهم ، فلمّا رأى قلج أرسلان انهزام عسكره علم أنّه إن أُسر فعل به فعْل مَنْ لم يترك للصلح موضعاً ، لا سيّما وقد نازع السلطان في بلاده ، واسم السلطنة ، فألقى نفسه في الخابور ، وحمى نفسه • من أصحاب جاولي[1] بالنشّاب ، فانحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق ، وظهر بعد أيّام فدُفن بالشَمْسَانيّة[2] وهي من قُرى الخابور .

وسار جاولي إلى الموصل ، ولمّا وصل إليها فتح أهلها له بابها ، ولم يتمكّن من بها من أصحاب قلج أرسلان مِنْ مَنْعهم ، ونزل بظاهر البلد ، وأخذ كلّ واحد من أصحاب جكرمش الذين • حضروا الوقعة[3] مع قلج أرسلان • إلى جهة[4] . فلمّا ملك جاولي الموصل أعاد خطبة السلطان محمّد، وصادر جماعة مَن بها من أصحاب جكرمش ، وسار إلى جزيرة ابن عُمَر ، وبها حبشي بن جكرمش ، ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه غُزغلي[5] ، فحصره مدّة ، ثم إنّهم صالحوه ، وحملوا إليه ستّة آلاف دينار ، وغيرها من الدوابّ والثياب ، ورحل عنهم إلى الموصل ، وأرسل ملكشاه بن قلج أرسلان إلى السلطان محمّد .

ذكر أحوال الباطنيّة بأصبهان وقتل ابن عطّاش[6]

في هذه السنة ملك السلطان محمّد القلعة التي كان الباطنيّة ملكوها بالقرب من أصبهان ، واسمها شاه دَز ، وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطّاش ،

---

1) Om. R.
2) Codd. بالسمانية .
3) R. حصروا القلعة .
4) R. أخيه يأمن فيها .
5) R. فرعل .
6) R. ubique عطاس .

وولده ، وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه ، واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطّاش .

وسبب ذلك أنّه اتّصل بدزدار كان لها ، فلمّا مات استولى أحمد عليها ، وكان الباطنيّة بأصبهان قد ألبسوه تاجاً ، وجمعوا له أموالاً ، وإنّما فعلوا ذلك به لتقدّم أبيه عبد الملك في مذهبهم ، فإنّه كان أديباً بليغاً ، حسن الخطّ ، سريع البديهة ، عفيفاً ، وابتلي بحبّ هذا المذهب ، وكان ابنه أحمد هذا جاهلاً لا يعرف شيئاً ، وقيل لابن الصبّاح ، صاحب قلعة ألَمُوتَ : لماذا تعظّم ابنَ عطّاش مع جهله ؟ قال : لمكان أبيه ، لأنّه كان أستاذي .

وصار لابن عطّاش عدد كثير ، • وبأس شديد[1] ، واستفحل أمره بالقلعة ، فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق ، وأخذ الأموال ، وقتل من قدروا • على قتله[2] ، فقتلوا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصاؤهم ، وجعلوا له على القُرى السلطانيّة وأملاك الناس ضرائب يأخذونها[3] ليكفّوا عنها الأذى ، فتعذّر بذلك انتفاع السلطان بقُراه ، والناس بأملاكهم ، وتمشّى لهم الأمر بالخلف الواقع بين السلطانَيْن بركيارُق ومحمّد .

فلمّا صفت السلطنة لمحمّد ، ولم يبق له منازع ، لم يكن عنده أمرٌ أهمّ من قصد الباطنيّة وحربهم ، والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم ، فرأى البداية بقلعة أصبهان التي بأيديهم ، لأنّ الأذى بها أكثر ، وهي متسلّطة على سرير ملكه ، فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان .

وكان قد عزم على الخروج أوّل رجب ، فساء ذلك مَن يتعصّب لهم من العسكر ، فأرجفوا أنّ قلج أرسلان بن سليمان قد ورد بغداذ وملكها ، واقتطعوا في ذلك مكاتبات ، ثم أظهروا أنّ خللاً قد تجدّد بخُراسان ، فتوقّف[4]

---

1) Om. C. P. 2) B. عليه . 3) B. أخذوه منهم .
4) B. فتركه .

Marfat.com

السلطان لتحقيق الأمر ، فلمّا ظهر بطلانه عزم عزيمة مثلِه ، وقصد حربهم ، وصعد جبلاً[1] يقابل القلعة من غربيّها ، ونصب له التخت في أعلاه ، واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الأمم العظيمة للنحول التي يطالبونهم بها ، وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ ، ورتّب الأمراء لقتالهم ، فكان يقاتلهم كلّ يوم أمير ، فضاق الأمر بهم ، واشتدّ الحصار عليهم ، وتعذّرت عندهم الأقوات .

فلمّا اشتدّ الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمّة الدين[2] في قوم يؤمنون بالله وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر ، وإنّ ما جاء به محمّد ، صلّى الله عليه وسلّم ، حقّ وصدق ، وإنّما يخالفون في الإمام : هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم ، وأن يقبل طاعتهم ، ويحرسهم من كلّ أذىً ؟ فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك ، وتوقّف بعضهم ، فجُمعوا للمناظرة ، ومعهم أبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن السمنجانيّ ، وهو من شيوخ الشافعيّة ، فقال ، بمحضر من الناس ، يجب قتالهم ؛ ولا يجوز[1] إقرارهم بمكانهم ، ولا ينفعهم التلفّظ بالشهادتَيْن ، فإنّهم يقال لهم : أخبرونا عن إمامكم ، إذا أباح لكم ما حظره الشرع ، أو حظر عليكم ما أباحه الشرع أتقبلون أمره ؟ فإنّهم يقولون نعم ؛ وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع . وطالت المناظرة في ذلك .

ثم إنّ الباطنيّة سألوا السلطان أن يُرسل إليهم من يناظرهم ، وعيّنوا على أشخاص من العلماء منهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى ، شيخ الحنفيّة بأصبهان ، وقاضيها ، وغيره ، فصعدوا إليهم وناظروهم ، وعادوا كما صعدوا ،

1) B. يجب .

---

١ جبل .

٢ الذين .

Marfat.com

وإنّما كان قصدهم التعلّل والمطاولة ، فلجّ حينئذ السلطان في حصرهم ، فلمّا رأوا عين المحاقّة[1] أذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يُعطوا عوضاً عنها قلعة خالنجان ، وهي على سبعة فراسخ من أصبهان ، وقالوا : إنّا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامّة ، فلا بدّ من مكان نحتمي به منهم ؛ فأُشير على السلطان بإجابتهم • إلى ما طلبوا[1] ، فسألوا أن يؤخّرهم إلى[2] النوروز ليرحلوا إلى خالنجان ويسلّموا قلعتهم ، وشرطوا أن لا يسمع قول متنصّح[3] فيهم ، وإن قال أحدٌ عنهم شيئاً سلّمه إليهم ، وأنّ ما أتاه منهم ردّه إليهم ، فأجابهم إليه ، وطلبوا أن يحمل إليهم من الإقامة ما يكفيهم يوماً بيوم ، فأُجيبوا إليه في كلّ هذا ، رقصْدهم المطاولة انتظاراً لفتق أو حادث يتجدّد .

ورتّب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يُحمل إليهم كلّ يوم من الطعام والفاكهة، وجميع ما يحتاجون إليه ، فجعلوا هم يرسلون ، ويبتاعون من الأطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم ، ثم إنّهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميراً كان يبالغ في قتالهم ، فوثبوا عليه وجرحوه ، وسلم منهم ، فحينئذ أمر السلطان بإخراب[4] قلعة خالنجان ، وجدّد الحصار عليهم ، فطلبوا أن ينزل بعضهم ، ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر[5] بأرّجان ، وهي لهم ، وينزل بعضهم ، ويرسل معهم من يوصلهم إلى طَبَس[6] ، وأن يقيم البقية منهم في ضِرس من القلعة ، إلى أن يصل إليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم ، فينزلون حينئذ ، ويرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصَّبّاح بقلعة ألمُوت ، فأجيبوا إلى ذلك ، فنزل منهم إلى الناظر[5] ، وإلى طَبَس[6] ، وساروا ، وتسلّم

---

1) R. لما سألوه .
2) R. add. قرب .
3) R. مستصح .
4) R. بتخريب .
5) R. الناطة .
6) R. ملس .

---

١ المحاقة .

السلطان القلعة وخرّبها .

ثم إنّ الذين ساروا إلى قلعة الناظر وطَبَس وصل منهم من أخبر ابن عطّاش بوصولهم ، فلم يسلّم السنّ الذي بقي بيده ، ورأى السلطان منه الغدر ، والعود عن الذي قرّره ، فأمر بالزحف إليه ، فزحف الناس عامّة ثاني ذي القعدة ، وكان قد قلّ عنده من يمنع ويقاتل ، فظهر منهم صبر عظيم ، وشجاعة زائدة ، وكان قد استأمن إلى السلطان إنسان من أعيانهم ، فقال لهم : إنّي أدلّكم على عورة لهم ؛ فأتى بهم إلى جانب لذلك السنّ لهم لا يُرام ، فقال لهم : اصعدوا من هاهنا ؛ فقيل إنّهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال ، فقال : إنّ الذي ترون أسلحة[1] وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلّتهم عندهم .

وكان جميع من بقي ثمانين رجلاً ، فزحف الناس من هناك ، فصعدوا منه ، وملكوا الموضع ، وقُتل أكثر الباطنيّة ، واختلط جماعة منهم مع من دخل ، فخرجوا معهم ، وأمّا ابن عطّاش فإنّه أُخذ أسيراً ، فتُرك أسبوعاً ، ثم إنّه أُمر به فشُهر في جميع البلد ، وسُلخ جلده ؛ فتجلّد حتّى مات ، وحُشي جلده تبناً ، وقُتل ولده ، وحُمل رأساهما إلى بغداذ ، وألقت زوجته نفسها[2] من رأس القلعة فهلكت ، . وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها ، فهلكت أيضاً وضاعت ، وكانت مدّة البلوى بابن عطّاش اثنتي عشرة سنة[1] .

---

1) Om. B.

---

١ أسحلة .

٢ نفسه .

Marfat.com

ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومُهذّب الدولة صاحب البطيحة

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مَزْيد ، ومُهذّب الدولة السعيد ابن أبي الجبر[1] ، صاحب البطيحة ، وانضاف حمّاد بن أبي الجبر إلى صدقة ، وأظهر معاداة ابن عمّه مهذّب الدولة ، ثم اتّفقوا .

وكان سبب ذلك أنّ صدقة لمّا أقطعه السلطان محمّد مدينة واسط ضمنها منه مهذّب الدولة ، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه ، فمدّوا أيديهم في الأموال ، وفرّطوا فيها ، وفرّقوها ، فلمّا انقضت السنة طالبه صدقة بالمال ، وحبسه ، ثم سعى في خلاصه بدران بن صدقة ، وهو صهر مهذّب الدولة ، فأخرجه من الحبس وأعاده إلى بلده البطيحة .

وضمن حمّاد بن أبي الجبر واسط ، فانحلّ على مهذّب الدولة كثير من امره . فآل الأمر إلى الاختلاف بعد الاتّفاق ، فإنّ المصطنع إسماعيل ، جدّ حمّاد ، والمختص محمّداً ، والد مهذّب الدولة ، أخوان ، وهما ابنا أبي الجبر ، وكانت إليهما رئاسة أهلهما وجماعتهما[2] ، فهلك المصطنع ، وقام ابنه أبو السيّد المظفّر ، والد حمّاد ، مقامه وهلك المختصّ محمّد ، وقام ابنه مهذّب الدولة مقامه ، وصارا يتنازعان ابنَ الهيثم ، صاحب البطيحة ، ويقاتلانه إلى أن أخذه مهذّب الدولة ، أيّام كوهرائين ، وسلّمه إلى كوهرائين ، فحمله إلى أصبهان ، فهلك في طريقها . فعظم أمر مهذّب الدولة ، وصيّره كوهرائين أمير البطيحة ، فصار ابن عمّه وجماعةٌ تحت حكمه .

---

1) B. ubique الخير .

2) C. P. عنهما .

Marfat.com

وكان حمّاد شابّاً ، فأكرمه مهذّب الدولة ، • وزوّجه بنتاً له ، وزاد في إقطاعه ، فكثر ماله ، فصار يحسد مهذّب الدولة[1] ، ويُضمر بغضَهُ ، وربّما ظهر في بعض الأوقات ؛ وكان مهذّب الدولة يداريه بجهده ، فلمّا هلك كوهرائين انتقل حمّاد عن مهذّب الدولة، وأظهر[2] ما في نفسه، فاجتهد مهذّب الدولة في إعادته إلى ما كان ، فلم يفعل ، فسكت عنه ، فجمع النفيس بن مهذّب الدولة جمعاً وقصد حمّاداً ، فهرب منه إلى سيف الدولة بالحلّة ، فأعاده صدقة ومعه جماعة من الجند ، فحشد مهذّب الدولة ، فأرسل حمّاد إلى صدقة يعرّفه ذلك ، فأرسل إليه كثيراً من الجند ، فقوي عزم مهذّب الدولة على المحاربة لئلاّ يظنّ به العجز ، فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته ، فلم يفعل ، وسيّر سُفنه وأصحابه في الأنهر ، فجعل حمّاد وأخوه له الكمناء ، واندفعوا من بين أيديهم ، فطمع أصحاب مهذّب الدولة وتبعوهم ، فخرج عليهم الكمناء ، فلم يسلم منهم إلاّ من لم يحضر أجله ، فقُتل منهم وأسر خلق كثير ، فقوي طمع حمّاد ، وأرسل إلى صدقة يستنجده ، فأرسل إليه مقدّم جيشه سعيد بن حميد العمريّ ، وغيره من المقدّمين ، وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذّب الدولة ، فرأوا أمراً محكماً ، فلم يمكنهم الدخول إليه .

وكان حمّاد بخيلاً ، ومهذّب الدولة جواداً ، فأرسل إلى سعيد بن حميد الإقامات الوافرة ، والصلات الكثيرة ، واستماله ، فمال إليه ، واجتمع به ، وتقرّر الأمر على أن أرسل مهذّب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة ، فرضي عنه ، وأصلح بينهم وبين حمّاد ابن عمّهم ، وعادوا إلى حال حسنة من الاتّفاق ، وكان صلحهم في ذي الحجّة سنة خمسمائة .

---

1) Om. B.

2) B. add. بعض .

Marfat.com

ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك

في شوّال من هذه السنة قبض السلطان محمّد على وزيره سعد الملك أبي المحاسن ، وأخذ ماله ، وصلبه على باب أصبهان ، وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين إليه ؛ أمّا الوزير فنُسب إلى خيانة السلطان ، وأمّا الأربعة فنُسبوا إلى اعتقاد الباطنيّة ، وكانت مدّة وزارته سنَتَيْن وتسعة أشهر ، وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم ، وتعطّل بعده ، ثم استعمله مؤيّد الملك بن نظام الملك ، فجعله على ديوان الاستيفاء ، وخدم السلطان محمّداً لمّا حصره أخوه السلطان بركيارق بأصبهان خدمة حسنة ، ولمّا فارقها محمّد حفظها الحفظ التامّ ، وقام المقام العظيم ، فاستوزره محمّد ، ووسّع له في الإقطاع ، وحكّمه في دولته ، ثم نكبه ، وهذا آخر خدمة الملوك ؛ وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان : أنعم الناس عيشاً من له ما يكفيه ، وزوجة تُرضيه ، ولا يعرف أبوابَنا هذه الخبيثة فتؤذيه .

ولمّا قبض الوزير استشار السلطان في من يجعله وزيراً ، فذُكر له جماعة ، فقال السلطان : إنّ آبائي درُّوا[1] على نظام الملك البركة، ولهم عليه[2] الحقّ الكثير ، وأولاده أغذياء[3] نعمتنا ، ولا معدل عنهم . فأمر لأبي نصر أحمد هذا بالوزارة، ولُقّب ألقاب أبيه : قوام الدين ، نظام الملك ، صدر الإسلام .

وكان سبب قدومه إلى باب السلطان أنّه لمّا[1] رأى انقراض دولة أهل بيته

---

1) B. كلما .

١ رأوا .
٢ وله عليهم .
٣ أغنيا .

لزم داره بهمذان ، فاتّفق أنّ رئيس همذان ، وهو الشريف أبو هاشم، آذاه ، فسار إلى السلطان شاكياً منه ومتظلّماً ، فقبض السلطان على الوزير ، وأحمد هذا في الطريق ، فلمّا وصل إليه ذكره ، وخلع عليه خِلع الوزارة ، وحكّمه ومكّنه[1] ، وقوي أمره ، وهذا من الفرج بعد الشدّة ، فإنّه حضر شاكياً ، فصار حاكماً .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في صفر ، عُزل الوزير أبو القاسم عليُّ بن جُهير ، وزير الخليفة ، فقصد دار سيف الدولة . صدقة ببغداذ[1] . ملتجئاً إليها ، وكانت ملجأ لكلّ ملهوف[2] ، فأرسل إليه صدقة مَنْ أخذه إليه إلى الحلّة ، وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأيّاماً ، وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامّة ، وفيها عِبْرةٌ ، فإنّ أباه أبا نصر بن جُهير بناها بأنقاض أملاك الناس ، وأخذ ، بسببها ، أكثر ما[3] دخل فيها ، فخربت عن قريب .

ولمّا عُزل استنيب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانيّ ، ثم تقرّرت الوزارة في المحرّم من سنة إحدى وخمسمائة لأبي المعالي هبة الله بن محمّد بن المطّلب ، وخُلع عليه فيه .

وفيها ، في شوّال ، توفّي الأمير أبو الفوارس سُرخاب بن بدر بن مُهَلْهِل، المعروف بابن أبي الشوك الكرديّ ، وكانت له أموال كثيرة ، وخيول لا تحصى ، وولي الإمرة بعده أبو منصور بن بدر ، وقام مقامه ، وبقيت الإمارة في بيته مائة وثلاثين سنة ، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية .

---

1) Om. B. 2) Om. C. P. 3) B. مما .

Marfat.com

وفي هذه السنة توفّي أبو الفتح[1] أحمد بن محمّد بن أحمد بن سعيد الحدّاد[2] الأصبهانيُّ ابن اخت عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن مندة ، ومولده سنة ثمان وأربعمائة ، وكان مكثراً من الحديث ، مشهوراً بالرواية .

وفيها توفّي أبو محمّد جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج البغداذيُّ في صفر ، وهو مكثر من الرواية ، وله تصانيف حسنة ، وأشعار لطيفة ، وهو من أعيان الزمان ؛ وعبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الوهّاب أبو محمّد الشيرازيّ ، الفقيه ، وليَ التدريس بالنظاميّة ببغداذ سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وكان يروي الحديث أيضاً ؛ وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبّار بن أحمد الصيرفيُّ المعروف بابن الطيوريّ البغداذيّ ، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وكان مكثراً من الحديث ثقةً صالحاً عابداً ؛ وأبو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمّد ابن يعقوب النحويّ ، سمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ ، والجوهريّ ، وغيرهما ، وكان إماماً في النحو واللغة .

---

1) B. الفتوح . 2) Om. B.

٥٠١

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة

ذكر قتل صدقة بن مَزْيَد

في هذه السنة ، في رجب ، قُتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور ابن دُبَيْس بن مَزْيَد الأسديُّ ، أمير العرب ، وهو الذي بنى الحِلّة السيفية بالعراق ، وكان قد عظم شأنه ، وعلا قدره ، واتّسع جاهه ، واستجار به صغار الناس وكبارهم ، فأجارهم .

وكان كثير العناية بأمور السلطان محمّد ، والتقوية ليده ، والشدّ منه على أخيه بركيارق ، حتّى إنّه جاهر بركيارق بالعداوة ، ولم يبرح على مصافاة السلطان محمّد ، وزاده محمّد إقطاعاً من جملته مدينة واسط ، وأذن له في أخذ البصرة . ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمّد بن الحسين البلخيُّ ، وقال[1] في جملة ما قال عنه : إنّ صدقة قد عظم أمره ، وزاد حاله ، وكثر إدلاله ، ويبسط في الدولة حمايته على كلّ من يفرّ إليه من عند السلطان ، وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم ، ولو أرسلتَ بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله .

ثم إنّه تعدّى ذلك حتّى طعن في اعتقاده ، ونسبه وأهل بلده إلى مذهب الباطنيّة ، وكذب[2] ، وإنّما كان مذهبه التشيّع لا غير ، ووافق أرغونُ السعديُّ أبا جعفر العميد وانتهى ذلك إلى صدقة ، وكانت زوجة أرغون بالحِلة وأهله ،

.....

1) B. وكان . 2) Om. B.

فلم يؤاخذهم بشيء ممّا كان له أيضاً هناك [من] بقايا خراج ببلده ، فأمر صدقة أن يخلص ذلك إليه[1] بأجمعه[1] ويسلّم إلى زوجته .

وأمّا سبب قتله فإنّ صدقة كان ، كما ذكرنا ، يستجير به كلّ خائف من خليفةٍ وسلطانٍ وغيرهما ، وكان السلطان محمّد قد سخط على أبي دُلَف سُرخاب بن كَيخَسْرو ، صاحب ساوة وآبة[2] ، فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به ، فأجاره ، فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلّمه إلى نوّابه ، فلم يفعل ، وأجاب : إنّني لا أمكن منه بل أُحامي عنه ، وأقول ما قاله أبو طالب لقُريش لمّا طلبوا منه رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم :

ونُسلِمُه ، حتّى نُصرَّعَ حولَه ، ونَذهَلُ عن أبنائِنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان ، فتوجّه إلى العراق ليتلافى هَذا الأمر ، فلمّا سمع صدقة استشار أصحابه في الذي يفعله ، فأشار عليه ابنه دُبَيْس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال ، والخيل ، والتُّحف ، ليستعطف له السلطان ، وأشار سعيد بن حميد ، صاحب جيش صدقة ، بالمحاربة ، وجمْع الجند ، وتفريق[3] المال فيهم ، واستطال في القول ، فمال صدقة إلى قوله ، وجمع العساكر ، واجتمع إليه عشرون ألف فارس ، وثلاثون ألف راجل ، فأرسل إليه المستظهر بالله يحذّره عاقبة أمره ، وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ، ويعرض له توسّط الحال ، فأجاب صدقة : إنّني على طاعة السلطان ، لكن لا آمن على نفسي في الاجتماع به ؛ وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء عليّ بن طِراد الزينبيّ .

1) Om. C. P. 2) B. وآوة . 3) Om. B.

١ بأجمع .

Marfat.com

ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهرويَّ إلى صدقة يطيّب قلبه ، ويزيل خوفه ، ويأمره بالانبساط على عادته ، ويعرّفه عزمه على قصد الفرنج ، ويأمره بالتجهّز للغزاة معه . فأجاب : إنّ السلطان قد أفسد أصحابه قلبَه عليّ ، وغيّروا حالي معه ، وزال ما كان عليه في حقّي من الإنعام ؛ وذكَرَ سالف خدمته ومناصحته ، وقال سعيد بن حُميد ، صاحب جيشه : لم يبق لنا في صُلح السلطان مطمع ، ولَتَرَوُنّ[1] خيولنا بحُلوان[2] ؛ وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان .

ووصل السلطان إلى بغداذ في العشرين من ربيع الآخر ، ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك ، وسيّر البرسقيَّ ، شِحنة بغداذ ، في جماعة من الأمراء إلى صَرْصَرَ ، فنزلوا عليها .

وكان وصول السلطان ، جريدة ، لا يبلغ عسكره ألفَيْ فارس ، فلمّا تيقّن ببغداذ مكاشفة صدقة ، أرسل إلى الأمراء يأمرهم بالوصول إليه ، والجدّ في السير ، وتعجيل ذلك ، فوردوا إليه من كلّ جانب .

ثم وصل كتاب صدقة إلى الخليفة ، في جمادى الأولى ، يذكر أنّه واقف عند ما يُرْسم له ويقرّر من حاله مع السلطان، ومهما أمرتَه[3] من ذلك امتثله ؛ فأنفذ الخليفة الكتاب إلى السلطان ، فقال السلطان : أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة ، ولا مخالفة عندي . فأرسل الخليفة إلى صدقة يعرّفه إجابة السلطان إلى ما طلب منه ، ويأمره بإنفاذ ثقته ليستوثق له ، ويحلف السلطان على ما يقع الاتّفاق عليه . فعاد صدقة عن ذلك الرأي ، وقال : إذا رحل السلطان عن بغداذ[4] أمددتُه بالمال والرجال ، وما يحتاج إليه في الجهاد ، وأمّا الآن ، وهو ببغداذ ، وعسكره بنهر

1) Codd. ولترنن signo ٢ addito. 2) Codd. بحلون . 3) B. أمر به .
4) C. P. الجواب بأن السلطان إذا صار بالموصل signo ٢ addito.

Marfat.com

الملك ، فما عندي مال ولا غيره ، وإنّ جاولي سقاوو ، وإيلغازي بن أرتُق ، قد أرسلا إليّ بالطاعة لي والموافقة معي على محاربة السلطان وغيره ، ومتى أردتُهما وصلا إليّ • في عساكرهما .

وورد إلى[1] السلطان قرواش بن شرف الدولة ، وكرماوي بن خُراسان التركمانيُّ ، وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجرّاح الطائيّ ، وآباؤه كانوا أصحاب البَلْقَاء والبيت المقدّس منهم : حسّان بن المفرّج الذي مدحه التهاميّ ؛ وكان فضل تارة مع الفرنج ، وتارة مع المصريّين ، فلمّا رآه طغتكين أتابك على هذه الحال طرده من الشام ، فلمّا طرده التجأ إلى صدقة وعاقده ، فأكرمه صدقة ، وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عيناً [2] .

فلمّا كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار في الطلائع ، ثم هرب إلى السلطان ، فلمّا وصل خلع عليه وعلى أصحابه ، وأنزله بدار صدقة ببغداذ ، فلمّا سار السلطان إلى قتال صدقة استأذنه فضل في إتيان البريّة ليمنع صدقة من الهرب إن أراد ذلك ، فأذن له ، فعبر بالأنبار وكان آخر العهد به .

وأنفذ السلطان في جمادى الأولى إلى واسط الأمير محمّد بن بوقا التركمانيّ ، فأخرج عنها نائب صدقة ، وأمّن الناس كلّهم ، إلاّ أصحاب صدقة ، فتفرّقوا ، ولم يُنهب أحد ؛ وأنفذ خيله إلى بلد قُوسان ، وهو من أعمال صدقة ، فنهبه أقبح نهب ، وأقام عدّة أيّام ، فأرسل صدقة إليه ثابت بن سلطان ، وهو ابن عمّ صدقة ، ومعه عسكر ، فلمّا وصلوا إليها خرج منها الأتراك ، وأقام ثابت بها ، وبينه وبينهم دجلة .

ثم إنّ ابن بوقا عبّر جماعةً من الجند ارتضاهم ، وعرف شجاعتهم ، فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم ، يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعاً ،

.....

1) Om. B. 2) Om. C. P.

Marfat.com

فقصدهم ثابت وعسكره فلم يقدروا أن يقربوا الترك من النشّاب، والمدد يأتيهم من ابن بوقا، وجُرح ثابت في وجهه ، وكثرت الجراح في أصحابه ، فانهزم هو ومَن معه ، وتبعهم الأتراك ، فقتلوا منهم وأسروا ، ونهب طائفة من الترك مدينة واسِط ، واختلط بهم رجّالة ثابت ، فنهبت معهم ، فسمع ابن بوقا الخبر ، فركب إليهم ومنعهم ، وقد نهبوا بعض البلد ، ونادى في الناس بالأمان ، وأقطع السلطان ، أواخر جمادى الأولى ، مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقيّ وأمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهْبه ، فنهبوا فيه ما لا يُحدّ .

وأمّا السلطان محمّد فإنّه سار عن بغداذ إلى الزَّعْفَرانيّة ، ثاني جمادى الآخرة[1] ، فأرسل إليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب يأمره بالتوقّف ، وترْك العجلة خوفاً على الرعيّة من القتل والنهب ؛ وأشار قاضي أصبهان بذلك ، واتّباع أمر الخليفة ، فأجاب السلطان إلى ذلك ، فأرسل الخليفة إلى صدقة نقيب النقباء عليّ بن طِراد ، وجمال الدولة مختصّاً الخادم ، فسارا إلى صدقة فأبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان ، وينهاه عن المخالفة ، فاعتذر صدقة ، وقال : ما خالفتُ الطاعة ، ولا قطعتُ الخطبة في بلدي . وجهّز ابنَهُ دُبَيْساً ليسير معهما إلى السلطان .

فبينما الرسل[2] وصدقة في هذا الحديث ، إذ ورد الخبر أنّ طائفة من عسكر[3] السلطان قد عبروا من مَطيراباذ ، وأنّ الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق ، فتجلّد صدقة لأجل الرسل ، وهو يشتهي الركوب إلى أصحابه خوفاً عليهم، وكان الرسل إذا سمعوا ذلك ينكرونه لأنّهم قد تقدّموا إلى العسكر ، عند عبورهم عليهم ، أنّه لا يتعرّض أحد منهم إلى حرب ، حتى نعود[4] ، فإنّ الصلح قد قارب . فقال صدقة للرسول : كيف أثق أرسل ولدي

.....

1) B. الأولى .
2) Om. C. P.
3) B. أصحاب .
4) B. تعودوا .

Marfat.com

الآن ، وكيف آمن عليه ، وقد جرى ما ترون؟ فإن تكفّلتم[1] بردّه إليّ أنفذتُه . فلم يتجاسروا على كفالته ، فكتب[1] إلى الخليفة يعتذر عن إنفاذ ولده بما جرى .

وكان سبب هذه الوقعة أنّ عسكر السلطان لمّا رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح ، فقال بعضهم : الرأي أنّنا ننهب شيئاً قبل الصلح ؛ فأجاب البعض وامتنع البعض ، فعبر من أجاب النهر ، ولم يتأخّر من لم يجب لئلاّ ينُسب إلى خَوَرٍ وجُبن ، ولئلاّ يتم على من عبر وهنٌ ، فيكون عاره وأذاه عليهم ، فعبروا بعدهم أيضاً ، فأتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم ، فكانت الهزيمة على الأتراك ، وقُتل منهم جماعة كثيرة ، وأُسر جماعة من أعيانهم ، وكثير من غيرهم ، وغرق جماعة منهم : الأمير محمّد بن باغي[2] سيان الذي كان أبوه صاحب أنطاكية ؛ وكان عمره نيّفاً وعشرين سنة ، وكان محبّاً للعلماء وأهل الدين[3] ، وبنى[2] بإقطاعه من أذربيجان عدّة مدارس . ولم يجسر[4] الأتراك على أن يعرّفوا السلطان بما أُخذ منهم من الأموال والدوابّ خوفاً منه ، حيث فعلوا ذلك بغير أمره .

وطمع العرب بهذه الهزيمة ، وظهر منهم الفخر والتيه والطمع ، وأظهروا أنّهم باعوا كلّ أسير بدينار ، وأنّ ثلاثة باعوا أسيراً بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزاً وهريسة ، وجعلوا ينادون : من يتغدّى بأسير ، ويتعشّى بآخر ؟ وظهر من الأتراك اضطراب عظيم .

وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح ، فأجاب أنّه لا يخالف

---

1) B. فأرسل . 2) Codd. ماغي . 3) B. العلم والدين .
4) B. يتجاسر .

---

١ تكلّفتم .
٢ وبنا .

Marfat.com

ما يؤمر به ، وكتب صدقة أيضاً إلى السلطان يعتذر ممّا نُقل عنه ، ومن الحرب التي كانت بين أصحابه وبين الأتراك ، وأنّ جند السلطان • عبرت إلى[1] أصحابه، فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه ، وأنّه لم يحضر الحربَ ، ولم ينزع يداً من طاعة ، ولا قطع خطبته من بلده .

ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب ، فأرسل الخليفة نقيب النقباء ، وأبا سعد الهرويَّ إلى صدقة ، • فقصدا السلطان أوّلاً ، وأخذا يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة ، فلمّا وصلا إلى صدقة[2] وقالا له عن الخليفة : إنّ إصلاح قلب السلطان موقوف على إطلاق الأسرى ، وردّ جميع ما أُخذ من العسكر المنهزم ، فأجاب أوّلاً بالخضوع والطاعة ، ثم قال : لو قدرتُ على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلتُ ، لكن ورائي مِن ظهري ، وظهر أبي وجدّي ، ثلاثمائة امرأة ، ولا يحملهنّ مكان ، ولو علمتُ أنّني إذا جئتُ السلطانَ مستسلماً قبلني واستخدمني لفعلتُ ، لكنّني أخاف أنّه لا يُقيل عثرتي[3] ، ولا يعفو عن زلّتي .

وأمّا ما نُهب فإن الخلق كثير ، وعندي من لا أعرفه ، وقد نهبوا ودخلوا البرّ ، فلا طاقة لي عليهم ، ولكن إن كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي ، ولا فيمن أجرتُه ، وأن يقرّ سُرخاب بن كَيْخسرو على إقطاعه بساوة ، وأن يتقدّم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادي ، وأن يخرج وزير الخليفة يحلّفه بما أثق به من الأيمان على المحافظة فيما بيني وبينه ، فحينئذ أخدم بالمال ، وأدوس بساطه بعد ذلك .

فعادوا بهذا ، ومعهم أبو منصور بن معروف ، رسول صدقة ، فردّهم الخليفة ، وأرسل السلطان معهم قاضي أصبهان أبا إسماعيل ، فأمّا أبو إسماعيل

---

1) B. عزوا . 2) Om. C. P. 3) B. عذري .

Marfat.com

فلم يصل إليه ، وعاد من الطريق ، وأصرّ صدقة على القول الأوّل . فحينئذ سار السلطان ، ثامن رجب ، من الزعفرانيّة ، وسار صدقة في عساكره إلى قرية مَطَر ، وأمر جنده بلبس السلاح ، واستأمن ثابت بن سلطان بن دُبَيْس بن عليّ ابن مَزْيد ، وهو ابن عمّ صدقة، إلى السلطان محمّد ، وكان يحسد صدقة ، وهو الذي تقدّم ذكره أنّه كان بواسط ، فأكرمه السلطان ، وأحسن إليه ، ووعده الإقطاع .

ووردت العساكر إلى السلطان منهم : بنو برسق ، وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن عليّ بن فرامرز • أبي جعفر بن كاكويَه وآباؤه كانوا أصحاب أصبهان ، وفرامرز[1] هو الذي سلّمها إلى طغرلبك ، وقُتل أبوه مع تُتُش .

وعبر عسكر السلطان دجلة ، ولم يعبر هو ، فصاروا مع صدقة على أرض واحدة ، بينهما نهر ، والتقوا تاسع عشر رجب ، وكانت الريح في وجوه أصحاب السلطان ، فلمّا التقوا صارت في ظهورهم ، وفي وجوه أصحاب صدقة ، ثم إنّ الأتراك رموا بالنشاب ، فكان يخرج في كلّ رشقة عشرة آلاف نشّابة ، فلم يقع سهم إلاّ في فرس أو فارس ، وكان أصحاب صدقة كلّما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك والنشّاب ، ومن عبر منهم لم يرجع ، وتقاعدت عُبادة وخَفاجة ، وجعل صدقة ينادي : يا آل خزيمة ، يا آل ناشرة ، يا آل عوف ؛ ووعد الأكراد بكلّ جميل لما ظهر من شجاعتهم ، وكان راكباً على فرسه المهلوب[2] ، ولم يكن لأحدٍ مثله ، فجُرح الفرس ثلاث[3] جِراحات ، وأخذه الأمير أحمديل[4] بعد قتل صدقة ، فسيّره إلى بغداذ في سفينة ، فمات في الطريق .

وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تفاحة ، فلمّا رأى

.....

1) Om. B. 2) B. المهلوف . 3) Om. B. 4) B. أحمد بك .

Marfat.com

الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه ، فناداه صدقة ، فلم يجبه ، وحمل صدقة على الأتراك ، وضربه غلام منهم على وجهه فشوّهه ، وجعل يقول : أنا ملك العرب . أنا صدقة ! فأصابه سهم في ظهره ، وأدركه غلام اسمه بزغش ، كان أشلّ ، فتعلّق به ، وهو لا يعرفه ، وجذبه عن فرسه ، فسقط إلى الأرض هو والغلام ، فعرفه صدقة ، فقال : يا بزغش ارفق ؛ فضربه بالسيف فقتله ، وأخذ رأسه وحمله إلى البرسقيّ ، فحمله إلى السلطان ، فلمّا رآه عانقه[1] ، وأمر لبزغش بصلةٍ .

وبقي صدقة طريحاً إلى أن سار السلطان، فدفنه إنسان من المدائن . وكان عمره تسعاً[1] وخمسين سنة، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة ، وحُمل رأسه إلى بغداذ ، وقُتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس ، فيهم جماعة من أهل بيته ، وقُتل من بني شيبان خمسة[2] وتسعون رجلاً ، وأُسر ابنه دُبَيْس بن صدقة ، ومُرخاب بن كَيخسرو الديلميُّ الذي كانت هذه الحرب بسببه ، فأُحضر بين يدي السلطان ، فطلب الأمان ، فقال : قد عاهدتُ الله أنّني لا أقتل أسيراً ، فإن ثبت عليك أنّك باطنيّ قتلتُك ؛ وأمر سعيد بن حميد العمريُّ ، صاحب جيش صدقة ، وهرب بدران بن صدقة إلى[2] الحِلّة ، فأخذ من المال وغيره ما أمكنه ، وسيّر أمّه ونساءه إلى البطيحة إلى مهذّب الدولة أبي العبّاس أحمد ابن أبي الجبر ، وكان بدران صهر مهذّب الدولة على ابنته ، ونُهب من الأموال ما لا حدّ عليه .

وكان له من الكتب المنسوبة الخطّ شيء كثير ، ألوف مجلّدات ، وكان

---

1) Om. C. P. 2) B. من .

---

١ تسع .
٢ خمس .

Marfat.com

يحسن يقرأ ، ولا يكتب ، وكان جواداً ، حليماً ، صدوقاً ، كثير البرّ والإحسان ، ما برح ملجأ لكلّ ملهوفٍ ، يلقى من يقصده بالبرّ والتفضّل ، ويبسط قاصديه ، ويزورهم ، وكان عادلاً ، والرعايا معه في أمن ودعة ، وكان عفيفاً لم يتزوّج على امرأته ، ولا تسرّى عليها ، فما ظنّك بغير هذا ؟ ولم يصادر أحداً من نوّابه ، ولا أخذهم بإساءةٍ قديمة ، وكان أصحابه يودعون أموالهم [1] في خزانته ، ويُدلّون عليه إدلال الولد على الوالد، ولم يُسمع برعيّة أحبّتْ أميرها ، كحبّ رعيّته له [1] .

وكان متواضعاً ، محتملاً ، يحفظ الأشعار ، ويبادر إلى النادرة ، رحمه الله ، لقد كان من محاسن الدنيا .

وعاد السلطان إلى بغداذ ، ولم يصل إلى الحِلّة ، وأرسل إلى البطيحة أماناً لزوجة صدقة ، وأمرها بالظهور فأصعدت إلى بغداذ ، فأطلق السلطان ابنها دُبَيْساً ، وأنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقائها ، فلمّا لقيها ابنها بكيا بكاء شديداً ، ولمّا وصلت إلى بغداذ أحضرها السلطان ، واعتذر من قتْل زوجها ، وقال : وددتُ أنّه حُمل إليّ حتّى كنتُ أفعل معه ما يعجَب الناس به من الجميل والإحسان ، لكنّ الأقدار غلبتْني . واستحلف ابنها دُبَيْساً أنّه لا يسعى بفساد .

ذكر وفاة تميم بن المعزّ صاحب إفريقية وولاية ابنه يحيى

في هذه السنة ، في رجب ، توفّي تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، وكان شهماً ، شجاعاً ، ذكيّاً ، له معرفة حسنة ، وكان حليماً ، كثير العفو عن

---

1) B. مثله .

---

١ أمواله .

الجرائم العظيمة،وله شعر حسن، فمنه أنّه وقعت حرب بين طائفتَيْن من العرب ، وهم عَديّ ، ورياح ، فقُتل رجل من رياح ، ثم اصطلحوا ، وأهدروا دمه ، وكان صُلحهم ممّا يضرّ به ويبلاده ، فقال أبياتاً يحرّض على الطلب بدمه ، وهي :

متَى كانَتْ دِمَاؤُكُمُ تُطَلُّ أَمَا فِيكُمْ بثأرٍ مُسْتَقِلُّ
أغانمُ ثمّ سالمُ إن فَشِلْتُم ، فَما كانت أوائلكم تذِلُّ
ونِمتُمْ عن طِلابِ الثأرِ، حتّى كأنّ العِزَّ فيكم مُضمَحِلُّ
وما كسَرتُمُ فيه العَوالي ، ولا بِيضٌ تُفَلُّ ، ولا تُسَلُّ

فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميراً من عديّ ، واشتدّ بينهم القتال ، وكثرت القتلى ، حتّى أخرجوا بني عديّ من إفريقية .

قيل : إنّه اشترى جارية بثمن كثير ، فبلغه أنّ مولاها الذي باعها ذهب عقله وأسف على فراقها ، فأحضره تميم إلى بين يدَيْه ، وأرسل الجارية إلى داره ، ومعها من الكسوات ، والأواني الفضّة ، وغيرها ، ومن الطِّيب ، وغيره ، شيء كثير ، ثم أمر مولاها بالانصراف ، وهو لا يعلم بذلك ، فلمّا وصل إلى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيّاً عليه لكثرة سروره ، ثم أفاق . فلما كان الغد أخذ الثمن ، وجميع ما كان معها ، وحمله إلى دار تميم ، فانتهره ، وأمره بإعادة جميع ذلك إلى داره .

وكان له في البلاد أصحاب أخبار يُجري عليهم أرزاقاً سنيّة ليطالعوه بأحوال أصحابه لئلاّ يظلموا الناس ، فكان بالقَيروان تاجر له مال وثروة ، فذكر في بعض الأيّام التجار تميماً ، ودعوا له ، وذلك التاجر حاضر ، فترحّم على أبيه المعزّ ، ولم يذكره ، فرُفع ذلك إلى تميم ، فأحضره إلى قصره وسأله : هل ظلمتُك ؟ فقال : لا ! قال : فهل ظلمك بعض أصحابي ؟ قال : لا ! قال: فَلِمَ أطلقت لسانك أمس بذمّي ؟ فسكت ، فقال : لولا أن يقال شَرِهَ في

Marfat.com

ماله لقتلتُك ؛ ثم أمر به فصُفع في حضرته قليلاً[1] ، ثم أطلقه فخرج ، وأصحابه ينتظرونه ، فسألوه عن خبره ، فقال : أسرار الملوك لا تذاع ؛ فصارت بإفريقية مثلاً .

ولمّا توفّي كان عمره تسعاً[1] وسبعين سنة ، وكانت ولايته ستّاً[2] وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً ، وخلّف من الذكور ما يزيد على مائة ، ومن البنات ستّين بنتاً ، ولمّا توفّي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم ، وكانت ولادته بالمهديّة لأربع بقين من ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وكان عمره حين وليَ ثلاثاً[3] وأربعين سنة وستّة أشهر وعشرين يوماً ، ولمّا وليَ فرّق أموالاً جزيلة ، وأحسن السيرة في الرعيّة .

ذكر ملك يحيى قلعة قُلَيبية

لمّا ملك يحيى بن تميم بعد أبيه ، جرّد عسكراً كثيفاً إلى قلعة قُلَيبية ، وهي من أحصن قلاع إفريقية ، فنزل عليها ، وحصرها حصاراً شديداً ، ولم يبرح حتّى فتحها وحصّنها ، وكان أبوه تميم قد رام فتحها ، فلم يقدر على ذلك ، ولم يزل مظفّراً ، منصوراً ، لم يُهْزم له جيش .

1) Om. B.

١ تسع .
٢ ست .
٣ ثلاث .

Marfat.com

ذكر قدوم ابن عمّار بغداذ مستنفراً

في هذه السنة ، في شهر رمضان ، ورد القاضي فخر الملك أبو عليّ بن عمّار ، صاحب • طرابلس الشام ، إلى بغداذ ، قاصداً باب السلطان محمّد ، مستنفراً[1] على الفرنج ، طالباً تسيير العساكر لإزاحتهم ، والذي حثّه على ذلك أنّه لمّا طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس ، على ما ذكرناه ، ضاقت عليه الأقوات وقلّت ، واشتدّ الأمر عليه وعلى أهل البلد ، فمنّ الله عليهم ، سنة خمسمائة ، بميرة في البحر من جزيرة قبرس ، وأنطاكية ، وجزائر البنادقة ، فاشتدّت قلوبهم وقووا على حفظ البلد ، بعد أن كانوا استسلموا .

فلمّا بلغ فخر الملك انتظام الأمور للسلطان محمّد وزوال كلّ مخالفٍ رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار[2] به ، فاستناب بطرابلس ابن عمّه ذا المناقب ، وأمره بالمقام بها ، ورتّب معه الأجناد برّاً وبحراً ، وأعطاهم جامكيّة ستّة أشهر سلفاً ، وجعل كلّ موضع إلى من يقوم بحفظه ، بحيث أنّ ابن عمّه لا يحتاج إلى فعل شيء من ذلك ، وسار إلى دمشق ، فأظهر ابن عمّه الخلاف له ، والعصيان عليه ، • ونادى بشعار المصريّين ؛ فلمّا عرف فخر الملك ذلك كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه[3] ، وحَمْله إلى حِصن الخوابي[3] ، ففعلوا ما أمرهم .

وكان ابن عمّار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الأعلاق النفيسة، والأشياء الغريبة ، والخيل الرائقة ، فلمّا وصلها لقيه عسكرها ، وطغتكين أتابك ، وخيّم على ظاهر البلد ، وسأله طغتكين الدخول إليه ، فدخل يوماً واحداً إلى الطعام ، وأدخله حمّامَه ، وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيّعه .

---

1) Om. B. 2) B. والانتصار . 3) Om. B.

Marfat.com

فلمّا وصل إلى بغداذ أمر السلطان الأمراء كافّة[1] بتلقّيه وإكرامه ، وأرسل إليه شبّارته وفيها دسته الذي يجلس عليه ليركب فيها ، فلمّا نزل إليها قعد بين يدي موضع السلطان ، فقال له من بها من خواصّ السلطان : قد أُمرنا أن يكون جلوسك في دست السلطان ؛ فلمّا دخل على السلطان أجلسه ، وأكرمه ، وأقبل عليه بحديثه[1] .

وسيّر الخليفة خواصّه ، وجماعة أرباب المناصب ، فلقوه ، وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة ، وكذلك أيضاً فعل السلطان ، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله ، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ، ولأجرُ الآخرة أكبر .

ولمّا اجتمع بالسلطان قدّم هديته ، وسأله السلطان عن حاله ، وما يعانيه في مجاهدة الكفّار ، ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم ، فذكر له حاله ، وقوّة عدوّه ، وطول حصره ،، وطلب النجدة[2] ، وضمن أنّه إذا سُيّرت العساكر معه أوصل إليهم جميع ما يلتمسونه ، فوعده السلطان بذلك ، وحضر دار الخلافة ، وذكر أيضاً نحواً ممّا ذكره عند السلطان ، وحمل هدية جميلة نفيسة ، وأقام إلى أن رحل السلطان عن بغداذ في شوّال ، فأحضره عنده بالنهروان ، وقد تقدّم إلى الأمير حسين بن أتابك قتلغ تكين ليسيّر معه العساكر التي سيّرها إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال جاولي سقاوو ، ليمضوا معه إلى الشام ، وخلع عليه السلطان خِلعاً نفيسة ، وأعطاه شيئاً كثيراً ، وودّعه ، وسار ومعه الأمير حسين فلم يجدِ ذلك نفعاً ، وكان ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالى .

---

1) B. بخدمته .

2) Om. B.

---

١ كافّة الأمراء .

Marfat.com

ثم إنّ فخر الملك بن عمّار عاد إلى دمشق منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة ، فأقام بها أيّاماً ، وتوجّه منها مع عسكرٍ من دمشق إلى جَبلَة ، فدخلها وأطاعه أهلها[1] .

وأمّا أهل طرابلس فإنّهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه والياً يكون عندهم ، ومعه الميرة في البحر ، فسيّر إليهم شرفَ الدولة بن أبي الطيّب والياً ، ومعه الغلّة وغيرها ممّا تحتاج إليه البلاد في الحصار ، فلمّا صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمّار وأصحابه ، وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك ، وحمل الجميع إلى مصر في البحر .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في شعبان ، أطلق السلطان محمّد الضرائب والمكوس[1] ، ودار البيع ، والاجتيازات ، وغير ذلك ممّا يناسبه بالعراق ، وكُتبت به الألواح ، وجُعلت في الأسواق .

وفيها ، في شهر رمضان ، ولي القاضي أبو العبّاس بن الرّطبي الحسبة ببغداذ .

وفيه أيضاً عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب برسالة من السلطان بذلك ، ثم أعيد إلى الوزارة بإذن السلطان[2] ، وشرط عليه شروطاً منها : العدل ، وحسن السيرة ، وأن لا يستعمل أحداً من أهل الذمّة .

---

1) Om. C. P.

2) B. add. محمد .

---

١ أهله .

Marfat.com

وفيها عاد أصبهبذ صباوة من دمشق ، وكان هرب عند قتل إياز ، فلمّا قدم أكرمه السلطان ، وأقطعه رَحْبة مالك بن طَوق .

وفيها ، سابع شوّال ، خرج السلطان إلى ظاهر بغداذ ، عازماً على العود[1] إلى أصبهان ، وكان مقامه هذه المرّة خمسة أشهر وسبعة عشر يوماً .

وفيها ، في ذي الحجّة ، احترقت خرابة ابن جردة ، فهلك فيها كثير من الناس ، وأمّا الأمتعة ، والأموال ، وأثاث البيوت ، فهلك ما لا حدّ عليه ، وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلّة إلى مقبرة . باب أبرز[2] ، وكان بها جماعة من اليهود ، فلم ينقلوا شيئاً لتمسكهم بسبتهم ؛ وكان بعض أهله قد عبروا إلى الجانب الغربيّ للفرجة ، على عادتهم في السبت الذي يلي العيد ، فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت ، وأهلهم قد احترقوا ، وأموالهم قد هلكت .

ثم تبع ذلك حريق في عدّة أماكن منها : درب القيّار ، وقراح ابن رَزِين[1] ، فارتاع الناس لذلك ، وبطّلوا معايشهم ، وأقاموا ليلاً ونهاراً يحرسون بيوتهم في الدروب ، وعلى السطوح ، وجعلوا عندهم الماء المعدّ لإطفاء النار ، فظهر أنّ سبب هذا الحريق أنّ جارية أحبّتْ رجلاً ، فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سِرّاً ، وأعدّت له ما يسرقه إذا خرج ، ويأخذها هي أيضاً معه ، فلمّا أخذها طرحا النار في الدار ، فخرجا ، فأظهر الله عليهما ، وعجّل الفضيحة لهما ، فأُخذا وحُبسا .

وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها ، وأمر ببناء حصن عندها ، على تلّ المَعشوقة ، وأقام شهراً محاصراً لها ، فصانعه

---

1) B. الغزو .

2) B. يازانه .

---

١ زرين .

Marfat.com

واليها على سبعة آلاف دينار ، فأخذها ورحل عن المدينة ، وقصد مدينة صيدا ، فحصرها برّاً وبحراً ونصب عليها البرج الخشب ، ووصل الأسطول المصريّ في الدفع عنها ، والحماية لمن فيها ، فقاتلهم أُسطول الفرنج ، فظهر المسلمون عليهم ، . فاتّصل بالفرنج[1] مسير عسكر دمشق نجدةً لأهل صيدا ، فرحلوا عنها بغير فائدة .

وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب ، فبقي ليالي[1] كثيرة ثم غاب .

توفّي في هذه السنة ، في شعبان ، إبراهيم بن ميّاس بن مهدي أبو إسحاق القشيريُّ الدمشقيُّ ، سمع الحديث الكثير من الخطيب البغداذيّ وغيره .

وتوفّي في ذي القعدة أبو سعيد[2] إسماعيل بن عمرو بن محمّد النّيسابوريُّ المحدّث ، كان يقرأ الحديث للغرباء ، قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسيّ عشرين مرّة .

---

1) C. P. ظهر الفرنج .

2) C. P. سعد .

---

١ ليال .

Marfat.com

٥٠٢

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة

ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود[1]

في هذه السنة ، في صفر ، استولى مودود ، والعسكر الذي أرسله السلطان معه ، على مدينة الموصِل ، وأخذوها من أصحاب جاولي سقاوو ، وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها ، وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج أرسلان ، وهلاكهما على يده ، وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير ، والعدّة التامّة ، والأموال الكثيرة ، وكان السلطان محمّد قد جعل إليه ولاية كلّ بلد يفتحه ، فاستولى على كثير من البلاد والأموال .

وكان سبب أخذ البلاد منه : أنّه لمّا استولى عليها ، وعلى الأموال الكثيرة منها ، لم يحمل إلى السلطان منها شيئاً ، فلمّا وصل السلطان • إلى بغداذ[2] ، لقصْد بلاد سيف الدولة صدقة ، أرسل إلى جاولي يستدعيه إليه بالعساكر ، وكرّر الرسل إليه ، فلم يحضر ، وغالط في الانحدار إليه ، وأظهر أنّه • يخاف أن يجتمع به ، ولم يقنَعْ بذلك ، حتّى كاتب صدقةَ ، وأظهر له أنّه[2] معه ، ومُساعده على حرب السلطان ، وأطمعه في الخلاف والعصيان .

فلمّا فرغ السلطان من أمر صدقة ، وقتله ، كما ذكرناه ، تقدّم إلى الأمراء بني برسق ، وسكمان القطبيّ ، ومودود بن التونتكين ، وآقسنقَر البرسقيّ ، ونصر

---

1) Om. C. P. 2) Om. B.

Marfat.com

ابن مُهلهل بن أبي الشوك الكرديّ ، وأبي الهيجاء ، صاحب إربل ، بالمسير إلى الموصِل ، وبلاد جاولي ، وأخذها منه ، فتوجّهوا نحو الموصِل ، فوجدوا جاولي عاصياً قد شيّد سور الموصل ، وأحكم ما بناه جكرمش ، وأعدّ الميرة والأقوات والآلات ، واستظهر على الأعيان بالموصل ، فحبسهم ، وأخرج من أحداثها ما يزيد على عشرين ألفاً ، ونادى : متى اجتمع عاميّان على الحديث في هذا الأمر قتلتُهما ؛ وخرج عن البلد ، ونهب السواد .

وترك بالبلد زوجته ابنة برسق ، وأسكنها القلعة ، ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك ، سوى غيرهم ، وسوى الرجّالة ، ونزل العسكر عليها في شهر رمضان سنة إحدى وخمسمائة ، وصادرت زوجته مَن بقي بالبلد ، وعسفت نساء الخارجين عنه ، وبالغت في الاحتراز عليهم ، فأوحشهم ذلك ، ودعاهم إلى الانحراف عنها ، وقوتل أهل البلد قتالاً متتابعاً[1] ، فتمادى الحصار بأهلها من خارج ، والظلم من داخل إلى آخر المحرّم ، والجند بها يمنعون عاميّاً من القرب من السور .

فلمّا طال الأمر على الناس ، اتّفق نفر من الخصّاصين ، ومقدّمهم جصّاص يُعرف بسعدي ، على تسليم البلد ، وتحالفوا على التساعد[2] ، وأتوا وقت صلاة الجمعة ، والناس بالجامع ، وصعدوا برجاً ، وأغلقوا أبوابه ، وقتلوا من به من الجند ، وكانوا نياماً ، فلم يشعروا بشيء ، حتّى قُتلوا ، وأخذوا سلاحهم ، وألقوهم إلى الأرض ، وملكوا برجاً آخر .

ووقعت الصيحة ، وقصدهم مائتا فارس من العسكر ، ورموهم بالنشّاب ، وهم يقاتلون ، وينادون بشعار السلطان ، فزحف عسكر السلطان إليهم ، ودخلوا البلد من ناحيتهم ، وملكوه ، ودخله الأمير مودود ، ونودي بالسكون والأمن ، وأن يعود الناس إلى دورهم وأملاكهم ، وأقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية

---

1) B. شديداً .

2) B. P. المساعدة .

أيّام ، وراسلت الأمير مودود في أن يفرج لها عن طريقها ، وأن يحلف لها على الصيانة والحراسة ، فحلف ، وخرجت إلى أخيها • برسق بن[1] برسق ، ومعها أموالها وما استولت عليه ، • وولي مودود الموصل وما ينضاف إليها[2] .

ذكر حال جاولي مدّة الحصار

وأمّا جاولي فإنّه لمّا وصل[3] عسكر السلطان إلى الموصل ، وحصرها ، سار عنها ، وأخذ معه القُمّص ، صاحب الرُّها ، الذي كان قد أسره سُقمان وأخذه منه جكرمش ، وقد ذكرنا ذلك ، وسار إلى نَصِيبين ، وهي حينئذ للأمير إيلغازي بن أُرتُق ، وراسله ، وسأله الاجتماع به ، واستدعاه إلى مُعاضدته ، وأن يكونا يداً واحدة ، وأعلمه أنّ خوفهما من السلطان ينبغي أن يجمعهما على الاحتماء منه . فلم يجبه إيلغازي إلى ذلك ، ورحل عن نَصِيبين ، ورتّب بها ولده ، وأمره بحفظها من جاولي ، وأن يقاتله إن قصده ، وسار إلى ماردين .

فلمّا سمع جاولي ذلك عدل عن نَصِيبين ، وقصد دارا ، وأرسل إلى إيلغازي ثانياً في المعاني ، وسار بعد الرسول ، فبينما رسوله عند إيلغازي بماردين، لم يشعر إلاّ وجاولي معه في القلعة وحده ، وقصد أن يتألّفه ويستميله ، فلمّا رآه إيلغازي قام إليه وخدمه ؛ ولمّا رأى جاولي مُحْسناً للظنّ فيه ، غير مستشعرٍ منه ، لم يجد إلى دفعه سبيلاً ، فنزل معه ، وعسكرا بظاهر نَصِيبين ، وسارا منها إلى سِنجار ، وحاصراها مدّةً ، فلم يجبهما صاحبها إلى صُلح ، فتركاه وسارا نحو الرَّحبة ، وإيلغازي يُظهر لجاولي المساعدة ، ويبطن الخلاف ، وينتظر فرصة

---

1) Om. C. P. 2) Om. C. P. 3) C. P. قصد .

Marfat.com

لينصرف عنه ، فلمّا وصلا إلى عرابان ، من الخابور ، هرب إيلغازي ليلاً وقصد نَصيبين .

ذكر إطلاق جاولي للقُمّص الفرنجيّ

لمّا هرب إيلغازي من جاولي سار جاولي إلى الرَّحبة ، فلمّا وصل إلى مَاكسِينَ أطلق القُمّص الفرنجيّ ، الذي كان أسيراً بالموصل ، وأخذه معه ، واسمه بردويل ، وكان صاحب الرُّها وسَروج وغيرهما ، وبقي في الحبس إلى الآن ، وبذل الأموال الكثيرة ، فلم يُطْلَقْ ، فلمّا كان الآن أطلقه جاولي ، وخلع عليه ، وكان مقامه في السجن ما يقارب خمس سنين ، وقرّر عليه أن يفدي نفسه بمالٍ ، وأن يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه ، وأن ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله .

فلمّا اتّفقا على ذلك سيّر القُمّص إلى قلعة جَعْبَرَ ، وسلّمه إلى صاحبها سالم بن مالك ، حتّى ورد عليه ابن خالته جُوسلين ، وهو من فرسان الفرنج وشجعانها ، وهو صاحب تَلّ باشِر وغيره ، وكان أُسر مع القمّص في تلك الوقعة ، ففدى نفسه بعشرين ألف دينار ، فلمّا وصل جوسلين إلى قلعة جَعْبَر أقام رهينةً عوض القمّص ، وأطلق القمّص ، وسار إلى أنطاكية ، وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جَعْبَر فأطلقه ، وأخذ عوضه أخا زوجته ، وأخا زوجة القمّص ، وسيّره إلى القمّص ليقوى به ، وليحثّه على إطلاق الأسرى ، وإنفاذ المال وما ضمنه ، فلمّا وصل جوسلين إلى مَنبِج أغار عليها ونهبها ، وكان معه جماعة من أصحاب جاولي ، فأنكروا عليه ذلك ، ونسبوه إلى الغدر ، فقال: إنّ هذه المدينة ليست لكم .

Marfat.com

ذكر ما جرى بين هذا القُمّص وبين صاحب أنطاكية

أطلق القمّص وسار إلى أنطاكية أعطاه طنكري[1] صاحبها ثلاثين ألف دينار ، وخيلاً ، وسلاحاً ، وثياباً ، وغير ذلك ؛ وكان طنكري قد أخذ الرُّها من أصحاب القمّص حين أسر ، فخاطبه الآن في ردّها عليه ، فلم يفعل ، فخرج من عنده إلى تلّ باشر ، فلمّا قدم عليه جوسلين ، وقد أطلقه جاولي ، سرّه ذلك ، وفرح به .

وسار إليهما طنكري ، صاحب أنطاكية ، بعساكره ليحاربهما ، قبل أن يقوى أمرهما ، ويجمعا عسكراً ، ويلتحق بهما جاولي وينجدهما ، فكانوا يقتتلون ، فإذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا .

وأطلق القمّص من الأسرى المسلمين مائة وستّين أسيراً كلّهم من سواد حلب ، وكساهم وسيّرهم .

وعاد طنكري إلى أنطاكية من غير فصل حال في معنى الرُّها ، فسار القمّص وجوسلين وأغارا على حصون طنكري ، صاحب أنطاكية ، والتجأا إلى ولاية كواسيل ، وهو رجل أرمنيّ ، ومعه خلق كثير من المرتدّين وغيرهم ، وهو صاحب رَعْبَان[2] ، وكَيسُوم ، وغيرهما[3] من القلاع ، شماليّ حلب ، فأنجد القمّصَ بألف فارس من المرتدّين ، وألفَيْ راجل ، فقصدهم طنكري ، فتنازعوا في أمر الرُّها ، فتوسّط بينهم البَطْرك[4] الذي لهم ، وهو عندهم كالإمام الذي للمسلمين ، لا يخالف أمره ، وشهد جماعة من المطارنة[5] والقسيسين : أنّ بيمُند خال طنكري قال له ، لمّا أراد ركوب البحر ، والعود إلى بلاده ،

---

1) B. ubique تنكري .
2) Om. C. P.
3) C. P. وغيرها .
4) B. البترك .
5) B. البطارقة .

Marfat.com

ليعيد الرُّها إلى القمّص ، إذا خلص من الأسر ، فأعادها عليه طنكري تاسع صفر ، وعبر القمّص الفرات ، ليسلّم إلى أصحاب جاولي المال ، والأسرى ، فأطلق في طريقه خلقاً كثيراً من الأسرى من حرّان وغيرها .

وكان بسَروج ثلاثمائة مسلم ضَعْفَى ، فعمر أصحاب جاولي مساجدهم ، وكان رئيس سَروج مُسلماً قد ارتدّ ، فسمعه أصحاب جاولي يقول في الإسلام قولاً شنيعاً ، فضربوه ، وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع ، فذكر ذلك للقُمّص ، فقال : هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين ؛ فقتله .

ذكر حال جاولي بعد إطلاق القُمّص

لمّا أطلق جاولي القُمّصَ بماكسين سار إلى الرَّحْبة ، فأتاه أبو النجم بدران ، وأبو كامل منصور ، ابنا سيف الدولة صدقة ، وكانا[1] ، بعد قتل أبيهما بقلعة جَعْبَر ، عند سالم بن مالك ، فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ، ووعدهما أنّه يسير معهما إلى الحِلّة ، وعزموا أن يقدّموا عليهم بكتاش[1] بن تكش بن ألب أرسلان . فوصل إليهم ، وهم على هذا العزم ، أصبَهْبذ صباوة ، وكان قد قصد السلطان فأقطعه الرَّحبة وقد ذكرناه ، فاجتمع بجاولي ، وأشار عليه أن يقصد الشام ، فإنّ بلاده خالية من الأجناد ، والفرنج قد استولوا على كثير منها ، وعرّفه أنّه متى قصد العراق ، والسلطان بها ، أو قريباً منها ، لم يأمن شرّاً يصل إليه . فقبل قوله ، وأصعد عن الرَّحبة ، فوصل إليه رسل سالم بن مالك ، صاحب

---

1) C. P. بلتاش B. sine punctis.

---

١ وكان .

Marfat.com

قلعة جَعْبَر ، يستغيث به من بني نُمير ، وكانت الرّقّة بيد ولده عليّ بن سالم ، فوثب جوشن النُّميريُّ ، ومعه جماعة من بني نُمير ، فقتل عليّاً وملك الرّقّة .

فبلغ ذلك الملك رضوان ، فسار من حلب إلى صِفّين ، فصادف تسعين رجلاً من الفرنج معهم مال من فدية القُمّص ، صاحب الرُّها ، قد سيّره إلى جاولي ، فأخذه ، وأسر[1] عدداً منهم ، وأتى الرّقّة ، فصالحه بنو نُمير على مال ، فرحل عنهم[2] إلى حلب ، فاستنجد سالم بن مالك جاولي ، وسأله أن يرحل إلى الرّقّة ويأخذها ، ووعده بما يحتاج إليه . فقصد الرّقّة ، وحصرها سبعين يوماً ، فضمن له بنو نُمير مالاً وخيلاً ، فأرسل إلى سالم : إنّني في أمر أهمّ من هذا ، وأنا بإزاء عدوّ ، ويجب التشاغل[1] به دون غيره ، وأنا عازم على الانحدار إلى العراق، فإنْ تمّ أمري فالرّقّة وغيرها لك ، ولا أشتغل عن هذا المهمّ بحصار خمسة نفر من بني نُمير .

ووصل إلى جاولي الأمير حسين بن أتابك[2] قتلغ تكين ، وكان أبوه أتابك السلطان محمّد ، فقتله ، وتقدّم ولده هذا عند السلطان ، واختصّ به ، فسيّره السلطان مع فخر الملك بن عمّار ليصلح الحال مع جاولي ، ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمّار إلى جهاد الكفّار ، فحضر عند جاولي ، وأمر[3] بتسليم البلاد، وطيّب قلبه عن السلطان ، وضمن الجميل ، إذا سلّم البلاد ، وأظهر الطاعة والعبوديّة ، فقال جاولي : أنا مملوك السلطان ، وفي طاعته ؛ وحمل إليه مالاً وثياباً لها مقدار جليل ، وقال له : سِرْ إلى الموصل ورحّل العسكر عنها ، فإني أرسل معك من يسلّم ولدي إليك رهينة ، وينفذ السلطان إليها من يتولّى أمرها

---

1) B. وأسروا .

2) B.

3) Om. C. P. qui modo يأمره habet.

---

١ الشاغل .

Marfat.com

وجباية أموالها ؛ ففعل حسين ذلك ، وسار ومعه صاحب جاولي ، فلمّا وصلا إلى العسكر الذي على الموصل ، وكانوا لم يفتحوها بعد ، أمرهم حسين بالرحيل ، فكلّهم أجاب ، إلاّ الأمير مودود فإنّه قال : لا أرحلُ إلاّ بأمر السلطان ؛ وقبض على صاحب جاولي ، وأقام على الموصل[1] ، حتّى فتحها كما ذكرناه .

وعاد حسين بن قتلغ تكين إلى السلطان ، فأحسن النيابة عن جاولي عنده ، وسار جاولي إلى مدينة بالِس ، فوصلها ثالث عشر صفر ، فاحتمى أهلُها منه ، وهرب مَنْ بها من أصحاب الملك رضوان ، صاحب حلب ، فحصرها خمسة أيّام ، وملكها بعد أن نقب برجاً من أبراجها ، فوقع على النقّابين[2] ، فقتل منهم جماعة ، وملك البلد ، وصلب جماعة من أعيانه عند النقب ، وأحضر القاضي محمّد بن عبد العزيز بن إلياس فقتله ، وكان فقيهاً صالحاً ، ونهب البلد ، وأخذ منه مالاً كثيراً .

ذكر الحرب بين جاولي والفرنج

وفي هذه السنة ، في صفر ، كان المصافّ بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجيّ ، صاحب أنطاكية .

وسبب ذلك أنّ الملك رضوان كتب إلى طنكري ، صاحب أنطاكية ، يعرّفه ما هو جاولي عليه من الغدر ، والمكر ، والخداع ، ويحذره منه ، ويعلمه أنّه على قصد حلب ، وأنّه إن ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام ، وطلب منه النصرة ، والاتّفاق على منعه . فأجابه طنكري إلى منعه وبرز من أنطاكية ، فأرسل إليه رضوان ستّمائة فارس ، فلمّا سمع جاولي الخبر أرسل إلى القُمّص ،

---

1) C. P. بالموصل .

2) B. من نقب .

Marfat.com

صاحب الرُّها ، يستدعيه إلى مساعدته ، وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة ، فسار إلى جاولي فلحق به ، وهو على مَنبِج ، فوصل الخبر إليه ، وهو على هذه الحال ، بأنّ الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان ، وملكوا خزائنه وأمواله ، فاشتد ذلك عليه ، وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقَر ، وبكتاش النهاوندي ، وبقي جاولي في ألف فارس ، • وانضمّ إليه خلق من المطوّعة ، فنزل بتلّ باشر .

وقاربهم طنكري ، وهو في ألف وخمسمائة فارس[1] من الفرنج ، وستّمائة من أصحاب الملك رضوان ، سوى الرَّجّالة ، فجعل جاولي في ميمنته الأمير أقسيان ، والأمير التونتاش الابريّ[2] ، وغيرهما ، وفي الميسرة الأمير بدران ابن صدقة ، وأصبهبذ صباوة ، وسُنقر دراز ، وفي القلب القُمّص بغدوين ، وجوسلين الفرنجيّين ، ووقعت الحرب ، فحمل أصحاب أنطاكية على القمّص ، صاحب الرُّها ، واشتدّ القتال ، فأزاح طنكري القلب عن موضعه ، وحملت ميسرة جاولي على رجّالة صاحب أنطاكية ، فقتلت منهم خلقاً كثيراً ، ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية ، فحينئذ عمد أصحاب جاولي إلى جنائب القمّص ، وجوسلين ، وغيرهما من الفرنج ، فركبوها وانهزموا ، فمضى[1] جاولي[3] وراءهم ليردّهم ، فلم يرجعوا ، وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أُخذت الموصل منه ، فلمّا رأى أنّهم لا يعودون معه أهمّته نفسه ، وخاف من المقام ، فانهزم ، وانهزم باقي عسكره .

فأمّا أصبهبذ صباوة فسار نحو الشام ، وأمّا بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جَعْبَر ، وأمّا ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عُمَر ، وأمّا جاولي

---

1) Om. B.

2) Codd. sine punct.

3) B. add. لك .

---

١ فمضا .

Marfat.com

فقصد الرَّحبة ؛ وقُتل من المسلمين خلق كثير ، ونهَب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم ، وعظم البلاء عليهم من الفرنج ، وهرب القمّص وجوسلين إلى تلّ باشر والتجأ إليهما خلق كثير من المسلمين ، ففعلا معهم الجميل ، وداويا الجرحى ، وكسوَا العُراة ، وسيّراهم إلى بلادهم .

ذكر عود جاولي إلى السلطان

لمّا انهزم جاولي سقاوو قصد الرَّحبة ، فلمّا قاربها بات دونها في عدّة فوارس ، فاتّفق أنّ طائفة من عسكر الأمير مودود ، الذين[1] أخذوا الموصل مِنه، أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرَّحبة ، فقاربوا جاولي ولا يشعرون به ، ولو علموا لأخذوه .

فلمّا رأى الحال كذلك ، علم أنّه لا يقدر [أن] يقيم بالجزيرة ، ولا بالشام، ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ، ويرجع إليه ، ويداوي به مرضه ، غير قصد باب السلطان محمّد عن رغبة واختيار ، وكان واثقاً بالأمير حسين بن قتلغتكين ، فرحل من مكانه وهو خائفٌ حَذِرٌ ، قد أخفى شخصه وكتم أمره ، وسار إلى عسكر السلطان ، وكان بالقرب من أصبهان ؛ فوصل إليه في سبعة عشر يوماً من مكانه لجدّه في السيْر ، فلمّا وصل المعسكرَ قصد الأمير حسيناً[2]، فحمله إلى السلطان ، فدخل إليه وكفنُهُ تحت يده ، فأمّنه ، وأتاه الأمراء يهنّونه بذلك، وطلب منه السلطان الملك[1] بكتاش[2] بن تكش ، فسلّمه إليه ، فاعتقله بأصبهان .

---

1) B. 2) Codd. بلتاش .

---

١ الذي .

٢ حسين .

Marfat.com

ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهُدنة بعدها

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتابك والفرنج ، وسببها أنّ طغتكين سار إلى طَبَرِيّة ، وقد وصل إليها ابن أخت بغدوين الفرنجيّ ، ملك القدس ، فتحاربا واقتتلا ، وكان طغتكين في ألفَيْ فارس ، وكثير من الرَّجّالة ، وكان ابن اخت ملك الفرنج في أربعمائة فارس ، وألفَيْ راجل .

فلمّا اشتدّ القتال انهزم المسلمون ، فترجّل طغتكين ، ونادى بالمسلمين ، وشجّعهم ، • فعاودوا الحرب[1] ، وكسروا الفرنج ، وأسروا ابن اخت الملك ، وحُمل إلى طغتكين ، فعرض طغتكين عليه الإسلام ، فامتنع منه ، وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار ، وإطلاق خمسمائة أسير ، فلم يقنع طغتكين منه بغير الإسلام ، فلمّا لم يجبْ قتله بيده ، وأرسل إلى الخليفة والسلطان الأسرى ، ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين ، وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ، ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين ، بعد الهزيمة الآتي ذكرها ، أمراً عظيماً .

ذكر انهزام طغتكين من الفرنج

في هذه السنة ، في شعبان ، انهزم أتابك طغتكين من الفرنج .

وسبب ذلك أنّ حصن عَرْقَة ، وهو من أعمال طرابلس ، كان بيد غلام للقاضي فخر الملك أبي عليّ بن عمّار ، صاحب طرابلس ، وهو من الحصون

---

1) B. فعادوا الحرب .

Marfat.com

المَنيعة ، فعصى[1] على مولاه ، فضاق به القوت ، وانقطعت عنه الميرة ، لطول مُكث الفرنج في نواحيه ، فأرسل إلى أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، وقال له : أرسلْ من يتسلّم هذا الحصن منّي ، قد عجزتُ عن حفظه ، ولأن يأخذَهُ المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أنْ يأخذَهُ الفرنجُ . فبعث إليه طغتكين صاحباً له ، اسمه إسرائيل ، في ثلاثمائة رجل ، فتسلّم الحصن ، فلمّا نزل غلام ابن عمّار منه رماه إسرائيل ، في الأخلاط ، بسهم فقتله ، وكان قصده بذلك أن لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلّفه بالقلعة من المال .

وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه ، وتقويته بالعساكر ، والأقوات ، وآلات الحرب ، فنزل الغيث والثلج مدّة شهرَيْن ، ليلاً ونهاراً ، فمنعه ، فلمّا زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس ، ففتح حصوناً للفرنج ، • منها حصن الأكمة[1] . فلمّا سمع السردانيُّ الفرنجيُّ • بمجيء طغتكين[2] ، وهو على حصار طرابلس ، توجّه في ثلاثمائة فارس ، فلمّا أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا ، وخلّوا ثقلهم ورحالهم ودوابّهم للفرنج ، فغنموا ، وقووا به ، وزاد في تجمّلهم[3] .

ووصل المسلمون إلى حمص ، على أقبح حال من التقطّع ، ولم يُقتَلْ منهم أحد لأنّه لم تجرِ حرب ، وقصد السردانيُّ إلى عَرقة ، فلمّا نازلها طلب مَن كان بها الأمان ، فأمّنهم على نفوسهم ، وتسلّم الحصن ، فلمّا خرج مَن فيه قبض على إسرائيل ، وقال : لا أطلقُه[2] إلاّ بإطلاق فلان ، وهو أسير كان بدمشق من الفرنج ، منذ سبع سنين ، ففودي به وأطلقا معاً .

---

1) Om. C. P.

2) C. P. بطغتكين .

3) B. تحكمهم .

---

١ فعصا .

٢ أطلق ه .

Marfat.com

ولمّا وصل طغتكين إلى دمشق ، بعد الهزيمة ، أرسل إليه ملك القدس يقول له : لا تظنّ أنّني أنقض الهدنة للذي تمّ عليك من الهزيمة ، فالملوك بينالهم أكثر ممّا نَالك ، ثم تعود أمورهم إلى الانتظام والاستقامة ؛ وكان طغتكين خائفاً أن يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد .

ذكر صُلح السُّنّة والشيعة ببغداذ

في هذه السنة ، • في شعبان[1] ، اصطلح عامّة بغداذ السُّنّة والشيعة ، وكان الشرّ منهم على طول الزمان، وقد اجتهد الخلفاء، والسلاطين، والمشِّحَن في إصلاح الحال ، فتعذّر عليهم ذلك ، إلى أن أذن الله تعالى فيه ، وكان بغير واسطة .

وكان السبب في ذلك أنّ السلطان محمّداً لمّا قتل ملك العرب صدقة ، كما ذكرناه ، خاف الشيعة ببغداذ ، أهل الكرخ وغيرهم ، لأنّ صدقة كان يتشيّع هو وأهل بيته ، فشنّع أهل السُّنّة عليهم بأنّهم نالهم غمّ وهمّ لقتله ، فخاف الشيعة ، وأغضَوْا على سماع هذا ، ولم يزالوا خائفين إلى شعبان ، فلمّا دخل شعبان تجهّز السُّنّة لزيارة قبر مُصعب بن الزُّبَيْر ، وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ، ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه .

فلمّا تجهّزوا للمسير ، اتّفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرخ ، فأظهروا ذلك ، فاتّفق رأي[2] أهل الكرخ على ترك معارضتهم ، وأنّهم لا يمنعونهم ؛ فصارت السُّنّة تسيّر أهل كلّ محلّة منفردين ، ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير ، وجاء أهل باب المراتب ، ومعهم فيل قد عُمل من خشب ، وعليه الرجال بالسلاح ، وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه ، فاستقبلهم أهله بالبَخور

.....

1) Om. B. 2) B.

Marfat.com

والطيب ، والماء المبرّد ، والسلاح الكثير ، وأظهروا بهم السرور ، وشيّعوهم حتّى خرجوا من المحلّة .

وخرج الشيعة ، ليلة النصف منه ، إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره ، فلم يعترضهم أحد من السُّنّة ، فعجب الناس لذلك ، ولمّا عادوا من زيارة مُصعب لقيهم أهل الكرخ بالفرح والسرور ، فاتّفق أنّ أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب ، فقرأ لهم قوم : ﴿ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصْحَابِ الفِيلِ﴾[1] إلى آخر السورة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مَزْيد إلى باب السلطان ، فتقبّله وأكرمه ، وكان قد هرب ، بعد قتل والده ، إلى الآن ، والتحق أخوه بدران بن صدقة بالأمير مودود الذي أقطعه السلطان الموصل ، فأكرمه وأحسن صُحبته .

وفيها ، في نيسان ، زادت دجلة زيادة عظيمة ، وتقطّعت الطرق ، وغرقت الغلاّت الشتويّة والصيفيّة ، وحدث غلاء عظيم بالعراق ، بلغت كارة الدقيق الحُشْكار عشرة دنانير إماميّة ، وعُدم الخبز رأساً ، وأكل الناس التمر والباقِلاّء الخضراء[1] ، وأمّا أهل السواد فإنّهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ، ونصف شوّال ، سوى الحشيش والتوت .

وفيها ، في رجب ، عُزل وزير الخليفة أبو المعالي هبة الله بن المطّلب ، ووزر

1) Cor. 105.

١ الأخضر .

Marfat.com

له أبو القاسم عليٌّ بن أبي نصر بن جُهير .

وفيها ، في شعبان ، تزوّج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه ، وهي أخت السلطان محمّد ، وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد ابن محمّد النّيسابوريُّ ، الحنفيُّ ، وكان المتولّي لقبول العقد نظام الملك أحمد ابن نظام الملك ، وزير السلطان ، بوكالة من الخليفة ، وكان الصداق مائة ألف دينار ، ونُثرت الجواهر والدنانير ، وكان العقد بأصبهان .

وفيها تولّى مجاهد الدين بهروز شحنكيّة بغداذ ، وكان سبب ذلك أنّ السلطان محمّداً[1] كان قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد، صاحب المخزن، وعلى أبي الفرج بن رئيس الرؤساء ، واعتقلهما عنده ، ثم أطلقهما الآن ، وقرّر عليهما مالاً يحملانه إليه ، فأرسل مجاهدَ الدين بهروزَ لقبض المال . وأمره السلطان بعمارة دار المملكة ، ففعل ذلك ، وعمر الدار ، وأحسن إلى الناس ، فلمّا قدم السلطان إلى بغداذ ولاّه شحنكيّة العراق جميعه ، وخلع على سعيد بن حميد العمريّ ، صاحب جيش صدقة ، وولاّه الحِلّة السيفيّة ، وكان صارماً ، حازماً ، ذا رأي وجَلَد .

وفيها ، في شوّال ، ملك الأمير سكمان القطبيُّ ، صاحب خلاط ، مدينة ميّافارقين بالأمان ، بعد أن حصرها وضيّق على أهلها عدّة شهور ، فعدمت الأقوات بها ، واشتدّ الجوع بأهلها فسلّموها .

وفي هذه السنة ، في صفر ، قُتل قاضي أصبهان عُبيد الله بن عليّ الخطيبيُّ بهَمذان ، وكان قد تجرّد ، في أمر الباطنيّة ، تجرّداً عظيماً ، وصار يلبس درعاً حذراً منهم ، ويحتاط ، ويحترز[1] ، فقصده إنسان عجميّ ، يوم جمعة ،

.....

1) Om. B.

---

١ محمد .

Marfat.com

ودخل بينه وبين أصحابه فقتله ؛ وقُتل صاعد بن محمّد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضي نَيسابور ، يوم عيد الفطر ، قتله باطنيٌّ ، وقُتل الباطنيُّ ، ومولده سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان حنفيَّ المذهب[1] .

وفي هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر ، فأتى الخبر إلى ملك الفرنج ، فسار إليه وعارضه في البرّ ، وأخذ كلّ من فيه ، ولم يسلم منهم إلاّ القليل . ومَن سلم أخذه العرب .

وفيها[1] ، في فِصح النصارى ، ثار جماعة من الباطنيّة في حصن شَيْزَر على حين غفلة من أهله في مائة رجل ، فملكوه ، وأخرجوا مَن كان فيه ، وأغلقوا بابه ، وصعدوا إلى القلعة فملكوها ، وكان أصحابها بنو مُنقِذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى ، وكانوا قد أحسنوا ، إلى هؤلاء الذين أفسدوا ، كلّ الإحسان ، فبادر أهل المدينة الباشورة ، فأصعدهم النساء في الحبال من الطاقات ، وصاروا معهم ، وأدركهم الأمراء بنو مُنقِذ ، أصحاب الحصن ، فصعدوا إليهم ، فكبّروا عليهم وقاتلوهم[2] ، فانخذل الباطنيّة ، وأخذهم السيف من كلّ جانب ، فلم يفلت منهم أحد ، وقُتل من كان على مثل رأيهم في البلد .

وفيها وصل إلى المَهديّة[3] ، ثلاثة نفر[4] غرباء ، فكتبوا إلى أميرها[5] يحيى ابن تميم يقولون : إنّهم يعملون الكيمياء ؛ فأحضرهم عنده ، وأمرهم أن يعملوا شيئاً يراه من صناعتهم ، فقالوا : نعمل النقرة ؛ فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها[5] ، وقعد معهم هو والشريف ، أبو الحسن[6] ، وقائد جيشه واسمه إبراهيم ، وكانا يختصّان به[7] ، فلمّا ، رأى الكيماوية[8] المكان خالياً ، من جمع[9]

---

1) Sequens narratio in C. P. ad annum 507 relata est.

2) C. P. وقاتلوا .

3) Add. C. P. من إفريقية .

4) C. P. قوم .

5) Om. C. P.

6) C. P. ابن حسن .

7) Add. C. P. وكان أصحاب الكيمياء أيضاً ثلاثة .

8) C. P. رأوا .

9) Om. B.

Marfat.com

ثاروا بهم ، فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه ، فوقعت السكّين في عمامته فلم تصنع شيئاً ، ورفسه يحيى فألقاه على ظهره ، ودخل يحيى باباً وأغلقه على نفسه ، فضرب الثاني الشريفَ فقتله ، وأخذ القائد إبراهيم السيف فقاتل الكيماوية[1] ، ووقع الصوت ، فدخل أصحاب الأمير يحيى فقتلوا الكيماوية ، وكان زيّهم زيّ أهل الأندلس ، فقُتل جماعة من أهل البلد على مثل زيّهم ، وقيل للأمير يحيى : إنّ هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدّم بن خليفة ، واتّفق أنّ الأمير أبا الفتوح بن تميم ، • أخا يحيى[2] ، وصل تلك الساعة إلى القصر في أصحابه وقد لبسوا السلاح ، فمُنع من الدخول، فثبت عند الأمير يحيى أنّ ذلك بوضْعٍ منهما ، فأحضر المقدّم بن خليفة ، وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصاً ، لأنّه قتل أباهم ، وأخرج الأمير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم ، وهي ابنة عمّه ، ووكّل بهما في قصر زياد بين المهديّة وسَفَاقُس ، فبقي هناك إلى أن مات يحيى ، وملك بعده ابنه عليّ[3] سنة تسع وخمسمائة ، فسيّر أبا الفتوح وزوجته بلارة إلى ديار مصر في البحر ، فوصلا إلى إسكندريّة ، على ما نذكره إن شاء الله .

وفيها ، في المحرّم ، قُتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمّد أبو المحاسن الروياني الطبريُّ ، الفقيه الشافعيُّ ، مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان حافظاً للمذهب ، ويقول : لو احترقتْ كُتُب الشافعيّ لأمليتُها من قلبي .

وفيها ، في جُمادى الآخرة ، توفّي الخطيب أبو زكريّاء يحيى بن عليّ التّبريزيُّ ، الشيبانيُّ ، اللغويُّ ، صاحب التصانيف المشهورة ، وله شعر ليس بالجيد .

وفيها ، في رجب ، توفّي السيّد أبو هاشم زيد الحسنيُّ ، العلويُّ ، رئيس

---

1) C. P. الكيميانية .

2) Om. C. P.

3) C. P. يحيى .

هَمذان، وكان نافذ الحكم، ماضي الأمر ، وكانت مدّة رئاسته لها سبعاً[1] وأربعين سنة ، وجدّه لأمّه الصاحب • أبو القاسم[1] بن عبّاد ، وكان عظيم المال جدّاً ، فمن ذلك أنّه أخذ منه السلطان محمّد في دفعة واحدة سبع مائة ألف دينار لم يبعْ لأجلها ملكاً ولا استدان ديناراً[2] ، وأقام بعد ذلك بالسلطان[3] محمّد ، عدّة شهور ، في جميع ما يريده ، وكان قليل المعروف .

وفيها ، في ذي الحجّة ، توفّي أبو الفوارس الحسن بن عليّ الخازن ، الكاتب المشهور بجودة الخطّ ، وله شعر منه :

عنّتِ الدُّنيا لطالبِها ، واستراحَ الزاهدُ الفَطِنُ
عرَفَ الدُّنيا ، فلم يرَها وسِواه[2] حظّه الفِتَنُ
كُلُّ مَلْكٍ نال زُخرفَها حظّهُ ممّا حَوى كَفَنُ
يَقْتني مالاً ، ويترُكُهُ ، في كلا[3] الحالَيْن مفتتَنُ
أمَلي كَوْني على ثِقةٍ من لقاء اللهِ مُرتَهَنُ
أكره الدُّنيا ، وكيفَ بها ، والذيْ تسخو به وسَنُ
لم تَدُمْ قبلي عَلى أحدٍ ، فَلِماذا الهمُّ والحَزَنُ ؟

• وقيل توفّي سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وقد ذُكر هناك[4] .

1) Om. C. P.
2) B. دينا .
3) B. عند السلطان .
4) Om. C. P.

---

١ سبع .
٢ سواه .
٣ كلى .

٥٠٣

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام

في هذه السنة ، حادي عشر ذي الحجّة ، ملك الفرنج طرابلس .

وسبب ذلك : أنّ طرابلس كانت قد صارت في حكم صاحب مصر ونائبه فيها ، والمدد يأتي إليها منه ، وقد ذكرنا ذلك سنة إحدى وخمسمائة . فلمّا كانت هذه السنة ، أوّل شعبان ، وصل أسطول كبير من بلد الفرنج في البحر ، ومقدّمهم قمّص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال ، والسلاح ، والميرة ، فنزل على طرابلس ، وكان نازلاً عليها قبله السرداني ابن أخت صنجيل ، وليس بابن أخت ريمند هذا ، بل هو قمّص آخر ، فجرى بينهما فتنة أدّت إلى الشرّ والقتال ، فوصل طنكري صاحب أنطاكية إليها ، معونةً للسرداني ، ووصل الملك بغدوين ، صاحب القدس ، في عسكره ، فأصلح بينهم ، ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس ، وشرعوا في قتالها ، ومضايقة أهلها ، من أوّل شعبان ، وألصقوا أبراجهم بسورها ، فلمّا رأى الجند وأهل البلد ذلك سُقِط في أيديهم ، وذلّت نفوسهم ، وزادهم ضعفاً تأخّرُ الأسطول المصريّ عنهم بالميرة والنجدة .

وكان سبب تأخّره : أنّه فرغ منه ، والحثّ[1] عليه ، واختلفوا فيه أكثر

.....

1) B. وارتجت .

من[1] سنة ، وسار ، فردّته الريح ، فتعذّر عليهم الوصول إلى طرابلس ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

ومدّ الفرنج القتال عليها من الأبراج والزحف ، فهجموا على البلد وملكوه عنوةً وقهراً يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة من السنة ، ونهبوا ما فيها ، وأسروا الرجال ، وسبوا النساء والأطفال ، ونهبوا الأموال ، وغنموا من أهلها من الأموال ، والأمتعة ، وكُتُب دور العلم الموقوفة ، ما لا يُحدّ ولا يحصى ، فإنّ أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة ، وسلم الوالي الذي كان بها ، وجماعة من جندها كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها ، فوصلوا إلى دمشق ، وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات ، وأُخذت دفائنهم وذخائرهم في مكامنهم .

ذكر ملك الفرنج جُبيل وبانياس[2]

لمّا فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكري ، صاحب أنطاكية ، إلى بانياس ، وحصرها ، وافتتحها ، وأمّن أهلها ، ونزل مدينة جُبيل ، وفيها فخر الملك ابن عمّار ، الذي كان صاحب طرابلس ، وكان القوت فيها قليلاً ، فقاتلها إلى أن ملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجّة من السنة بالأمان ، وخرج فخر الملك بن عمّار سالماً .

ووصل ، عُقَيْب ملْك طرابلس ، الأسطول المصريُّ بالرجال[3] ، والمال ، والغلال ، وغيرها ، ما يكفيهم سنة ، فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيّام

1) B. add. كل . 2) Om. C. P. 3) B.

Marfat.com

قضاء النازل بأهلها ، وفُرّقت الخلال التي فيه والذخائر في الجهات المتفقة إليها صور ، وصيدا ، وبيروت .

وأمّا فخر الملك بن عمّار فإنّه قصد شَيْزَر ، فأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن عليّ بن مُنقِذ الكِنانيُّ ، واحترمه ، وسأله أن يقيم عنده ، فلم يفعل ، وسار إلى دمشق ، فأنزله طغتكين صاحبها ، وأجزل له في الحمل والعطيّة ، وأقطعه أعمال الزبداني ، • وهو عمل كبير[1] من أعمال • دمشق ، وكان[2] ذلك في المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة .

ذكر الحرب بين محمّد خان وساغربك[3]

في هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الأتراك وغيرهم وقصد أعمال محمّد خان بسمرقند وغيرها، فأرسل محمّد خان إلى سَنجَر يستنجده، فسيّر إليه الجنود، واجتمع معه أيضاً كثير من العساكر، وسار إلى ساغربك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثُر الأسر فيهم والنهب، فلمّا فرغوا من حربهم وأمن محمّد خان من شرّ ساغربك عاد العسكر السنجريُّ إلى خُراسان فعبروا النهر إلى بلخ .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في المحرّم ، سيّر السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك إلى قلعة ألَموت لقتال الحسن بن الصبّاح ومَن معه من الإسماعيليّة ،

---

1) Om. B. 2) Om. C. P. 3) B. ساغربك

Marfat.com

فحصروهم ، وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضاً .

وفيها ، في ربيع الآخر ، قدم السلطان إلى بغداذ ، وعاد عنها في شوّال من السنة أيضاً .

وفيها ، في شعبان ، توجّه الوزير نظام الملك إلى الجامع ، فوثب به الباطنيّة ، فضربوه بالسكاكين ، وجُرح في رقبته ، فبقي مريضاً مدّة ، ثم برأ ، وأخذ الباطنيُّ الذي جرحه فسُقي الخمر حتّى سكر ، ثم سُئل عن أصحابه ، فأقرّ على جماعة بمسجد المأمونيّة ، فأُخذوا وقُتلوا .

• وفيها عُزل وزير الخليفة ، وهو أبو المعالي بن المطّلب ، ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جُهير ، فخرج ابن المطّلب من دار الخليفة مستتراً هو وأولاده واستجار بدار السلطان[1] .

وفيها جهّز يحيى بن تميم ، صاحب إفريقية ، خمسة عشر شينيّاً وسيّرها إلى بلاد الروم ، فلقيها أسطول الروم ، وهو كبير ، فقاتلوهم ، وأخذوا ستّ قطع من شواني المسلمين ، ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش في البحر والبرّ .

وسيّر ابنَهُ أبا الفتوح إلى مدينة سَفَاقُس والياً عليها ، فثار به أهلها ، فنهبوا قصره ، وهمّوا بقتله ، فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم ، حتّى فرّق كلمتهم ، وبدّد شملهم ، وملك رقابهم فسجنهم ، وعفا عن دمائهم وذنوبهم .

وفيها توفّي الأمير إبراهيم ينّال ، صاحب آمِد ، وكان قبيح السيرة ، مشهوراً بالظلم ، فجلا كثير من أهلها لجوره ، وملك بعده ولده ، وكان أصلح حالاً منه .

وفيها ، في ثامن ذي القعدة ، ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدّة إلى القبلة ، وبقي يطلع إلى آخر ذي الحجّة ، ثم غاب .

---

1) Om. C. P.

٥٠٤

ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا

في هذه السنة، في ربيع الآخر ، ملك الفرنج مدينة صيدا، من ساحل الشام .

وسبب ذلك : أنّه وصل في البحر إلى الشام ستّون مركباً للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحجّ البيت المقدّس . وليغزو بزعمه المسلمين[1] ، فاجتمع بهم بَغدوين ملك القدس ، وتقرّرت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام ، فرحلوا[1] من القدس ، ونزلوا[2] مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة ، وضايقوها برّاً وبحراً .

وكان الأسطول المصريُّ مقيماً على صور ، فلم يقدر على إنجاد صيدا ، فعمل الفرنج برجاً من الخشب ، وأحكموه ، وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة ، وزحفوا به ، فلمّا عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم ، وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت ، فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها إلى الفرنج ، وطلبوا من ملكهم الأمان فأمّنهم على أنفسهم ، وأموالهم ،

1) Om. C. P.

---

١ فرحلا .

٢ ونزلا .

والعسكر الذي عندهم ، ومَنْ أراد المقام بها[1] عندهم أمّنوه، ومَن أراد المسير عنهم لم يمنعوه ، وحلف لهم على ذلك، فخرج الموالي ، وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد ، في العشرين من جُمادى الأولى إلى دمشق ؛ وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان ، وكانت مدّة الحصار سبعة وأربعين يوماً .

ورحل بغدوين عنها إلى القدس ، ثم عاد إلى صيدا ؛ بعد مدّة يسيرة ، فقرّر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار ، فأفقرهم ، • واستغرق أموالهم[1] .

ذكر استيلاء المصريّين على عَسقلان

كانت عَسقلان للعلويّين المصريّين ، ثم إنّ الخليفة الآمر بأحكام الله استعمل عليها إنساناً يُعرف بشمس الخلافة ، فراسل بغدوينَ ملك الفرنج بالشام ، وهادنه ، وأهدى إليه مالاً وعروضاً ، فامتنع به من أحكام المصريّين عليه ، إلاّ فيما يريد من غير مجاهرةٍ بذلك

فوصلت الأخبار بذلك إلى الآمر بأحكام الله ، صاحب مصر ، وإلى وزيره الأفضل[2] ، أمير الجيوش ، فعظم الأمر عليهما ، وجهّزا عسكراً وسيّراه إلى عسقلان مع قائد كبير من قوّاده ، وأظهرا أنّه يريد الغزاة ، ونقّذا إلى القائد سِرّاً أن يقبض على شمس الخلافة إذا حضر عندهم ، ويقيم هو عوضه بعسقلان أميراً . فسار العسكر ، فعرف شمس الخلافة الحال ، فامتنع من الحضور عند

---

1) Om. B.

2) B. add. ابن .

العسكر المصريّ ، وجاهر بالعصيان ، وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفاً منهم .

فلمّا عرف الأفضل ذلك خاف أن يسلّم عسقلان إلى الفرنج ، فأرسل إليه وطيّب قلبه ، وسكّنه ، وأقرّه على عمله ، وأعاد عليه إقطاعه بمصر .

ثم إنّ شمس الخلافة خاف أهل عسقلان ، فأحضر جماعة من الأرمن واتّخذهم جنداً ، ولم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة أربع وخمسمائة ، فأنكر الأمرَ أهلُ البلد ، فوثب به قوم من أعيانه ، وهو راكب ، فجرحوه ، فانهزم منهم إلى داره ، فتبعوه وقتلوه ، ونهبوا داره وجميع ما فيها ، ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحُجّة ، وأرسلوا إلى مصر بجليّة الحال إلى الآمر والأفضل ، فسُرّا بذلك ، وأحسنا إلى الواصلين بالبشارة ، وأرسلا إليه والياً يقيم به ، ويستعمل مع أهل البلد الإحسان وحُسن السيرة ، فتمّ ذلك ، وزال ما كانوا يخافونه .

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب وغيره

في هذه السنة جمع صاحب أنطاكية عساكره من الفرنج ، وحشد الفارس والراجل ، وسار نحو حصن الأثارب ، وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ ، وحصره ، ومنع عنه الميرة ، فضاق الأمر على مَن به من المسلمين ، فنقبوا من القلعة نقباً ، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب أنطاكية فيقتلوه ، فلمّا فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن إليه صبيّ أرمنيّ ، فعرّفه الحال ، فاحتاط ، واحترز منهم ، وجدّ في قتالهم ، حتّى ملك الحصن قهراً وعنوةً ، وقتل من أهله ألفَيْ رجل ، وسبى[1] وأسر الباقين .

---

١ وسبا .

Marfat.com

ثم سار إلى حصن زَرْدَنا ، فحصره ، ففتحه ، وفعل بأهله مثل الأثارب ، فلمّا سمع أهل منبِـج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج ، وكذلك أهل بَالِسَ ، وقصد الفرنج البلدَيْن فرأوهما وليس بهما أنيسٌ ، فعادوا عنهما[1] .

وسار عسكر من الفرنج إلى مدينة صيدا ، فطلب أهلها منهم الأمان ، فأمّنوهم وتسلّموا البلد ، فعظم خوف المسلمين منهم ، وبلغت القلوب الحناجر ، وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه ، فشرع أصحاب البلاد الإسلاميّة بالشام في الهدنة معهم ، فامتنع الفرنج من الإجابة إلاّ على قطيعةٍ يأخذونها إلى مدّة يسيرة ، فصالحهم الملك رضوان ، صاحب حلب ، على اثنين وثلاثين ألف دينار ، وغيرها من الخيول والثياب ، وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار ، وصالحهم ابن مُنقذ ، صاحب شَيْزر ، على أربعة آلاف دينار ، وصالحهم عليّ الكرديُّ ، صاحب حماة ، على ألفَيْ دينار ، وكانت مدّة الهدنة إلى وقت إدراك الغلّة وحصادها .

ثم إنّ مراكب أقلعت من ديار مصر ، فيها التجّار ومعهم الأمتعة الكثيرة ، فوقع عليها مراكب الفرنج ، فأخذوها ، وغنموا ما مع التجّار ، وأسروهم ، فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداذ ، مستنفرين على الفرنج . فلمّا وردوا بغداذ اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع[1] السلطان ، واستغاثوا ، ومنعوا من الصلاة ، وكسروا المنبر ، فوعدهم السلطان بإنفاذ العساكر للجهاد ، وسيّر من دار الخلافة مِنبراً إلى جامع السلطان . فلمّا كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ، ومعهم أهل بغداذ ، فمنعهم حاجب الباب من الدخول ، فغلبوه على ذلك ، ودخلوا الجامع ، وكسروا شبّاك المقصورة ،

---

1) Om. R.

---

١ عنها .

Marfat.com

وهجموا[1] إلى المنبر فكسروه ، وبطلت الجمعة أيضاً ، فأرسل الخليفة إلى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورَتْقه[1] ، فتقدّم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم ، والتجهّز للجهاد ، وسيّر ولدَهُ الملك مسعوداً[2] مع الأمير مودود ، صاحب الموصل ، وتقدّموا إلى الموصِل ليلحق بهم الأمراء ويسيروا[3] إلى قتال الفرنج ، وانقضت السنة، وساروا في سنة خمس وخمسمائة ، • وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى[2] .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان ، ووزر بعده الخطير محمّد بن الحسين الميذيُّ .

وفيها ورد رسول ملك الروم • إلى السلطان[2] يستنفره على الفرنج ، ويحثّه على قتالهم ودَفْعهم عن البلاد ، وكان وصوله قبل وصول أهل حلب ، وكان أهل حلب يقولون للسلطان : أما تتّقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حميّة منك للإسلام ، حتّى قد أرسل إليك في جهادهم !

وفيها ، في رمضان ، زُفّت ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة ، وزُيّنت

.....

1) B. ودخلوا . 2) Om. B.

---

١ ورفعه .

٢ مسعود .

٣ ويسيرون .

بغداذ وغُلّقتْ[1] ، وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها .

• وفيها هبّت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا ، وأخذت بأنفاس الناس ، ولم يقدر أحد [أن] يفتح عينَيْه ، ومَنْ فتحهما[2] لا يبصر يده ، ونزل على الناس رمل ، ويئس الناس من الحياة ، وأيقنوا بالهلاك ، ثم تجلّى[3] قليلاً ، وعاد إلى الصفوة ، وكان ذلك من أوّل وقت العصر إلى بعد المغرب[1] .

وفيها ، • في المحرّم[1] ، توفّي الكيا الهرّاس الطبريُّ واسمه • أبو الحسن[1] عليُّ بن محمّد بن عليّ ، وكان من أعيان الفقهاء الشافعيّة ، أخذ الفقه عن إمام الحرمَيْن الجوينيّ ، ودرّس بعده في النظاميّة ببغداذ ، وتوفّي بها ، ودُفن عند تربة الشيخ أبي إسحاق ، ودرّس بعده في النظاميّة الإمام أبو بكر الشاشيُّ .

وفيها توفّي أبو الحسين إدريس بن حمزة بن عليّ الرمليُّ الفقيه الشافعيُّ من أهل الرملة بفلسطين، تفقّه على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسيّ، وعلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ ، ودخل خراسان ، وولِيَ التدريس بسمرقند ، فتوفّي بها.

---

1) Om. C. P.

---

١ وعُلّقت .

٢ فتحها .

٣ تجلّا .

Marfat.com

٥٠٥

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير إلى قتال الفرنج ، فكانوا : الأمير مودود ، صاحب الموصل ، والأمير سكمان القطبيّ ، صاحب تبريز وبعض ديار بكر ، والأميرين[1] إيلبكي وزنكي ابني[2] بُرسق ، ولهما همَذان وما جاورها ، والأمير أحمديل ، وله مَراغة ، وكوتب الأمير أبو الهيجاء ، صاحب إربل ، والأمير إيلغازي ، صاحب ماردين ، والأمراء البكجيّة ، باللحاق بالملك مسعود ، ومودود ، فاجتمعوا ، ما عدا الأمير إيلغازي فإنّه سيّر ولده إياز وأقام هو ، فلمّا اجتمعوا ساروا إلى بلد سنجار[1] ، ففتحوا عدّة حصون للفرنج ، وقُتل من بها منهم ، وحصروا مدينة الرُّها مدّةً ، ثم رحلوا عنها من غير أن يملكوها .

• وكان سبب رحيلهم عنها أنّ الفرنج اجتمعت جميعها ، فارسها وراجلها ، وساروا إلى الفرات ليعبروه ليمنعوا الرُّها من المسلمين ، فلمّا وصلوا إلى الفرات بلغهم كثرة المسلمين ، فلم يقدموا عليه ، وأقاموا على الفرات ، فلمّا رأى

---

1) C. P. الساحل .

---

١ والأمير .

٢ ابنا .

Marfat.com

المسلمون ذلك رحلوا عن الرُّها إلى حَرّانَ ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات إليهم ويقاتلوهم . فلمّا رحلوا عنها جاء الفرنج ، ومعهم الميرة والذخائر ، إلى الرُّها ، فجعلوا فيها كلّ ما[1] يحتاجون إليه، بعد أن كانت قليلة الميرة، وقد أشرفت على أن تُؤخَذ[2] ، وأخذوا كلّ من فيه عَجْز وضَعْف وقهر ، وعادوا إلى الفرات فعبروه إلى الجانب الشاميّ ، وطرقوا أعمال حلب ، فأفسدوا ما فيها ، ونهبوها ، وقتلوا فيها وأسروا ، وسبوا خلقاً كثيراً .

وكان سبب ذلك أنّ الفرنج لمّا عبروا إلى الجزيرة خرج الملك رضوان ، صاحب حلب ، إلى ما أخذه الفرنج من أعمالها ، فاستعاد بعضه ، ونهب منهم وقتل ، فلمّا عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا .

وأمّا العسكر السلطانيّ فلمّا سمعوا بعود الفرنج وعبورهم الفرات ، رحلوا إلى الرُّها وحصروها ، فرأوا أمراً محكماً ، قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تُركت عندهم ، وبكثرة المقاتلين عنهم ، ولم يحلوا فيها مطمعاً ، فرحلوا عنها ، وعبروا الفرات ، فحصروا قلعة تَلّ باشِر خمسة وأربعين يوماً ، ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضاً .

ووصلوا إلى حلب ، فأغلق الملك رضوان أبواب البلد ، ولم يجتمع بهم ، ثمّ مرض هناك الأمير سكمان القطبيّ ، فعاد مريضاً ، فتوفّي في بالِسَ ، فحمله أصحابه في تابوت ، وحملوه عائدين إلى بلاده ، فقصدهم إيلغازي ليأخذهم ، ويغنم ما معهم ، فجعلوا تابوته في القلب ، وقاتلوا بين يدَيْه ، فانهزم إيلغازي ، وغنموا ما معه ، وساروا إلى بلادهم .

---

1) Om. C. P. Inde : وكان سبب الخ .

---

١ كلّما .

٢ يؤخذوا .

ولمّا أغلق الملك رضوان أبواب حلب ، ولم يجتمع بالعساكر السلطانيّة ، رحلوا إلى معَرّة النعمان ، واجتمع بهم طغتكين ، صاحب دمشق ، ونزل على الأمير مودود ، فاطّلع من الأمراء على نيّاتٍ فاسدة في حقّه ، فخاف أن تؤخذ منه دمشق ، فشرع في مهادنة الفرنج سرّاً وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين ، فلم يتمّ ذلك ، وتفرّقت العساكر .

وكان سبب تفرّقهم أنّ الأمير • بُرسق بن[1] برسق الذي هو أكبر الأمراء كان به نِقرِس ، فهو يُحمل في محفّة ، ومات سكمان القطبيّ ، كما ذكرنا ، وأراد الأمير أحمديل ، صاحب مرَاغة ، العود[2] ، ليطلب من السلطان أن يُقطعه ما كان لسكمان من البلاد ، وأتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، خاف الأمراء على نفسه ، فلم ينصحهم ، إلاّ أنّه حصل بينه وبين مودود ، صاحب الموصل ، مودّة وصداقة ، فتفرّقوا لهذه الأسباب ؛ وبقي مودود وطغتكين بالمعرّة . فساروا منها ، ونزلوا على نهر العاصي .

ولمّا سمع الفرنج بتفرّق عساكر الإسلام طمعوا ، وكانوا قد اجتمعوا كلّهم[3] ، بعد الاختلاف والتباين ، وساروا إلى أفامية[1] ، فسمع بهم سُلطان بن مُنقذ ، صاحب شَيْزَر ، فسار إلى مودود وطغتكين ، وهوّن عليهما أمر الفرنج ، وحرّضهما على الجهاد ، فرحلوا إلى شَيْزَر ، ونزلوا عليها ، ونزل الفرنج بالقرب منهم ، فضيّق عليهم عسكر المسلمين الميرة ، ولزّوهم[2] بالقتال ، والفرنج يحفظون نفوسهم ، ولا يعطون مصافّاً ، فلمّا رأوا قوّة المسلمين عادوا إلى

---

1) Om. C. P. 2) B. النار . 3) B.

---

١ نفية .

٢ وقتلوهم .

Marfat.com

آفامية[1] وتبعهم المسلمون ، فتخطّفوا من أدركوه في ساقتهم وعادوا إلى شَيْزَر في ربيع الأوّل .

ذكر حصر الفرنج مدينة صور

لمّا تفرّقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصْرها ، فساروا إليها مع الملك بَغدوين[1] ، صاحب القدس ، وحشدوا ، وجمعوا ، ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جُمادى الأولى ، وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب ، علوّ البرج سبعون ذراعاً ، وفي كلّ برج ألف رجل ، ونصبوا عليها المجانيق ، وألصقوا ه أحدها إلى[2] سور البلد ، وأخلوه من الرجال .

وكانت صور للآمر بأحكام الله العلويّ ونائبه بها عزّ الملك الأعزّ ، فأحضر أهل البلد ، واستشارهم في حيلةٍ يدفعون بها شرّ الأبراج عنهم ، فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها ، وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التامّ ، ومع كلّ رجل منهم حُزمة حطب ، فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا إلى البرج الملتصق بالمدينة ، فألقى الحطب من جهاته ، وألقى فيه النار ، ثم خاف أن يشتغل الفرنج ه الذين في البرج[2] بإطفاء النار ، ويتخلّصوا ، فرماهم بجُرب[2] كان قد أعدّها ، مملوءةٍ من العذرة ، فلمّا سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما ناهم من سوء الرائحة والتلويث ، فتمكّنت النار منه ، فهلك كلّ من به ، إلاّ

1) B. بردويل ; C. P. بردوين .

2) Om. B.

---

١ فامية .

٢ بجراب .

Marfat.com

القليل ، وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب، ثم أخذ سلال العنب الكبار، وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط ، والزفت ، والكتان ، والكبريت ، ورماهم بسبعين[1] سلّة ، وأحرق البرجَيْن الآخرين .

ثم إنّ أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم ، ولينخسف برج إن عملوه وسيّروه إليهم ، فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج ، وأعلموهم بما عملوه ، فحذروا منها .

وأرسل أهل البلد إلى أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، يستنجدونه ، ويطلبونه ليسلّموا البلد إليه ، فسار في عساكره إلى نواحي بانياس ، وسيّر إليهم نجدة مائتَيْ فارس ، فدخلوا البلد ، فامتنع مَن فيه بهم، واشتدّ قتال الفرنج خوفاً من اتّصال النجدات ، ففي نشّاب الأتراك ، فقاتلوا بالخشب ، وفي النفط ، فظفروا بسَرَب تحت الأرض فيه نفط لا يُعلم مَنْ خزَنَهُ .

ثم إنّ عزّ الملك ، صاحب صور ، أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثّر من[1] الرجال ، ويقصدهم ليملك البلد ، فأرسل طغتكين طائراً فيه رقعة ليعلمه وصول المال ، ويأمره أن يقيم مركباً بمكان ذكره لتجيء الرجال إليه ، فسقط الطائر على مركب الفرنج ، فأخذه رجلان : مسلم وفرنجيّ ، فقال الفرنجيّ : نطلقه[2] لعلّ فيه فرجاً لهم ؛ فلم يمكنه المسلم ، وحمله إلى الملك بغدوين ، فلمّا وقف عليه سيّر مركباً إلى المكان الذي ذكره طغتكين ، وفيه جماعة من المسلمين الذين لستأمنوا إليه من صور ، فوصل إليهم العسكر ، فكلّموهم بالعربيّة ، فلم ينكروهم ، وركبوا معهم ، فأخذوهم أسْرى ، وحملوهم إلى الفرنج ، فقتلوهم

---

1) B. add. تجنيد .

2) B. نرسله .

---

١ سبعين .

Marfat.com

وطلعوا في أهل صور ، فكان طنكتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها ، ويقصد حصن المليس في الساحل ، من أعمال دمشق ، وهو للفرنج ، فحصره ، وملكه بالسيف ، وقتل كل من فيه ، وعاد إلى الفرنج الذين على صور .

وكان يقطع الميرة عنهم في البر ، فحضروا نحو ثلاثين مركباً في البحر ، وخندقوا عليهم ، ولم يخرجوا إليه ، فسار إلى صيدا ، وأغار على ظاهرها ، فقتل جماعة من البحرية ، وأحرق نحو عشرين مركباً على الساحل ، وهو مع ذلك يراسل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر ، والفرنج يلازمون قتالهم ، وقاتل أهل صور قتالاً حتى أيس من الحياة ، فدام القتال إلى أوان إدراك الغلات ، فخاف الفرنج أن طنكتكين يستولي على غلات بلادهم ، فساروا عن البلد ، عاشر شوال ، إلى عكة ، وعاد عسكر طنكتكين إليه ، وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها ، ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها ، وكان الفرنج قد طمسوه ..

ذكر انهزام الفرنج بالأندلس

في هذه السنة خرج ألفونش الفرنجي ، صاحب طليطلة بالأندلس ، إلى بلاد الإسلام بها ، يطلب ملكها ، والاستيلاء عليها ، وجمع وحشد فأكثر ، وكان قد قوي طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فسح أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المير ، فسار إليه في عساكره وجموعه ، فلقيه ، فاقتتلوا ، واشتد القتال ، وكان الظفر للمسلمين ، وانهزم

---

1) B. غلظ ..

---

١١ عساكرها .

الفرنج ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وأسر منهم بشر كثير ، وسبي منهم ، وغنم من أموالهم ما يخرج من الاحصاء ، فخافه الفرنج ، بعد ذلك ، وامتنعوا من قصد بلاده ، وقل الفرنج حينئذ وعلم أنه في البلاد حامياً لها ، وذابّاً عنها ..

وفي هذه السنة ، في جمادى الآخرة ، توفي الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، الإمام المشهور ..

))CG.EB.

٥٠٦

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

في هذه السنة ، ه في المحرّم[1] ، سار مودود ، صاحب الموصل ، إلى الرُّهاء ، فنزل عليها ، ورعى[1] عسكره زروعها ، ورحل عنها إلى سَروج ، وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج ، ولم يحترز منهم ، فلم يشعر إلاّ وجوسلين ، صاحب تلّ باشر ، قد كبسهم ، وكانت دوابّ العسكر منتشرة في المرعى ، فأخذ الفرنج كثيراً منها ، وقتلوا كثيراً من العسكر ، فلمّا تأهّب المسلمون للقائه ، عاد عنهم إلى سَروج .

وفيها رحل السلطان محمّد من بغداذ ، وكان مُقامه هذه المرّة خمسة أشهر ، فلمّا وصل إلى أصبهان قبض على زين الملك أبي سعد القُمّيّ ، وسلّمه إلى الأمير كاميار لعداوة بينهما ، فلمّا وصل إلى الرَّيّ أركبه كاميار على دابّة بمركب ذهب ، وأظهر أنّ السلطان خلع عليه على مالٍ قرّره عليه ، فحصّل بذلك مالاً كثيراً من أهل القُمّيّ ، ثم صلبه ؛ وكان سبب قبضه أنّه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان .

وفيها كان ببغداذ رجل مغربيٌّ يعمل الكيمياء ، بزعمه ، اسمه أبو عليّ ، فحُمل إلى دار الخلافة ، وكان آخر العهد به .

وفيها ورد إلى بغداذ يوسف بن أيّوب الهمذانيُّ ، الواعظ ، وكان من الزهّاد

---

1) Om. B.

---

١ ورعا .

العابدين ، فوعظ الناس بها ، فقام إليه رجل متفقّه ، يقال له ابن السقّاء ، فآذاه في مسألةٍ ، وعاوده ، فقال له : اجلس ، فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلّك تموت على غير دين الإسلام ؛ فاتّفق بعد مُدَيْدة أنّ ابن السقّاء خرج إلى بلاد الروم ، وتنصّر .

وفيها ، في ذي القعدة ، سُمع ببغداذ صوت هدّةٍ عظيمة ، ولم يكن بالسماء غيم حتّى يُظنّ أنّه صوت رعد ، ولم يعلم أحد أيّ صوت كان .

وفيها توفّي بسيل[1] الأرمنيّ ، صاحب • الدروب ، ببلاد[2] ابن لاون ، فسار طنكري ، صاحب أنطاكية ، أوّل جمادى الآخرة ، إلى بلاده طمعاً في أن يملكها ، فمرض في طريقه ، فعاد إلى أنطاكية ، فمات ثامن جُمادى [الآخرة] وملكها بعده ابن أُخته سرخالة[3] ، واستقام الأمر فيها ، بعد أن جرى بين الفرنج خلف[4] بسببه ، فأصلح بينهم القسوس والرُّهبان .

وفيها توفّي قراجة[5] ، صاحب حمص ، وكان ظالماً ، وقام ولده قرجان[6] مكانه ، وكان مثله[1] في قبح السيرة .

وفي هذه السنة توفّي المعمّر بن عليّ أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغداذيُّ ، ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة ؛ • وكان له خاطر حادّ ، ومجون حسن ، وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين[7] .

وتوفّي أحمد بن الفرج بن عمر الدّينَوريُّ ، والد شُهدة ، وكان يروي

---

1) B. الأمير . 2) C. P. البلاد . 3) B. سرخال .

4) Om. C. P. 5) B. et Bodl. قراجا .

6) C. P. حبر خان ; B. حبر خان ; Bodl. حبر حان Cf. a. 508 cap. tert. et a. 517 cap. ult.

7) Om. B.

---

١ قبله .

عن أبي يعلى بن الفرّاء ، وابن المأمون ، وابن المهتدي ، وابن النقور ، وغيرهم ، وكان حسن السيرة مترهّداً .

وتوفّي أبو العلاء صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد ، الخطيب النَّيسابوريُّ ، وكان من أعيان الفقهاء ، وولِيَ قضاء خُوارزم ، وكان يروي الحديث .

Marfat.com

٥٠٧

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود

في هذه السنة ، في المحرّم ، اجتمع المسلمون ، وفيهم الأمير مودود بن التونتكين ، صاحب الموصِل ، وتميرك ، صاحب سِنجار ، والأمير إياز بن إيلغازي ، وطغتكين ، صاحب دمشق[1] .

وكان سبب • اجتماع المسلمين[2] أنّ ملك الفرنج بغدوين[3] تابع الغارات على بلد دمشق ، • ونهبه ، وخرّبه[4] ، أواخر سنة ستّ وخمسمائة ، • وانقطعت الموادّ عن دمشق[4] ، فغلت الأسعار • فيها ، وقلّت الأقوات[5] ، فأرسل طغتكين صاحبها إلى الأمير مودود يشرح له الحال ، ويستنجده[6] ، ويحثّه على سرعة[7] الوصول إليه ؛ فجمع عسكراً[8] ، وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ستّ وخمسمائة ، فخافه الفرنج .

وسمع طغتكين خبره ، فسار إليه ، ولقيه بسلَمية ، واتّفق رأيهم على

ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج مع بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب جيشهم وبيرهما من المقدمين .

1) Hic B. addi.

2) C. P. اجتماعهم .

3) B. ملك القدس .

4) Om. B.

5) B. بدمشق .

6) Om. C. P.

7) B.

8) Hic cod. B. explicit.

Marfat.com

قصد بغدوين ، ملك القدس ، فساروا إلى الأردنّ ، فنزل المسلمون عند الأقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين ، صاحب جيشهم ، وغيرهما من المقدّمين ، والفرسان المشهورين ؛ ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود ، وجمع الفرنج ، فالتقوا عند طَبَرِيّة ثالث عشر المحرّم ، واشتدّ القتال ، وصبر الفريقان ، ثم إنّ الفرنج انهزموا ، وكثر القتل فيهم والأسر ، وممّن أسر ملكهم بغدوين ، فلم يُعْرَفْ ، فأُخذ سلاحه وأُطلق فنجا ، وغرق منهم في بحيرة طَبَرِيّة ونهر الأردنّ كثير ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ، ووصل الفرنج إلى مضيق دون طَبَرِيّة ، فلقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية ، فقويت نفوسهم بهم ، وعاودوا الحرب ، فأحاط بهم المسلمون من كلّ ناحية ، وصعد الفرنج إلى جبل غرب طَبَرِيّة ، فأقاموا به ستّة وعشرين يوماً ، والمسلمون بإزائهم يرمونهم بالنشّاب فيصيبون من يقرب منهم ، ومنعوا[1] الميرة عنهم لعلّهم يخرجون إلى قتالهم ، فلم يخرج منهم أحد ، فسار المسلمون إلى بَيسان ، ونهبوا بلاد الفرنج بين عكّا إلى القدس ثم وخرّبوها ، وقتلوا من ظفروا به من النصارى ، وانقطعت المادّة عنهم لبعدهم عن بلادهم ، فعادوا ونزلوا[1] بمرج الصُّفّر .

وأذن الأمير مودود للعساكر في العود والاستراحة ، ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة ، وبقي في خواصّه ، ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأوّل ليقيم عند طغتكين إلى الربيع . فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأوّل ، ليصلّي فيه وطغتكين ، فلمّا فرغوا من الصلاة ، وخرج إلى صحن[2]

---

1) Cod. منعوه .

2) Cod. حصن .

---

١ ونزل .

الجامع ، ويده في يد طغتكين ، وثب[1] عليه باطنيّ فضربه فجرحه أربع جراحات وقُتل الباطنيُّ ، وأخذ رأسه ، فلم يعرفه أحد ، فأحرق .

وكان صائماً ، فَحُمل إلى دار طغتكين ، واجتهد به ليفطر ، فلم يفعل ، وقال : لا لقيتُ الله إلاّ صائماً ؛ فمات من يومه ، رحمه الله ، فقيل إن الباطنيّة بالشام خافوه وقتلوه ، وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله .

وكان خيّراً ، عادلاً ، كثير الخير ؛ حدّثني والدي قال : كتب ملك الفرنج إلى طغتكين ، بعد قتل مودود ، كتاباً من فصوله[2] : أنّ أمّة قتلت عميدها . يوم عيدها . في بيت معبودها . لحقيق على الله أن يبيدها .

ولمّا قُتل تسلّم تميرك ، صاحب سنجار ، ما معه من الخزائن والسلاح وحملها إلى السلطان ، ودُفن مودود بدمشق في تربة دُقاق صاحبها ، وحُمل بعد ذلك إلى بغداذ ، فدُفن في جوار أبي حنيفة ، ثم حُمل إلى أصبهان .

ذكر الخلف بين السلطان سَنْجَر ومحمّد خان والصلح بينهما

في هذه السنة كثر الحديث عند سَنجَر : أنّ محمّد خان بن سليمان بن داود قد مدّ يده إلى أموال الرعايا ، وظلمهم ظلماً كثيراً ، وأنّه خرّب البلاد بظلمه وشرّه ، وأنّه قد صار يستخفّ[3] بأوامر سنجَر ، ولا يلتفت إلى شيء منها ، فتجهّز سنجَر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر ، فخاف

---

١ فوثب .

٢ فضوله .

٣ لستخف .

Marfat.com

محمّد خان ، فأرسل إلى الأمير قماج ، وهو أكبر الأمير مع سنجَر ، يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجَر ، وأرسل أيضاً إلى خُوارزمشاه يمثل ذلك ، وسألهما في إرضاء السلطان عنه ، واعترف بأنّه أخطأ ، فأجاب سنجَر إلى صلحه على شرط أن يحضر عنده ويطأ بساطه ، فأرسل محمّد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ، ولكنّه يحضر الخدمة ، ويخدم السلطان ، وبينهما نهر جيحون ، ثم يعود بعد ذلك الحضور عنده ، والدخول إليه ، فحسّنوا الإجابة إلى ذلك ، والاشتغال بغيره ، فامتنع ، ثم أجاب .

وكان سنجَر على شاطىء جيحون من الجانب الغربيّ ، وجاء محمّد خان إلى الجانب الشرقيّ ، فترجّل وقبّل الأرض وسنجَر راكب ، وعاد كلّ واحد منهما إلى خيامه ، ورجعوا إلى بلادهم ، وسكنت الفتنة بينهما .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر ، فأتى الخبر أنّ بغدوين ملك الفرنج ، فسار إليه ، وعارضه في البرّ ، فأخذهم أجمعين ، ولم ينجُ منهم إلاّ القليل ، ومن سلم أخذه[1] العرب[1] .

وفي هذه السنة توفّي الوزير أبو القاسم عليّ بن محمّد بن جُهير ، وزير الخليفة المستظهر بالله ، ووزر بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمّد ابن الحسين وزير السلطان .

---

1) Vgl. oben S. 382 .

---

١ أخذ .

Marfat.com

وفيها توفّي الملك رضوان بن تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان ، صاحب حلب ، وقام بعده بحلب ابنه ألب أرسلان الأخرس ، وعمره ستّ عشرة سنة ، وكانت أمور رضوان غير محمودة : قتل أخويه أبا طالب وبهرام ، وكان يستعين بالباطنيّة في كثير من أموره لقلّة دينه ، ولمّا ملك الأخرس استولى على الأمور لؤلؤ الخادم ، ولم يكن للأخرس معه إلاّ اسم السلطنة ، ومعناه اللؤلؤ ، ولم يكن ألب أرسلان أخرس ، وإنّما في لسانه حُبْسَة وتَمْتَمَةٌ ، وأمّه بنت باغي[1] سيان التي كان صاحب أنطاكية ، وقتل الأخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه ، وهو من أبيه وأمّه ، واسم الآخر مباركشاه ، وهو من أبيه ، وكان أبوه قتل مثله ، فلمّا تُوفّي قُتِلَ ولَداه ، مُكافأةً لما اعتمده مع أخويه .

وكان الباطنيّة قد كثروا بحلب في أيّامه ، حتّى خافهم ابن بديع رئيسها ، وأعيان أهلها ، فلمّا توفّي قال ابن بديع لألب أرسلان في قتلهم والإيقاع بهم ، فأمره بذلك ، فقبض على مقدّمهم أبي طاهر الصائغ ، وعلى جميع أصحابه ، فقتل أبا طاهر وجماعة من أعيانهم ، وأخذ أموال الباقين وأطلقهم ، فمنهم من قصد الفرنج ، وتفرّقوا في البلاد .

وفي هذه السنة توفّي ببغداذ أبو بكر أحمد بن عليّ بن بدران الحلوانيّ الزاهد ، منتصف جمادى الأولى ، روى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ ، وأبي محمّد الجوهريّ ، وأبي طالب العُشاريّ وغيرهم ، وروى عنه خلق كثير ، ومن آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسيّ ، خطيب الموصل .

وإسماعيل بن أحمد بن الحسين بن عليّ أبو عليّ بن أبي بكر البيهقيّ الإمام ابن الإمام ، ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وتوفّي بمدينة بَيهَق ، ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة .

---

1) Cod. باغي .

Marfat.com

وشجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهليُّ الحافظ ، ومولده سنة ثلاثين وأربعمائة ، وروى عن أبيه ، وأبي القاسم ، وابن المهتدي والجوهريّ وغيرهم .

والأديب أبو المظفّر محمّد بن أحمد بن محمّد الأبيورديُّ الشاعر المشهور ، وله ديوان حسن ، ومن شعره :

تنكّرَ لي دَهْرِي ، ولم يَدْرِ أنّني ... أعِزُّ ، وأحداثُ الزّمانِ تَهونُ
وظَلَّ يُرِيني الخَطْبَ كيفَ اعتداؤه ... وبتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كيفَ يكونُ

وله أيضاً :

ركبتُ طَرْفي ، فأذرَى دمْعَه أسَفاً ... عندَ انصرافيَ مِنهم ، مُضْمِرَ الياسِ
وقال : حتّامَ تُؤذيني ، فإن سَنَحَتْ[1] ... حوائجٌ لك ، فاركَبْني إلى الناسِ

وكانت وفاته بأصبهان ، وهو من ولد عَنبَسَة بن أبي سفيان بن حرب الأمويّ .

وتوفّي أبو بكر محمّد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشيُّ ، الإمام الفقيه الشافعيُّ ، في شوّال ، مولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، سمع أبا بكر الخطيب ، وأبا يعلى بن الفرّاء ، وغيرهما[2] ، وتفقّه على أبي عبد الله محمّد بن الكازروني بديار بكر ، وعلى أبي إسحاق الشيرازيّ ببغداذ ، وعلى أبي نصر بن الصبّاغ .

وفيها توفّي أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجيُّ ، الحافظ المقدسيُّ ، ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة ، وكان مكثراً من الحديث ، وتفقّه على أبي إسحاق ، وكان ثقة .

---

١ سبخت .
٢ وغيرهم .

Marfat.com

٥٠٨

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

ذكر مسير آقسنقر البُرسقيّ إلى الشام لحرب الفرنج

في هذه السنة سيّر السلطان محمّد الأمير آقسنقر البرسقي إلى الموصِل وأعمالها ، والياً عليها ، لمّا بلغه قتل مودود ، وسيّر معه ولده الملك مسعوداً في جيش كثيف ، وأمره بقتال الفرنج ، وكتب إلى سائر الأمراء بطاعته ، فوصل إلى الموصل ، واتّصلت به عساكرها ، وفيهم عماد الدين زنكي بن آقسنقَر ، الذي ملك هو وأولاده الموصِل بعد ذلك ، وكان له الشجاعة في الغاية .

واتّصل به أيضاً تميرك صاحب سِنجار وغيرهما ، فسار البرسقيُّ إلى جزيرة ابن عُمَر ، فسلّمها إليه نائب مودود بها ، وسار معه إلى ماردِين ، فنازلها البرسقيُّ ، حتّى أذعن له إيلغازي صاحبها ، وسيّر معه عسكراً مع ولده إياز ، فسار عنه البرسقيُّ إلى الرُّها في خمسة عشر ألف فارس ، فنازلها في ذي الحجّة ، وقاتلها ، وصبر له الفرنج ، وأصابوا من بعض المسلمين غِرّة ، فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها ، فاشتدّ القتال حينئذ ، وحَمِيَ المسلمون ، وقاتلوا ، فقتلوا من الفرنج خمسين فارساً من أعيانهم ، وأقام عليها شهرَيْن وأيّاماً .

وضاقت الميرة على المسلمين ، فرحلوا من الرُّها إلى سُمَيْساط ، بعد أن خرّبوا بلد الرُّها وبلد سَروج وبلد سُمَيْساط وأطاعه صاحب مَرْعَش على ما

نذكره ، ثم عاد إلى شحنان[1] ، فقبض على إياز بن إيلغازي ، حيث لم يحضر أبوه ، ونهب سواد ماردين .

ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البُرسقيّ

في هذه السنة توفّي بعض كنود الفرنج ، ويُعرف بكواسيل ، وهو صاحب مَرْعَش ، وكَيسوم ، ورَعْبَانَ وغيرها ، فاستولت زوجته على المملكة ، وتحصّنتْ من الفرنج ، وأحسنتْ إلى الأجناد ، وراسلت آقسنقَر البرسقيّ ، وهو على الرُّها ، واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه[1] ، فسيّر إليها الأمير سُنقر دزدار ، صاحب الخابور ، فلمّا وصل إليها أكرمتْه ، وحملتْ إليه مالاً كثيراً .

وبينما هو عندها إذ جاء جمع من الفرنج ، فواقعوا أصحابه ، وهم نحو مائة فارس ، واقتتلوا قتالاً شديداً ظفر فيه المسلمون بالفرنج ، وقتلوا منهم أكثرهم ، وعاد سُنقر دزدار ، وقد أصحبتْه الهدايا للملك مسعود والبرسقيّ ، وأذعنت بالطاعة ، ولمّا عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممّن عندها إلى أنطاكية .

ذكر الحرب بين البُرسقيّ وإيلغازي وأسْر إيلغازي

لمّا قبض البرسقيُّ على إياز بن إيلغازي سار إلى حصن كيفا ، وصاحبها الأمير ركن الدولة داود ابن أخيه سُقمان ، فاستنجده ، فسار معه في عسكره وأحضر

---

1) Ita Cod. addito signo dubii ؟ .

---

١ لتطيبه .

Marfat.com

خلقاً كثيراً من التركمان ، وسارا إلى البرسقيّ ، فلقيه ، أواخر السنة ، واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا فيه ، فانهزم البرسقيُّ وعسكره ، وخلص إياز بن إيلغازي من الأسر ، فأرسل السلطان إليه يتهدّده ، فخافه ، وسار إلى الشام إلى حميه[1] طغتكين ، صاحب دمشق ، فأقام عنده أيّاماً .

وكان طغتكين أيضاً قد استوحش من السلطان لأنّه نسب إليه قتل مودود ، فاتّفقا على الامتناع ، والالتجاء إلى الفرنج ، والأحتماء بهم ، فراسلا صاحب أنطاكية ، وحالفاه ، فحضر عندهما على بُحَيرة قَدَس ، عندَ حِمص ، وجدّدوا العهود ، وعاد إلى أنطاكية ، وعاد طغتكين إلى دمشق ، وسار إيلغازي إلى الرَّسْتَن على عزم قصد ديار بكر ، وجمْع التركمان والعود ، فنزل بالرَّسْتَن ليستريح ، فقصده الأمير قُرجان بن قراجة ، صاحب حمص ، وقد تفرّق عن إيلغازي أصحابه ، فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصّه ، وأرسل إلى السلطان يعرّفه ذلك ، ويسأله تعجيل إنفاذ العساكر لئلاّ يغلبه طغتكين على إيلغازي .

ولمّا بلغ طغتكين الخبر عاد إلى حمص ، وأرسل في إطلاقه ، فامتنع قرجان ، وحلف : إن لم يعُدْ طغتكين لنقتلنّ إيلغازي ؛ فأرسل إيلغازي إلى طغتكين : إنّ الملاجّة[2] تؤذيني ، وتَسفك دمي ، والمصلحة عودك إلى دمشق . فعاد .

وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانيّة ، فتأخّرت عنه ، فخاف أن ينخدع أصحابه لطغتكين ، ويسلّموا إليه حمص ، فعدل إلى الصُّلح مع إيلغازي على أن يطلقه ، ويأخذ ابنه إياز رهينة ، ويصاهره ، ويمنعه من طغتكين وغيره ، فأجابه إلى ذلك ، فأطلقه ، وتحالفا ، وسلّم إليه ابنه إياز ، وسار عن حمص

---

١ حمية .

٢ الملاججة .

Marfat.com

إلى حلب ، وجمع التركمان ، وعاد إلى حمص ، وطالب بولده إياز ، وحصر قرجان إلى أن وصلت العساكر السلطانيّة ، فعاد إيلغازي على ما نذكره .

ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر

في هذه السنة ، في شوّال ، توفّي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبي المظفّر إبراهيم بن أبي سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة ، بها ، وملك بعده ابنه أرسلانشاه ، وأمّه سلجوقيّة ، وهي أخت السلطان ألب أرسلان بن داود ، فقبض على إخوته وسجنهم ، وهرب أخ له اسمه بهرام إلى خُراسان ، فوصل إلى السلطان سنجَر بن ملكشاه ، فأرسل إلى أرسلانشاه في معناه ، فلم يسمع منه ، ولا أصغى إلى قوله ، فتجهّز سنجَر للمسير إلى غَزنة ، وإقامة بهرامشاه في الملك .

فأرسل أرسلانشاه إلى السلطان محمّد يشكو من أخيه سنجَر ، فأرسل السلطان إلى أخيه سنجَر يأمره بمصالحة أرسلانشاه ، وتَرْك التعرّض له ، وقال للرسول : إن رأيتَ أخي وقد قصدهم ، وسار نحوهم ، أو قارب أن يسير ، فلا تمنعه ، ولا تبلّغْه الرسالةَ ، فإنّ ذلك يفتّ في عضده ويوهنه[1] ، ولا يعود ، ولأنْ يملك أخي الدنيا أحبّ إليّ . فوصل الرسول إلى سنجَر ، وقد جهّز العساكر إلى غَزنة ، وجعل على مقدّمته الأمير أنَر ، متقدّم عسكره ، ومعه الملك بهرامشاه ، فساروا حتّى بلغوا بُسْت ، واتّصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف : صاحب سِجِسْتان .

---

1) Bodl.; C. P. et A. ويورث .

Marfat.com

وسمع أرسلانشاه الخبر ، فسيّر جيشاً كثيفاً ، فهزماه ، ونهباه ، وعاد من سلم إلى غزنة على أسوإ حال ، فخضع حينئذ أرسلانشاه وأرسل إلى الأمير أنتر يضمن له الأموال الكثيرة ليعود عنه ، ويحسّن للملك سنجرَ العود عنه ، فلم يفعل .

وتجهّز السلطان سنجرَ ، بعد أنتر ، للمسير بنفسه ، فأرسل إليه أرسلانشاه امرأة عمّه نصر تسأله الصفح .والعود عن قصده ، وهي أخت الملك سنجرَ من السلطان بركيارق ، وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ، ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوّجها ، فسيّرها الآن أرسلانشاه ، فلمّا وصلتْ . إلى أخيه أوصلتْ[1] ما معها من الأموال والهدايا ، وكان معها مائتا ألف دينار ، وغير ذلك ؛ وطلب من سنجرَ أن يسلّم أخاه بهرام إليه .

وكانت موغرة الصدر من أرسلانشاه ، فهوّنت أمره على سنجرَ ، وأطمعته في البلاد ، وسهّلت الأمر عليه ، وذكرت له ما فعل بإخوته ، وكان قتل بعضاً وكحل بعضاً من غير خروج منهم عن الطاعة . فسار الملك سنجرَ ، فلمّا وصل إلى بُست أرسل خادماً من خواصّه إلى أرسلانشاه في رسالة ، فقبض عليه في بعض القلاع ، فسار حينئذ سنجرَ مجدّاً ، فلمّا سمع بقربه منه أطلق الرسول ، ووصل سنجرَ إلى غزنة ، ووقع بينهما المصافّ على فرسخ من غزنة ، بصحراء شهراباذ ، وكان أرسلانشاه في ثلاثين ألف فارس ، وخلق كثير من الرَّجّالة ، ومعه مائة وعشرون فيلاً ، على كلّ فيل أربعة نفر ، فحملت الفيلة على القلب ، وفيه سنجرَ ، فكان من فيه ينهزمون ، فقال سنجرَ لغلمانه الأتراك ليرموها بالنشّاب ، فتقدّم ثلاثة آلاف غلام ، فرموا الفيلة رشقاً واحداً جميعاً ، فقتلوا منها عدّة ، فعدلت الفيلة عن القلب إلى الميسرة ، وبها أبو الفضل صاحب سِجِستان ، وجالت عليهم ، فضعف من في الميسرة ، فشجّعهم أبو الفضل ،

---

1) Bodl.; pro his verbis C. P. et A. habent إليه .

●●●

Marfat.com

وخوّفهم من الهزيمة مع بُعد ديارهم ، وترجّل عن فرسه بنفسه ، وقصد كبيرَ الفيلَة ومتقدّمها ، ودخل تحتها فشقّ بطنها ، وقتل فيلَيْن آخرين .

ورأى الأمير أُنَر ، وهو في الميمنة ، ما في الميسرة من الحرب ، فخاف عليها ، فحمل من وراء عسكر غزنة ، وقصد الميسرة ، واختلط بهم ، وأعانهم ، فكانت الهزيمة على الغزنويّة ، وكان ركّاب الفيلَة قد شدّوا أنفسهم عليها بالسلاسل ، فلمّا عضّتهم الحرب ، وعمل فيهم السيف ، ألقوا أنفسهم ، فبقوا معلّقين عليها .

ودخل السلطان سنجرَ غزنة في العشرين من شوّال سنة عشر وخمسمائة ، ومعه بهرامشاه . فأمّا القلعة الكبيرة المشتملة على الأموال ، وبينها وبين البلد تسعة فراسخ ، وهي عظيمة ، فلا[1] مطمع فيها ، ولا طريق عليها .

وكان أرسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهراً[2] الخازن، وهو صاحب بهرامشاه ، واعتقل بها أيضاً زوجة بهرامشاه ، فلمّا انهزم أرسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظَ بها ، فبذل له وللأجناد الزيادات ، فسلّموا القلعة إلى الملك سنجرَ .

وأمّا قلعة البلد فإنّ أرسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجرَ ، فلمّا أطلقه بقي غلمانه بها ، فسلّموا القلعة أيضاً بغير قتال .

وكان قد تقرّر بين بهرامشاه وبين سنجرَ أن يجلس بهرام على سرير جدّه محمود بن سبكتكين وحده ، وأن تكون[3] الخطبة بغزنة للخليفة ، وللسلطان محمّد ، وللملك سنجرَ ، وبعدهم لبهرامشاه . فلمّا دخلوا غزنة كان سنجرَ راكباً ، وبهرامشاه بين يدَيْه راجلاً ، حتّى جاء السرير ، فصعد بهرامشاه فجلس

---

١ لا .
٢ طاهر .
٣ يكون .

Marfat.com

عليه ، ورجع سنجَر ، وكان يخطب له بالملك ، ولبهرامشاه بالسلطان ، على عادة آبائه ، فكان هذا من أعجب ما يُسمع به .

وحصل لأصحاب سنجَر من الأموال ما لا يُحدّ ولا يُحصى من السلطان والرعايا ، وكان في دور لملوكها عدّة دور على حيطانها ألواح الفضّة ، وسواقي المياه إلى البساتين من الفضّة أيضاً ، فقُلع من ذلك أكثره ، ونُهب ، فلمّا سمع سنجَر ما يفعل منع عنه بجهده ، وصلب جماعة حتّى كفّ الناس .

وفي جملة ما حصل للملك سنجَر خمسة تِيجان قِيمة أحدها تزيد[1] على ألفَيْ ألف دينار ، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغة مرصّعة ، وسبعة عشر سريراً من الذهب والفضّة . وأقام بغزنة أربعين يوماً ، حتّى استقرّ بهرامشاه ، وعاد نحو خراسان ، ولم يُخطب بغزنة لسلجوقيّ قبل هذا الوقت ، حتّى إنّ السلطان ملكشاه مع تمكّنه وكثْرة ملكه لم يطمع فيه ، وكان كلّما رام ذلك منع منه نظام الملك .

وأمّا أرسلانشاه فإنّه لمّا انهزم قصد هِندوستان واجتمع عليه أصحابه ، فقويت شوكته ، فلمّا عاد سنجَر إلى خُراسان توجّه إلى غَزنة ، فلمّا عرف بهرامشاه قَصْدَه إيّاه توجّه إلى بامِيان ، وأرسل إلى الملك سنجَر يعلمه الحال ، فأرسل إليه عسكراً .

وأقام أرسلانشاه بغَزنة شهراً واحداً ، وسار يطلب أخاه بهرامشاه ، فبلغه وصول عسكر سنجَر ، فانهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب أصحابه ، ولحق بجبال أوغنان ، فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجَر في أثره ، وخربوا البلاد التي هو فيها ، وأرسلوا إلى أهلها يتهدّدونهم ، فسلّموه بعد المضايقة ، فأخذه متقدّم جيش الملك سنجر ، وأراد حمله إلى صاحبه ، فخاف بهرامشاه

---

١ يزيد .

Marfat.com

من ذلك ، فبذل له مالاً ، فسلّمه إليه ، فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغزّنة ، وكان عمره سبعاً[1] وعشرين سنة ، وكان أحسن إخوته صورةً ، وكان قتْله في جُمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وإنّما ذكرناه هاهنا لتتّصل الحادثة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في جُمادى الآخرة ، كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة ، والشام ، وغيرها ، فخربت كثيراً من الرُّها ، وحرّان ، وسُمَيْساط ، وبالِس وغيرها ، وهلك خلق كثير تحت الهدم .

وفيها قُتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان ، صاحب حلب ، قتله غلمانه بقلعة حلب ، وأقاموا بعده أخاه سلطان شاه بن رضوان ، وكان المستولي عليه لؤلؤ الخادم .

وفيها توفّي الشريف النسيب أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العبّاس الحسنيُّ ، في ربيع الآخر ، بدمشق .

---

١ سبع .

Marfat.com

٥٠٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج

قد ذكرنا ما كان من عصيان إيلغازي وطغتكين على السلطان ، وقوّة الفرنج ، فلمّا اتّصل ذلك بالسلطان محمّد جهّز عسكراً كثيراً ، وجعل مقدّمهم الأمير بُرسق بن برسق ، صاحب همذان ، ومعه الأمير جيوش بك والأمير كتغلدي[1] ، وعساكر الموصل والجزيرة ، وأمرهم بالبداية بقتال إيلغازي وطغتكين ، فإذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج ، وقاتلوهم ، وحصروا بلادهم .

فساروا في رمضان من سنة ثمان وخمسمائة ، وكان عسكراً كثير العدّة ، وعبروا الفرات ، آخر السنة ، عند الرَّقّة ، فلمّا قاربوا حلب راسلوا المتولّي لأمرها لؤلؤاً[1] الخادم ، ومقدّم عسكرها المعروف بشمس الخواصّ ، يأمرونهما بتسليم حلب ، وعرضوا عليهما كُتُب السلطان بذلك ، فغالطا[2] في الجواب ، وأرسلا إلى إيلغازي وطغتكين يستنجدانهما ، فسارا إليهم في ألفَيْ فارس ، ودخلا حلب ، فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان ، وأظهروا العصيان فسار الأمير

---

1) Bodl. كيدغدي ; C. P. كسغدي .

---

١ لؤلؤ .

٢ غالطا .

Marfat.com

بوبرسق. حتى بوبرسق الملك مطيئة حصلة ، وهي في طاعة طنكري ، وبها شحنه ، فحصرها ، وفتحها عنوة ، وتسلمها ثلاثة أيام ، وسلمها الملك الأمير قرجلان ، صاحب حمص .

وكان اللاذقية قد أمر أن يسلم إليه كل بلد يفتحونه ، فلما رأى الأمراء ذلك قاتلوا وضعفت نياتهم في القتال ، بحيث توخذ البلاد وتسلم الى قرجلان ، فلما سلموا حصلة الى قرجلان سلم اليهم الملك تنكري ، وكان قد سفر الى طنكري وطنكين ، وشمس الملوك ، الى أنطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل[1] ، وسألوه أن يبذل عندهم على حفظ مدينة حصلة ، ولم يكن يلتفت بقولهم[2] فتحها .

ووصل الى أنطاكية بغدوين ، صاحب الرها ، وصاحب طرابلس ، وغيرهما من شيالطين الفرنج ، واتفق رأيهم على ترك القتال لكثرة المسلمين ، وقلة الفرنج عند هجوم الشتاء يتفرقون ، واجتمعوا بقلعة أفامية ، وأقاموا نحو شهرين ، فلما انصرف الثلوج ، ورأوا عزم المسلمين على القتال ، تفرقوا ، فقصد الى طرابلس ، وطنكري الى دمشق ، والفرنج الى بلادها .

وكانت أفامية وكفرطاب للفرنج ، فقصدهم المسلمون كفرطاب وحصروها ، فلما اشتد الحصر على الفرنج ، ورأوا الهلاك ، قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم ، ودخل المسلمون البلد عنوة وقهراً ، وأسروا صاحبه ، وقتلوا من بقي فيه من الفرنج ، وسار الى قلعة أفامية ، فرأوها حصينة ، فعادوا عنها الى المعرة ، وهي للفرنج أيضاً ، وفارقهم الأمير جيوش بك الى حلب والحق بتراعة فصالحه ..

وسارت العساكر عن المعرة الى حلب ، وتقدمهم ثقلهم وحواليهم ،

---

1) C. P. وروجيل .

---

١١ تفتحونه..

١٢ فلا يبالغهم..

Marfat.com

على جاري العادة ، والعساكر في أثره متلاحقة ، وهم آمنون لا يظنون أحداً يقدم على القرب منهم .

وكان روجيل[1] ، صاحب أنطاكية ، لما بلغه حصر كفرطاب ، سار في خمسمائة فارس وألفي راجل للمنع ، فوصل إلى المكان الذي ضربت فيه خيام المسلمين ، على غير علم بها ، فرآها خالية من الرجال المقاتلة ، لأنهم لم يصلوا إليها ، فنهب جميع ما هناك ، وقتل كثيراً من السوقية ، وغلمان العسكر ، ووصلت العساكر متفرقة ، فكان الفرنج يقتلون كل من وصل إليهم ..

ووصل الأمير برسق في نحو مائة فارس ، فرأى الحال ، فصعد تلاً هناك ، ومعه أخوه زنكي ، وأحاط بهم من السوقية والغلمان ، واحتموا بهم ، ومنعوا الأمير برسق من النزول ، فأشار عليه أخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه ، فقال : لا أفعل ، بل أقتل في سبيل الله ، وأكون فداء المسلمين ؛ فغلبوه على رأيه ، فنجا هو ومن معه ، فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ، ثم عادوا وتمموا الغنيمة والقتل ، وأحرقوا كثيراً من الناس . وتفرق العسكر ، وأخذ كل واحد جهة ..

ولما سمع الموكلون بالأسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم ، وكذلك قتل الموكل بإياز بن إيلغازي قتله أيضاً ، وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام ، فإنهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر ، فأتاهم ما لم يكن في الحساب ، وعادت العساكر عنهم[1] إلى بلادها ..

وأما برسق وأخوه زنكي فإنهما توفيا في سنة عشر وخمسمائة ، وكان برسق خيراً ، ديناً ، وقد ندم على الهزيمة ، وهو يتجهز للعود إلى الغزاة ، فأتاه أجله .

---

(1) Roger. روجيل ..

---

1 منهم .

ذكر ملك الفرنج رَفَنيَة وأخذها منهم

في هذه السنة ، في جُمادى الآخرة ، ملك الفرنج رَفَنِيَةَ من أرض الشام ، وهي لطغتكين ، صاحب دمشق ، وقوّوها بالرجال والذخائر ، وبالغوا في تحصينها ، فاهتمّ طغتكين لذلك ، وقوي عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب ، فأتاه الخبر عن رَفَنِيَة بخلوّها من[1] عسكرٍ يمنع عنها ، وليس هناك إلاّ الفرنج الذين رُتّبوا لحفظها ، فسار إليها جريدة ، فلم يشعر من بها إلاّ وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوةً وقهراً ، وأخذ كلّ من فيه من الفرنج أسيراً ، فقتل البعض ، وترك البعض ، وغنم المسلمون من سوادهم ، وكُراعهم ، وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم ، وعادوا إلى بلادهم سالمين .

ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، يوم عيد الأضحى ، فجأةً ، وكان منجّم قد قال له في مُنَسْتِير مولده إنّ عليه قطعاً في هذا اليوم ، فلا يَرْكَبْ[2] ، فلم يركب ، وخرج أولاده وأهل دولته إلى المصلّى ، فلمّا انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته ، وقرأ القراء ، وأنشد الشعراء ، وانصرفوا إلى الطعام ، فقام يحيى من بابٍ آخر ليحضر معهم على الطعام ، فلم يمش غير ثلاث خُطا حتّى وقع ميتاً ، وكان ولده

---

١ خلوها عن .

٢ تركب .

Marfat.com

عليّ بمدينة سَفَاقُس ، فأُحضر وعُقدت له الولاية ، ودُفن يحيى بالقصر ، ثم نُقل إلى التربة بمُنَسْتِيرَ ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوماً، وكانت ولايته ثماني سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، وخلّف ثلاثين ولداً ، فقال عبد الجبّار بن محمّد بن حَمديس الصِّقِلِيُّ يَرثيه ويهنّىء ابنه عليّاً بالملك :

ما أُغمد العضْبُ إلاّ جُرِّدَ الذَّكَرُ ، ولا اختفَى قَمَرٌ حتّى بدَا قَمَرُ
بموتِ يحيَى أُميتَ الناسُ كلّهُمُ ، حتّى إذا ما عليٌّ جاءهُم نُشِرُوا
إن يُبْعَثُوا بسُرورٍ من تملّكِهِ فَمِنْ مَنِيّةِ يحيى بالأسى قُبِرُوا[1]
أوفَى عليٌّ ، فسِنُّ المُلكِ ضاحكةٌ ، وعينُها من أبيهِ دمعُها هَمِرُ
شُقَّتْ جُيُوبُ المَعالي بالأسى فبكَتْ في كلّ أُفقٍ عليه الأنجُمُ الزُّهُرُ
وقَلَّ لابن تميمٍ حُزنُ[2] ما دهما[3]، فكلُّ حُزنٍ عظيمٍ فيهِ مُحْتَقَرُ
قامَ الدليلُ ويحيى لا حياةَ له ، إنّ المَنيّةَ لا تُبْقي ، ولا تَذَرُ

وكان يحيى عادلاً في رعيّته ، ضابطاً لأمور دولته ، مدبّراً لجميع أحواله ، رحيماً بالضعفاء والفقراء ، يُكثر الصدقة عليهم ، ويقرّب أهل العلم والفضل ، وكان عالماً بالأخبار ، وأيّام الناس ، والطبّ ، وكان حسن الوجه ، أشهل العين ، إلى الطول ما هو .

ولمّا استقرّ عليّ في الملك جهّز أسطولاً إلى جزيرة جَرْبَةَ ؛ وسببه أنّ

---

1) *Amari*, Bibl. Arabo-Sicula pag. ٢٨٠ . Versus deest in Cod. C. P.

2) *Amari* l. c. (بتشديد الزاي وفتح النون) . حزن

3) *Amari* بها .

---

١ بهما .

١٠٠٣٣

أهلها كانوا[1] يقطعون الطريق ، ويأخذون التجار ، فحصرها ، وضيّق على من فيها فدخلوا تحت [طاعته] ، والتزموا ترك الفساد ، وضمنوا إصلاح الطريق . وكفّ عنهم عند ذلك ، وصلح أمر البحر ، وأمِن المسافرون .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في رجب ، قدم السلطان محمّد بغداذ ، ووصل إليه أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، في ذي القعدة ، وسأل الرضا عنه ، فرضي عنه السلطان ، وخلع عليه ، وردّه إلى دمشق .

وفيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البَدريّة ، وهي منسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله ، وكانت من أحسن دور الخلفاء ، وكان ينزلها الراضي بالله ، ثم تهدّمت وصارت تلاً ، فأمر القادر بالله أن يسوّر عليها سور ، لأنّها مع الدار الإماميّة ، ففعل ذلك ، فلمّا كان الآن أمر ببيعها ، فبيعت ، وعمرها الناس .

وفيها ، في شعبان ، وقعت الفتنة بين العامّة ، وسببها أنّ الناس لمّا عادوا من زيارة مُصعب اختصموا على من يدخل أوّلاً ، فاقتتلوا ، وقُتل بينهم جماعة ، وعادت الفتن بين أهل المحالّ كما كانت ، ثم سكنت .

وفيها أقطع السلطان محمّد الموصِل وما كان بيد آقسنقَر البرسقيّ . للأمير جيوش بك ، وسيّر ولده الملك مسعوداً ، وأقام البرسقيّ[1] بالرَّحبة ، وهي إقطاعه ،

1) Om. Bodl.

---

١ كان .

Marfat.com

إلى أن توفّي السلطان محمّد ، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها توفّي إسماعيل بن محمّد بن أحمد بن ملّة الأصبهانيُّ ، أبو عثمان ابن أبي سعيد الواعظ ، سمع الكثير ، وحدّث ببغداذ وغيرها ؛ وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطيُّ ، أبو البركات ، له رحلة ، وله تصانيف ، وكان أديباً .

Marfat.com

٥١٠

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان

في هذه السنة ، أوّل المحرّم ، حضر أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، دار السلطان محمّد ببغداذ ، وحضر جماعة الأمراء ، وَمعهم أحمديل بن إبراهيم ابن وهسوذان الروادِيُّ ، الكرديُّ ، صاحب مَراغة وغيرها من أذربِيجان ، وهو جالس إلى جانب طغتكين ، فأتاه رجل متظلّم ، وبيده رقعة ، وهو يبكي ، ويسأله أن يوصلها إلى السلطان ، فأخذها من يده ، فضربه الرجل بسكّين ، فجذبه أحمديل وتركه تحته ، فوثب رفيق للباطنيّ وضرب أحمديل سكّيناً أخرى ، فأخذتهما السيوف ، وأقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة أخرى ، فعجب الناس من إقدامه بعد قتل صاحبَيْه ، وظنّ طغتكين والحاضرون[1] أنّ طغتكين كان المقصود بالقتل ، وأنّه بأمر السلطان ، فلمّا علموا أنّهم باطنيّة زال هذا الوهم .

ذكر وفاة جاولي سقاوو وحال بلاد فارس معه

في هذه السنة توفّي جاولي سقاوو ، وكان السلطان ببغداذ عازماً على المقام بها ، فاضطرّ إلى المسير إلى أصبهان ليكون قريباً من فارس ، لئلاّ تختلف عليه ،

---

١ والحاضرين .

Marfat.com

وقد ذكرنا حال جاولي بالموصل إلى أن مُلكتْ منه وأخذها السلطان ، فلمّا قصد السلطانَ ورضي عنه أقطعه بلاد فارس ، فسار جاولي إليها ، ومعه ولد السلطان جغري ، وهو طفل له من العمر سنتان ، وأمره بإصلاحها ، وقَمْع المفسدين بها ، فسار إليها ، فأوّل ما اعتمده فيها أنّه لم[1] يتوسّط بلاد الأمير بلدجي ، وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ، ومن جملة بلاده كَلِيل وسرماه[1] ، وكان متمكّناً بتلك البلاد .

وراسله جاولي ليحضر خدمة جغري ، ولد السلطان ، وعلّم جغري أن يقول بالفارسيّة[2] خذوه ، فلمّا دخل بلدجي قال جغري ، على عادته : خذوه ، فأُخذ وقُتل ، ونُهبت أمواله .

وكان لبلدجي ، من جملة حصونه ، قلعة إصطَخْر ، وهي من أمنع القلاع وأحصنها ، وكان بها أهله وذخائره ، وقد استناب في حفظها وزيراً له يُعرف بالجهرميّ ، فعصى[3] عليه ، وأخرج إليه أهله وبعض المال ، ولم تزل في يد الجهرميّ حتّى وصل جاولي إلى فارس فأخذها منه ، وجعل فيها أمواله .

وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة ، وهم خلق كثير لا يحصَون ، ومقدّمهم الحسن بن المبارز ، المعروف بخسرو ، وله فَسا وغيرها ، فراسله جاولي ليحضر خدمة جغري ، فأجاب : إنّني عبد السلطان ، وفي طاعته ، فأمّا الحضور فلا سبيل إليه ، لأنّني قد عرفتُ عادتك مع بلدجي وغيره ، ولكنّني أحمل إلى السلطان ما يؤثره . فلمّا سمع جاولي جوابه علم أنّه لا مقام

---

1) Bodl. وشرماوه .

---

١ لما .

٢ بالفرسية .

٣ فعصا .

Marfat.com

له بفارس معه ، فأظهر العود إلى السلطان ، وحمل أثقاله على الدوابّ ، وسار كأنّه يطلب السلطانَ ، ورجع الرسول إلى خسرو فأخبره ، فاغترّ وقعد للشرب ، وأمِن .

وأمّا جاولي فإنّه عاد من الطريق إلى خسرو جريدةً في نفر يسير ، فوصل إليه وهو مخمور نائم ، فكبسه ، فأنبهه أخوه فضلُوه ، فلم يستيقظ ، فصبّ عليه الماء البارد ، فأفاق ، وركب من وقته وانهزم ، وتفرّق أصحابه ، ونهب جاولي ثقله وأمواله ، وأكثر القتل في أصحابه ، ونجا خسرو إلى حصنه ، وهو بين جبلَيْن ، يقال لأحدهما أُنْجُ .

وسار جاولي إلى مدينة فَسا فتسلّمها ؛ ونهب كثيراً من بلاد فارس منها[1] جَهْرَم، وسار إلى خسرو، وحصره مدّة، وضيّق عليه، فرأى من امتناع حصنه وقوّته ، وكثرة ذخائره ما علم [معه] أنّ المدّة تطول عليه ، فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس ، ورحل عنه إلى شِيرَازَ ، فأقام بها ، ثم توجّه إلى كازَرُون فملكها ، وحصر أبا سعد محمّد بن ممّا في قلعته ، وأقام عليها ستّيْن صيفاً وشتاء ، فراسله جاولي في الصلح ، فقتل الرسول، فأرسل إليه قوماً من الصوفيّة ، فأطعمهم الهريسة والقطائف ، ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم وألقوا في الشمس فهلكوا ؛ ثم نفد ما عند أبي سعد ، فطلب الأمان فأمّنه ، وتسلّم الحصن .

ثم إنّ جاولي أساء معاملته ، فهرب ، فقبض على أولاده ، وبثّ الرجال في أثره ، فرأى بعضهم زنجيّاً يحمل شيئاً ، فقال : ما معك ؟ فقال: زادي ؛ ففتشه ، فرأى دجاجاً ، وحَلواء السكر ، فقال : ما هذا من طعامك ! فضربه ، فأقرّ على أبي سعد ، وأنّه يحمل ذلك إليه ، فقصدوه ، وهو في شعب جبل ، فأخذه الجنديُّ وحمله إلى جاولي فقتله .

---

١ منهم.

Marfat.com

وسار إلى دَارَابْجِرْدَ ، وصاحبها اسمه إبراهيم ، فهرب صاحبها منه إلى كَرمان خوفاً منه ، وكان بينه وبين صاحب كَرمان صِهر ، وهو أرسلانشاه ابن كرمانشاه بن أرسلان بك بن قاورت ، فقال له : لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي ؛ وطلب منه النجدة .

وسار جاولي بعد هربه منه إلى حصار رتيل رننه[1] ، يعني مضيق رننه[2] ، وهو موضع لم يؤخذ قهراً قطّ ، لأنّه وادٍ نحو فرسخين ، وفي صدره قلعة منيعة على جبل عالٍ ، وأهل دَارَابْجِرْدَ يتحصّنون به إذا خافوا ، فأقاموا به ، وحفظوا أعلاه .

فلمّا رأى جاولي حصانته سار يطلب البرّيّة نحو كَرْمان ، كاتماً أمره ، ثم رجع من طريق كَرْمان إلى دَارَابْجِرْدَ ، مُظهراً أنّه من عسكر الملك أرسلانشاه ، صاحب كَرمان ؛ فلم يشكّ أهل الحصن أنّهم مدد لهم مع صاحبهم ، فأظهروا السرور ، وأذنوا له في دخول[1] المضيق ، فلمّا دخله وضع السيف فيمن هناك ، فلم ينج غير القليل ، ونهب أموال أهل دَارَابْجِرْدَ وعاد إلى مكانه ، وراسل خسرو[3] يعلمه أنّه عازم على التوجّه إلى كَرمان ، ويدعوه إليه ، فلم يجد بدّاً من موافقته ، فنزل إليه طائعاً ، وسار معه إلى كَرمان ، وأرسل إلى صاحبها القاضيَ أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شِيراز ، يأمره بإعادة الشوانكارة لأنّهم رعيّة السلطان ، يقول : إنّه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده ، وإلاّ قصده ؛ فأعاد صاحب كَرمان جواب الرسالة يتضمّن الشفاعة فيهم ، حيث استجاروا به .

ولمّا وصل الرسول إلى جاولي أحسن إليه ، وأجزل له العطاء ، وأفسده على

.....

1) Bodl.; C. P. رسل ٢ رسه . 2) Bodl. رسه . ; C. P. رسه . 3) Cod. خسره .

---

١ الدخول .

صاحبه ، وجعله عينا لهّ عليه ، وقرر معه إعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارّون ، فلمّا عاد الرسول وبلغ السّيرجان ، وبها عساكر صاحب كرمان ، ووزيره مقدّم الجيش ، أعلم الوزير ما عليه جاولي من المقاربة ، وأنّه يفارق ما كرهوه ، وأكثر من هذا النوع ، وقال : لكنّه مستوحش من اجتماع العساكر بالسّيرجان ، وإنّ أعداء جاولي طمعوا فيه بهذا العسكر ، والرأي أن تعاد العساكر إلى بلادها .

فعاد الوزير والعساكر ، وخلّت السّيرجان ، وسار جاولي في أثر الرسول ، فنزل بفرّج[1] ، وهي الحدّ بين فارس وكرمان ، فحاصرها ، فلمّا بلغ ذلك ملك كرمان أحضر الرسول وأنكر عليه إعادة العسكر ، فاعتذر إليه . وكان مع الرسول فرّاش لجاولي ليعود إليه بالأخبار ، فارتاب به الوزير ، فعاقبه ، فأقرّ على الرسول ، فصُلب ، ونُهبت أمواله ، وصُلب الفرّاش ، وندب العساكر إلى المسير إلى جاولي ، فساروا في ستّة آلاف فارس .

وكانت الولاية التي هي الحدّ بين فارس وكرمان بيد إنسان يسمّى موسى ، وكان ذا رأي ومكرٍ ، فاجتمع بالعسكر ، وأشار عليهم بترك الجادّة المسلوكة ، وقال : إنّ جاولي محتاط[1] منها ؛ وسلك بهم طريقاً غير مسلوكة ، بين جبالٍ ومضايق .

وكان جاولي يحاصر فرّج ، وقد ضيّق على من بها ، وهو يُدمن الشرب ، فسيّر أميراً في طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان ، فسار الأمير ، فلم ير أحداً ، فظنّ أنّهم قد عادوا ، فرجع إلى جاولي وقال : إنّ العسكر

---

1) Cod. بفرح ubique.

---

١ محتاطاً .

Marfat.com

كان قليلاً ، فعاد خوفاً منّاً ؛ فاطمأنّ حينئذ جاولي ، وأدمن شرب الخمر .

ووصل عسكر كَرْمان إليه ليلاً ، وهو سكران ، نائم ، فأيقظه بعض أصحابه وأخبره ، فقطع لسانه ، فأتاه غيره وأيقظه وعرّفه الحال ، فاستيقظ وركب وانهزم ، وقد تفرّق عسكره منهزمين ، فقُتل منهم وأُسر كثير ، وأدركه خسرو وابن أبي سعد الذي قتل جاولي أباه ، فسارا معه في أصحابهما ، فالتفت ؛ فلم ير معه أحداً من أصحابه الأتراك ، فخاف على نفسه منهم ، فقالا له : إنّا لا نغدر بك ، ولن ترى منّا إلاّ الخير والسلامة ؛ وسارا معه ، حتّى وصل إلى مدينة فَسا ، واتّصل به المنهزمون من أصحابه ، وأطلق صاحب كَرمان الأسرى وجهّزهم ، وكانت هذه الوقعة في شوّال سنة ثمان وخمسمائة .

وبينما جاولي يدبّر الأمر ليعاود كَرمان ، ويأخذ بثأره ، توفّي الملك جغري ابن السلطان محمّد ، وعمره خمس سنين ، وكانت وفاته في ذي الحجّة سنة تسع وخمسمائة ، فقتّ ذلك في عضده ، فأرسل ملك كَرمان رسولاً إلى السلطان ، وهو ببغداذ ، يطلب منه منْع جاولي عنه ، فأجابه السلطان أنّه لا بدّ من إرضاء جاولي وتسليم فَرَج إليه ، فعاد الرسول في ربيع الأوّل سنة عشر وخمسمائة ، فتوفّي جاولي ، فأمِنوا ما كانوا يخافونه[1] ، فلمّا سمع السلطان سار عن بغداذ إلى أصبهان ، خوفاً على فارس من صاحب كَرمان .

ذكر فتح جبل وسلات وتونس

في هذه السنة حصر عسكر عليّ بن يحيى ، صاحب إفريقية ، مدينة تُونُس ، وبها أحمد بن خُراسان ، وضيّق على مَن بها ، فصالحه صاحبها على ما أراد .

---

1) Bodl.

وفيها فتح أيضاً جبل وسلات بإفريقية ، واستولى عليه ، وهو جبل منيع ، ولم يزل أهله ، طول الدهر ، يفتكون بالناس ، ويقطعون الطريق ، فلمّا استمرّ ذلك منهم سيّر إليهم جيشاً ، فكان أهل الجبل يتزلون إلى الجيش ، ويقاتلون أشدّ قتال ، فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود إلى الجبل من شعبٍ لم يكن أحد يظنّ أنّه يصعد منه ، فلمّا صار في أعلاه ، في طائفة من أصحابه ، ثار إليه أهل الجبل ، فصبر لهم ، وقاتلهم فيمن معه أشدّ قتالٍ ، وتتابع الجيش في الصعود إليه ، فانهزم أهل الجبل ، وكثُر القتل فيهم ، ومنهم مَنْ رمى[1] نفسه فتكسّر ، ومنهم من أفلت ؛ واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل ، فلمّا أحاط بهم الجيش طلبوا أن يُرسِل إليهم من يصلح حالهم ، فأرسل إليهم جماعة من العرب والجند ، فثار بهم أولئك بالسلاح ، فقتلوا بعضهم ، وطلع الباقون إلى أعلى القصر ، ونادوا أصحابهم من الجيش ، فأتوهم وقاتلوهم : بعضهم من أعلى القصر ، وبعضهم من أسفله ، فألقى مَن فيه من أهل الجبل أيديهم، فقُتلوا كلّهم .

ع

ذكر الفتنة بطوس

في هذه السنة ، في عاشوراء ، كانت فتنة عظيمة بطُوس ، في مشهد عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام .

وسببها: أنّ علويّاً خاصم، في المشهد ، يوم عاشوراء ، بعض فقهاء طُوس، فأدّى ذلك إلى مضاربة؛ وانقطعت الفتنة، ثم استعان [كلٌّ] منهما بحزبه[2]، فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طُوس ، وأحاطوا بالمشهد وخرّبوه ، وقتلوا

---

١ رما .

٢ بخربه .

Marfat.com

مَنْ وجلوا ، فقُتل بينهم جماعة ونُهبت أموال جمّة ، وافترقوا .

وترك أهل المشهد الخطبة أيّام الجمعات فيه ، فبنى[1] عليه عضد الدين فرامرز بن عليّ سوراً منيعاً يحتمي به مَن بالمشهد على من يريده بسوء ، وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظاميّة ببغداذ ، فاحترقت الأخشاب التي بها ، واتّصل الحريق إلى درب السلسلة ، وتطاير الشرر إلى باب المراتب ، فاحترقت منه عدّة دور ، واحترقت خزانة كتب النظاميّة ، وسَلِمت الكتب ، لأنّ الفقهاء لمّا أحسّوا بالنار نقلوها .

وفيها توفّي عبد الله بن يحيى بن محمّد بن بهلول أبو محمّد الأندلسيُّ ، السَّرَقُسْطيُّ ، وكان فقيهاً ، فاضلاً ، ورد العراق نحو سنة خمسمائة ، وسار إلى خُراسان ، فسكن مَرْو الرُّوذ ، فمات بها ، وله شعر حسن ، فمنه :

وَمُهَفْهَفٍ يَختالُ في أبرادِهِ ، مَرَحَ القَضيب اللَّدْنِ تحتَ البارِحِ
أبصرتُ في مرآةِ فكري خَدَّهُ ، فحكيتُ فِعْلَ جفُونهِ بجَوارحِي
ما كنتُ أحسِبُ أنّ فِعْلَ تَوهّمي يَقوى تَعدّيهِ ، فيجرحُ جارحِي
لا غروَ إن جَرحَ التّوهّمُ خَدَّه ، فالسِّحرُ يَعمَلُ في البَعيد النّازحِ

وفيها ، في شعبان ، توفّي أبو القاسم عليُّ بن محمّد بن أحمد بن بيان[1]

---

1) C. P. بان . ; Bodl. بيان .

---

١ فبنا .

Marfat.com

الرزّاز ، ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، وهو آخر من حدّث عن أبي الحسن بن مخلد ، وأبي القاسم بن بشران .

وفيها توفّي أبو بكر محمّد بن منصور بن محمّد بن عبد الجبّار السمعانيُّ ، رئيس الشافعيّة ، بمَرْو ، ومولده سنة ستّ وأربعين[1] وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير وصنّف فيه ، وله فيه أمالٍ[1] حسنة ، وتكلّم على الحديث ، فأحسن ما شاء .

وفيها توفّي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذانيُّ أبو الخطّاب الفقيه الحَنبليُّ ، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتفقّه على أبي يعلى بن الفرّاء .

---

1) In marg. Cod. C. P. وثلاثين .

---

١ أمالي .

Marfat.com

٥١١

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة

ذكر وفاة السلطان محمّد وملك ابنه محمود

في هذه السنة ، في الرابع والعشرين من ذي الحجّة ، توفّي السلطان محمّد ابن ملكشاه بن ألب أرسلان، وكان ابتداء مرضه في شعبان ، وانقطع عن الركوب، وتزايد مرضه ، ودام ، وأرجف عليه بالموت ، فلمّا كان يوم عيد النحر حضر السلطان ، وحضر ولده السلطان محمود على السماط ، فنهبه الناس ، ثم أذن لهم فدخلوا إلى السلطان محمّد ، وقد تكلّف القعود لهم ، وبين يدَيْه سماط كبير ، فأكلوا وخرجوا . فلمّا انتصف ذو الحجّة أيِس من نفسه ، فأحضر ولده محموداً ، وقبّله ، وبكى كلّ واحد منهما ، وأمره أن يخرج ويجلس على تَخْت السلطنة ، وينظر في أمور الناس ، وعمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة ، فقال لوالده : إنّه يوم غير مبارك ، يعني من طريق النجوم ؛ فقال : صدقتَ ، ولكن على أبيك ، وأمّا عليك فمبارك بالسلطنة . فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارَيْن .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين أحضر الأمراء وأعلموا بوفاته ، وقُرئت وصيّته إلى ولده محمود يأمره بالعدل والإحسان ، وفي الجمعة الخامس والعشرين منه خُطب لمحمود بالسلطنة .

وكان مولد السلطان محمّد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وكان عمره سبعاً[1] وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستّة أيّام ، وأوّل ما دعي له

---

١ سبع .

بالسلطنة ؛ ببغداذ ، في ذي الحجّة سنة اثنتين وتسعين [وأربعمائة] ، وقُطعت خطبته عدّة دفعات على ما ذكرناه ، ولقي من المشاقّ والأخطار ما لا حدّ له[1] ، فلمّا توفّي أخوه بركيارق صفت له السلطنة ، وعظمت هيبته ، وكثُرت جيوشه وأمواله ، وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستّة أشهر .

ذكر بعض سيرته

كان عادلاً ، حسن السيرة ، شجاعاً ، فمن عدله أنّه اشترى مماليك من بعض التجار ، وأحالهم بالثمن على عامل خُوزستان ، فأعطاهم البعض ، ومطل بالباقي ، فحضروا مجلس الحكم ، وأخذوا معهم غلمان القاضي ، فلمّا رآهم السلطان قال لحاجبه : انظر ما حال هؤلاء ؛ فسألهم عن حالهم ، فقالوا : لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم ؛ فقال : من هو؟ قالوا : السلطان ؛ وذكروا قصّتهم ، فأعلمه ذلك ، فاشتدّ عليه وأكره ، وأمر بإحضار العامل ، وأمره بإيصال أموالهم ، والجُعْل الثقيل[1] ، ونكل به حتّى يمتنع غيره عن مثل فعله ، ثم إنّه كان يقول بعد ذلك : لقد ندمتُ ندماً عظيماً حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم ، فيقتدي بي غيري ، ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحق .

فمن عدله : أنّه كان له خازن يُعرف بأبي أحمد القزوينيّ قتله الباطنيّة ، فلمّا قُتل أمر بعرض الخزانة ، فعُرض عليه فيها دُرج فيه جوهر كثير نفيس ، فقال : إنّ هذا الجوهر عرضه عليّ ، منذ أيّام ، وهو في ملك أصحابه ، وسلّمه

.....

1) C. P. النيل .

---

١ عليه .

Marfat.com

إلى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه فيسلّم إليهم ؛ فسأل عنهم ، وكانوا تجّاراً غرباء ، وقد تيقّنوا ذهابه[1] وأيسوا منه ، فسكتوا ، فأحضرهم وسلّمه إليهم .

ومن عدله : أنّه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ، ولم يُعرف منه فعل قبيح ، وعلم الأمراء سيرته ، فلم يقدم أحد منهم على الظلم ، وكفّوا عنه.

ومن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنيّة على ما نذكره .

ذكر حال الباطنيّة أيّام السلطان محمّد

قد تقدّم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ، ونحن نذكر هاهنا زيادة اهتمامه بأمرهم ، فإنّه ، رحمه الله تعالى ، لمّا علم أن مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم ، وإخراب ديارهم ، وملك حصونهم وقلاعهم ، جعل قصدهم دأبَهُ .

وكان ، في أيّامه ، المقدّم عليهم ، والقيّم بأمرهم الحسن بن الصبّاح الرازيّ، صاحب قلعة ألَمُوت ، وكانت أيّامه قد طالت ، وله منذ ملك قلعة ألَمُوت ما يقارب ستّاً[2] وعشرين سنة ، وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزاته عليهم ، وقتْله وأسْره رجالهم ، وسبي نسائهم ، فسيّر إليه السلطان العساكر ، على ما ذكرناه ، فعادت من غير بلوغ غرض . فلمّا أعضل داؤه ندب لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير ، صاحب آبة ، وساوة ، وغيرهما ، فملك منهم عدّة قلاع منها قلعة كلام ، ملكها في جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة ، وكان مقدّمها يُعرف بعليّ بن موسى ، فأمّنه ومن معه ، وسيّرهم

---

١ ذهابها لهم .

٢ ست .

Marfat.com

إلى ألـمُوت ؛ وملك منهم أيضاً قلعة بيرة ، وهي على سبعة فراسخ من قزوين ، وأمّنهم ، وسيّرهم إلى ألـمُوت أيضاً .

وسار إلى قلعة ألـمُوت فيمن معه من العساكر ، وأمدّه السلطان بعدّة من الأمراء ، فحصرهم ، وكان هو ، من بينهم ، صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم ، مع جودة رأي وشجاعة ، فبنى [1] عليها مساكن يسكنها هو ومن معه ، وعيّن لكلّ طائفة من الأمراء أشهراً يقيمونها ، فكانوا ينيبون ، ويحضرون ، وهو ملازم الحصار ، وكان السلطان ينقل إليه الميرة ، والذخائر ، والرجال ، فضاق الأمر على الباطنيّة ، وعُدمت عندهم الأقوات وغيرها ، فلمّا اشتدّ عليهم الأمر نزّلوا نساءهم وأبناءهم مستأمنين ، وسألوا [2] أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ، ويُؤمّنوا ، فلم يجابوا إلى ذلك ، وأعادهم إلى القلعة ، قصداً ، ليموت الجميع جوعاً .

وكان ابن الصبّاح يُجري لكلّ رجل منهم ، في اليوم ، رغيفاً ، وثلاث جوزات ، فلمّا بلغ بهم الأمر إلى الحدّ الذي لا مزيد عليه ، بلغهم موت السلطان محمّد ، فقويت نفوسهم ، وطابت قلوبهم ، ووصل الخبر إلى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم ، وعزموا على الرحيل ، فقال شيركير : إن رحلنا عنهم ، وشاع الأمر ، نزلوا إلينا ، وأخذوا ما أعددناه من الأقوات والذخائر ، والرأي أن نقيم على قلعتهم حتّى نفتحها ، وإن لم يكن المقام ، فلا بدّ من مقام ثلاثة أيّام ، حتّى ينفد [3] منّا ثقلنا وما أعددناه ، ونحرق ما نعجز عن حمله لئلاّ يأخذه العدوّ .

فلمّا سمعوا قوله علموا صدقه ، فتعاهدوا على الاتّفاق والاجتماع ، فلمّا

---

١ فبنا .
٢ ويسألوا .
٣ ينفد .

Marfat.com

أمسوا رحلوا من غير مشاورة ، ولم يبق غير شيركير ، ونزل إليه الباطنيّة من القلعة ، فدافعهم وقاتلهم وحمى [1] مَن تخلّف من سوقة العسكر وأتباعه ، ولحق بالعسكر [1] ، فلمّا فارق القلعة غنم الباطنيّة ما تخلّف عندهم .

ذكر حصار قابِس والمهديّة

في هذه السنة جهّز عليٌّ بن يحيى ، صاحب إفريقية ، أسطولاً في البحر إلى مدينة قابِس ، وحصرها .

وسبب ذلك أنّ صاحبها رافع بن مكّن الدهمانيّ أنشأ مركباً بساحلها ليحمل التجّار في البحر ، وكان ذلك آخر أيّام الأمير يحيى ، فلم ينكر يحيى ذلك ، جرياً على عادته في المداراة ، فلمّا ولي عليّ الأمر ، بعد أبيه ، أنف من ذلك وقال : لا يكون لأحد من أهل إفريقية أن يناوئني في إجراء المراكب في البحر بالتجار ؛ فلمّا خاف رافع أن يمنعه عليّ التجأ إلى اللعين رجّار ملك الفرنج بصِقلّية ، واعتضد به ، فوعده رجّار أن ينصره ويعينه على إجراء مركبه في البحر ، وأنفذ في الحال أسطولاً إلى قابِس ، فاجتازوا بالمهديّة ، فحينئذ تحقّق عليّ اتّفاقهما ، وكان يكذّبه .

فلمّا جاز أسطول رجّار بالمهديّة أخرج عليّ أسطوله في أثره ، فتوافى الجميع إلى قابِس ، فلمّا رأى صاحبها أسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه ، فعاد أسطول الفرنج ، وبقي أسطول عليّ يحصر رافعاً بقابِس مضيّقاً عليها .

---

1) Hic C. P. sequentem inserit sententiam: فأظهر الأمراء الذين كانوا معه أن كتب السلطان محمد إلى أصبهان فحبسوه بها إلى quam librarius nota ٢ insignivit.

---

١ وحما .

Marfat.com

ثم عادوا إلى المهديّة ، وتمادى رافع في المخالفة لعليّ ، وجمع قبائل العرب ، وسار بهم ، حتّى نزل على المهديّة محاصراً لها ، وخادع عليّاً ، وقال : إنّني إنّما جئت للدخول في الطاعة ؛ وطلب من يسْعَى في الصُّلح ، وأفعالُه تكذّب أقواله ، فلم يجبه عن ذلك بحرف ، وأخرج العساكر ، وحملوا على رافع ومَنْ معه حملة منكرة ، فألحقوهم بالبيوت ، ووصل العسكر إلى البيوت ، فلمّا رأى ذلك النساء صِحْنَ ، وولولْنَ ، فغارت العرب ، وعاودت القتالَ ، واشتدّ حينئذ الأمر إلى المغرب ، ثم افترقوا ، وقد قُتل من عسكر رافع بشر كثير ، ولم يُقْتَل من جند عليّ غير رجل واحد من الرَّجّالة .

ثم خرج عسكر عليّ مرّة أخرى ، فاقتتلوا أشدّ من القتال الأوّل ، كان الظهور فيه لعسكر عليّ ، فلمّا رأى رافع أنّه لا طاقة له بهم رحل عن المهديّة ليلاً إلى القَيروان ، فمنعه أهلها من دخولها ، فقاتلهم أيّاماً قلائل ، ثم دخلها ، فأرسل عليّ إليه عسكراً من المهديّة ، فحصروه فيها إلى أن خرج عنها ، وعاد إلى قابِس ؛ ثم إنّ جماعة من أعيان إفريقية ، من العرب وغيرهم ، سألوا عليّاً في الصلح ، فامتنع ، ثم أجاب إلى ذلك ، وتعاهد عليه .

ذكر الوحشة بين رجّار والأمير عليّ

كان رجّار ، صاحب صقليّة ، بينه وبين الأمير عليّ ، صاحب إفريقية ، مودّة وكيدة ، إلى أن أعان رافعاً كما تقدّم قبلُ ، فاستوحش كلٌّ منهما من صاحبه ، ثم بعد ذلك خاطبه رجّار بما لم تجْرِ عادتهم به ، فتأكّدت الوحشة ، فأرسل رجّار رسالة فيها خشونة ، فاحترز عليّ منه ، وأمر بتجديد الأسطول ، وإعداد الأهبة للقاء العدوّ ، وكاتب المرابطين بمَرّاكُش في الاجتماع معه على الدخول إلى صِقلّية ، فكفّ رجّار عمّا كان يعتمده .

Marfat.com

ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء إيلغازي عليها

في هذه السنة قُتل لؤلؤ الخادم ، وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها ، بعد وفاة الملك رضوان ، ووَلِيَ أتابكيّة ولده ألب أرسلان ، فلمّا مات أقام بعده في الملك سلطانشاهَ بن رضوان ، وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه ، فلمّا كانت هذه السنة سار منها إلى قلعة جَعبَر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها ، فلمّا كان عند قلعة نادر نزل يُريق الماء ، فقصده جماعة من أصحابه الأتراك ، وصاحوا : أرنب ، أرنب ! وأوهموا أنّهم يتصيّدون . ورموه بالنشّاب ، فقُتل ، فلمّا هلك [نهبوا] خزانته[1] ، فخرج إليهم أهل حلب ، فاستعادوا ما أخذوه .

وولي أتابكيّة سلطانشاه بن رضوان شمس الخواصّ يارو قتاش ، فبقي شهراً ، وعزلوه ؛ وولي بعده أبو المعالي بن الملحيّ الدمشقيّ ، ثم عزلوه وصادروه.

وقيل : كان سبب قتل لؤلؤ أنّه أراد قتل سلطانشاه ، كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله ، ففطن به أصحاب سلطانشاه ، فقتلوه ؛ وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة ، والله أعلم .

ثمّ إنّ أهل حلب خافوا من الفرنج ، فسلّموا البلد إلى نجم الدين إيلغازي ، فلمّا تسلّمه لم يجد فيه مالاً ، ولا ذخيرة ، لأنّ الخادم كان قد فرّق الجميع ، وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر ، فرزقه الله غير أولاده ، فلمّا رأى إيلغازي خلوّ البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمالٍ صانع به الفرنج ، وهادنهم مُدّة يسيرة تكون بمقدار مسيره إلى ماردين ، وجمْع العساكر والعود ،

---

1) In C. P. مراسه note ٢ superscripta.

فلمّا تمّت المدنة سار إلى ماردين ، على هذا العزم ، واستخلف بحلب ابنَهُ حُسام الدين تمرتاش .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في رابع عشر صفر ، انخسف القمر انخسافاً كلّيّاً .

وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام ، وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا .

وفيها ، في يوم عرفة ، كانت زلزلة بالعراق ، والجزيرة ، وكثير من البلاد ، وخربت ببغداذ دور كثيرة بالجانب الغربيّ .

وفيها مات أحمد العربيُّ ببغداذ ، وكان من عباد الله الصالحين ، له كرامات ، وقبره يزار بها .

وفي هذه السنة ، في شوّال ، توفّي أبو عليّ محمّد بن سعد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب ، وعُمره مائة سنة ، وكان عالي الإسناد ، روى عن أبي عليّ بن شاذان وغيره ؛ والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقّاق الفرضيُّ ، الحاسب ، وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب ، وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي وغيره .

وفيها مات الكزايكس[1] ملك القسطنطينيّة ، وملك بعده ابنه يوحنّا ، وسلك سيرته .

وفيها مات دوقس أنطاكية ، وكفى الله شرّه .

---

1) Bodl. الكرالس ; C. P. الكرانكس ; nomine Alexii hic latere, patet.

Marfat.com

٥١٢

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البُرسقيّ شحنكيّة بغداذ

لمّا توفّي السلطان محمّد ، وملك بعده ابنه محمود ، ودبّر دولته الوزير الرييب أبو منصور ، أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداذ ، فخُطب له في الجمعة ثالث عشر المحرّم ، وكان شحنة بغداذ بهروز .

ثم إنّ الأمير دُبَيْس بن صدقة كان عند السلطان محمّد ، منذ قُتل والده ، على ما ذكرناه ، فأحسن إليه ، وأقطعه إقطاعاً كثيراً ، فلمّا توفّي السلطان محمّد خاطب السلطانَ محموداً في العود إلى بلده الحِلّة ، فأذِن له في ذلك ، فعاد إليها ، فاجتمع عليه خلق كثير من العرب ، والأكراد ، وغيرهم ، وكان آقسنقر البرسقيُّ مقيماً بالرَّحبة ، وهي إقطاعه ، وليس بيده من الولايات شيء ، فاستخلف عليها ابنه عزّ الدين مسعود ، وسار إلى السلطان محمّد ، قبل موته ، عازماً على مخاطبته في زيادة إقطاعه ، فبلغه وفاة السلطان محمّد قبل وصوله إلى بغداذ .

وسمع مجاهد الدين بَهروز بقربه من بغداذ ، فأرسل إليه يمنعه من دخولها ، فسار إلى السلطان محمود ، فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكيّة بغداذ ، وهو بحُلوان ، وعزل بهروز .

وكان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقيّ ، ويتعصّبون له ، ويكرهون

Marfat.com

مجاهد الدين بهروز ، ويحسنونه . للقرب الذي كان له[1] عند السلطان محمّد ، وخافوا أن يزداد تقدّماً عند السلطان محمود وحكماً . فلمّا ولي البرسقيُّ شحنكيّة بغداذ هرب بهروز إلى تكريت ، وكانت له .

ثم إنّ السلطان ولّى شحنكيّة بغداذ الأمير منكوبرس ، وهو من أكابر الأمراء ، وقد حكم في دولة السلطان محمود ، فلمّا أُعطي الشحنكيّة سيّر إليها ربيبه الأمير حسين بن أزبك ، أحد الأمراء الأتراك ، وهو صاحب أسداباذ ، لينوب عنه ببغداذ والعراق ، وفارق السلطان من باب همذان ، واتّصل به جماعة الأمراء البكجيّة وغيرهم .

فلمّا سمع البرسقيُّ خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقّف إلى أن يكاتب السلطانَ ، ويفعل ما يرد به الأمر عليه ، فأرسل إليه الخليفة ، فأجاب : إن يرسم الخليفة بالعود عُدْتُ ، وإلاّ فلا بدّ من دخول بغداذ . فجمع البرسقيُّ أصحابه وسار إليه ، فالتقوا واقتتلوا ، فقُتل أخٌ لحسين ، وانهزم هو ومن معه ، وعادوا إلى عسكر السلطان ، فكان ذلك في شهر ربيع الأوّل ، قبل وفاة المستظهر بالله بأيّام .

ذكر وفاة المستظهر بالله

في هذه السنة ، سادس عشر شهر ربيع الآخر ، توفّي المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد بن المقتدي بأمر الله ، وكان مرضه التراقي ، وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستّة أشهر وستّة أيّام ، وخلافته أربعاً[2] وعشرين سنة وثلاثة

---

١ لقربه كان .

٢ لربع .

Marfat.com

أشهر وأحد عشر يوماً ؛ ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جُهير ، وسديد الملك أبو المعالي المفضّل بن عبد الرزّاق الأصبهانيّ ، وزعيم الرؤساء أبو القاسم ابن جُهير ، ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطّلب ، ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمّد ؛ وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا ، وقاضي القضاة أبو الحسن عليّ بن الدامغانيّ ، ومضى[1] ، في أيّامه ، ثلاثة سلاطين خُطب لهم بالخ رة ، وهم : تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان ، والسلطان بركيارُق ، ومحمّد ابنا ملكشاه .

ومن غريب الاتّفاق أنّه لمّا توفّي السلطان ألب أرسلان توفّي بعده القائم بأمر الله ، ولمّا توفّي السلطان ملكشاه توفّي بعده المقتدي بأمر الله ، ولمّا توفّي السلطان محمّد توفّي بعده المستظهر بالله .

ذكر بعض أخلاقه[2] وسيرته

كان ، رضي الله عنه ، ليّن الجانب ، كريم الأخلاق ، يحبّ اصطناع الناس ، ويفعل الخير ، ويسارع إلى أعمال البرّ والمثوبات ، مشكور المساعي لا يردّ مكرمة تُطلب منه .

وكان كثير الوثوق بمن يولّيه ، غير مصغٍ إلى سعاية ساعٍ ، ولا ملتفت إلى قوله ، ولم يُعرف منه تلوّن ، وانحلال عزم ، بأقوال أصحاب الأغراض .

وكانت أيّامه أيّامَ سرور للرعيّة ، فكأنّها من حُسنها أعياد ، وكان إذا بلغه ذلك فرح به وسرّه ، وإذا تعرّض سلطان أو نائب له لأذى أحدٍ بالغ في إنكار ذلك والزجر عنه .

---

١ ومضا .

٢ الخلاقة .

Marfat.com

وكان حسن الخطّ ، جيّد التوقيعات ، لا يقاربه فيها أحد، يدلّ على فضلٍ غزير ، وعلم واسع ؛ ولمّا توفّي صلّى عليه ابنه المسترشد بالله ، وكبّر أربعاً ، ودُفن في حجرةٍ له كان يألفها . ومن شعره قوله :

أذابَ حَرُّ الهوَى في القَلبِ ما جَمَدا[1] لمّا مددتُ إلى رَسْمِ الوَدَاعِ يَدَا
وكَيْفَ أسلُكُ نَهجَ الاصطبارِ وقد أرَى طرائقَ في مَهوَى الهَوى قدَدَا
قد أخلَفَ الوعدَ بدرٌ قد شُغِفتُ به ، من بعد ما قَد وفى[2] دهرِي بما وعَدا
إن كنتُ أنقُضُ عهدَ الحبِّ في خلَدي[2] من بعدِ هذا ، فلاَ عايتُه أبَدَا

ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله

لمّا توفّي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العبّاس أحمد بن المستظهر بالله ، وكان وليّ عهد قد خُطب له ثلاثاً وعشرين سنة ، فبايعه[3] أخواه ابنا المستظهر بالله ، وهما أبو عبْد الله محمّد ، وأبو طالب العبّاس ، وعمومته بنو المقتدي بأمر الله ، وغيرهم من الأمراء ، والقضاة ، والأئمّة ، والأعيان .

وكان المتولّي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغانيُّ ، وكان نائباً عن الوزارة ، فأقرّه المسترشد بالله عليها ، ولم يأخذ البيعة قاضٍ غير هذا ، وأحمد

---

1) Bodl. ; lacuna in C. P.

2) Bodl. جلدي .

---

١ جمد .

٢ وفا .

٣ فبايعاه .

Marfat.com

ابن أبي داود ، فإنّه أخذها للواثق بالله ، والقاضي أبو عليّ إسماعيل بن إسحاق ، أخذها للمعتضد بالله .

ثم إنّ المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة ، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الربيب أبي منصور ، وزير السلطان محمود ، وكان والده خطب في معنى ولده ، حتّى استُوزر ، وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الحُزّيّ .

ذكر هرب الأمير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده

لمّا اشتغل الناس ببَيعة المسترشد بالله ، ركب أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ، ومعه ثلاثة نفر ، وانحدر إلى المدائن ، وسار منها إلى دبيس بن صدقة بالحِلّة ، فكرّمه دُبيس ، وعلم منه وفاة المستظهر بالله ، وأقام له الإقامات الكثيرة ، فلمّا علم المسترشد بالله خبره أهمّه ذلك وأقلقه ، وأرسل إلى دُبيس يطلب منه إعادته ، فأجاب بأنّني عبد الخليفة ، وواقف عند أمره ، ومع هذا ، فقد استذمّ بي ، ودخل منزلي ، فلا أكرهه على أمرٍ أبداً .

وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين عليّ بن طراد الزينبيّ[1] ، فقصد الأمير أبا الحسن ، وتحدّث معه في عوده ، وضمن له عن الخليفة كلّ ما[2] يريده ، فأجاب إلى العود ، وقال : إنّني لم أفارق أخي لشرّ أريده ، وإنّما الخوف حملني على مفارقته ، فإذا أمّنني قصدتُه . وتكفّل دُبيس بإصلاح الحال

---

١ الزينبي .
٢ كما .

Marfat.com

بنفسه ، والمسير معه إلى بغداذ ، فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال ، فأجاب إلى ما طلبه منه .

ثم حدث من أمر البرسقيّ ودُبيس ومنكوبرس ما ذكرناه ، فتأخّر الحال .

وأقام الأمير أبو الحسن عند دُبَيْس إلى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، ثم سار عن الحلّة إلى واسط ، وكثر جمعه[1] وقوي الإرجاف بقوّته ، وملك مدينة واسط ، وخيف جانبه ، فتقدّم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لوليّ عهده ولده أبي جعفر المنصور ، وعمره حينئذ اثنتا[2] عشرة سنة ، فخُطب له ثاني ربيع الآخر ببغداذ ، وكتب إلى البلاد بالخطبة له ، وأرسل إلى دُبَيْس بن مَزْيد في معنى الأمير أبي الحسن ، وأنّه الآن قد فارق جواره ، ومدّ يده إلى بلاد الخليفة وما يتعلّق به ، وأمره بقصده ومعاجلته قبل قوّته ؛ فأرسل دُبَيْس العساكر إليه ، ففارق واسط ، وقد تحيّر هو وأصحابه ، فضلّوا الطريق ، ووصلت عساكر دُبَيْس ، فصادفوهم عند الصَّلْح ، فنهبوا أثقاله ، وهرب الأكراد من أصحابه ، والأتراك ، وعاد الباقون إلى دُبَيْس .

وبقي الأمير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان ، وبينه وبين الماء خمسة فراسخ ، وكان الزمان قيظاً ، فأيقن بالتلف ، وتبعه بدويّان ، فأراد الهرب منهما ، فلم يقدر ، فأخذاه ، وقد اشتدّ به العطش ، فسقياه ، وحملاه إلى دُبَيْس ، فسيّره إلى بغداذ ، وحمله إلى الخليفة ، بعد أن بذل له عشرين ألف دينار ، فحُمل إلى الدار العزيزة ، وكان بين خروجه عنها وعوده إليها أحد عشر شهراً .

ولمّا دخل على المسترشد بالله قبّل قدمَه ، وقبّله المسترشد ، وبكيا ، وأنزله

---

١ جمع .
٢ اثني .

Marfat.com

داراً حسنة كان هو يسكنها قبل أن يلي الخلافة ، وحمل إليه الخلع ، والتحف الكثيرة ، وطيّب نفسه وأمّنه .

ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك إلى العراق وما كان بينهما وبين البُرسقيّ ودُبَيْس

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، برز البرسقيُّ ، ونزل بأسفل الرَّقّة في عسكره ومَن معه ، وأظهر أنّه على قصد الحِلّة وإجلاء دُبَيْس بن صدقة عنها .

وجمع دُبَيْس جموعاً كثيرة من العرب والأكراد ، وفرّق الأموال الكثيرة والسلاح .

وكان الملك مسعود ابن السلطان محمّد بالموصِل مع أتابكه أي أبه[1] جيوش بك ، فأشار عليهما جماعة ممّن عندهما بقصد العراق فإنّه لا مانع دونه ، فسارا في جيوش كثيرة ، ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو عليّ بن عمّار ، صاحب طرابلس ، وقسيم الدولة زنكي بن آقسنقَر جدّ ملوكنا الآن بالموصِل ، وكان من الشجاعة في الغاية ، ومعهم أيضاً صاحب سِنجار ، وأبو الهيجاء ، صاحب إربل ، وكرباوي بن خراسان التركمانيُّ ، صاحب البوازيج . فلمّا علم البرسقيُّ قربهم خافهم .

وكان البرسقيُّ قديماً قد جعله السلطان محمّد أتابك ولده مسعود ، على ما ذكرناه ، وإنّما كان خوفه من جيوش بك ، فلمّا قاربوا بغداذ سار إليهم ليقاتلهم ويصدّهم ، فلمّا علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلا إليه الأمير

---

1) Bodl. أبه ; C. P. أزبه .

Marfat.com

كرباوي في الصلح ، وأعلمه أنّهم إنّما جاءوا نجدةً له على دُبَيْس ، واصطلحوا ، وتعاهدوا ، واجتمعوا .

ووصل مسعود إلى بغداذ ، ونزل بدار المملكة ، ووصلهم الخبر بوصول الأمير عماد الدين منكبرس ، المقدّم ذكره ، في جيش كثير ، فسار البرسقيُّ عن بغداذ نحوه ليحاربه ويمنعه عنها ، فلمّا علم به منكبرس قصد النُّعمانيّة ، وعبر دجلة هناك ، واجتمع هو ودُبَيْس بن صدقة .

وكان دُبَيْس قد خاف من الملك مسعود والبرسقيّ ، فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة ، فأهدى لمسعود هدية حسنة ، وللبرسقيّ ، وجيوش بك ، فلمّا وصله خبر وصول منكبرس راسله ، واستماله ، واستحلفه ، واتّفقا على التعاضد والتناصر ، واجتمعا ، وكلّ واحد منهما قوي بصاحبه ، فلمّا اجتمعا سار الملك مسعود ، والبرسقيُّ ، وجيوش بك ، ومَن معهم ، إلى المدائن للقاء دُبَيْس ومنكبرس ، فلمّا وصلوا المدائن أتتهم الأخبار بكثرة الجمع معهما ، فعاد البرسقيّ ، والملك مسعود ، وعبرا نهر صرصر ، وحفظا المخاضات عليه ، ونهبت الطائفتان السواد نهباً فاحشاً : نهر الملك ، ونهر صَرْصَر ، ونهر عيسى ، وبعض دُجَيْل ، واستباحوا النساء .

فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود والبرسقيّ ينكر هذه الحال ، ويأمرهما بحقن الدماء ، وترْك الفساد ، ويأمر بالموادعة والمصالحة ، وكان الرسل : سديد الدولة بن الأنباريّ ، والإمام الأسعد المَيهنيّ ، مدرّس النظاميّة ، فأنكر البرسقيُّ أن يكون جرى منهما شيء من ذلك ، وأجاب إلى العَود إلى بغداذ ، فوصل من أخبره أنّ منكبرس ودُبيساً قد جهّزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخي دُبَيْس ، والأمير حسين بن أزبك ، ربيب منكبرس ، وسيّروهم ، وعبروا[1] عند دَرْزِيجَانَ ليقطعوا مخاضة عند دَيَالى إلى بغداذ ، لخلوّها من

---

١ وسيراه ، وعبر .

Marfat.com

عسكر يحميها ويمنع عنها .

فعاد البرسقيّ إلى بغداذ ، وعبر الجسر لئلاّ يخاف الناس ، ولم يعلموا الخبر ، وخلّف ابنه عزّ الدين مسعوداً[1] على عسكره بصَرصَر ، واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقَر ، فوصل إلى دَيَالى ، ومنع عسكر منكبرس من العبور ، فأقام يومَيْن ، فأتاه كتاب ابنه عزّ الدين مسعود يخبره أنّ الصلح قد استقرّ بين الفريقَيْن ، فانكسر نشاطه ، حيث جرى هذا الأمر ولم يعلم به ، وعاد نحو بغداذ ، وعبر إلى الجانب الغربي ، وعبر منصور وحسين فسارا في عسكرهما خلفه ، فوصلا[2] بغداذ عند نصف الليل ، فنزلا عند جامع السلطان .

وسار البرسقيّ إلى الملك مسعود فأخذ بَركه ومالَه وعاد إلى بغداذ ، فخيّم عند القنطرة العتيقة ، وأصعد الملك مسعود ، وجيوش بك ، فنزلا عند البِيمارستان ، وأصعد دُبَيْس ومنكبرس فخيّما تحت الرَّقّة ، وأقام عزّ الدين مسعود بن البرسقيّ عند منكبرس منفرداً عن أبيه .

وكان سبب هذا الصلح أنّ جيوش بك كان قد أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود ، فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر أنّه لقي من السلطان إحساناً كثيراً ، وأنّه أقطعهما[3] أذربيجان ، فلمّا بلغه رحيلهما[4] إلى بغداذ اعتقد أنّهما قد عَصَيَا[5] عليه ، فعاد عمّا كان استقرّ ، ويقول إنّ السلطان قد جهّز عسكراً إلى الموصل . فوقع الكتاب بيد منكبرس ، فأرسله إلى جيوش بك ، وضمن له إصلاح السلطان له وللملك مسعود ، وكان منكبرس

---

١ مسعود .
٢ فوصلوا .
٣ قطعهم .
٤ رحيلكم .
٥ أنكم قد عصيتم .

Marfat.com

متزوّجاً بأمّ الملك مسعود ، واسمها سَرجهان ، وكان يؤثر مصلحته لذلك ، واستقرّ الصلح ، وخافا من البرسقيّ أن يمنع منه ، فاتّفقا على إرسال العسكر إلى دَرْزِيجَانَ لينفذ في مقابلته البرسقيّ ليخلو العسكر منه ، ويقع الاتّفاق ، فكان الأمر في مسيره على ما تقدّم .

وكان البرسقيُّ محبوباً لدى أهل بغداذ لحسن سيرته فيهم ، فلمّا استقرّ الصلح ، ووصلوا إلى بغداذ ، تفرّق عن البرسقيّ أصحابه وجموعه ، وبطل ما كان يحدّث به نفسه من التغلّب على العراق بغير أمر السلطان ، وسار عن العراق إلى الملك مسعود ، فأقام معه ، واستقرّ منكبرس في شحنكيّة بغداذ ، وودّعه دُبَيْس بن صدقة ، وعاد إلى الحِلّة ، بعد أن طالب بدار أبيه بدرب فيروز ، وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداذ ، فصولح عنها بمال .

وأقام منكبرس ببغداذ يظلمُ ، ويعسف الرعيّة ، ويصادرهم ، فاختفى أرباب الأموال ، وانتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه ، وبطلت معايش الناس ، وأكثر أصحابه الفساد ، حتّى إنّ بعض أهل بغداذ زُفّت إليه امرأة تزوّجها ، فعلم بعض أصحاب منكبرسٍ ، فأتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدّة جِراحات ، وابتنى بزوجته ، فكثر الدعاء ليلاً ونهاراً ، واستغاث الناس لهذه الحال ، وأغلقوا الأسواق ، فأُخذ الجنديّ إلى دار الخلافة فاعتُقل أيّاماً ثم أُطلق .

وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداذ ، فأرسل إليه يستدعيه ، ويحثّه على اللحوق به ، وهو يغالط ويدافع ، وكلّما طلبه السلطان لجّ في جمع الأموال والمصادرات . فلمّا علم أهل بغداذ تغيُّر[1] السلطان عليه ، واستدعاءه إيّاه ، طمعوا فيه ، فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفاً أن يثوروا به ، وكفى الناس شرّه ، وظهر من كان مستتراً .

---

١ تغيّر .

Marfat.com

ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين

في ذي الحجّة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفّي بغدوين ملك القدس ، وكان قد سار إلى ديار مصر في جمع الفرنج ، قاصداً ملكها والتغلّب عليها ، وقوي طمعه في الديار المصريّة ، وبلغ مقابل تنّيس ، وسبح في النيل ، فانتقض جرح كان به ، فلمّا أحسّ بالموت عاد إلى القدس ، فمات ، ووصّى ببلاده للقمّص صاحب الرُّها ، وهو الذي كان أسره جكرمش ، وأطلقه جاولي سقاوو ، واتّفق أنّ هذا القمّص كان قد سار إلى القدس يزور بِيعة قُمامَةَ ، فلمّا وصّى إليه بالملك قبله ، واجتمع له القدس والرُّها .

وكان أتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج ، فنزل بين دَيْر أيّوب وكَفر بَصَل[1] باليَرْموك ، فخفيت عنه وفاة بغدوين ، حتّى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوماً ، وبينهم نحو يومَيْن ، فأتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة ، فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من • جبل عَوف ، والحَنّانَة[2] ، والصَّلْت[3] ، والغَور ، فلم يجب إلى ذلك ، وأظهر القوّة ، فسار طغتكين إلى طَبَريّة فنهبها وما حولها ، وسار منها نحو عَسْقَلان .

وكانت للمصريّين وبها عساكرهم ، كانوا قد سيّروها لمّا عاد ملك القدس المتوفّى عن مصر ، وكانوا سبعة آلاف فارس ، فاجتمع بهم طغتكين ، وأعلمه المقدّم عليهم أنّ صاحبهم تقدّم إليه بالوقوف عند رأي طغتكين ، والتصرّف على ما يحكم به ، فأقاموا بعَسْقَلان نحو شهرَيْن ، ولم يؤثّروا في الفرنج أثراً ، فعاد طغتكين إلى دمشق ، فأتاه الصريخ بأنّ مائة وثلاثين فارساً من الفرنج أخذوا

---

1) Bodl. sine punct. C. P. كفر بصل .
2) C. P. الحنانه ; Bodl. حل عوف والحمامه .
3) Bodl. والصلب .

Marfat.com

حصناً من أعماله يُعرف بالحبس ، يُعرف بحصن جلدك ، سلّمه إليهم المستحفظ به وقصدوا أذْرِعات فنهبوها ، فأرسل إليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين ، فانحازوا عنه إلى جبل هناك ، فنازلهم ، فأتاه أبوه ونهاه عنهم ، فلم يفعل ، وطمع فيهم ، فلمّا أيِس الفرنج قاتلوا قتال مُستْقتل ، فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها ، وأسروا وقتلوا خلقاً كثيراً ، وعاد الفلّ إلى دمشق على أسوإ حال .

فسار طغتكين إلى حلب ، وبها إيلغازي ، فاستنجده ، وطلب منه التعاضد على الفرنج ، فوعده بالمسير معه ، فبينما هو بحلب أتاه الخبر بأنّ الفرنج قصدوا حَوْران من أعمال دمشق ، فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا ، فاتّفق رأي طغتكين وإيلغازي • على عود طغتكين إلى دمشق ، وحماية بلاده ، وعود إيلغازي[1] إلى ماردِين ، وجَمْع العساكر ، والاجتماع على حرب الفرنج ، فصالح إيلغازي مَن يليه من الفرنج على ما تقدّم ذكره ، وعبر إلى ماردِين لجمع العساكر ، وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة [وخمسمائة] ، إن شاء الله تعالى .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطع الغيث ، وعُدمت الغلاّت في كثير من البلاد ، وكان أشدّه بالعراق ، فغلت الأسعار ، واجلى أهل السواد ، وتقوّت الناس بالنخالة ، وعظم الأمر على أهل بغداذ بما كان يفعله منكبرس بهم .

وفيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختصّ به كلّ جَور ، وأمر أن لا يؤخذ إلاّ ما جرت به العادة القديمة ، وأطلق ضمان غزل الذهب ، وكان

---

1) Bodl. ; Om. C. P.

Marfat.com

صنّاع السقلاطون ، والمزجّج ، وغيرهم ممّن يعمل منه ، يلقون شدّة من السمّال عليها ، وأذًى عظيماً .

وفيها تأخّر مسير الحُجّاج تأخّراً أرجف بسببه بانقطاع الحجّ من العراق ، فرتّب الخليفة الأمير نَظَر ، خادم أمير الجيوش يُمن ، وولاّه من أمر الحجّ ما كان يتولاّه أمير الجيوش ، وأعطاه من المال ما يحتاج إليه في طريقه ، وسيّره ، فتركوا الحجّ وظهرت كفاية نظر .

وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوّة ونجدة للفرنج بالشام ، فغرقا ، وكان الناس قد خافوا ممّن فيهما .

وفيها وصل رسول إيلغازي ، صاحب حلب وماردين ، إلى بغداذ يستنفر على الفرنج ، ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزريّة ، وأنّهم ملكوا قلعة عند الرُّها ، وقتلوا أميرها ابن عُطَيْر ، فسُيّرت الكتب بذلك إلى السلطان محمود .

وفيها نُقل المسترشد إلى الرُّصافة ، وجميع من كان مدفوناً بدار الخلافة ، وفيهم جدّة المسترشد أمّ المقتدي ، وكانت وفاتها بعد المستظهر ، ورأت البطن الرابع من أولادها .

وفيها كثر أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ ، فعبر إليهم نائب الشُّحنة في خمسين غلاماً أتراكاً ، فقاتلهم ، فانهزم منهم ، ثم عبر إليهم من الغد في مائتَيْ غلام ، فلم يظفر بهم ، وذهب العيّارون يومئذ قُطُفْتا .

وفي هذه السنة ، في شعبان ، توفّي أبو الفضل بكر بن محمّد بن عليّ بن الفضل الأنصاريّ من ولد جابر بن عبد الله ، وهو من بلد بخارى ، وكان من أعيان الفقهاء الحنفيّة ، حافظاً للمذهب .

وتوفّي أبو طالب الحسين بن محمّد بن عليّ بن الحسن الزينبيّ ، نقيب النقباء ببغداذ ، في صفر ، واستقال من النقابة ، فوليها أخوه طِراد ، وكان من أكابر

الحنفيّة ، وروى الحديث الكثير .

وفيها - في ذي الحجّة ، توفّي أبو زكريّاء يحيى بن عبد الوهّاب بن منده الأصبهانيّ . المحدّث المشهور من بيت الحديث ، وله فيه تصانيف حسنة .

وفيها توفّي أبو الفضل أحمد بن الخازن ، وكان أديباً ، ظريفاً ، له شعر حسن ، فمنه قوله ، وقد قصد زيارة صديق له ، فلم يره ، فأدخله غلمانه إلى بستان في الدار ، وحمّام ، فقال في ذلك :

وافيتُ منزِلَهُ ، فلم أرَ صاحباً إلاّ تلقّاني بوَجهٍ ضاحكِ
والبِشرُ في وَجهِ الغُلامِ نتيجةٌ لمُقدّماتِ ضياء وجهِ المالكِ
ودخلتُ جنّتَهُ ،وزُرت جحيمَهُ فشكرتُ رِضواناً ورأفةَ مالكِ

Marfat.com

٥١٣

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود

كان الملك طغرل بن محمّد لمّا توفّي والده بقلعة سَرْجَهانَ ، وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرّم ، وأقطعه والده ، سنة أربع ، ساوةَ وآوةَ وزَنْجانَ ، وجعل أتابكه الأمير شيركير الذي تقدّم ذكره في حصار قلاع الإسماعيليّة ، فازداد مُلك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم . فأرسل إليه السلطان محمود الأمير كتغدي ليكون أتابكاً له . ومدبّراً لأمره ، ويحمله إليه ، فلمّا وصل إليه حسّن له مخالفة أخيه ، وترْك المجيء إليه ، واتّفقا على ذلك .

وسمع السلطان محمود الخبر ، فأرسل شرف الدين أنوشروان بن خالد . ومعه خِلَع وتحف وثلاثون ألف دينار ، ووعد أخاه بإقطاع كثير ، زيادة على ما له ، إذا قصده ، واجتمع به ، فلم تقع الإجابة إلى الاجتماع ، وأجاب كتغدي « بأنّنا في طاعة[1] السلطان ، وأيّ جهة أراد قصدناها ، ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده .

فبينما الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همَذان في عشرة آلاف فارس ، جريدة ، في جمادى الأولى ، وكتم مقصده ، وعزم على أن يكبس أخاه ، والأمير كتغدي ، فرأى أحد خواصّه تركيّاً من أصحاب الملك طغرل ، فأعلم السلطان به ، فقبض عليه ، فعلم رفيق كان معه الحال ، فسار عشرين

---

1) Bodl. ; C. P. نائباً من السلطان .

فرسخاً في ليلة ، ووصل إلى الأمير كتغلي ، وهو سكران ، فأيقظه بعد جهد ، وأعلمه الحال ، فقصد الملك طغرل ، فعرّفه ذلك ، وأخذه متخفّياً ، وقصد قلعة سَمِيران[1] ، فضلاً عن الطريق إلى قلعة سَرْجَهان ، وكانا قد فارقاها ، وجمعا العساكر ، وكان ضلالهما هداية لهما إلى السلامة ، فإنّ السلطان مسعوداً جعل طريقه على سَمِيران ، وقال : إنّها حصنهما الذي فيه الذخائر والأموال ، وإذا علما بوصوله إليهما سارا إليها ، فربّما صادفهما في الطريق ، فسلما منه بما ظنّاه عَطَباً لهما .

ووصل السلطان إلى العسكر ، فكبسه ، ونهبه ، وأخذ من خزانة أخيه ثلاثمائة ألف دينار ، وذلك المال الذي أنفقه له ، وأقام السلطان مسعود بزَنجان ، وتوجّه منها إلى الرَّيّ ؛ ونزل طغرل من سَرجَهان ، ولحق هو وكتغدي بكَنْجَة وقصده أصحابه ، فقويت شوكته ، وتمكّنت الوحشة بينه وبين أخيه مسعود .

ذكر الحرب بين سَنجَر والسلطان محمود

في هذه السنة ، في جُمادى الأولى ، كانت حرب شديدة بين سَنجَر وابن أخيه السلطان محمود ، ونحن نذكر سياقة ذلك :

قد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجَر إلى غَزْنَة ، وفتحها وما كان منه فيها ، ثم عاد عنها إلى خُراسان ، فلمّا بلغه وفاة أخيه السلطان محمّد ، وجلوس ولده السلطان محمود في السلطنة ، وهو زوج ابنة سنجَر ، لحقه حزن عظيم

---

1) Cod. C. P. شيران ; Bodl. شهران .

---

1 محمود .

Marfat.com

لموت أخيه ، وأظهر من الجزع والحزن ما لم يُسمع بمثله ، وجلس للعزاء على الرماد ، وأغلق البلد سبعة أيّام ، وتقدّم إلى الخطباء بذكر السلطان محمّد بمحاسن أعماله من قتال الباطنيّة ، وإطلاق المكوس ، وغير ذلك .

وكان سنجرَ يلقّب بناصر الدين ، فلمّا توفّي أخوه محمّد تلقّب بمعزّ الدين ، وهو لقب أبيه ملكشاه ، وعزم على قصد بلد الجبال والعراق وما بيد محمود ابن أخيه ، فندم على قَتْل وزيره أبي جعفر محمّد بن فخر الملك أبي المظفّر ابن نظام الملك .

وكان سبب قتله أنّه وحّش الأمراء ، واستخفّ بهم ، فأبغضوه وكرهوه ، وشكوا منه إلى السلطان ، وهو بغَزْنةَ ، فأعلمهم أنّه يؤثر قتله ، وليس يمكنه فعل ذلك بغَزنة .

وكان سنجر قد تغيّر على وزيره لأسباب منها : أنّه أشار عليه بقصد غَزْنَة . فلمّا وصل إلى بُست أرسل أرسلانشاه صاحبها إلى الوزير ، وضمن له خمسمائة ألف دينار ليَثْني سنجرَ عن قصده ؛ فأشار عليه بمصالحته والعود عنه ، وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ؛ ومنها : أنّه نُقل عنه أنّه أخذ من غَزنة أموالاً جليلة عظيمة المقدار ؛ ومنها : ما ذكر من إيحاشه الأمراء وغير هذه الأسباب . فلمّا عاد إلى بَلْخ قبض عليه ، وقتله وأخذ ماله ، وكان له من الجواهر والأموال ما لا حدّ عليه ، والذي وُجد له من العَين ألفا ألف دينار ، فلمّا قتله استوزر بعده شهاب الإسلام عبد الرزّاق ابن أخي نظام الملك ، ويُعرف بابن الفقيه ، إلاّ أنّه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس في علوّ المنزلة . فلمّا اتّصل به وفاة أخيه ندم على قتله لأنّه كان يبلغ به من الأغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس إليه ، ومحلّه عندهم .

ثم إنّ السلطان محموداً[1] أرسل إلى عمّه سنجرَ شرفَ الدين أنوشروان

---

١ محمود .

ابن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن[1] ، ومعهما الهدايا والتحف ، وبذل له النزول عن مازَنْدران ، وحَمْل مائتَيْ ألف دينار كلّ سنة ، فوصلا إليه وأبلغاه الرسالة ، فتجهّز ليسير إلى الرَّيّ ، فأشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب ، فكان جوابه في ذلك : أنّ ولد أخي صبيّ ، وقد تحكّم عليه وزيره والحاجب عليّ .

فلمّا سمع السلطان محمود بمسير عمّه نحوه ، ووصول الأمير أُنَر في مقدّمته إلى جُرجان ، تقدّم إلى الأمير عليّ بن عمر ، وهو أمير حاجب السلطان محمّد ، وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود ، بالمسير ، وضمّ[1] إليه جمعاً كثيراً من العساكر والأمراء ، فاجتمعوا في عشرة آلاف فارس ، فساروا إلى أن قاربوا مقدّمة سنجَر التي عليها الأمير أُنَر ، فراسله الأمير عليٌّ بن عمر يعرّفه وصيّة السلطان محمّد بتعظيم سنجَر والرجوع إلى أمره ونهيه ، والقبول منه ، وأنّه ظنّ أنّ سنجَر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود ، وأخذ علينا بذلك العهود ؛ فليس لنا أن نخالفه ، وحيث تجتمع إلى بلادنا لا نحتمل ذلك ، ولا نغضي[2] عليه ، وقد علمتُ أنّ معك خمسة آلاف فارس ، فأنا أرسل إليك أقلّ منهم لتعلم أنّكم لا تقاومونا ، ولا تقوون بنا .

فلمّا سمع الأمير أُنَر ذلك عاد عن جُرْجان ولحقه بعض عسكر السُّلطان محمود ، فأخذوا قطعة من سواده ، وأسروا عدّة من أصحابه .

وكان السلطان محمود قد وصل إلى الريّ ، وهو بها ، وعاد الأمير عليٌّ بن عمر إليه ، فشكره على فعله ، وأثنى عليه وعلى عسكره الذين معه .

---

1) C. P. النرن ; Bodl. البزن .

---

١ وضمن .

٢ نغضي .

Marfat.com

وأشير على السلطان محمود بملازمة الرَّيّ ، والمقام بها ، وقيل : إنّ عساكر خُراسان إذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ، ولا يتعدّون ولايتهم . فلم يقبلْ ذلك وضجر [من] المقام[1] ، وسار إلى جُرجَان .

ووصل السلطان محمود والأميرُ منكبرس من العراق في عشرة آلاف فارس ، والأمير منصور بن صدقة أخو دُبَيْس ، والأمراء البكجيّة ، وغيرهم ، وسار محمود إلى همَذان ، وتوفّي بها وزيره الربيب ، واستوزر أبا طالب السميرميّ ، وبلغه وصول عمّه سنجَر إلى الريّ ، فسار نحوه قاصداً قتاله ، فالتقيا بالقرب من ساوة ثاني جمادى الأولى من السنة ، وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التي بين يدَيْ عسكر سنجَر ، وهي ثمانية أيّام ، فسبقوهم إلى الماء وملكوه عليهم .

وكان العسكر الخراسانيُّ في عشرين ألفاً ، ومعهم ثمانية عشر فيلاً اسم كبيرها باذهو ، ومن الأمراء الكبار : ولد الأمير أبي الفضل ، صاحب سِجِستان ، وخُوارِزمشاه محمّد ، والأمير أُنَر ، والأمير قماج ، واتّصل به علاء الدولة كرشاسِف بن فرامرز بن كاكَوَيْه ، صاحب يزد ، وهو صهر السلطان محمّد وسنجَر على اختهما ، وكان أخصّ الناس بالسلطان محمّد ، فلمّا تولّى السلطان محمود تأخرّ[2] عنه ، فأقطع بلده لقراجة الساقي الذي صار صاحب بلاد فارس ، فسار حينئذ علاء الدولة إلى سنجَر ، وهو من ملوك الديلم ، وعرّف سنجَر الأحوال ، والطريق إلى قصد البلاد ، وما فعله الأمراء من أخذ الأموال ، وما هم عليه من اختلاف الأهواء ، وحسّن قصد البلاد .

وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفاً ، ومن الأمراء الكبار : الأمير عليُّ ابن عمر ، أمير حاجب ، والأمير منكبرس ، وأتابكه غزغلي ، وبنو بُرسق ،

---

١ مقام .
٢ فتأخر .

Marfat.com

وسُنقر البخاريُّ ، وقراجة الساقي ، ومعه تسعمائة حِمل من السلاح .

واستهان عسكر محمود بعسكر عمّه بكثرتهم وشجاعتهم ، وكثرة خيلهم، فلمّا التقوا ضعفت نفوس الخراسانيّة لما رأوا لهذا العسكر من القوّة والكثرة ، فانهزمت ميمنة سنجَر وميسرته ، واختلط أصحابه ، واضطرب أمرهم ، وساروا منهزمين لا يلوون على شيء ، ونُهب من أثقالهم شيء كثير ، وقتل أهل السواد كثيراً منهم .

ووقف سنجَر بين الفيَلة في جمع من أصحابه ، وبإزائه السلطان محمود ، ومعه أتابكه غزغلي ، فألجأتْ سنجَرَ الضرورة ، عند تعاظم الخطب عليه ، أن يقدّم الفيَلة للحرب ، وكان من بقي معه قد أشاروا عليه بالهزيمة ، فقال : إمّا النصر أو القتل ، وأمّا الهزيمة فلا . فلمّا تقدّمت الفيَلة ، ورآها خيل محمود ، تراجعت بأصحابها على أعقابها ، فأشفق سنجَر على السلطان محمود في تلك الحال ، وقال لأصحابه : لا تُفزِعوا الصبيَّ بحملات الفيَلة ؛ فكفّوها عنهم ، وانهزم السلطان محمود ومن معه في القلب ، وأسر أتابكه غزغلي ، فكان يكاتبُ السلطانَ ، ويعده أنّه يحمل إليه ابن أخيه ، فعاتبه على ذلك ، فاعتذر بالعجز ، فقتله ، وكان ظالماً قد بالغ في ظلم أهل همذان ، فعجّل الله عقوبته .

ولمّا تمّ النصر والظفر للسلطان سنجَر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه إليه ، ووصل الخبر إلى بغداذ في عشرة أيّام ، فأرسل الأمير دُبَيْس بن صدقة إلى المسترشد بالله في الخطبة للسلطان سنجَر ، فخُطب له في السادس والعشرين من جُمادى الأولى ، وقُطعت خطبة السلطان محمود .

وأمّا السلطان محمود فإنّه سار من الكسرة إلى أصبهان ، ومعه وزيره أبو طالب السميرميُّ ، والأمير عليُّ بن عمر ، وقراجة .

وأمّا سنجَر فإنّه سار إلى همَذان ، فرأى قلّة عسكره ، واجتماع العساكر على ابن أخيه ، فراسله في الصلح ، وكانت والدته تشير عليه بذلك ،

Marfat.com

وتقول : قد استوليتَ على غزنة وأعمالها ، وما وراء النهر ، وملكتَ ما لا حدّ عليه ، وقرّرتَ الجميع على أصحابه ، فاجعل ولد أخيك كأحدهم .

وكانت والدة سنجَر هي جدّة السلطان محمود ، فأجاب إلى قولها ، ثم كثرت العساكر عند سنجَر منهم البرسقيُّ ، وكان عند الملك مسعود بأذربيجان من حين خروجه عن بغداذ إلى هذه الغاية ، فقوي بهم . فعاد الرسول وأبلغه عن الأمراء الذين مع السلطان محمود أنّهم لا يصالحونه حتّى يعود إلى خُراسان ، فلم يجبْ إلى ذلك ، وسار من همَذان إلى كَرَج ، وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ، ووعده أن يجعله وليَّ عهده ، فأجاب إلى ذلك ، واستقرّ الأمر بينهما ، وتحالفا عليه .

وسار السلطان محمود إلى عمّه سنجَر في شعبان ، فنزل على جدّته والدة سنجَر ، وأكرمه عمّه ، وبالغ في ذلك ، وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة ، فقبلها ظاهراً ، وردّها باطناً ، ولم تُقبلْ منه سوى خمسة أفراس عربيّة ، وكتب السلطان سنجَر إلى سائر الأعمال التي بيده كخُراسان وغَزنة ، وما وراء النهر ، وغيرها من الولايات ، بأن يخطب للسلطان محمود بعده ، وكتب إلى بغداذ مثلِ ذلك ، وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الرَّيّ ، وقصد بأخذها أن تكون له في هذه الديار لئلاّ يحدّث السلطان محمود نفسه بالخروج .

ذكر غزاة إيلغازي بلاد الفرنج

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب ، فملكوا بُزاعة وغيرها ، وخربوا بلد حلب ونازلوها ، ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً ، وخافهم أهلها خوفاً شديداً ، ولو مُكّنوا من القتال لم يبق بها

Marfat.com

أحد ، لكنّهم مُنعوا من ذلك ؛ وصانَعَ[1] الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم[2] على أملاكهم التي بباب حلب . فأرسل أهل البلد إلى بغداذ يستغيثون ، ويطلبون النجدة ، فلم يُغاثوا .

وكان الأمير إيلغازي ، صاحب حلب ، ببلد ماردِين يجمع العساكر والمتطوّعة للغزاة ، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً ، وكان معه أسامة بن المبارك ابن شبل الكلابيّ ، والأمير طغان أرسلان بن المكر ، صاحب بَدْليس وأرْزَن ، وسار بهم إلى الشام ، عازماً على قتال الفرنج .

فلمّا علم الفرنج قوّة عزمهم على لقائهم ، وكانوا ثلاثة آلاف فارس ، وتسعة آلاف راجل ، ساروا فنزلوا قريباً من الأثارب ، بموضع يقال له تَلّ عِفْرِينَ ، بين جبال ليس لها طريقٌ إلاّ من ثلاث جهات ، وفي هذا الموضع قُتل شرف الدولة مُسلّم بن قريش .

وظنّ الفرنج أنّ أحداً لا يسلك إليهم لضيق الطريق ، فأخلدوا إلى المطاولة ، وكانت عادة لهم ، إذا رأوا قوّةً من المسلمين ؛ وراسلوا إيلغازي يقولون له : لا تُتعبْ نفسك بالمسير إلينا ، فنحن واصلون إليك ؛ فأعلم أصحابه بما قالوه ، واستشارهم فيما يفعل ، فأشاروا بالركوب من وقته ، وقصْدهم ، ففعل ذلك ، وسار إليهم ، ودخل الناس من الطرق الثلاثة ، ولم تعتقد الفرنج أنّ أحداً يقدم عليهم ، لصعوبة المسلك إليهم ، فلم يشعروا إلاّ وأوائل المسلمين قد غشيتهم[3] ، فحمل الفرنج حملة منكرة ، فولّوا منهزمين ، فلقوا باقي العسكر متتابعة ، فعادوا معهم ، وجرى بينهم حرب شديدة ، وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم ، وأخذهم السيف من سائر نواحيهم ، فلم يفلتْ منهم غير نفر

---

١ وصانعوا .
٢ قاسموهم .
٣ غشيهم .

Marfat.com

يسير ، وقُتل الجميع ، وأسروا .

وكان في جملة الأسرى نيّف وسبعون[1] فارساً من مقدّميهم ، وحُملوا إلى حلب ، فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار ، فلم يُقبلْ منهم ، وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة .

وأمّا سيرجال ، صاحب أنطاكية ، فإنّه قُتل وحُمل رأسه ، وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأوّل ، فممّا مُدح به إيلغازي في هذه الوقعة قول العظيميّ :

قُلْ ما تشاء ، فقولُك المقبولُ ، وعليكَ بَعد الخالِق التَّعْويلُ
واستَبْشَر القرآنُ حينَ نصرتَهُ ، وبكى لفقدِ[1] رجالهِ الإنجيلُ

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم ، فلقيهم إيلغازي أيضاً ، فهزمهم ، وفتح منهم حصن الأثارب ، وزَرْدَنا[2] ، وعاد إلى حلب ، وقرّر أمرها ، وأصلح حالها ، ثم عبر الفرات إلى ماردِين .

ذكر وقعة أخرى مع الفرنج

في هذه السنة سار جوسلين ، صاحب تلّ باشِر ، في جمع من الفرنج ، نحو مائتَيْ فارس ، من طَبَرِيّة ، فكبس طائفة من طي يُعرفون ببنى خالد ،

1) Cod. الفقد .
2) Cod. وردنا .

١ وسبعين .
٢ وبكا بفقد .

فأخذهم . وأخذ غنائمهم ، وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة ، فأخبروه أنّهم من وراء الحزن ، بوادي السلالة ، بين دمشق وطَبَرِيّة ، فقدّم جوسلين مائة وخمسين فارساً من أصحابه ، وسار هو في خمسين فارساً على طريق آخر ، وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة ، فوصلهم الخبر بذلك ، فأرادوا الرحيل ، فمنعهم أميرهم من بني ربيعة ، وكانوا في مائة وخمسين فارساً ، فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج ، معتقدين أنّ جوسلين قد سبقهم ، أو سيدركهم ، فضلّ الطريق ، وتساوت العدّتان، فاقتتلوا ، وطعنت العرب خيولهم ، فجعلوا أكثرهم رجّالة ، وظهر من أميرهم شجاعة ، وحُسن تدبير ، وجودة رأي ، فقُتل من الفرنج سبعون ، وأُسر اثنا عشر من مقدّميهم ، بذل كلّ واحدٍ [منهم] في فداء نفسه مالاً جزيلاً وعدّة من الأسرى .

وأمّا جوسلين فإنّه ضلّ في الطريق ، وبلغه خبر الوقعة ، فسار إلى طرابلس ، فجمع بها جمعاً ، وأسْرَى إلى عَسْقَلان ، فأغار على بلدها ، فهزمه المسلمون هناك ، فعاد مفلولاً .

ذكر قتل منكوبرس

في هذه السنة قُتل الأمير منكوبرس الذي كان شِحنة بغداذ ، وقد تقدّم حاله .

وكان سبب قتله : أنّه لمّا انهزم مع السلطان محمود وعاد إلى بغداذ ، نهب عدّة مواضع من طريق خُراسان ، وأراد دخول بغداذ ، فسيّر إليه دُبَيْس ابن صدقة مَنْ منعه ، فعاد وقد استقرّ الصلح بين السلطانين[1] سنجَر ومحمود ،

---

١ السلاطين .

Marfat.com

فقصد السلطان سنجر، فدخل إليه ومعه سيف وكفن، فقال له: أنا لا أوثر الحياة، وسلمه إلى السلطان محمود، وقال: هذا مملوكك، فاصنع به ما تريد!! فأمنه..

وكان في نفسه منه غيظ شديد لأسباب منها: أنه لما توفي السلطان محمد أخذ سريته، والتي هي أم محمود، قهراً، قبل انقضاء عدتها؛؛ ومنها: جرأته عليه، واستبداده بالأمور دونه، ومسيره إلى شحنكية بغداد، والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه؛؛ ومنها: ما فعله بالعراق من الظلم، إلى غير ذلك، فقتله صبراً، وأراح البلاد والعباد من شره..

ذكر قتل الأمير علي بن عمر

في هذه السنة أيضاً قتل الأمير علي بن عمر، حاجب السلطان محمد، وكان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود، وانقادت العساكر له، فحسده الأمراء، وأفسدوا حاله مع السلطان محمود، وحسنوا له قتله، فعلم، فهرب إلى قلعة برجين، وهي بين بروجرد وكرج، وكان بها أهله وماله، وسار منها في مائتي فارس إلى خوزستان، وكانت بيد أقبوري بن برسق، وابني أخيه: أرغلي بن يلبكي، وهندو بن زنكي، فأرسل إليهم وأخذ عهودهم بأمانه وصيانته..

فلما سار إليهم أرسلوا عسكراً منعوه من قصدهم، فلقوه على ستة فراسخ من تستر، فاقتتلوا، فانهزم هو وأصحابه، ووقف به فرسه، فانتقل إلى غيره، فتشبث ذيله بسرج الأول، فأزاله، فلحقه الطلب، فأدركوه وأسروه، وكتبوا إلى السلطان محمود في أمره، فأمرهم بقتله، فقتل وحمل رأسه إليه..

Marfat.com

ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة

في هذه السنة ، وقيل سنة أربع عشرة [وخمسمائة] ، كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين عليّ بن يوسف وبين أهل قُرطُبة .

وسببها : أنّ أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن روّاد ، فلمّا كان يوم الأضحى خرج الناس متفرّجين ، فمدّ عبدٌ من عبيد أبي بكر يده إلى امرأة فأمسكها ، فاستغاثت بالمسلمين ، فأغاثوها ، فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ، ودامت جميع النهار ، والحرب بينهم قائمة على ساقٍ ، فأدركهم الليل ، فتفرّقوا ، فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر ، فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان ، فقالوا : المصلحة أن تقتل واحداً من العبيد الذين أثاروا الفتنة ؛ فأنكر ذلك . وغضب منه ، وأصبح من الغد ، وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد ، فركب الفقهاء والأعيان والشُّبّان من أهل البلد ، وقاتلوه فهزموه ، وتحصّن بالقصر ، فحصروه ، وتسلّقوا إليه ، فهرب منهم بعد مشقّة وتعب ، فنهبوا القصر ، وأحرقوا جميع دور المرابطين ، ونهبوا أموالهم ، وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة .

واتّصل الخبر بأمير المسلمين فكره[1] ذلك واستعظمه ، وجمع العساكر من صنهاجة ، وزَنَاتة ، والبربر ، وغيرهم ، فاجتمع له منهم جمع عظيم ، فعبر إليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وحصر مدينة قُرطُبة ، فقاتله أهلها قتال من يريد [أن] يحمي دمه وحريمه وماله ، فلمّا رأى أمير المسلمين شدّة قتالهم دخل السُّفراء بينهم ، وسعوا في الصلح ، فأجابهم إلى ذلك على أن يُغَرَّمَ أهلَ قرطبةَ المرابطين ما نهبوه من أموالهم ، واستمرّت القاعدة على ذلك ، وعاد عن قتالهم .

---

١ فأكره .

ذكر ملك عليّ بن سكمان البصرة

في هذه السنة استولى عليّ بن سُكمان على البصرة .

وسبب ذلك: أنّ السلطان محمّداً[1] كان قد أقطع البصرة الأمير آقسنقَر البخاريّ، فاستخلف بها نائباً يُعرف بسُنقر اليباتيّ ، فأحسن السيرة إلى حدّ أنّ الماء بالبصرة مِلْح ، فأقام سفناً وجراراً للضعفاء والسابلة ، تحمل لهم الماء العذب . فلمّا توفّي السلطان محمّد عزم هذا الأمير سُنقر على القبض على أمير اسمه غزغلي ، مقدّم الأتراك الإسماعيليّة ، وهو مذكور ، وحجّ بالناس على البصرة عدّة سنين ، وعلى أمير آخر اسمه سُنقر ألب ؛ وهو مقدّم الأتراك البُلدقيّة ، فاجتمعا عليه ، وقبضاه وقيّداه ، وأخذا القلعة وما وجداه له .

ثمّ إنّ سُنقر ألب أراد قتله ، فمنعه غزغلي ، فلم يقبَلْ منه ، فلمّا قتله وثب غزغلي على سُنقر ألب فقتله ، ونادى في الناس بالسكون ، واطمأنّوا .

وكان أمير الحاجّ من البصرة هذه السنة ؛ أمير اسمه عليّ بن سكمان أحد الأمراء البلدقيّة ، وكان في نفس غزغلي عليه حقد ، بحيث تمّ الحجّ على يده ، ولأنّه خاف أن يأخذ بثأر سُنقر ألب ، إذ هو مقدّم البلدقيّة ، فأرسل غزغلي إلى عرب البرّيّة يأمرهم بقصد الحُجّاج ونَهْبهم ، فطمعوا بذلك ، وقصدوا الحُجّاج فقاتلوهم ، وحماهم ابن سكمان ، وأبلى بلاء حسناً ، وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة إلى أن بقي بينه وبين البصرة يومان ، فأرسل إليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة ، فقصد العوني ، أسفلَ دجلة ، هذا ، والعرب يقاتلونه ، فلمّا وصل إلى العوني حمل على العرب حملة صادقة ، فهزمهم .

وسار غزغلي إلى عليّ بن سكمان في عدد كثير ، وكان عليّ في قلّة ،

---

١ محمد .

Marfat.com

فتصاولا بابا ،، واقتتلت اللطفلان ،، فأصابت فرس غزغلي فكاية فسقط وقتل »
وسار علي إلى البصرة فدخلها ،، وملك الظلمة ،، وأقر عمال المستنصر اليخاري
وفوض إليه ،، ووكل به ،، ووكل عند اللطلطان ،، وسأله أن يكون نائباً عنه
بالبصرة ،، فلم يجبه المستنصر إلى ذلك ،، فطرد حينئذ نواب المستنصر ،، واستولى على
البلد ،، وقصر قف تقصر قف الأصطبل ،، مستبداً ،، واستقر فيه ،، وأحسن السيرة إلى
سنة أربع عشرة [[وخمسمائة]] ،، ففي المحرم اللطلطان محمود الأمير المستنصر اليخاري
في عسكر إلى البصرة ،، فأخذها من علي بن سكمان ..

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أمر اللطلطان سنجر بإطلاق عبد الله الدبيسي بن صدقة ،، فخرج إلى
الموصل ،، ووكل بها نائب دبيس بن صدقة ،، فحاصرها ..

وفيها ،، في ربيع الأول ،، توفي الوزير رئيس الرؤساء ،، ووزر اللطلطان محمود ،،
ووزر بعده الملك اللطميري ،، ووكل وولد رئيس الرؤساء ،، ووزر المسترشد ،،
فخرل ،، والمستعمل بعده عميد الدولة أبو علي بن صدقة ،، والمقتفي جلال الدين ،،
وهذا الوزير ،، وهو عم الوزير جلال الدين أبي الرضا صدقة ،، النبي ووزر للمرشد ،،
والأنباء تأتي على ما نذكره ..

وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل ،، وقبر إسحق ويعقوب ،، عليهم السلام ،،
بالمغارة من البيت المقدس ،، ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم ،، وعندهم
في المغارة قنديل من ذهب وفضة ،، هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمي في
تاريخه ،، والله أعلم ..

---

١١ والأنباء .

Marfat.com

وفيها ، في المحرّم ، توفّي قاضي القضاة أبو الحسن عليُّ بن محمّد الدامغانيُّ ، ومولده في رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وولي القضاء بباب الطاق من بغداذ إلى الموصل وله من العمر ستّ وعشرون سنة ، وهذا شيء لم يكن لغيره ، ولمّا توفّي وليَ قضاء القضاة الأكمل أبو القاسم عليُّ بن أبي طالب الحسين بن محمّد الزينبيّ ، وخُلع عليه ثالث صفر .

وفيها هُدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه ، وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفي بعد سنة تسعين ومائتين .

وفيها تأخّر الحجّ ، فاستغاث الناس ، وأرادوا كسر المِنبر بجامع القصر ، فأرسل الخليفة إلى دُبَيْس بن صدقة ليساعد الأمير نظر على تسيير[1] الحُجّاج ، فأجاب إلى ذلك ، وكان خروجهم من بغداذ ثاني عشر ذي القعدة ، وتوالت عليهم الأمطار إلى الكوفة .

وفيها أرسل دُبَيْس بن صدقة القاضي أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفيّ ، قاضي الكوفة ، إلى إيلغازي بن أُرتُق بماردين ، يخطب ابنته ، فزوّجها منه إيلغازي ، وحملها الثقفيّ معه إلى الحِلّة ، واجتاز بالموصل .

وفيها ، في جُمادى الأولى ، توفّي أبو الوفا عليُّ بن عُقيل بن محمّد بن عُقيل ، شيخ الحنابلة ، في وقته ، ببغداذ ، وكان حسن المناظرة ، سريع الخاطر ، وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته على أبي الوليد ، فأراد الحنابلة قتله ، فاستجار بباب المراتب عدّة سنين ، ثم أظهر التوبة حتّى تمكّن من الظهور ، وله مصنّفات من جملتها كتاب الفنون .

---

١ تسيير .

Marfat.com

٥١٤

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، كان المصافّ بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ، ومسعود حينئذ له الموصِل وأذربِيجان .

وكان سبب ذلك أنّ دُبَيْس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود ، يحثّه على طلب السلطنة للملك مسعود ، ويعده المساعدة ، وكان غرضه أن يختلفوا فينال من الجاه وعلوّ المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السُّلطانين[1] بركيارُق ومحمّد ابنَيْ ملكشاه على ما ذكرناه .

وكان قسيم الدولة البرسقيُّ ، أتابك الملك مسعود ، قد فارق شحنكيّة بغداذ ، وقد أقطعه مسعود مَراغة ، مضافةً إلى الرَّحبة ، وبينه وبين دُبَيْس عداوة محكمة ، فكاتب دُبَيْس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقيّ ، وينسبه إلى الميل إلى السلطان محمود ، وبذل له مالاً كثيراً على قبضه ، فعلم البرسقيُّ ذلك ، ففارقهم إلى السلطان محمود ، فأكرمه وأعلى محلّه وزاد في تقديمه .

واتّصل الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن عليّ الأصبهانيّ الطُّغرائي[2] بالملك مسعود،

---

١ السلاطين .

٢ الطغرائي .

فكان ولده أبو المؤيّد ، محمّد بن أبي إسماعيل ، يكتب الطُّغراء مع الملك ، فلمّا وصل والده استوزره مسعود ، بعد أن عزل أبا عليّ بن عمّار ، صاحب طرابلس ، سنة ثلاث عشرة [وخمسمائة] بباب خُوَيّ ، فحسّن ما كان دُبَيْس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته .

وظهر ما هم عليه من ذلك ، فبلغ السلطان محموداً[1] الخبر ، فكتب إليهم يخوّفهم إن خالفوه ، ويعدهم الإحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته ، فلم يصغوا إلى قوله ، وأظهروا ما كانوا عليه ، وما يُسرّونه ، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة ، وضربوا له النُّوَب الخمس ، وكان ذلك على تفرّق من عساكر السلطان محمود ، فقوي طمعهم ، وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مُخفّف من العساكر ، فاجتمع إليه خمسة عشر ألفاً ، فسار أيضاً إليهم ، فالتقوا عند عقَبة أسَدابَاذ ، منتصف ربيع الأوّل ، واقتتلوا من بُكرة إلى آخر النهار .

وكان البرسقيّ في مقدّمة السلطان محمود ، وأبلى يومئذ بلاء حسناً ، فانهزم عسكر الملك مسعود ، آخر النهار ، وأُسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدّميهم ، وأُسر الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود ، فأمر السلطان بقتله ، وقال : قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده ؛ فكانت وزارته سنةً وشهراً ، وقد جاوز ستّين سنة ، وكان حسن الكتابة والشعر ، يميل إلى صنعة الكيمياء ، وله فيها تصانيف قد ضيّعت من الناس أموالاً[2] لا تُحصى .

وأمّا الملك مسعود فإنّه لمّا انهزم أصحابه وتفرّقوا قصد جبلاً بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخاً ، فاختفى فيه ومعه غلمان صغار ، فأرسل ركابيّه عثمان إلى أخيه يطلب له الأمان ، فسار إلى السلطان محمود وأعلمه حال أخيه مسعود ،

---

١ محمود .
٢ أصولا .

Marfat.com

فرقّ له ، وبذل له الأمان ، وأمر آقسنقَر البرسقيّ بالمسير إليه ، وتطييب قلبه ، وإعلامه بعفوه عنه ، وإحضاره ؛ فكان مسعود بعد أن أرسل يطلب الأمان قد وصل بعض الأمراء إليه ، وحسّن له اللحاق بالموصل ، وكانت له ، ومعها أذربيجان ، وأشار عليه بمكاتبة دُبَيْس بن صدقة ليجتمع به ، ويكثر جمعه ، ويعاود طلب السلطنة ، فسار معه من مكانه .

ووصل البرسقيُّ فلم يره ، فأُخبر بمسيره ، فسار في أثره ، وعزم على طلبه ولو إلى الموصل ، وجدّ في السير ، فأدركه على ثلاثين فرسخاً من مكانه ذلك ، وعرّفه عفو أخيه عنه ، وضمن له ما أراد ، وأعاده إلى العسكر ، فأمر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ، ففعلوا ذلك ، وأمر السلطان أن ينزل عند والدته ، وجلس له ، وأحضره ، واعتنقا ، وبكيا ، وانعطف عليه محمود ، ووفى[1] له بما بذله ، وخلطه بنفسه في كلّ أفعاله ، فعُدّ ذلك من مكارم محمود ، وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود بأذربيجان ، وبلد الموصل ، والجزيرة ، ثمانية وعشرين يوماً .

وأمّا أتابكه جيوش بك فإنّه سار إلى عقبة أسادآباذ ، وانتظر الملك مسعوداً ، فلم يره ، وانتظره بمكان آخر ، فلم يصل إليه ، فلمّا أيِس منه سار إلى الموصل ، ونزل بظاهرها ، وجمع الغلاّت من السواد إليها ، واجتمع إليه عسكره ، فلمّا سمع بما فعله السلطان مع أخيه ، وأنّه عنده ، علم أنّه لا مقام له على هذا الحال ، فسار كأنّه يريد الصيد ، فوصل إلى الزاب ، وقال لمن معه : إنّني قد عزمتُ على قصد السلطان محمود ، وأُخاطِر بنفسي ؛ فسار إليه ، فوصل وهو بهمذان ، ودخل إليه ، فطيّب قلبه وأمّنه ، وأحسن إليه .

وأمّا دُبَيْس فإنّه كان بالعراق ، فلمّا بلغه خبر انهزام الملك مسعود

---

١ ووفا .

Marfat.com

نهب البلاد وخرّبها ، وفعل فيها الأفاعيل القبيحة ، إلى أن أتاه رسول السلطان محمود ، وطيّب قلبه ، فلم يلتفت .

ذكر حال دُبَيْس وما كان منه

لمّا كان منه ببغداذ وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجرِ مثله ، أرسل إليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ، ويأمره بالكفّ ، فلم يفعل ، فأرسل إليه السلطان وطيّب قلبه ، وأمره بمنع أصحابه عن الفساد ، فلم يقبل ، وسار بنفسه إلى بغداذ ، وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة ، وأظهر الضغائن التي في نفسه ، وكيف طيف برأس أبيه ، وتهدّد الخليفة ، وقال : إنّك أرسلتَ تستدعي السلطان ، فإن أعدتموه ، وإلاّ فعلتُ وصنعتُ . فأُعيد جواب رسالته : أنّ عَوْدَ السلطان ، وقد سار عن همَذان ، غير ممكنٍ ، ولكنّا نُصلح حالك معه .

وكان الرسول شيخ الشيوخ إسماعيل ، فكفّ على أن تسيّر الرسل في الاتّفاق بينه وبين السلطان ، وعاد عن بغداذ في رجب .

ووصل السلطان في رجب إلى بغداذ ، فأرسل دُبَيْس زوجته ابنة عميد الدولة بن جُهير إليه ، ومعها مال كثير ، وهدية نفيسة ، وسأل الصفح عنه ، فأُجيب إلى ذلك على قاعدة امتنع منها ، ولزم لحاجه ، ونهب جشيراً للسلطان . فسار السلطان عن بغداذ ، في شوّال ، إلى قصد دُبيس بالحلّة ، واستصحب ألف سفينة ليعبر فيها ، فلمّا علم دُبَيْس مسير السلطان أرسل يطلب الأمان ، فأمّنه ، وكان قصده أن يغالطه ليتجهّز ، فأرسل نساءه إلى البطيحة ، وأخذ أمواله وسار عن الحلّة ، بعد أن نهبها ، إلى إيلغازي ملتجئاً إليه ، ووصل السلطان إلى الحِلّة ، فلم يرَ أحداً ، فبات بها ليلة واحدة وعاد .

Marfat.com

واقام دبيس عند إيلغازي ، وتردد معه ، ثم إنه ارسل اخاه منصورا في جيش من قلعة جَعْبَر إلى العراق ، فنظر الحِلّة ، والكوفة ، وانحدر إلى البَصرة ، وأرسل إلى برنقش الزكويّ يسأله أن يُصلح حاله مع السلطان ، فلم يتمّ أمره ، فأرسل إلى أخيه دُبَيْس يعرّفه ذلك ، ويدعوه إلى العراق ، فسار من قلعة جَعْبَر إلى الحِلّة سنة خمس عشرة [وخمسمائة] ، فدخلها وملكها، وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر ، ويعد من نفسه الطاعة ، فلم يُجَبْ إلى ذلك .

وسُيّرت إليه العساكر ، فلمّا قاربوه فارق الحِلّة ، ودخل إلى الأزبر (!)[1] ، وهو نهر سِنْداد ، ووصل العسكر إليها وهي فارغة قد أُجلي أهلها عنها ، وليس بها إقامة ، فكانت المِيرة تُنقل من بغداذ ، وكان مقدّم العسكر سعد الدولة برنقش الزكويّ ، فترك بالحِلّة خمسمائة فارس ، وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دُبَيْس ، وأرسل إلى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ، ففعلوا ذلك ، وعبر عسكر السلطان إلى دُبَيْس ، فبقي بين الطائفتَيْن نهر يخاض فيه مواضع ، فتراسل برنقش ودُبَيْس ، واتّفقا على أن يرسل دُبَيْس أخاه منصوراً رهينةً ، ويلازم الطاعة ، ففعل ، وعاد العسكر إلى بغداذ سنة ستّ عشرة [وخمسمائة].

---

1) Bodl.; C. P. sine punctis.

---

١ منصور .

Marfat.com

ذكر خروج الكُرْج إلى بلاد الإسلام وملك تِفليس

في هذه السنة خرج الكُرج ، وهم الخَزَر[1] ، إلى بلاد الإسلام ، وكانوا[2] قديماً يغيرون ، فامتنعوا أيّام السلطان ملكشاه إلى آخر أيّام السلطان محمّد ، فلمّا كانت هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الأمم المجاورة لهم ، فتكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم ، واجتمعوا ، منهم : الأمير إيلغازي ، ودُبَيْس بن صدقة ، وكان عنده ، والملك طغرل بن محمّد ، وأتابكه كتغدي ، وكان لطغرل بلد أرّان ، ونَقْجُوَانَ إلى أرَس ، فاجتمعوا وساروا إلى الكُرج ، فلمّا قاربوا تِفلِيسَ ، وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون [ثلاثين] ألفاً ، التقوا واصطفّت الطائفتان للقتال ، فخرج من القفجاق مائتا رجل ، فظنّ المسلمون أنّهم مستأمنون ، فلم يحترزوا منهم ، ودخلوا بينهم ، ورمَوْا بالنشّاب ، فاضطرب صفّ المسلمين ، فظنّ مَن بَعُد أنّها هزيمة ، فانهزموا ، وتبع الناس بعضهم بعضاً منهزمين ، ولشدّة الزحام صدم بعضهم بعضاً ، فقُتل منهم عالم عظيم .

وتبعهم الكفّار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون ، فقُتل أكثرهم ، وأسروا أربعة آلاف رجل ، ونجا الملك طغرل ، وإيلغازي ، ودُبَيْس ، وعاد الكُرج فنهبوا بلاد الإسلام ، وحصروا مدينة تِفليس ، واشتدّ قتالهم لمن بها ، وعظم الأمر ، وتفاقم الخطب على أهلها ، ودام الحصار إلى سنة خمس عشرة [وخمسمائة] فملكوها عنوةً .

وكان أهلها لمّا أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها إلى الكُرج في

---

١ الجرز .

٢ وكافوا .

Marfat.com

طلب الأمان ، فلم تُصْغِ الكُرج إليهما فأخرقوا بهما ، ودخلوا البلد قهراً وغلبةً ، واستباحوه ونهبوه ، ووصل المستنفرون منهم إلى بغداذ مستصرخين ومستنصرين سنة ستّ عشرة [وخمسمائة] ، فبلغهم أنّ السلطان محموداً بهمَذان، فقصدوه واستغاثوا به ، فسار إلى أذربِيجان ، وأقام بمدينة تِبريز شهر رمضان ، وأنفذ عسكراً إلى الكُرج ، وسيرد ذكر ما كان منهم ، إن شاء الله تعالى .

ذكر غزوات إيلغازي هذه السنة

في هذه السنة أرسل المسترشد بالله خِلعاً مع سديد الدولة بن الأنباريّ لنجم الدين إيلغازي ، وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ، ويأمره بإبعاد دُبَيس عنه ، وسار أبو عليّ بن عمّار الذي كان صاحب طرابلس ، مع ابن الأنباريّ إلى إيلغازي ليقيم عنده ، يعبر الأوقات بما ينعم[1] به عليه ، فاعتذر عن إبعاد[2] دُبَيْس ، ووعد به ، ثم سار إلى الفرنج ، وكان قد جمع لهم جمعاً ، فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل[2] من أعمال حلب ، فاقتتلوا ، واشتدّ القتال ، وكان الظفر له .

ثم اجتمع إيلغازي وأتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، وحصروا الفرنج في مَعَرّة قِنَّسْرِين يوماً وليلةً ، ثم أشار أتابك طغتكين بالإفراج عنهم ، كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا ويخرجوا إلى المسلمين ، فربّما ظفروا ؛

---

1) Bodl. عن إبعاده .

2) C. P. النفل ; Bodl. ذانيث البقل .

---

١ ينقم .

٢ بإبعاد .

Marfat.com

وكان أكثر خوفه من دبر خيل التركمان ، وجودة خيل الفرنج ، فأفرج لهم إيلغازي ، فساروا عن مكانهم وتخلّصوا ؛ وكان إيلغازي لا يطيل المقام في بلد الفرنج لأنّه كان يجمع التركمان للطمع ، فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق ، وشاة ، ويَعُدّ الساعات لغنيمة يتعجّلها ، ويعود ، فإذا طال مقامهم تفرّقوا ، ولم يكن له من الأموال ما يفرّقها فيهم .

ذكر ابتداء أمر محمّد بن تُومَرت وعبد المؤمن وملكهما

في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن تُومَرت العلويّ ، الحسنيّ ، وقبيلته من المصامدة ، تُعرف بهَرغة في جبل السُّوس ، من بلاد المغرب ، نزلوا به لمّا فتحه المسلمون مع موسى بن نُصير ، ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لتتبع بعض الحادثة بعضاً .

وكان ابن تُومَرت قد رحل في شبيبته إلى بلاد الشرق في طلب العلم ، وكان فقيهاً ، فاضلاً ، عالماً بالشريعة ، حافظاً للحديث ، عارفاً[1] بأصولَي الدين والفِقه ، متحقّقاً بعلم العربيّة ، وكان ورعاً ، ناسكاً ، ووصل في سفره إلى العراق، واجتمع بالغزاليّ ، والكيا ، واجتمع بأبي بكر الطُّرطوشيّ بالإسكندريّة، وقيل إنّه جرى له حديث مع الغزاليّ فيما فعله بالمغرب من التملّك ، فقال له الغزاليُّ : إنّ هذا لا يتمشّى في هذه البلاد ، ولا يمكن وقوعه لأمثالنا .

كذا قال بعض مؤرّخي المغرب ، والصحيح أنّه لم يجتمع به ، فحجّ من هناك

---

١ غارماً .

Marfat.com

وعاد إلى المغرب ، ولمّا ركب البحر من الإسكندريّة ، مغرباً ، غيّر المنكر في المركب ، وألزم مَن به بإقامة الصلاة ، وقراءة القرآن ، حتّى انتهى إلى المَهديّة ، وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم ، سنة خمس وخمسمائة ، فنزل بمسجد قبليّ مسجد السبت ، وليس له سوى ركوة ، وعصاً ، وتسامع به أهل البلد ، فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم ، وكان إذا مرّ به منكرٌ غيّره وأزاله ، فلمّا كثر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء ، فلمّا رأى سمتَهُ وسمع كلامه أكرمه واحترمه ، وسأله الدعاء .

ورحل عن المدينة وأقام بالمُنَسْتِير مع جماعةٍ من الصالحين ، مدّةً ، وسار إلى بِجَايَةَ ففعل فيها مثل ذلك ، فأُخرج منها إلى قَرية بالقرب منها اسمها مَلاَّلَةُ[1] ، فلقيه بها عبد المؤمن بن عليّ ، فرأى فيه من النجَابة والنهضة ما تفرّس فيه التقدّم ، والقيام بالأمر ، فسأله عن اسمه وقبيلته ، فأخبره أنّه من قيس عيلان ، ثم من بني سُلَيْم، فقال ابن تُومَرت : هذا الذي بشّر به النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم ، حين قال : إنّ الله ينصر هذا الدين ، في آخر الزمان ، برجل من قيس ، فقيل: من أيّ قيسٍ ؟ فقال : من بني سُليم . فاستبشر بعبد المؤمن وسُرّ بلقائه؛ وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تَاجرَة، من أعمال تِلِمْسان، وهو من عائذ ، قبيل من كومرة ، نزلوا بذلك الإقليم سنة ثمانين ومائة .

ولم يزل المهدي ملازماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مرّاكُش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن عليّ بن تاشفين ، فرأى فيها من المنكَرات أكثر ممّا عاينه في طريقه ، فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فكثر أتباعه ، وحسنت ظنون الناس فيه ، فبينما هو في بعض الأيّام في طريقه ، إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ، ومعها من الجواري

---

1) Cod. ملاية .

الحسان عدّة كثيرة ، وهُنّ مُسْفِرات ، وكانت هذه عادة الملثّمين يُسفر نساؤهم [عن] وجوههنّ ، ويتلثّم الرجال ، فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهنّ ، وأمرهنّ بستر وجوههنّ وضرب هو وأصحابه دوابّهنّ ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابّتها ، فرُفع أمره إلى أمير المسلمين عليّ بن يوسف ، فأحضره ، وأحضر الفقهاء ليناظروه ، فأخذ يعظه ، ويخوّفه ، فبكى أمير المسلمين ، وأمر أن يناظره الفقهاء ، فلم يكن فيهم من يقوم له لقوّة أدلّته في الذي فعله .

وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب ، فقال : يا أمير المسلمين ، إنّ هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنّما يريد إثارة فتنة ، والغلبة على بعض النواحي ، فاقتله وقلّدني دمه . فلم يفعل ذلك ، فقال : إن[1] لم تقتله فاحبسه ، وخلّده [في] السجن ، وإلاّ أثار شرّاً لا يمكن تلافيه . فأراد حبسه ، فمنعه رجل من أكابر الملثّمين يسمّى يبان بن عثمان ، فأمر بإخراجه من مرّاكُش ، فسار إلى أغمَاتَ ، ولحق بالجبل ، فسار فيه ، حتّى التحق بالسّوسِ الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة [وخمسمائة] ، فأتوه ، واجتمعوا حوله .

وتسامع به أهل تلك النواحي ، فوفدوا عليه ، وحضر أعيانهم بين يدَيْه ، وجعل يعظهم ، ويذكّرهم بأيّام الله ، ويذكر لهم شرائع الإسلام ، وما غُيّر منها ، وما حدث من الظلم والفساد ، وأنّه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل ، بل الواجب قتالهم ، ومَنْعهم عمّا هم فيه ، فأقام على ذلك نحو سنة ، وتابعته هرغة قبيلته ، وسمّى أتباعه الموحّدين ، وأعلمهم أنّ النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، بشّر بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلاً ، وأنّ مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى ، فقام إليه عشرة رجال ، أحدهم عبد المؤمن ، فقالوا : لا يوجد هذا إلاّ فيك فأنت المهدي ؛ فبايعوه على ذلك .

---

١ إذ .

Marfat.com

فانتهى خبره إلى أمير المسلمين ، فجهّز جيشاً من أصحابه وسيّرهم إليه ، فلمّا قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لأصحابه : إنّ هؤلاء يريدونني ، وأخاف عليكم منهم ، فالرأي أن أخرج بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم . فقال له ابن توفيان[1] من مشايخ هرغة : هل تخاف شيئاً من السماء ؟ فقال : لا ، بل من السماء تُنصرون ؛ فقال ابن توفيان[2] : فليأتنا كلّ مَن في الأرض . ووافقه جميع قبيلته ، فقال المهدي : أبشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة ، وبعد قليل تستأصلون دولتهم ، وترثون أرضهم . فنزلوا من الجبل ، ولقوا جيش أمير المسلمين ، فهزموهم ، وأخذوا أسلابهم ، وقوي ظنّهم في صدق المهدي ، حيث ظفروا ، كما ذكر لهم .

وأقبلت إليه أفواج القبائل ، من الحِلل التي حولَه ، شرقاً وغرباً ، وبايعوه ، وأطاعته قبيلة هنتاتة ، وهي من أقوى القبائل ، فأقبل عليهم ، واطمأنّ إليهم ، وأتاه رسل أهل تِينِ مَلّلَ[3] بطاعتهم ، وطلبوه إليهم ، فتوجّه إلى جبل تِينِ مَلّل واستوطنه ، وألّف لهم كتاباً في التوحيد ، وكتاباً في العقيدة ، ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض ، والاقتصار على القصير من الثياب ، القليل الثمن ، وهو يحرّضهم على قتال عدوّهم ، وإخراج الأشرار من بين أظهرهم .

وأقام بتِينِ مَلّلَ وبنى[1] له مسجداً خارج المدينة ، فكان يصلّي فيه الصلوات هو وجمع ممّن معه عنده ، ويدخل البلد بعد العِشاء الآخرة ، فلمّا رأى كثرة أهل الجبل ، وحصانة المدينة ، خاف أن يرجعوا عنه ، فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ، ففعلوا ذلك عدّة أيّام ، ثم إنّه أمر أصحابه أن يقتلوهم ، فخرجوا

.....

1) C. P. توصان ; Bodl. بوفيان .

2) Bodl. نوفان .

3) In Cod. ubique sine punctis.

---

١ وبنا .

عليهم وهم غارّون فقتلوهم في ذلك المسجد، ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر ، وسبى [1] الحريم ، ونهب الأموال ، فكان عدّة القتلى خمسة عشر ألفاً ، وقسّم المساكن والأرض بين أصحابه ، وبنى [2] على المدينة سوراً ، وقلعة على رأس جبل عالٍ .

وفي جبل تِينِ مَلَلَ أنهار جارية ، وأشجار ، وزروع ، والطريق إليه صعب ، فلا جبل أحصن منه ، وقيل : إنّه لمّا خاف أهل تِينِ مَلَلَ نظر ، فرأى كثيراً من أولادهم شُقراً زُرقاً ، والذي يغلب على الآباء السُّمرة ، وكان لأمير المسلمين عدّة كثيرة من المماليك الفرنج والروم ، ويغلب على ألوانهم الشُّقرة ، وكانوا يصعدون الجبل في كلّ عامٍ مرّةً ، ويأخذون ما لهم فيه من الأموال المقرّرة لهم من جهة السلطان ، فكانوا يسكنون بيوت أهله ، ويخرجون أصحابها منها ، فلمّا رأى المهدي أولادهم سألهم : ما لي أراكم سُمر الألوان ، وأرى أولادكم شُقراً ، زُرقاً ؟ فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين ، فقبّح الصبر على هذا ، وأزرى عليهم ، وعظّم الأمر عندهم ، فقالوا له : فكيف الحيلة في الخلاص منهم ، وليس لنا بهم قوّة ؟ فقال : إذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد ، وتفرّقوا في مساكنهم ، فليقمْ كلّ رجل منكم إلى نزيله فيقتلهُ ، واحفظوا جبلكم ، فإنّه لا يرام ولا يُقْدَر عليه . فصبروا حتّى حضر أولئك العبيد ، فقتلوهم على ما قرّر لهم المهدي ، فلمّا فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين ، فامتنعوا في الجبل ، وسدّوا ما فيه من طريق يُسْلَك إليهم ، فقويت نفس المهدي بذلك .

ثم إنّ أمير المسلمين أرسل إليهم جيشاً قويّاً ، فحصروهم في الجبل ، وضيّقوا عليهم ، ومنعوا عنهم الميرة ، فقلّتْ عند أصحاب المهدي الأقواتُ ،

---

١ وسبا .

٢ وبنا .

Marfat.com

حتّى صار الخبز معدوماً عندهم ، وكان يطبخ لهم كلّ يوم من الحساء ما يكفيهم ، فكان قوت كلّ واحد منهم أن يغمسَ يده في ذلك الحساء ويخرجها ، فما علق عليها قنع به ذلك اليوم ، فاجتمع أعيان أهل تِينِ مَلَلَ ، وأرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين ، فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تُومَرت ، وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريشيُّ[1] ، يُظهر البله ، وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم ، ويُزاقه يجري على صدره ، وهو كأنّه معتوه ، ومع هذا فالمهدي يقرّبه ، ويُكرمه ، ويقول : إنّ لله سِرّاً في هذا الرجل سوف يظهر .

وكان الونشريشيّ يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السرّ بحيث لا يعلم أحد ذلك منه ، فلمّا كان سنة تسع عشرة[وخمسمائة] ، وخاف المهديُّ من أهل الجبل ، خرج يوماً لصلاة الصُّبح ، فرأى إلى جانب محرابه إنساناً حسن الثياب ، طيّب الريح ، فأظهر أنّه لا يعرفه ، وقال : مَن هذا ؟ فقال : أنا أبو عبد الله الونشريشيّ ! فقال له المهديُّ : إنّ أمرك لعجبٌ ! ثم صلّى ، فلمّا فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا، فقال : إنّ هذا الرجل يزعم أنّه الونشريشيّ، فانظروه ، وحقّقوا أمره . فلمّا أضاء النهار[1] عرفوه ، فقال له المهديُّ : ما قصّتك ؟ قال : إنّني أتاني الليلة ملك من السماء ، فغسل قلبي ، وعلّمني الله القرآن ، والموطّأ ، وغيره من العلوم والأحاديث . فبكى المهديُّ بحضرة الناس، ثم قال له : نحن نمتحنك ؛ فقال : افعلْ .

وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أيّ موضع سُئل ، وكذلك الموطّأ ، وغيره من كتب الفقه والأصول ، فعجب الناس من ذلك ، واستعظموه .

ثم قال لهم : إنّ الله تعالى قد أعطاني نوراً أعرف به أهل الجنّة من أهل

---

1) Cod. sine punctis.

١ النهر .

Marfat.com

النار ، وآمركم أن تقتلوا أهل النار ، وتتركوا أهل الجنّة ، وقد أنزل الله تعالى ملائكة إلى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي .

فسار المهديُّ ، والناس معه وهم يبكون ، إلى تلك البئر ، وصلّى المهديُّ عند رأسها ، وقال : يا ملائكة الله ، إنّ أبا عبد الله الونشريشيّ قد زعم كيتَ وكيتَ ؛ فقال مَن بها : صدق ! وكان قد وضع فيها رجالاً يشهدون بذلك ، فلمّا قيل ذلك من البئر ، قال المهدي : إنّ هذه مطهّرة مقدّسة قد نزل إليها الملائكة ، والمصلحة أن تُطمّ لئلاّ يقع فيها نجاسة ، أو ما لا يجوز ؛ فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمّها ، ثم نادى في أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان ، فحضروا للتمييز[1] ، فكان الونشريشيّ يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته ، فيقول : هذا من أهل النار ؛ فيُلقى من الجبل مقتولاً ، وإلى الشاب الغِرّ ، ومن لا يخشى ، فيقول : هذا من أهل الجنّة ؛ فيُترك على يمينه ، فكان عدّة القتلى سبعين ألفاً . فلمّا فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره .

هكذا سمعتُ جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز ، وسمعتُ منهم من يقول : إنّ ابن تُومرَت لمّا رأى كثرة أهل الشرّ والفساد في أهل الجبل ، أحضر شيوخ القبائل ، وقال لهم : إنّكم لا يصحّ لكم دين ، ولا يقوى إلاّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإخراج المفسد من بينكم ، فابحثوا عن كلّ مَن عندكم من أهل الشرّ والفساد ، فانهوهم عن ذلك ، فإن انتهَوا ، وإلاّ فاكتبوا أسماءهم وارفعوها إليّ لأنظر في أمرهم . ففعلوا ذلك ، وكتبوا له أسماءهم من كلّ قبيلة ، ثم أمرهم بذلك مرّة ثانية ، وثالثة ، ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرّر من الأسماء فأثبتها عنده ، ثم جمع الناس قاطبةً ، ورفع الأسماء التي كتبها ، ودفعها إلى الونشريشيّ المعروف بالبشير ، وأمره أن يعرض القبائل ، ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ، ومَن عداهم في جهة اليمين ،

---

١ التمييز .

ففعل ذلك ، وأمر أن يُكتف مَن على شمال الونشريشيّ ، فكتفوا ، وقال : إنّ هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم ؛ وأمر كلّ قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم ، فقُتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز .

ولمّا فرغ ابن تومرت من التمييز ، رأى أصحابه[1] الباقين على نيّات صادقة ، وقلوب متّفقة على طاعته ، فجهّز منهم جيشاً وسيّرهم إلى جبال أغمات ، وبها جمعٌ من المرابطين ، فقاتلوهم ، فانهزم أصحاب ابن تومرت ، وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشيّ ، وقُتل منهم كثير ، وجُرح عمر الهنتاتيُّ[1] ، وهو من أكبر أصحابه ، وسكن حسّه ونبضه ، فقالوا : مات ! فقال الونشريشيُّ : أما إنّه لم يمُتْ ، ولا يموت حتّى يملك البلاد . فبعد ساعة فتح عينَيْه ، وعادت قوّته إليه ، فافتتنوا به ، وعادوا منهزمين إلى ابن تومرت ، فوعظهم ، وشكرهم على صبرهم .

ثم لم يزل بعدها يُرسل السرايا في أطراف بلاد المسلمين ، فإذا رأوا عسكراً تعلّقوا بالجبل فأمنوا . وكان المهديُّ قد رتّب أصحابه مراتبَ ؛ فالأولى يسمّون أيت عشرة يعني أهل عشرة ، وأوّلهم عبد المؤمن ، ثم أبو حفص الهنتاتيّ ، وغيرهما ، وهم أشرف أصحابه ، وأهل الثقة عنده ، والسابقون إلى متابعته ؛ والثانية : أيت خمسين ، يعني أهل خمسين ، وهم دون تلك الطبقة ، وهم جماعة من رؤساء القبائل ؛ والثالثة : أيت سبعين ، يعني أهل سبعين ، وهم دون التي قبلها ، وسمّي عامّة أصحابه والداخلين في طاعته موحّدين ، فإذا ذُكر الموحّدون في أخبارهم فإنّما يُعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده .

ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو إلى سنة أربع وعشرين [وخمسمائة] ، فجهّز

---

1) Cod. هساي .

---

١ أصحاب .

Marfat.com

المهدي جيشاً كثيفاً يبلغون أربعين ألفاً ، أكثرهم رجّالة ، وجعل عليهم الونشريشيّ ، وسيّر معهم عبدَ المؤمن ، فنزلوا وساروا إلى مرّاكُش فحصروها ، وضيّقوا عليها ، وبها أمير المسلمين عليُّ بن يوسف ، فبقي الحصار عليها عشرين يوماً، فأرسل أمير المسلمين إلى متولّي سِجِلْماسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش ، فجمع جيشاً كثيراً وسار ، فلمّا قارب عسكر المهدي خرج أهل مرّاكُش من غير الجهة التي أقبل منها ، فاقتتلوا ، واشتدّ القتال ، وكثر القتل في أصحاب المهدي ، فقُتل الونشريشيُّ أميرهم ، فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميراً عليهم .

ولم يزل القتال بينهم عامّة النهار ، وصلّى عبد المؤمن صلاة الخوفِ ، الظُّهرَ والعصْرَ ، والحرب قائمة ، ولم تُصلّ بالمغرب قبل ذلك ، فلمّا رأى المصامدة كثرة المرابطين ، وقوّتهم ، أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك ، والبستان يُسمّى عندهم البُحيرة ، فلهذا قيل وقعة البُحيرة ، وعام البُحيرة ، وصاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى أن أدركهم الليل ، وقد قُتل من المصامدة[1] أكثرهم ، وحين قُتل الونشريشيُّ دفنه عبد المؤمن ، فطلبه المصامدة ، فلم يروه في القتلى ، فقالوا : رفعتْه الملائكة ؛ ولمّا جنّهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القَتْلى إلى الجبل .

ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن

لمّا سيّر الجيش إلى حصار مرّاكُش مرض مرضاً شديداً ، فلمّا بلغه خبر الهزيمة اشتدّ مرضه ، وسأل عن عبد المؤمن ، فقيل : هو سالم ؛ فقال . ما مات

---

١ المصامدة .

Marfat.com

أحدَ ، الأمر قائم ، وهو الذي يفتح البلاد . ووصّى أصحابه باتّباعه ، وتقديمه ، وتسليم الأمر إليه ، والانقياد له ، ولقّبه أمير المؤمنين .

ثم مات المهديُّ ، وكان عمره إحدى وخمسين سنة ، وقيل : خمساً[1] وخمسين سنة ، ومدّة ولايته عشرين سنة ، وعاد عبد المؤمن إلى تِين مَلّلَ ، وأقام بها يتألّف القلوب ، ويحسن إلى الناس ، وكان جواداً مقداماً في الحروب ، ثابتاً في الهزاهز ، إلى أن دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، فتجهّز وسار في جيش كثير ، وجعل يمشي مع الجبل إلى أن وصل إلى تَادَلَةَ ، فمانعه أهلُها ، وقاتلوه ، فقهرهم ، وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى[2] في الجبال يفتح ما امتنع عليه ، وأطاعته صنهاجة الجبل .

وكان أمير المسلمين قد جعل وليَّ عهده ابنه سير ، فمات ، فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس ، وكان أميراً عليها ، فلمّا حضر عنده جعله وليَّ عهده سنة إحدى وثلاثين [وخمسمائة] ، وجعل معه جيشاً ، وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال .

وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر ، وهو جبل عالٍ مشرفٌ ، وتاشفين في الوطأة ، [وكان] يخرج من الطائفتَيْن قوم يترامون ويتطاردون ، ولم يكن بينهما لقاء ، ويسمّى عام النواظر .

وفي سنة ثلاث وثلاثين توجّه عبد المؤمن ، مع الجبل ، في الشَّعْراء ، حتّى انتهى إلى جبل كرناطة ، فنزل في أرض صُلبة ، بين شجر ، ونزل تاشفين قبالته ، في الوطأة ، في أرض لا نبات فيها ، وكان الفصل شاتياً ، فتوالت الأمطار أيّاماً كثيرة لا تُقلِع[3] ، فصارت الأرض التي فيها تاشفين وأصحابه كثيرة

---

١ خمس .
٢ ومشا .
٣ يقلع .

Marfat.com

الوحل ، تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها ، ويعجز الرجل عن المشي فيها ، وتقطّعت الطرق عنهم ، فأوقدوا رماحهم ، وقرابيس سروجهم ، وهلكوا جوعاً وبرداً وسوء حالٍ .

وكان عبد المؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل ، لا يبالون بشيء ، والميرة متّصلة إليهم ؛ وفي ذلك الوقت سيّر عبد المؤمن جيشاً إلى وَجْرَةَ من أعمال تِلِمْسان ، ومقدّمهم أبو عبد الله محمّد بن رقو ، وهو من أيت خمسين ، فبلغ خبرهم إلى محمّد بن يحيى بن فانّوا[1] ، متولّي تِلِمْسان ، فخرج في جيش من الملثّمين ، فالتقوا بموضع يُعرف بخندق الخمر ، فهزمهم جيش عبد المؤمن ، وقُتل محمّد بن يحيى وكثير من أصحابه ، وغنموا ما معهم ورجعوا ؛ فتوجّه عبد المؤمن بجميع جيشه إلى غمارة ، فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة ، وأقام عندهم مدّة .

وما برح يمشي في الجبال ، وتاشفين يحاذيه في الصحاري ، فلم يزل عبد المؤمن كذلك إلى سنة خمس وثلاثين ، فتوفّي أمير المسلمين عليّ بن يوسف بمرّاكُش وملك بعده ابنه تاشفين ، فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد ، إلاّ أنّه لم ينزل الصحراء .

وفي سنة ثمان وثلاثين توجّه عبد المؤمن إلى تِلِمْسان ، فنازلها ، وضرب خيامه في جبل بأعلاها ، ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد ، وكان بينهم مناوشة ، فبقوا كذلك إلى سنة تسع وثلاثين ، فرحل عبد المؤمن عنها إلى جبل تَاجَرَةَ ، ووجّه جيشاً مع عمر الهنتاتيّ إلى مدينة وَهْران ، فهاجمها بغتةً ، وحصل هو وجيشه فيها ، فسمع [بذلك عبد المؤمن] فسار إليها ، فخرج منها عمر ، ونزل تاشفين بظاهر وَهْران ، على البحر ، في شهر رمضان سنة تسع

---

1) C. P. صادوا : Bodl. فانوا .

Marfat.com

وثلاثين ، فجاءت ليلة سبع وعشرين منه ، وهي ليلة يعظّمها أهل المغرب ، وبظاهر وَهْران ربوة مطلّة على البحر ، وبأعلاها ثَنيّة يجتمع فيها المتعبّدون ، وهو موضع معظّم عندهم ، فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفّياً ، لم يعلم به إلاّ النفر الذين معه ، وقصد التبرّك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين ، فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتيّ ، فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبّد ، وأحاطوا به ، وملكوا الربوة ، فلمّا خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة البحر ، فسقط من جُرفٍ عالٍ على الحجارة فهلك ، ورُفعت جثّته على خشبة ، وقُتل كلّ من كان معه .

وقيل إنّ تاشفين قصد حصناً هناك على رابية ، وله فيه بستان كبير فيه من كلّ الثمار ، فاتّفق أنّ عمر الهنتاتيّ ، مقدّم عسكر عبد المؤمن ، سيّر سريّةً إلى ذلك الحصن ، يُعلمهم بضعف مَن فيه ، ولم يعلموا أنّ تاشفين فيه ، فألقوا النار في بابه فاحترق ، فأراد تاشفين الهرب ، فركب فرسه ، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور ، فسقط في النار ، فأُخذ تاشفين ، فاعترف ، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن ، فمات في الحال لأنّ رقبته كانت قد اندقّت ، فصُلب ، وقُتل كلّ من معه ، وتفرّق عسكره ولم يَعُدْ لهم جماعة . وملك بعده أخوه إسحاق بن عليّ بن يوسف .

ولمّا قُتل تاشفين أرسل عمر إلى عبد المؤمن بالخبر ، فجاء من تَاجَرَةَ في يومه بجميع عسكره ، وتفرّق عسكر أمير المسلمين ، واحتمى بعضهم بمدينة وَهْران ، فلمّا وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف ، وقتل فيها ما لا يُحصى . ثم سار إلى تِلِمْسان ، وهما مدينتان بينهما شوط فرس ، إحداهما تاهَرْتُ[1] ،

1) Cod. C. P. تامرت in marg. تامردت ; Bodl. تامررت .

١ لعلهما تاجررت .

Marfat.com

وبها عسكر المسلمين ، والأخرى[1] أقادير ، وهي بناء قديم ، فامتنعت أقادير ، وغلقت أبوابها ، وتأهّب أهلها للقتال .

ولمّا تاهرّتُ[2] ، فكان فيها يحيى بن الصحراويّة ، فهرب منها بعسكره إلى مدينة فاس ، وجاء عبد المؤمن إليها ، فدخلها لمّا فرّ منها العسكر ، ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة ، فلم يقبل منهم ذلك ، وقتل أكثرهم ، ودخلها عسكره ، ورتّب أمرها ، ورحل عنها ، وجعل على أقادير جيشاً يحصرها . وسار إلى مدينة فاس ستة أربعين [وخمسمائة] فنزل على جبل مطلّ عليها ، وحصرها تسعة أشهر ، وفيها يحيى بن الصحراويّة ، وعسكره الذين فرّوا من تِلِمْسان ، فلمّا طال مقام عبد المؤمن عندها بنى نهر يدخل البلد فسكّره بالأخشاب والتراب وغير ذلك ، فمنعه من دخول البلد ، وصار بُحيرة تسير فيها السفن ، ثم هدم العسكر ، فجاء الماء دفعةً واحدة فخرّب سور البلد . وكلّ ما يجاور[3] النهر من البلد ، وأراد عبد المؤمن أن يدخل البلد ، قاتله أهله خارج السور ، فتعذّر عليه ما قدّره من دخوله .

وكان بفاس عبد الله بن خيار[2] الجَيّانيّ[3] عاملاً عليها وعلى جميع أعمالها ، فاتّفق هو وجماعة من أعيان البلد ، وكاتبوا عبدَ المؤمن في طلب الأمان لأهل فاس ، فأجابهم إليه ، ففتحوا له باباً من أبوابها ، فدخلها عسكره ، وهرب يحيى بن الصحراويّة ، وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة ، وسار إلى

---

1) Cod. C. P. ماسرورت ; Bodl. ماقرورت .

2) Cod. sine punctis.

3) Cod. الجياني .

---

١ والآخر .

٢ تاجررت .

٣ وكلما يجاوز .

Marfat.com

طنجةَ ، ورتّب عبد المؤمن أمر مدينة فاس ، وأمر فنودي في أهلها : مَن ترك عنده سلاحاً وعدّة قتال حلّ دمه ؛ فحمل كلّ من في البلد ما عندهم من سلاح إليه ، فأخذه منهم .

ثم رجع إلى مِكْنَاسةَ ، ففعل بأهلها مثل ذلك ، وقتل من بها من الفرسان والأجناد .

وأمّا العسكر الذي كان على تِلِمْسان فإنّهم قاتلوا أهلها ، ونصبوا المجانيق ، وأبراج الخشب ، وزحفوا بالدبابات ؛ وكان المقدّم على أهلها الفقيه عثمان ، فدام الحصار نحو سنة ، فلمّا اشتدّ الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحّدين أصحاب عبد المؤمن ، بغير علم الفقيه عثمان ؛ وأدخلوهم البلد ، فلم يشعر أهله إلاّ والسيف يأخذهم ، فقُتل أكثر أهله ، وسُبيت الذريّة والحريم ، ونُهب من الأموال ما لا يُحصى ، ومن الجواهر ما لا تُحدّ قيمته، ومن لم يُقتل بيع بأوكس الأثمان، وكان عدّة القتلى مائة ألف قتيل ، وقيل : إنّ عبد المؤمن هو الذي حصر تِلِمْسَان ، وسار منها إلى فاس، والله أعلم .

وسيّر عبد المؤمن سريّة إلى مِكناسةَ ، فحصروها مدّةً ، ثم سلّمها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم .

وسار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سَلاَ ففتحها ، وقُتل عنده جماعة من أعيان سَبتَةَ ، فدخلوا في طاعته ، فأجابهم إلى بذل الأمان ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة] .

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مَرّاكُش

لمّا فرغ عبد المؤمن من فاس ، وتلك النواحي ، سار إلى مَرّاكُشَ ، وهي كرسيّ مملكة الملثّمين ، وهي من أكبر المدن وأعظمها ، وكان صاحبها حينئذ إسحاق بن عليّ بن يوسف بن تاشفين ، وهو صبيّ ، فنازلها ، وكان نزوله عليها[1] سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة] ، فضرب خيامه في غربيّها على جبل صغير ، وبنى[2] عليه مدينة له ولعسكره، وبنى[2] بها جامعاً وبنى[2] له بناء عالياً يُشرف[3] منه على المدينة، ويرى أحوال أهلها ، وأحوال المقاتلين من أصحابه، وقاتلها قتالاً كثيراً، وأقام عليها أحد عشر شهراً ، فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد ، واشتدّ الجوع على أهله ، وتعذّرت الأقوات عندهم .

ثم زحف إليهم يوماً ، وجعل لهم كميناً ، وقال لهم : إذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا ؛ وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال ، وتقدّم عسكره ، وقاتلوا ، وصبروا ، ثم إنّهم انهزموا لأهل مَرّاكُش ليتبعوهم إلى الكمين الذي لهم ، فتبعهم الملثّمون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن ، فهدموا أكثرَ سورها ، وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين ، فقال لهم : اصبروا حتّى يخرج كلّ طامعٍ في البلد ؛ فلمّا خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضُرب وخرج الكمين عليهم ، ورجع المصامدة المنهزمون إلى الملثّمين فقتلوهم كيف شاءوا ، وعادت الهزيمة على الملثّمين ، فمات في زحمة الأبواب ما لا يحصيه إلاّ الله سبحانه .

---

١ عليه .

٢ وبنا .

٣ شرف .

وكان شيوخ الملثمين يدبّرون دولة إسحاق بن عليّ بن يوسف لصغر سنّه ، فاتّفق أنّ إنساناً من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمناً وأطلعه على عوراتهم وضعفهم ، فقوي الطمع فيهم ، واشتدّ عليهم البلاء ، ونصب عليهم المنجنيقات والأبراج ، وفنيت أقواتهم ، وأكلوا دوابّهم ، ومات من العامّة بالجوع ما يزيد على مائة ألف إنسان ، فأنتن البلد من ريح الموتى .

وكان بمرّاكُش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استجلبوا بهم ، فجاءوا إليهم نجدةً ، فلمّا طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان ، فأجابهم إليه ، ففتحوا له باباً من أبواب البلد يقال له باب أغمات ، فدخلت عساكره بالسيف ، وملكوا المدينة عنوةً ، وقتلوا من وجدوا ، ووصلوا إلى دار أمير المسلمين ، فأخرجوا الأمير إسحاق وجميع من معه من أمراء المرابطين ، فقُتلوا ، وجعل إسحاق يرتعد رغبة في البقاء ، ويدعو لعبد المؤمن ويبكي ، فقام إليه الأمير سير بن الحاجّ ، وكان إلى جانبه مكتوفاً ، فبزق في وجهه ، وقال : تبكي على أبيك وأمّك ؟ اصبر صبر الرجال ، فهنا رجل لا يخاف الله ولا يدين[1] بدين . فقام الموحّدون إليه بالخشب فضربوه حتّى قتلوه ، وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة ، وقُدّم إسحاق ، على صغر سنّه ، فضُربت عنقه سنة اثنين وأربعين[وخمسمائة] ، وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم ، وكانت مدّة ملكهم سبعين سنة ، وولي منهم أربعة : يوسف وعليّ وتاشفين وإسحاق .

ولمّا فتح عبد المؤمن مرّاكُش أقام بها ، واستوطنها واستقرّ ملكه . ولمّا قتل عبد المؤمن من أهل مرّاكُش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها ، فلمّا كان بعد سبعة أيّام أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها ، فخرجوا ، فأراد أصحابه للصاقلة قتلهم ، فمنعهم ، وقال : هؤلاء صنّاع ، وأهل الأسواق

---

١ يدين .

Marfat.com

مَن ننتفع به ؛ فتُركوا ، وأمر بإخراج القتلى من البلد ، فأخرجوهم ، وبنى[1] بالقصر جامعاً كبيراً ، وزخرفه فأحسن عمله ، وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عبّاد ، وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب ، فلا جَرَمَ سلّط الله [عليه في] عقابه[2] مَنْ أربى في الأخذ عليه وزاد ، فتبارك الحيّ الدائم الملك ، الذي لا يزول ملكه ، وهذه سُنّة الدنيا ، فأفّ لها ، ثم أفّ ، نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحُسنى ، ويجعل خير أيّامنا يوم نلقاه بمحمّدٍ وآله .

ذكر فقر عبد المؤمن بدكّالة

في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثّمين إلى دكّالة ، فاجتمع إليه قبائلها ، وصاروا يُغيرون على أعمال مَرّاكُش ، وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم ، فلمّا كثُر ذلك منهم سار إليهم سنة أربع وأربعين [وخمسمائة] ، فلمّا سمعت دكّالة بذلك انحشروا كلّهم إلى ساحل البحر في مائتَيْ ألف راجل وعشرين ألف فارس ، وكانوا موصوفين بالشجاعة .

وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر ، وكان الموضع الذي فيه دكّالة كثير الحجَر والحُزُونة ، فكمّنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه ، فمن الاتّفاق الحسن له أنّه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء ، فانحلّ عليهم ما قدروه ، وفارقوا ذلك الموضع ، فأخذهم السيف ، فلخطوا

---

١ وبنا .
٢ لعقابه .

Marfat.com

البحر ، فقتل أكثرهم ، وغُنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم ، وسُبِيَتْ نساؤهم وذراريّهم ، فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة ، وعاد عبد المؤمن إلى مرّاكُش مظفّراً منصوراً ، وثبت ملكه ، وخافه الناس في جميع المغرب ، وأذعنوا له بالطاعة .

ذكر حصر مدينة كُتندة

في هذه السنة ، يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة ، خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس ، يقال له ابن رُدْمير ، فسار حتّى انتهى إلى كُتندة ، وهي بالقرب من مُرسية ، في شرق الأندلس ، فحصرها ، وضيّق على أهلها ، وكان أمير المسلمين عليُّ بن يوسف حينئذ بقُرطُبة ، ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد المتطوّعة ، فسيّرهم إلى ابن رُدمير ، فالتقوا واقتتلوا أشدّ القتال ، وهزمهم ابن رُدمير هزيمة منكرة ، وكثُر القتل في المسلمين ، وكان فيمن قُتل أبو عبد الله بن الفرّاء ، قاضي المَريّة ، وكان من العلماء العاملين ، والزهّاد في الدنيا العادلين في القضاء .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كسر بللكُ بن أُرتُق عفراسَ الروميّ ، وقتل من الروم خمسة آلاف رجل • على قلعة سرمان من بلد اندكان (!)[1] وأسر عفراس وكثير من عسكره .

---

1) Om. Bodl.

وفيها أغار جوسلين الفرنجيُّ ، صاحب الرُّها ، على جيوش العرب والتركمان ، وكانوا نازلين بصِفّين ، غَرْبيّ الفُرات ، وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئاً كثيراً ، ولمّا عاد خرّب بنُزاعة .

وفيها تسلّم أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، مدينة تدمر والشقيف .

وفيها أمر السلطان محمود الأمير جيوش بك بالمسير إلى حرب أخيه طغرل، فسار إليه ، فسمع طغرل وأتابكه كنتغدي ذلك ، فسارا إلى كَنْجَةَ من بين يدَي العسكر ، ولم يَجْرِ قتالٌ .

وفيها ، في المحرّم ، توفّي خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهّاب ابن السيبيّ ، صاحب المخزن ببغداذ ، وولي مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة ، المعروف بابن البقشلام ، والد علم الدين الكاتب المعروف .

وفي جُمادى الأولى منها توفّي أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيْريُّ ، الإمام ابن الإمام ، وكان أخذ العلم من قرابته[1]، والطريقة أيضاً، ثم استفاد أيضاً من إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجوينيّ ، وسمع الحديث من جماعة ، ورواه ، وكان حسن الوعظ ، سريع الخاطر ، ولمّا توفّي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به ، حتّى في بغداذ برباط شيخ الشيوخ .

---

١ قرابته .

Marfat.com

٥١٥

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

ذكر إقطاع البُرسقيّ الموصل

في هذه السنة ، في صفر ، أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها، وما ينضاف إليها ، كالجزيرة ، وسِنجار ، وغيرهما ، الأمير آقسنقَر البُرسقيّ .

وسبب ذلك : أنّه كان في خدمة السلطان محمود ، ناصحاً له ، ملازماً له في حروبه كلّها ، وكان له الأثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ، وهو الذي أحضر الملك مسعوداً[1] عند أخيه السلطان محمود، فعظم ذلك عند السلطان محمود، ولمّا حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولّى عليها البرسقيّ ، وتقدّم إلى سائر الأمراء بطاعته ، وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم ، فسار إليها في عسكر كثير وملكها ، وأقام يدبّر أمورها ، ويصلح أحوالها .

ذكر وفاة الأمير عليّ وولاية ابنه الحسن إفريقية

في هذه السنة توفّي الأمير عليّ بن يحيى بن تميم ، صاحب إفريقية ، في العشر الأخير[2] من ربيع الآخر ، وكان مولده بالمهديّة ، وقد تقدّم من حروبه

---

١ مسعود.

٢ الآخر.

Marfat.com

وأعماله ما يُستدلّ به على علوّ همّته ، ولمّا توفّي وليّ الملك بعده ابنه الحسن ، بعهد أبيه ، وقام بأمر دولته صندل الحصيّ ، لأنّه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقلّ بتدبير الملك ، فقام صندل في الحفظ والاحتياط ، فلم تطُلّ أيّامه حتّى توفّي ، فوقع الاختلاف بين أصحابه وقوّاده ، كلّ منهم يقول : أنا المقدّم على الجميع ، وبيدي الحلّ والشدّ ؛ فلم يزالوا كذلك إلى أن فوّض أمور دولته إلى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفّق ، فصلحت الأمور.

ذكر قتل أمير الجيوش

في هذه السنة ، في الثالث والعشرين من رمضان ، قُتل أمير الجيوش الأفضل ابن بدر الجماليّ ، وهو صاحب الأمر والحكم بمصر ، وكان ركب إلى خزانة السلاح ليفرّقه على الأجناد ، على جاري العادة في الأعياد ، فسار معه عالم كثير من الرجّالة والخيّالة ، فتأذّى بالغبار ، فأمر بالبعد عنه ، وسار منفرداً ، معه رجلان ، فصادفه رجلان بسوق الصياقلة ، فضرباه بالسكاكين فجرحاه ، وجاء الثالث من ورائه ، فضربه بسكّين في خاصرته ، فسقط عن دابّته ، ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة ، وحملوه إلى دار الأفضل ، فدخل عليه الخليفة ، وتوجّع له ، وسأله عن الأموال ، فقال : أمّا الظاهر منها فأبو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه ، وكان من أهل حلب ، وتولّى أبوه قضاء القاهرة ، وأمّا الباطن[1] فابن البطائحيّ يعرفه ؛ فقالا : صدق .

فلمّا توفّي الأفضل نُقل من أمواله ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوماً ، والكتّاب بين يديْه ، والدوابّ تحمل وتنقل ليلاً

---

١ الباطن.

Marfat.com

ونهاراً ، ووجد له من الأعلاق النفيسة ، والأشياء الغريبة القليلة الوجود ، ما لا يوجد مثله لغيره ، واعتُقل أولاده ، وكان عمره سبعاً[1] وخمسين سنة ، وكانت ولايته بعد أبيه ثمانياً[2] وعشرين سنة ، منها : آخر أيّام المستنصر، وجميع أيّام المُستَعلي ، إلى هذه السنة من أيّام الآمر .

وكان الإسماعيليّة يكرهونه لأسباب منها : تضييقه[3] على إمامهم ، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ، ومنها تركُ معارضة أهل السُّنّة في اعتقادهم ، والنهي عن معارضتهم ، وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها ، فكثُر الغرباء ببلاد مصر .

وكان حسن السيرة ، عادلاً ، حُكِي أنّه لمّا قُتل ، وظهر الظلم بعده ، اجتمع جماعة واستغاثوا بالخليفة[4] ، وكان من جملة قولهم : إنّهم لعنوا الأفضل، فسألهم عن سبب لعنهم إيّاه ، فقالوا : إنّه عدل ، وأحسن السيرة ، ففارقنا بلادنا وأوطاننا ، وقصدنا بلده لعدله ، فقد أصابنا بعده هذا الظلم ، فهو كان سبب ظلمنا . فأحسن الخليفة إليهم ، وأمر بالإحسان إلى الناس .

ومنها أنّ صاحبه الآمر بأحكام الله ، صاحب مصر ، وضع منه[5] ، وسبب ذلك ما ذكرناه قبلُ ، ففسد الأمر بينهما ، فأراد الآمر أن يضع عليه من يقتله إذا دخل عليه قصره للسلام ، أو في أيّام الأعياد ، فمنعه من ذلك ابن عمّه أبو الميمون عبد المجيد ، وهو الذي ولي الأمر بعده بمصر ، وقال له : في هذا الفعل شناعة ، وسوء سُمعة ، لأنّه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ، ولم يعلم

---

١ سبع .
٢ ثمان .
٣ تضييعه .
٤ إلى الخليفة .
٥ عليه .

الناس منهما إلاّ النّصح لنا ، والمحبّة لدولتنا ، وقد سار ذلك في أقطار البلاد ، فلا يجوز أن يظهر منّا هذه المكافأة الشنيعة ، ومع هذا فلا بدّ وأن نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه ، متمكّن مثله ، أو ما يقاربه ، فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا ، فيحذر من الدخول إلينا خوفاً على نفسه ، وإن دخل علينا كان خائفاً مستعدّاً للامتناع ، وفي هذا الفعل منهم ما يُسقط المنزلة ، والرأي أن تراسل أبا عبد الله بن البطائحيّ ، فإنّه الغالب على أمر الأفضل، والمطّلع على سرّه ، وتَعِده أن تولّيه منصبه ، وتطلب منه أن يدبّر الأمر في قتله لمن يقاتله ، إذا ركب ، فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه ، وأظهرنا الطلب بدمه ، والحزن عليه ، فنبلغ غرضنا ، ويزول عنّا قبح الأحدوثة . ففعلوا ذلك فقُتل كما ذكرناه .

ولمّا قُتل وليَ بعده أبو عبد الله بن البطائحيّ الأمر ، ولُقّب المأمون ، وتحكّم في الدولة ، فبقي كذلك حاكماً في البلاد إلى سنة تسع عشرة [وخمسمائة] ، فصُلب كما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عصيان سليمان بن إلغازي على أبيه

في هذه السنة عصى[1] سليمان بن إلغازي بن أُرتُق على أبيه بحلب ، وقد جاوز عمره عشرين سنة ، حمله على ذلك جماعة مَن عنده ، فسمع والده الخبر ، فسار مجدّاً لوقته ، فلم يشعر به سليمان حتّى هجم عليه ، فخرج إليه معتذراً ، فأمسك عنه ، وقبض على من كان أشار عليه بذلك[2] ، منهم : أمير كان قد التقطه أُرتُق، والد إلغازي ، وربّاه ، واسمه ناصر ، فقلع عينَيْه ، وقطع لسانه ، ومنهم :

---

١ عصا.

٢ كذا.

Marfat.com

إنسان من أهل حماة من بيت قرناص ، كان قد قدّمه إيلغازي على أهل حلب ، وجعل إليه الرئاسة ، فجازاه بذلك ، وقطع يدَيْه ورجلَيْه ، وسمل عينَيْه ؛ فمات .

وأحضر ولده ، وهو سكران ، فأراد قتله ، فمنعته رقّة الوالد ، فاستبقاه ، فهرب إلى دمشق ، فأرسل طغتكين يشفع فيه ، فلم يجبه إلى ذلك ، واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبّار بن أرتُق ، ولقّبه بدر الدولة ، وعاد إلى ماردين .

ذكر إقطاع ميّافارقين إيلغازي

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميّافارقين للأمير إيلغازي .

وسبب ذلك أنّه أرسل ولدَه حُسام الدّين تمرتاش ، وعمره سبع عشرة سنة ، إلى السلطان ليشفع في دُبَيْس بن صدقة ، ويبذل عنه الطاعة ، وحَمْل الأموال ، والخيل ، وغيرها ، وأن يضمن الحلّة كلّ يوم بألف دينار وفرس ؛ وكان المتحدّث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن عليّ بن القاسم بن الشهرزوريّ ، فتردّد الخطاب في ذلك ، ولم ينفصل حال ، فلمّا أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميّافارقين ، وكانت مع الأمير سُكمان ، صاحب خِلاط ، فتسلّمها إيلغازي ، وبقيت في يده ، ويد أولاده ، إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف ابن أيّوب سنة ثمانين وخمسمائة ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

ذكر حصر بكلك بن بهرام الرُّها وأسر صاحبها

في هذه السنة سار بكلك بن بهرام ، ولد أخي إيلغازي ، إلى مدينة الرُّها ، فحصرها وبها الفرنج ، وبقي على حصرها مدّة ، فلم يظفر بها ، فرحل عنها ، فجاءه إنسان تركماني وأعلمه أنّ جوسلين ، صاحب الرُّها ومَروج ، قد جمع مَن عنده من الفرنج ، وهو عازم على كبسه ، وكان قد تفرّق عن بكلك أصحابه ، وبقي في أربعمائة فارس ، فوقف مستعدّاً لقتالهم .

وأقبل الفرنج ، فمن لطف الله تعالى بالمسلمين أنّ الفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء ، فصارت وحلاً غاصتْ خيولهم فيه فلم تتمكّن ، مع ثقل السلاح والفرسان ، من[1] الإسراع والجري ، فرماهم أصحاب بلك بالنشّاب ، فلم يفلتْ منهم أحد ، وأُسر جوسلين وجُعل في جلد جمل ، وخُيِّط عليه ، وطُلب منه أن يسلّم الرُّها ، فلم يفعل ، وبذل في فداء نفسه أموالاً جزيلة ، وأسرى كثيرة ، فلم يجبْهُ إلى ذلك ، وحمله إلى قلعة خَرْتَبِرْتَ فسجنه بها ، وأسر معه ابن خالته ، واسمه كليام ، وكان من شياطين الكفّار ، وأسر أيضاً جماعةً من فرسانه المشهورين ، فسجنهم معه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّيت جدّة السلطان محمود لأبيه ، وهي[2] والدة السلطان سنجَر ، وكانت تركيّة تُعرف بخاتون السفريّة ، وكان موتها بمرو ، فجلس

---

١ على .

٢ وهو .

محمود ببغداذ للعزاء بها ، وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس .

وفيها توفّي الخطير محمّد بن الحسين المَيْبُذيُّ ببلاد فارس ، وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمّد ، وكان قديماً وزر للسلطانَيْن بركيارق ومحمّد ، وكان جواداً حليماً ، سمع أنّ الأبيوَرْديَّ هجاه ، فلمّا سمع الهجو مضّه ، فعضّ على إبهامه ، وصفح عنه . وخلع عليه ووصله .

وفيها توفّي الشهاب أبو المحاسن عبد الرزّاق بن عبد الله وزير السلطان سنجَر ، وهو ابن أخي نظام الملك ، وكان يتفقّه قديماً على إمام الحرمَيْن الجُوينيّ فكان يُفتي ويوقّع ، ووزر بعده أبو طاهر سعد بن عليّ بن عيسى القُمّيُّ ، وتوفّي بعد شهور ، فوزر بعده عثمان القُمّيُّ .

وفيها ، في جمادى الأولى ، أوقع أتابك طغتكين بطائفة من الفرنج ، فقتل منهم وأسر وأرسل من الأسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة .

وفيها تضعضع الركن اليمانيُّ من البيت الحرام ، زاده الله شرفاً ، من زلزلة ، وانهدم بعضه ، وتشعّث بعض حرم النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، وتشعّث غيرها من البلاد ، وكان بالموصل كثير منها .

وفيها احترقت دار السلطان ، كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمّد ، ففرغتْ قبل وفاته بيسير ، فلمّا كان الآن احترقت .

وسبب الحريق أنّ جارية كانت تختضب ليلاً ، فأسندت شمعة إلى الخيش فاحترق ، وعلقت النار منه في الدار ، واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجَر ما لا حدّ له[1] من الجواهر ، والحلى ، والفرش ، والثياب ، وأقيم الغسّالون يخلّصون الذهب وما أمكن تخليصه ، وكان الجوهر جميعه قد هلك إلاّ الياقوت الأحمر .

---

١ طيه .

Marfat.com

وترك السلطان الدار لم تجدّدْ عمارتها ، وتطيّر منها ، لأنّ أباه لم يتمتّع بها ، ثم احترق فيها ، من أموالهم ، الشيء العظيم ، واحترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان ، وهو من أعظم الجوامع وأحسنها ، أحرقه قوم من الباطنيّة ليلاً ، وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع ، وتجديد المكوس بالعراق ، بإشارة الوزير السميرميّ عليه بذلك ، فتجدّد من هذَيْن الحريقَيْن ما هاله ، واتّعظ فأعرض عنه .

وفيها ، في ربيع الآخر ، انقضّ كوكب عِشاء ، وصار له نور عظيم ، وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه ، وسُمع عند ذلك صوت هدّة عظيمة كالزلزلة .

وفيها ظهر بمكّة إنسان علويٌّ ، وأمر بالمعروف ، فكثر جمعه ، ونازع أميرَ مكّة ابن أبي هاشم ، وقوي أمره ، وعزم على أن يخطب لنفسه ، فعاد ابن أبي هاشم وظفر به ، ونفاه عن الحجاز إلى البحرَيْن ، وكان هذا العلويُّ من فقهاء النظاميّة ببغداذ .

وفيها ألزم السلطان أهل الذمّة ببغداذ بالغِيار ، فجرى فيه مراجعات انتهت إلى أن قُرّر عليهم للسلطان عشرون[1] ألف دينار ، وللخليفة أربعة آلاف دينار .

وفيها حضر السلطان محمود وأخوه الملك مسعود عند الخليفة ، فخلع عليهما ، وعلى جماعة من أصحاب السلطان ، منهم : وزيره أبو طالب السميرميّ ، وشمس الملك عثمان بن نظام الملك ، والوزير أبو نصر أحمد بن محمّد بن حامد المستوفي ، وعلى غيرهم من الأمراء .

وفيها ، في ذي القعدة ، وهو الحادي والعشرون من كانون الثاني ، سقط بالعراق جميعه من البصرة إلى تكريت ثلج كثير ، وبقي على الأرض خمسة عشر يوماً ، وسمكه ذراع ، وهلكت أشجار النارنْج ، والأتْرجّ ، والليمون ،

---

١ عشرين .

Marfat.com

قال فيه بعض الشعراء :

يا صُدُورَ الزمانِ ليس بوَفْرٍ ما رأيناه في نواحي العراقِ
إنّما عمَّ ظلمُكم سائرَ الخلْـ ـقِ ، فشابَت ذَوائبُ الآفاقِ

وفيها هبّت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام ، فأهلكت كثيراً من الناس ، وغيرهم من الحيوانات .

وفيها توفّي أبو محمّد القاسم بن عليّ بن محمّد بن عثمان الحريريّ ، صاحب المقامات المشهورة ؛ وهزارسب بن عوض المرويّ ، وكان قد سمع الحديث كثيراً .

Marfat.com

٥١٦

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود

وفي المحرّم من هذه السنة أطاع الملك طغرل أخاه السلطان محموداً[1] ، وكان قد خرج عن طاعته ، كما ذكرناه ، وقصد أذربيجان في السنة الخالية ليتغلّب عليها ، وكان أتابكه كنتغدي يحسّن له ذلك ، ويقوّيه عليه ، فاتّفق أنّه مرض ، وتوفّي في شوّال سنة خمس عشرة [وخمسمائة] .

وكان الأمير آقسنقر الأحمدليّ ، صاحب مَراغة ، عند السلطان محمود بمنزلة ، فلسأذنه في المضيّ إلى إقطاعه ، فأذن له ، فلمّا سار عن السلطان ظنّ أنّه يقوم مقام كنتغدي من الملك طغرل ، فسار إليه ، واجتمع به ، وأشار عليه بالمكاشفة لأخيه السلطان محمود ، وقال له : إذا وصلتَ إلى مَراغة اتّصل بك عشرة آلاف فارس وراجل . فسار معه ، فلمّا وصلوا إلى أرْدَبيل أغلقت أبوابها دونهم ، فساروا عنها إلى قريب تبريز ، فأتاهم الخبر أنّ السلطان محموداً[1] سيّر الأمير جيوش بك إلى أذربيجانَ ، وأقطعه البلاد ، وأنّه نزل مَراغة في عسكر كثيف من عند السلطان .

فلمّا تيقّنوا ذلك عادوا إلى خُوَيّ ، وانقضّ عليهم ما كانوا فيه ، وراسلوا الأمير شيركير الذي كان أتابك طغرل ، أيّام أبيه ، يدعونه إلى إنجادهم ، وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمّد على ما ذكرناه ، ثم أطلقه

---

١ محمود .

Marfat.com

السلطان سنجَر ، فعاد إلى إقطاعه ، أبْهَرَ ، وزَنْجَانَ ، وكاتبوه فأجابهم ، واتّصل بهم ، وسار معهم إلى أبْهَر ، فلم يتمّ لهم ما أرادوا ، فراسلوا السلطان بالطاعة ، فأجابهم إلى ذلك ، فاستقرّت القاعدة أوّل هذه السنة ، وتمّت .

ذكر حال دُبَيْس بن صدقة وما كان منه

قد ذكرنا سنة أربع عشرة [وخمسمائة] حال دُبَيْس بن صدقة ، وصُلحه على يد يرنقُش الزكويّ ، ومقامه بالحِلّة ، وعود يرنقُش إلى السلطان ومعه منصور بن صدقة ، أخو دُبَيْس ، وولده ، رهينةً ، فلمّا علم الخليفة بذلك لم يرض به ، وراسل السلطانَ محموداً[1] في إبعاد دُبَيْس عن العراق إلى بعض النواحي .

وتردّد الخطاب في ذلك ، وعزم السلطان على المسير إلى همَذان ، فأعاد الخليفة الشكوى من دُبَيْس ، وذكر أنّه يطالب الناس بحقوده ، منها قتْل أبيه ؛ وأشار[2] أن يُحضر السلطانُ آقسنقَر البرسقيَّ من الموصل ، ويولّيه شحنكيّة بغداذ والعراق ، ويجعله في وجه دُبَيْس ، ففعل السلطان ذلك ، وأحضر البرسقيَّ ، فلمّا وصل إليه زوّجه والدة الملك مسعود ، وجعله شِحنة بغداذ ، وأمره بقتال دُبَيْس إن تعرّض للبلاد .

وسار السلطان عن بغداذ في صفر من هذه السنة ، وكان مقامه ببغداذ سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، فلمّا فارق بغداذ والعراق تظاهر دُبَيْس بأمور تأثّر بها المسترشد بالله ، وتقدّم إلى البرسقيّ بالمسير إليه ، وإزعاجه عن الحِلّة ، فأرسل البرسقيّ إلى الموصل ، وأحضر عساكره ، وسار إلى الحِلّة ،

---

١ محمود .

٢ وأشاروا .

وأقبل دُبَيْس نحوه ، فالتقوا عند نهر بَشِير ، شرقيّ الفرات ، واقتتلوا ، فانهزم عسكر البرسقيّ .

وكان سبب الهزيمة أنّه رأى في ميسرته خللاً ، وبها الأمراء البكجيّة ، فأمر بإلقاء خيمته ، وأن تُنصَب عند الميسرة ، ليقوّي قلوب من بها ، فلمّا رأوا الخيمة وقد سقطت ظنّوها عن هزيمة ، فانهزموا ، وتبعهم الناس والبرسقيُّ .

وقيل : بل أُعطي رقعة فيها : إنّ جماعةً من الأمراء ، منهم إسماعيل البكجيُّ ، يريدون الفتك به ، فانهزم ، وتبعه العسكر ، ودخل بغداذ ثاني ربيع الآخر ، وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذّب الدولة أحمد بن أبي الجبر ، وكان ناظراً بالبطيحة لريحان محكوَيْه ، خادم السلطان ، لأنّها كانت من جملة إقطاعه ، وحضر أيضاً المظفّر بن حمّاد بن أبي الجبر ، وبينهما عداوة شديدة ، فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك ، فقتله المظفّر ومضى[1] إلى واسط ، وسار منها إلى البطيحة ، وتغلّب عليها وكاتب دُبيساً وأطاعه .

وأمّا دُبَيْس فإنّه لم يعرض لنهر ملك ، ولا غيره ، وأرسل إلى الخليفة أنّه على الطاعة ، ولولا ذلك لأخذ البرسقيّ وجميع مَن معه ، وسأل أن يخرج الناظر إلى القُرى التي لخاصّ الخليفة لقبض دَخْلها .

وكانت الوقعة في حزيران[2] ، وحمَى البلد ، فأحمد الخليفة فعله ، وتردّدت الرسل بينهما ، فاستقرّت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبي عليّ بن صدقة ليعود إلى الطاعة ، فقبض على الوزير ، ونُهبت داره ودور أصحابه والمنتمين إليه ، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل .

ولمّا سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة ، أخي دُبَيْس ، وولده ، ورفعهما إلى قلعة برجين وهي تجاور كَرَج .

---

١ ومضا .
٢ الحزيران .

ثم إنّ دُبَيْساً أمر جماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطاعهم بواسط ، فساروا إليها ، فمنعهم أتراك واسط ، فجهّز دُبَيْس إليهم عسكراً مقدّمهم مُهلهِل ابن أبي العسكر ، وأرسل إلى المظفّر بن أبي الجبر بالبطيحة ليتّفق مع مهلهِل ويساعده على قتال الواسطيّين ، فاتّفقا على أن تكون الوقعة تاسع رجب ، وأرسل الواسطيّون إلى البرسقيّ يطلبون منه المدد ، فأمدّهم بجيش من عنده ، وعجل مُهلهِل في عسكر دُبَيْس ، ولم ينتظر المظفّر ظنّاً منه أنّه بمفرده ينال منهم ما أراد[1] ، وينفرد بالفتح ، فالتقى هو والواسطيّون ، ثامن رجب ، فانهزم مُهلهِل وعسكره ، وظفر الواسطيّون ، وأخذ مُهلهِل أسيراً وجماعة من أعيان العسكر ، وقُتل ما يزيد على ألف قتيل ، ولم يُقتل من الواسطيّين غير رجل واحد .

وأمّا المظفّر بن أبي الجبر فإنّه أصعد من البطيحة ونهب وأفسد ، وجرى من أصحابه القبيح ، فلمّا قارب واسطاً سمع بالهزيمة ، فعاد منحدراً .

وكان في جملة ما أخذ العسكر الواسطيّ من مُهلهِل تذكرة بخطّ دُبَيْس يأمره فيها بقبض المظفّر بن أبي الجبر ومطالبته بأموال كثيرة أخذها من البطيحة ، فأرسلوا الخطّ إلى المظفّر ، وقالوا : هذا خطّ الذي تختاره ، وقد أسخطتَ الله تعالى والخلق كلّهم لأجله ؛ فمال إليهم وصار معهم ، فلمّا جرى على أصحاب دُبَيْس من الواسطيّين ما ذكرناه شمّر عن ساعده[2] في الشرّ ، وبلغه أنّ السلطان كحل أخاه ، فجزّ شعره ، ولبس السواد ، ونهب البلاد ، وأخذ كلّ ما للخليفة بنهر الملك ، فأجلى الناس إلى بغداذ .

وسار عسكر واسط إلى النُّعمانيّة ، فأجلوا عنها عسكر دُبَيْس واستولوا

---

١ أرادوا .

٢ ساعده .

Marfat.com

عليها » ، وجرى بينهم هنالك ووقعة كانت الظفر [فيها] للروم المطيعين ، وتقدم الخليفة المكتفي بالله العباسي إلى حريب دبيس ، فهزمه في رمضان ، وكانت مدة خلافته إلى شاء الله تعالى ..

ذكر مقتل السميري

وفي هذه السنة قتل الوزير الكمالك أبو طالب السميري ، وزير السلطان محمود ، سالخ صفر ، وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همذان ، فدخل المدينة ، وخرج بعض بلديته الرجالة والخيالة ، وهو في موكب عظيم ، فاجتاز بسوق الدرسة التي بناها خصار تكين التشي ، واجتاز في منفذ ضيق فيه حظائر الشوك ، فتقدم أصحابه للضيق الموضع ، فوثب عليه باطني وضربه بسكين ، فوقعت في الليظة ، وهرب إلى دجلة ، وتبعه الظالمان ، فخلا الموضع ، فظهر رجل آخر فضربه بسكين في خاصرته ، وجذبه عن الليظة إلى الأرض ، وضربه عدة ضربات ..

وعلم أصحاب الوزير ، فحمل عليهم رجلان بالطيالسة ، فهزموا منهما ، ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة ، فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة ، وقتل قاتلوه ..

ولما كان في المحرم كاتب المنجمون يلقنون له الطالع ليخرج ، فقالوا : هذا وقت جيد ، وإلا تأخرت يفتك طالع السعد ؛ فلم يخرج وركب ، وأراد الله ياكل مالا ، فضربوه لأجل الطالع ، فقتل ولم ينفعه قولهم ..

وكانت وزارته ثلاثة سنين وعشرة أشهر ، واختهب ماله ، وأخذ الطيالسة

---

١ يقرب ..

Marfat.com

خزانته ، ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك ، وكانت زوجة السُّميرميّ قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير ، معها نحو مائة جارية ، وجَمْع من الخدم ، والجميع بمراكب الذهب ، فلمّا سمعن بقتله عُدْنَ حافيات حاسرات ، وقد تبدلن بالعزّ هواناً ، وبالمسرّة أحزاناً . فسبحان من لا يزول ملكه[1] .

وكان السُّمَيرميّ ظالماً ، كثير المصادرة للناس ، سيء السيرة ، فلمّا قُتل أطلق السلطان ما كان جدّده من المكوس ، وما وضعه على التجار والباعة .

ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة عليّ بن طِراد

في جُمادى الأولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة ، وقد تقدّم ذكره قبلُ ، وأقيم نقيب النقباء شرف الدين عليُّ بن طِراد الزينبيُّ في نيابة الوزارة ، فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك أبي نصر أحمد بن نظام الملك ، وكان أخو شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود ، فأُجيب إلى ذلك ، واستوزر في شعبان .

وكان قد وزر للسلطان محمّد سنة خمسمائة ، ثم عُزل ، ولزم داراً استجدّها ببغداذ إلى الآن . فلمّا خُلع على نظام الملك ، وجلس في الديوان ، طلب أن يخرج ابنُ صدقة عن بغداذ ، فلمّا علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة أن يُسيّر إلى حديثة عانة ليكون عند الأمير سليمان بن مُهارش ، فأُجيب إلى ما طلب .

وسار إلى الحديثة ، فخرج عليه في الطريق إنسان من مفسدي التركمان يقال

---

١ مالكاً .

Marfat.com

له يُونُس الحراميّ ، فأسره ونهب أصحابه ، فخاف الوزير أن يعلم دُبَيْس فأرسل إلى يُونُس وبذل له مالاً يأخذه منه للعداوة التي بينهما ، فقرّر أمره مع يونُس على ألف دينار يعجّل منها ثلاثمائة ، ويؤخّر الباقي إلى أن يرسله من الحديثة .

وراسل عامل بلد الفُرات في تخليصه ، وإنفاذ من يَضْمن الباقي الذي عليه ، فأعمل العامل الحيلة في ذلك ، فأحضر إنساناً فلاّحاً وألبسه ثياباً فاخرة وطَيلساناً ، وأركبه وسيّر معه غلماناً ، وأمره أن يمضي إلى يونُس ويدّعي أنّه قاضي بلد الفُرات ، ويضمن الوزير منه بما بقي[1] من المال ، فسار السواديّ إلى يُونُس ، فلمّا حضر عند الوزير ويُونُس احترماه ، وضمن السواديّ الوزير منه ، وقال له : أقيم عندك إلى أن يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير ؛ فاعتقد يونس صدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه ، فلمّا وصل الحديثة قبض على مَن معه منهم ، فأطلق يونس ذلك السواديّ ، والمال الذي أخذه ، حتّى أطلق الوزير أصحابه ، وعلم الحيلة التي تمّت عليه .

ولمّا سار الوزير من عند يونس لقي إنساناً أنكره ، فأخذه ، فرأى معه كتاباً من دُبَيْس إلى يونُس يبذل ستّة آلاف دينار ليسلّم الوزير إليه ، وكان خلاصه من أعجب الأشياء .

ذكر قتل جيوش بك

في هذه السنة قُتل الأمير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل ، وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود ، وعوده إلى خدمته ، فلمّا رضي عنه أقطعه أذربيجان

---

١ باقي .

Marfat.com

ووجلطه متقدم عسكره ،، فجرى بينه وبينهن جملة من الأمور المنافرة ومنازعات ، فلم يروا به السلطان ،، فقتله في رمضان على باب تبريز ..

وكان تركيناً من مماليك السلطان محمد ،، عاقلاً ،، حسن السيرة ، وملكا ولي الموصل وأبلغ زيرة فكان الأكراد ببلك الأعمال قد انتشروا ، وكثر فسادهم ، وكثرت قلاعهم ،، والناس معهم في ضيق ، والطريق مخافة ،، فقصدهم ، وحصر قلاعهم ،، وفتح كثيراً منها ببلد الهكارية ،، وببلد الزوزان ، وبلد البشنوية ، وخافه الأكراد ، وتولى قصدهم بنفسه ،، فهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق ، وأمنت الطرق ، وانتشر الناس وابتلعوا ،، وبقي الأكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لطبيعته ..

نذكر وفاة البلطاري وأحوال حلب بعده

في هذه السنة ،، في شهر رمضان ،، توفي البلطاري بن أرتق بميافارقين ، وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين ،، وملك ابنه سليمان ميافارقين ، وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ، فبقي بها إلى أن أخذها ابن عمه ..

نذكر حادثة

في هذه السنة أقطع السلطان محمود الأمير القسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها ،، مضافاً إلى ولايته الموصل وغيرها مسلماً بيلاده ،، وشحنكية العراق ، فلما أقطعها البرسقي سيّر إليها عماد الدين زنكي بن القسنقر الذي كان والده

Marfat.com

صاحب حلب ، والمرء بصلبها ، فسار إليها في شعبان ووليها ، وقد ذكرنا أخبار زنكي في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن ، فينظر منه ..

وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذي القرنين ..

وفيها زادت الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها ، فدخل الماء إلى بعض قلعة جعبر ، وكانت الفرات ، حينئذ ، بالقرب منها ، فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرساً من الربض وألقاه من فوق السور إلى الفرات ..

وفيها بنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعي ..

وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان مسعود ..

وفيها ، في شعبان ، قدم إلى بغداد البرهان أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي وعقد مجلس الوعظ في جميع المواضع ، وورد بعده أبو القاسم علي بن يعلى العلوي ، ونزل رباط شيخ الشيوخ ، فوعظ في جامع القصر ، والتاجية ، ورباط سعادة ، وصار له قبول عند الحنابلة ، وحصل له مال كثير لأنه أظهر موافقتهم ..

وورد بعده أبو الفتوح الإسفراييني ، ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضاً ، ووعظ في هذه المواضع ، وفي النظامية ، وأظهر مذهب الأشعري ، فصار له قبول كثير عند الشافعية ، وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله ، وسلم إليه رباط الأرجوانية ، والدة المقتدي بالله ، بدرب زاخي ..

وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندي ، أخو أبي القاسم بن السمرقندي ، ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ونشأ ببغداد ، وسمع الصريفيني وابن النقور وغيرهما ، وسافر الكثير ، وكان حافظاً

Marfat.com

للحديث عالماً به .

وفي ذي الحجّة توفّي عبد القادر بن محمّد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف أبو طالب ، ومولده سنة ستّ وثلاثين وأربعمائة ، وسمع البرمكيَّ ، والجوهريَّ ، والعشاريَّ ، وكان ثقة ، حافظاً للحديث .

Marfat.com

٥١٧

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دُبَيْس

في هذه السنة كانت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله ، وبين دُبَيْس بن صدقة .

وكان سبب ذلك: أنّ دُبَيْساً أطلق عفيفاً خادم الخليفة، وكان مأسوراً عنده، وحمّله رسالة فيها تهديد للخليفة بإرسال البرسقيّ إلى قتاله ، وتقويته بالمال ، وأنّ السلطان كحل أخاه ، وبالغ في الوعيد[1] ، ولبس السواد ، وجزّ شعره ، وحلف لينهبنّ بغداذ ، ويخرّبها ، فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة ، وغضب ، وتقدّم إلى البرسقيّ بالتّبريز إلى حرب دُبَيْس ، فبرز في رمضان سنة ستّ عشرة [وخمسمائة] .

وتجهّز الخليفة ، وبرز من بغداذ ، واستدعى العساكر ، فأتاه سليمان بن مُهارش ، صاحب الحديثة ، في عُقيل ، وأتاه قرواش بن مسلّم ، وغيرهما ، وأرسل دُبَيْس إلى نهر ملك فنهب ، وعمل أصحابه كلّ عظيم من الفساد ، فوصل أهله إلى بغداذ ، فأمر الخليفة فنودي ببغداذ لا يتخلّف من الأجناد أحد ، ومَن أحبّ الجنديّة من العامّة فليحضر ، فجاء خلق كثير ، ففرّق فيهم الأموال والسلاح .

---

١ الوعد .

Marfat.com

فلما علم دُبَيْس الحلال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه ، فلم يجب إلى ذلك ، وفي آخر جمادى الآخرة خيم الخليفة في اللشكر من نهي الحجة من سنة ستة عشرة [وخمسمائة] ، فنادى أهل بغداد :: النفير النفير ، الرحيل الرحيل !! وكثر الضجيج من الناس ، وخرج منهم عالم كثير لا يُحصون كثرة ، وفيهم الخليفة رابع عشر ذي الحجة ، وعبر دجلة وعليه قباء أسود ، وعمامة سوداء ، وطرحة ، وعلى كتفه البُردة ، وفي يده القضيب ، وفي وسطه منطقة حديد صيني ، ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، ونقيب الطالبيين ، ونقيب النقباء علي بن طراد ، وشيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل وغيرهم من الأعيان .

وكان البرسقي قد نزل بقرية جهار طاق ، ومعه عسكره ، فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداذ عادوا إلى خدمته ، فلما رأوا الشمسة ترجلوا بأجمعهم ، وقبلوا الأرض بالبعد منه .

ودخلت هذه السنة ، فنزل الخليفة ، مستهل المحرم ، بالخليئة ، بنهر الملك ، واستدعى البرسقي والأمراء ، واستحلفهم على المناصحة في الحرب ، ثم ساروا إلى النيل ، ونزلوا بالمباركة ، وعبأ البرسقي عسكره ، ووقف الخليفة من وراء الجميع في خاصته ، وجعل دُبَيْس أصحابه صفاً واحداً ، ميمنة ، وميسرة ، وقلباً ، وجعل الرجالة بين يدي الخيالة بالسلاح ، وكان قد وعد أصحابه بنهب بغداذ ، وسبي النساء ، فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دُبَيْس ، ومن أيديهم الإماء يضربن بالدفوف ، والمخانيث بالملاهي ، ولم ير في عسكر الخليفة غير قارىء ، ومسبح ، وداع ، فقامت الحرب على ساق .

وكان مع أعلام الخليفة الأمير كربغاوي بن خرلمان ، وفي الساقة سليمان ابن عُلْبارش ، وفي ميمنة عسكر البرسقي الأمير أبو بكر بن دلاس مع الأمراء البكجية ، فحمل عشتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دُبَيْس على ميمنة

Marfat.com

البرسقيّ، فتراجعت على أعقابها ، وقُتل ابن أخ للأمير أبي بكر البكجيّ ، وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة ، فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الأوّل ، فلمّا رأى عسكر واسط ذلك ، ومقدّمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقَر ، حمل وهم معه على عنتر ومَن معه ، وأتوهم من ظهورهم فبقي عنتر في الوسط ، وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه ، والأمراء البكجيّة بين يديه ، فأُسر عنتر ، وأُسر معه بريك بن زائدة وجميع مَن معهما ولم يفلت أحد .

وكان البرسقيُّ واقفاً على نشزٍ من الأرض ، وكان الأمير آق بوري في الكمين في خمسمائة فارس ، فلمّا اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دُبَيْس ، فانهزموا جميعهم وألقَوا نفوسهم في الماء ، فغرق كثير منهم ، وقُتل كثير .

ولمّا رأى الخليفة اشتداد الحرب جرّد سيفه وكبّر وتقدّم إلى الحرب ، فلمّا انهزم عسكر دُبَيْس وحُملت الأسرى إلى بين يدَيْه أمر الخليفة أن تُضرب أعناقهم صبراً .

وكان عسكر دُبَيْس عشرة آلاف فارس ، واثني عشر ألف راجل ، وعسكر البرسقيّ ثمانية آلاف فارس، وخمسة آلاف راجل ، ولم يُقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارساً ، وحصل نساء دُبَيْس وسراريّه تحت الأسر سوى بنت إيلغازي ، وبنت عميد الدولة بن جُهير ، فإنّه كان تركهما في المشهد .

وعاد الخليفة إلى بغداذ ، فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة . ولمّا عاد الخليفة إلى بغداذ ثار العامّة بها ، ونهبوا مشهد باب التبن ، وقلعوا أبوابه ، فأنكر الخليفة ذلك ، وأمر نظر أمير الحاجّ بالركوب إلى المشهد ، وتأديب من فعل ذلك ، وأخْذ ما نُهب ، ففعل وأعاد البعض وخفي الباقي عليه .

وأمّا دُبَيْس بن صدقة فإنّه لمّا انهزم نجا بفرسه وسلاحه ، وأدركته

Marfat.com

الخيل ، ففاتها وعبر الفرات ، فرأته امرأة عجوز وقد عبر ، فقالت له : دُبَيْر جئتَ ؟ فقال : دُبَيْر من لم يجيء . واختفى خبره بعد ذلك ، وأُرجف عليه بالقتل ، ثم ظهر أمره أنّه قصد غُزَيّةَ من عرب نجد ، فطلب منهم أن يحالفوه ، فامتنعوا عليه وقالوا : إنّا نُسْخط الخليفة والسلطان ؛ فرحل إلى المتفق ، واتّفق معهم على قصد البصرة وأخذها ، فساروا إليها ودخلوها ، ونهبوا أهلها . وقُتل الأمير سَخْت كمان مقدّم عسكرها ، وأُجلي أهلها .

فأرسل الخليفة إلى البرسقيّ يعاتبه على إهماله أمر دُبَيْس ، حتّى تمّ له من أمر البصرة ما أخربها ، فتجهّز البرسقيُّ للانحدار إليه ، فسمع دُبَيْس ذلك ، ففارق البصرة ، وسار على البرّ إلى قلعة جَعْبر ، والتحق بالفرنج ، وحضر معهم حصار حلب ، وأطمعهم في أخذها ، فلم يظفروا بها ، فعادوا عنها ، ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمّد ، فأقام معه ، وحسّن له قصد العراق ، وسنذكره سنة تسع وعشرين [وخمسمائة] ، إن شاء الله تعالى .

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب

في هذه السنة ، في صفر ، ملك الفرنج حصن الأثارب ، من أعمال حلب .

وسبب ذلك : أنّهم كانوا قد أكثروا قصد حلب وأعمالها بالإغارة ، والتخريب ، والتحريق ، وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار ابن أرتُق ، وهو صاحبها ، ولم يكن له بالفرنج قوّة ، وخافهم ، فهادنهم على أن يسلّم الأثارب ويكفّوا عن بلاده ، فأجابوه إلى ذلك ، وتسلّموا الحصن ، وتمّت الهدنة بينهم ، واستقام أمر الرعيّة بأعمال حلب ، وجُلبت إليهم الأقوات وغيرها ؛ ولم تزل الأثارب بأيدي الفرنج إلى أن ملكها أتابك زنكي بن آقسنقر ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

ذكر ملك بكك حرّان وحلب

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، ملك بكك بن بهرام مدينة حرّان ، وكان قد حصرها ، فلمّا ملكها سار منها إلى مدينة حلب .

وسبب مسيره إليها : أنّه بلغه أن صاحبها بدر الدولة قد سلّم قلعة الأثارب إلى الفرنج ، فعظم ذلك عليه ، وعلم عجزه عن حفظ بلاده ، فقوي طمعه في ملكها ، فسار إليها ، ونازلها في ربيع الأوّل ، وضايقها ، ومنع الميرة عنها ، وأحرق زروعها ، فسلّم إليه ابن عمّه البلد والقلعة بالأمان ، غرّة جمادى الأولى من السنة ، وتزوّج ابنة الملك رضوان ، وبقي مالكاً لها إلى أن قُتل على ما نذكره .

ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بإفريقية

قد ذكرنا أنّ الأمير عليّ بن يحيى ، صاحب إفريقية ، لمّا استوحش من رجّار صاحب صِقِلّية ، جدّد الأسطول الذي له ، وكثّر عَدده وعُدده ، وكاتب أميرَ المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين بمَرّاكُش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صِقِلّية ، فلمّا علم رجّار ذلك كفّ عن بعض ما كان يفعله .

فاتّفق أنّ عليّاً مات سنة خمس عشرة [وخمسمائة] ، وولي ابنه الحسن ، وقد ذكرناه . فلمّا دخلت سنة ستّ [عشرة وخمسمائة] سيّر أمير المسلمين أسطولاً ، ففتحوا قوطرة[1] بساحل بلاد قِلّوْرِيَة ، فلم يشكّ رجّار أن عليّاً

---

1) Cod. قوطره .

Marfat.com

كان سبب ذلك ، فجدّ في تعمير الشواني والمراكب ، وحشد فأكثر ؛ ومنع من السفر إلى إفريقية وغيرها من بلاد الغرب ، فاجتمع له من ذلك ما لم يُعْهَدْ مثله ، قيل : كان ثلاثمائة قطعة ، فلمّا انقطعت الطريقُ عن إفريقية توقّع الأمير الحسن بن عليّ خروج العدوّ إلى المَهديّة ، فأمر باتّخاذ العُدد ، وتجديد الأسوار ، وجمع المقاتلة ، فأتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير .

فلمّا كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [وخمسمائة] سار الأسطول الفرنجيُّ في ثلاثمائة قطعة ، فيها ألف فرس وفرس واحد ، إلاّ أنّهم لمّا ساروا من مَرسَى عليّ فرّقتهم الريح ، وغرق منهم مراكب كثيرة ، ونازل من سلم منهم جزيرة قَوْصَرَةَ ففتحوها ، وقتلوا من بها ، وسبوا وغنموا ، • وساروا عنها[1] ، فوصلوا إلى إفريقية ، ونازلوا الحصن المعروف بالدّيماس أواخر جمادى الأولى ، فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك ، والدّيماس حصنٌ منيعٌ ، في وسطه حصن آخر ، وهو مشرف على البحر .

وسيّر الحسن مَن عنده من الجموع إلىالفرنج ، وأقام هو بالمهديّة في جمع آخر يحفظها ، وأخذ الفرنج حصن الدّيماس ، وجنود المسلمين محيطة بهم ، فلمّا كان بعد ليالٍ اشتدّ القتال على الحصن الداخل ، فلمّا كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجّت لها الأرض ، وكبّروا ، فوقع الرعب في قلوب الفرنج ، فلم يشكّوا أنّ المسلمين يهجمون عليهم ، فبادروا إلى شوانيهم ، وقتلوا بأيديهم كثيراً من خيولهم ، وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس ، ولم يسلم معهم غير فرس واحد ، وغنم المسلمون جميع ما تخلّف عن الفرنج ، وقتلوا كلّ من عجز عن الطلوع إلى المراكب .

فلمّا صعد الفرنج إلى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيّام لا يقدرون على النزول

---

1) *Annal. Bibl.* p. ٢٨٣

Marfat.com

إلى الأرض ، فلمّا أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا والمسلمون يكبّرون عليهم ويصيحون بهم ، وأقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس في أمم لا يُحصَون كثْرةً ، فحصروه ، فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوّته ، فلمّا عُدِم الماء على من به من الفرنج ، وضجروا من مواصلة القتال ليلاً ونهاراً ، فتحوا باب الحصن وخرجوا ، فقُتلوا عن آخرهم ، وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة ، وكانت مدّة إقامتهم في الحصن ستّة عشر يوماً .

ولمّا رجع الفرنج مقهورين أرسل الأمير الحسن البُشرى إلى سائر البلاد ، وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثروا ، تركنا ذلك خوفَ التطويل .

ذكر استيلاء الفرنج على خَرْتَبِرْت وأخذها منهم

في هذه السنة ، في ربيع الأول ، استولى الفرنج على خَرْتَبِرْت من بلاد ديار بكر .

وسبب ذلك : أنّ بَلَك بن بَهرام بن أُرتُق كان صاحب خَرْتَبِرْتَ ، فحصر قلعة كَركر ، وهي تقارب خَرْتَبِرْتَ ، فسمع الفرنج بالشام الخبر ، فسار بغدوين ملك الفرنج في جموعه إليه ليرحله عنها ، خوفاً أن يقوى بملكها ، فلمّا سمع بَلَك بقربه منه رحل إليه ، والتقيا في صفر ، واقتتلا ، فانهزم الفرنج ، وأُسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم ، وسجنهم بقلعة خَرْتَبِرْتَ ، وكان بالقلعة أيضاً جوسلين ، صاحب الرُّها ، وغيره من مقدّمي الفرنج كان قد أسرهم سنة خمس عشرة [وخمسمائة] ، وسار بَلَك عن خَرتَبِرْتَ إلى حرّان في ربيع الأوّل فملكها ، فأعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند ، فظهروا وملكوا القلعة .

Marfat.com

فأمّا الملك بغدوين فإنّه اتّخذ الليل جملاً ومضى[1] إلى بلاده ، واتّصل الخبر بملك صاحبها ، فعاد في عساكره إليها وحصرها ، وضيّق على من بالقلعة ، واستعادها من الفرنج ، وجعل فيها من الجند من يحفظها ، وعاد عنها .

ذكر قتل وزير السلطان وعَوْد ابن صدقة إلى وزارة الخليفة

في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله .

وسبب ذلك: أنّه لمّا أشار على السلطان بالعود عن حرب الكُرْج، وخالفه، وكانت الخيرة في مخالفته ، تغيّر عليه ، وذكره أعداؤه بالسوء[2] ، ونبّهوا على تهوّره ، وقلّة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة ، فقصد رأي السلطان فيه .

ثم إنّ الشهاب أبا المحاسن ، وزير السلطان سنجَر ، كان قد توفي ، وهو ابن أخي نظام الملك ، ووزر بعده أبو طاهر القُمّيّ ، وهو علوّ الميت النظاميّ ، فسعى مع السلطان سنجَر ، حتّى أرسل إلى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك ، فصادف وصول الرسول وهو متغيّر عليه ، فقبض عليه وسلّمه إلى طغايرك ، فبعثه إلى بلده خَلْخال ، فحبسه فيها .

ثم إنّ أبا نصر المستوفي ، الملقّب بالعزيز ، قال السلطان محمود : لا نأمن أن يرسل السلطان سنجَر يطلب الوزير ، ومتى اتّصل به لا نأمن شرّاً يحدث منه . وكان بينهما عداوة ، فأمر السلطان بقتله ، فلمّا دخل عليه السيّاف ليقتله

---

١ ومضا .

٢ السوء .

قال : أمهلني حتّى أصلّي ركعتَيْن ؛ ففعل ، فلمّا صلّى جعل يرتعد ، وقال السيّاف : سيفي أجْود من سيفك ، فاقتلني به ولا تعذّبني ؛ فقُتل ثاني جمادى الآخرة . فلمّا سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته ، وأعاد جلال الدين أبا عليّ بن صدقة إلى الوزارة ، وأقام نظام الدين بالمَدْرسة التي في المدرسة النظاميّة ببغداذ .

وأمّا العزيز المستوفي فإنه لم تطُلْ أيّامه حتّى قُتل ، على ما نذكره ، جزاء لسَعْيه في قتل الوزير .

ذكر ظفر السلطان محمود بالكُرْج

في هذه السنة اشتدّت نكاية الكُرْج في بلد الإسلام ، وعظم الأمر على الناس ، لا سيّما أهل دَرْبَنْد شِروانَ ، فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم إلى السلطان ، وشكوا إليه ما يلقون منهم ، وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم ، فسار إليهم والكُرْج قد وصلوا إلى شَمَاخِي ، فنزل السلطان في بستان هناك ، وتقدّم الكُرْج إليه ، فخافهم العسكر خوفاً شديداً .

وأشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود [من] هناك ، فلمّا سمع أهل شِروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له : نحن نقاتل ما دمت[1] عندنا ، وإن تأخّرتَ عنّا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا ؛ فقبل قولهم ، وأقام بمكانه .

وبات العسكر على وجلٍ عظيم ، وهم بنيّة المصافّ ، فأتاهم الله بفرج من

---

١ مهما أنت .

Marfat.com

عنده ، وألقى بين الكُرْج وقفجاق اختلافاً وعداوة ، فاقتتلوا تلك الليلة ، ورحلوا شبه المنهزمين ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وأقام السلطان بشِروان مدّةً ، ثم عاد إلى همَذان فوصلها في جمادى الآخرة .

ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر

في هذه السنة وصل جمع كثير من لَوَاتَةَ من الغرب إلى ديار مصر ، فأفسدوا[1] فيها ونهبوها ، وعملوا أعمالاً شنيعة ، فجمع المأمون بن البطائحيّ ، الذي وزر بمصر بعد الأفضل ، عسكر مصر ، وسار إليهم فقاتلهم فهزمهم ، وأسر منهم وقتل خلقاً كثيراً ، وقرّر عليهم خرجاً معلوماً كلّ سنة يقومون به ، وعادوا إلى بلادهم ، وعاد المأمون إلى مِصر مظفّراً منصوراً .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في صفر ، أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداذ ، وأن يجبى ما يخرج عليه من البلد ، فشقّ ذلك على الناس ، وجُمع من ذلك مال كثير ، فلمّا علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر بإعادة ما أُخذ منهم ، فسُرّوا بذلك ، وكثر الدعاء له .

وقيل : إنّ الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار ، وقال : نقسّط الباقي على أرباب الدولة .

---

١ فاسدوا .

وكان أهل بغداذ يعملون بأنفسهم فيه ، وكانوا يتناوبون العمل : يعمل أهل كلّ محلّة منفردين بالطبول والزُّمُور ، وزيّنوا البلد ، وعملوا فيه القباب .

وفيها عُزل نقيب العلويّين ، وهُدمت دار عليّ بن أفلح ، وكان الخليفة يكرمه ، فظهر أنّهما عين لدُبَيْس يطالعانه بالأخبار ، وجعل الخليفة نقابة العلويّين إلى عليّ بن طِراد ، نقيب العبّاسيّين .

وفيها جمع الأمير بكك عساكره وسار إلى غزاة بالشام ، فلقيه الفرنج ، فاقتتلوا ، فانهزم الفرنج وقُتل منهم وأُسر بشر كثير من مقدّميهم ورجّالتهم .

وفيها كان في أكثر البلاد غلاء شديد ، وكان أكثره بالعراق ، فبلغ ثمن كارة الدقيق الخشكار ستّة دنانير وعشرة قراريط ، وتبع ذلك موت كثير ، وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس .

وفيها ، في صفر ، توفّي قاسم بن أبي هاشم العلويُّ الحسنيُّ أمير مكّة ، وولي بعده ابنه أبو فُلَيْتة ، وكان أعدل منه ، وأحسن السيرة ، فأسقط المكوس ، وأحسن إلى الناس .

وفيها توفّي عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبي عليّ الحدّاد الأصبهانيُّ ، ومولده سنة ثلاث وستّين وأربعمائة ، وهو من أعيان المحدّثين ، سافر الكثير في طلب الحديث .

وفيها سار طغتكين ، صاحب دمشق ، إلى حمص ، فهجم [على] المدينة ونهبها وأحرق كثيراً منها وحصرها ، وصاحبها قرجان[1] بالقلعة ، فاستمدّ صاحبها طغان أرسلان ، فسار إليه في جمع كثير ، فعاد طغتكين إلى دمشق .

وفيها لقي أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج ، فاقتتلوا ، وكان الظفر للبنادقة ، وأخذ من أسطول مصر عدّة قطع ، وعاد الباقي سالماً .

---

1) Codd. سرخان

Marfat.com

وفيها سار الأمير محمود بن قراجة ، صاحب حماة ، إلى حصن أفاميةَ ، فهجم على الربَض بغتةً ، فأصابه سهم من القلعة في يده ، فاشتدّ ألمُهُ ، فعاد إلى حماة ، وقلع الزُجَّ من يده ، ثم عملتْ عليه ، فمات منه ، واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره ؛ فلمّا سمع طغتكين ، صاحب دمشق ، الخبر سيّر إلى حماة عسكراً ، فملكها وصارت في جملة بلاده ، ورتّب فيها والياً وعسكراً لحمايتها .

Marfat.com

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وخمسمائة

ذكر قتل بكك بن بهرام بن أرتق وملك تمرتاش[1] حلب

في هذه السنة، في صفر، قبض بكك بن بهرام بن أرتُق، صاحب حلب، على الأمير حسّان البطبكيّ، صاحب منبج، وسار إليها فحصرها، فملك المدينة، وحصر القلعة، فامتنعت عليه، فسار الفرنج إليه ليرحلوه عنها لئلاّ يقوى بأخذها، فلمّا قاربوه ترك على القلعة من يحصرها، وسار في باقي عسكره إلى الفرنج، فلقيهم وقاتلهم، فكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وعاد إلى منبج فحصرها، فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله، لا يدرى من رماه، واضطرب عسكره وتفرّقوا، وخلص حسّان من الحبس، فكان حُسام الدين تمرتاش[1] بن إيلغازي بن أرتُق مع ابن عمّه بكك، فحمله مقتولاً إلى ظاهر حلب، وتسلّمها في العشرين من ربيع الأوّل من هذه السنة، وزال الحصار عن قلعة منبج، وعاد إليها صاحبها حسّان، واستقرّ تمرتاش بحلب واستولى عليها.

ثم إنّه جعل فيها نائباً له يثق به[2]، ورتّب عنده ما يحتاج إليه من جند وغيرهم وعاد إلى ماردين، لأنّه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج، وكان رجلاً يحبّ الدَّعَة والرَّفاهة، فلمّا عاد إلى ماردين أُخذت حلب منه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

---

١ تمرتاش.

٢ إليه.

Marfat.com

ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام

كانت مدينة صور للخلفاء العلويّين بمصر ، ولم تزل كذلك إلى سنة ستّ وخمسمائة ، فكان بها والٍ من جهة الأفضل أمير الجيوش ، وزير الآمر بأحكام الله العلويّ ، يلقّب عزّ الملك ، وكان الفرنج قد حصروها ، وضيّقوا عليها ، ونهبوا بلدها غير مرّةٍ ، فلمّا كانت سنة ستّ تجهّز ملك الفرنج ، وجمع عساكره ليسير إلى صور ، فخافهم أهل صور ، فأرسلوا إلى أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من عنده يتولاّهم ويحميهم ، ويكون البلد له ، وقالوا له : إن أرسلتَ إلينا والياً ، وعسكراً ، وإلاّ سلّمنا البلد إلى الفرنج ؛ فسيّر إليهم عسكراً ، وجعل عندهم والياً اسمه مسعود ، وكان شهماً ، شجاعاً ، عارفاً بالحرب ومكايدها ، وأمدّه بعسكر ، وسيّر إليهم ميرة ومالاً[1] فرّقه فيهم .

وطابت نفوس أهل البلد ، ولم تُغيّر الخطبة للآمر ، صاحب مصر ، ولا السكّة ، وكتب إلى الأفضل بمصر يعرّفه صورة الحال ، ويقول : متى وصل إليها من مصر من يتولاّها ، ويذبّ عنها ، سلّمتُها إليه ؛ ويطلب أنّ الأسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوّة . فشكره الأفضل على ذلك ، وأثنى عليه ، وصوّب رأيه فيما فعله ، وجهّز أسطولاً ، وسيّره إلى صور ، فاستقامت أحوال أهلها . ولم يزل كذلك إلى سنة ستّ عشرة ، بعد قَتْل الأفضل ، فسُيّر إليها أسطول ، على جاري العادة ، وأمروا المقدّم على الأسطول أن يعمل الحيلة على الأمير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ، ويقبض عليه ، ويتسلّم البلد منه .

وكان السبب في ذلك : أنّ أهل صور أكثروا الشكوى منه إلى الآمر بأحكام

---

١ وملاً .

الله ، صاحب مصر ، بما يعتمده من مخالفتهم ، والإضرار بهم ، ففعلوا ذلك ، وسار الأسطول فأرسى[1] عند صور ، فخرج مسعود إليه للسلام على المقدّم عليه، فلمّا صعد إلى المركب الذي فيه المقدّم اعتقله ، ونزل البلد ، واستولى عليه ، وعاد الأسطول إلى مصر ، وفيه الأمير مسعود ، فأكرم وأحسن إليه ، وأعيد إلى دمشق .

وأمّا الوالي من قِبَل المصريّين فإنّه طيّب قلوب الناس ، وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد ، وأنّ سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود ، فأحسن طغتكين الجواب ، وبذل من نفسه المساعدة .

ولمّا سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها ، وحدّثوا نفوسهم بملكها ، وشرعوا في الجمع والتأهّب للنزول عليها وحَصْرها ، فسمع الوالي بها للمصريّين الخبر ، فعلم أنّه لا قوّة له ، ولا طاقة على دفع الفرنج عنها ، لقلّة من بها من الجند والميرة ، فأرسل إلى الآمر بذلك ، فرأى أن يردّ ولاية صور إلى طغتكين ، صاحب دمشق ، فأرسل إليه بذلك ، فملك صور ، ورتّب بها من الجند وغيرهم ما ظنّ فيه كفاية .

وسار الفرنج إليهم ونازلوهم في ربيع الأوّل من هذه السنة ، وضيّقوا عليهم ، ولازموا القتال ، فقلّت الأقوات ، وسئم من بها القتال ، وضعفت نفوسهم ، وسار طغتكين إلى بانياس ليقرب منهم ، ويذبّ عن البلد ، ولعلّ الفرنج إذا رأوا قربه منهم رحلوا ، فلم يتحرّكوا ، ولزموا الحصار ، فأرسل طغتكين إلى مصر يستنجدهم ، فلم ينجدوه ، وتمادت الأيّام ، وأشرف أهلها على الهلاك ، فراسل حينئذ طغتكين ، صاحب دمشق ، وقرّر الأمر على أن يسلّم المدينة إليهم ، ويمكّنوا من بها من الجند والرعيّة من الخروج

---

١ فارسا .

Marfat.com

منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها ، فاستقرّت القاعدة على ذلك ، وفُتحت أبواب البلد ، وملكه الفرنج ، وفارقه أهلُه ، وتفرّقوا في البلاد ، وحملوا ما أطاقوا ، وتركوا ما عجزوا عنه ، ولم يعرض الفرنج لأحد منهم ، ولم يبق إلاّ الضعيف عجز عن الحركة .

وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جُمادى الأولى من السنة ، وكان فتحه وهناً عظيماً على المسلمين ، فإنّه من أحصن البلاد وأمنعها ، فالله يعيده إلى الإسلام ، ويقرّ أعين المسلمين بفتحه ، بمحمّد وآله .

ذكر عزل البُرسقيّ عن شحنكيّة العراق وولاية يرنقش الزكويّ

في هذه السنة عُزل البرسقيُّ عن شحنكيّة العراق ، ووليها سعد الدولة يرنقش الزكويّ .

وسبب ذلك : أنّ البرسقيَّ نفر عنه المسترشد بالله ، فأرسل إلى السلطان محمود يلتمس منه أن يعزل البرسقيَّ عن العراق ويعيده إلى الموصل ، فأجابه السلطان إلى ذلك ، وأرسل إلى البرسقيّ يأمره بالعود إلى الموصِل ، والاشتغال بجهاد الفرنج ، فلمّا علم البرسقيّ الخبر شرع في جباية الأموال ، ووصل نائب يرنقش ، فسلّم إليه البرسقيُّ الأمر ، وأرسل السلطان ولداً له صغيراً مع أمّه إلى البرسقيّ ليكون عنده ، فلمّا وصل الصغير إلى العراق خرجت العساكر والمواكب إلى لقائه ، وحُملت له الإقامات ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، وتسلّمه البرسقيُّ ، وسار إلى الموصل ، وهو ووالدته معه .

ولمّا سار البرسقيُّ إلى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقَر بالبصرة قد سيّره البرسقيُّ إليها ليحميها ، فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ، ولم يزل

Marfat.com

يقصد العرب ويقاتلهم في حِللهم ، حتّى أبعدوا إلى البرّ ، فأرسل إليه البرسقيُّ يأمره باللحاق به ، فقال لأصحابه : قد ضجرنا ممّا نحن فيه : كلّ يوم للموصل أمير جديد ، ونريد نخدمه ، وقد رأيتُ أن أسير إلى السلطان فأكون معه ؛ فأشاروا عليه بذلك ، فسار إليه ، فقدم عليه بأصبهان فأكرمه ، وأقطعه البصرة وأعاده إليها .

ذكر ملك البُرسقيّ مدينة حلب

في هذه السنة ، في ذي الحجّة ، ملك آقسنقَر البرسقيُّ مدينة حلب وقلعتها .

وسبب ذلك : أنّ الفرنج لمّا ملكوا مدينة صور ، على ما ذكرناه ، طمعوا ، وقويت نفوسهم ، وتيقّنوا الاستيلاء على بلاد الشام ، واستكثروا من الجموع ، ثم وصل إليهم دُبَيْس بن صدقة ، صاحب الحِلّة ، فأطمعهم طمعاً ثانياً ، لا سيّما في حلب ، وقال لهم : إنّ أهلها شيعة ، وهم يميلون إليّ لأجل المذهب ، فمتى رأوني سلّموا البلد إليّ . وبذل لهم على مساعدته بذولاً كثيرة ، وقال : إنّني أكون هاهنا نائباً عنكم ومطيعاً لكم . فساروا معه إليها وحصروها ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، ووطّنوا نفوسهم على المقام الطويل ، وأنّهم لا يفارقونها حتّى يملكوها ، وبنوا البيوت لأجل البرد والحرّ .

فلمّا رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم ، وخافوا الهلاك ، وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز ، وقلّت الأقوات عندهم ، فلمّا رأوا ما دُفِعوا إليه من هذه الأسباب ، أعملوا الرأي في طريق يتخلّصون به ، فرأوا أنّه ليس لهم غير البرسقيّ ، صاحب الموصل ، فأرسلوا[1] إليه يستنجدونه ويسألونه

---

١ فأرسل .

Marfat.com

المجيء إليهم ليسلّموا البلد إليه . فجمع عساكره وقصدهم ، وأرسل إلى من بالبلد ، وهو في الطريق ، يقول : إنّني لا أقدر على الوصول إليكم ، والفرنج يقاتلونكم ، إلاّ إذا سلّمتم القلعة إلى نوّابي ، وصار أصحابي فيها ، فإنّني لا أدري ما يقدّره الله تعالى إذا أنا لقيتُ الفرنج ، فإن انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابي حتّى أحتمي أنا وعسكري بها ، لم يبق منّا أحد ، وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها .

فأجابوه إلى ذلك ، وسلّموا القلعة إلى نوّابه ، فلمّا استقرّوا فيها ، واستولوا عليها ، سار في العساكر التي معه ، فلمّا أشرف عليها رحل الفرنج عنها ، وهو يراهم ، فأراد من في مقدّمة عسكره أن يحمل عليهم ، فمنعهم هو بنفسه ، وقال : قد كُفينا شرّهم ، وحفظنا بلدنا منهم ، والمصلحة تَرْكُهم حتّى يتقرّر أمر حلب ونصلح حالها ونكثّر ذخائرها ، ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم . فلمّا رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه ، وفرحوا به ، وأقام عندهم حتّى أصلح الأمور وقرّرها .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطعت الأمطار في العراق ، والموصل ، وديار الجزيرة ، والشام ، وديار بكر ، وكثير من البلاد ، فقلّت الأقوات ، وغلت الأسعار في جميع البلاد ، ودام إلى سنة تسع عشرة [وخمسمائة] .

وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دُبَيْس إلى بغداذ تحت الاستظهار ، فمرض بها ، فأحضر الخليفة الأطبّاء وأمرهم بمعالجته ، وأحضره عنده ، وجُعل في حجرة ، وأدخل أصحابه إليه .

Marfat.com

وفيها سار دُبَيْس من الشام ، بعد رحيله عن حلب ، وقصد الملك طغرل ، فأغراه بالخليفة ، وأطمعه في العراق ، وكان ما نذكره سنة تسع عشرة إن شاء الله تعالى .

وفيها مات الحسن بن الصبّاح ، مقدّم الإسماعيليّة ، صاحب ألَمُوتَ ، وقد تقدّم من أخباره ما يُعلم به محله من الشجاعة والرأي والتجربة .

وفيها أيضاً توفّي داود ملك الأبخَازِ ، وشمس الدولة بن نجم الدين إيلغازي .

وفيها ثار أهل آمِد بمَن فيها من الإسماعيليّة ، وكانوا قد كثُروا ، فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل ، فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة .

وفيها ، في صفر ، توفّي محمّد بن مرزوق بن عبد الرزّاق الزعفرانيُّ ، وهو من أصحاب الخطيب البغداذيّ .

وفيها توفّي أحمد بن عليّ بن برهان أبو الفتح ، الفقيه المعروف بابن الحمّاميّ لأنّ أباه كان حمّاميّاً ، وكان حنبليّاً ، تفقّه على ابن عُقيل ، ثم صار شافعيّاً ، وتفقّه على الغزاليّ والشاشيّ .

Marfat.com

٥١٩

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

ذكر وصول الملك طغرل ودُبَيْس
ابن صدقة إلى العراق وعودهما عنه

قد ذكرنا مسير دُبَيْس بن صدقة إلى الملك طغرل من الشام ، فلمّا وصل إليه لقيه ، وأكرمه ، وأحسن إليه ، وجعله من أعيان خواصّه وأمرائه ، فحسّن له دُبَيْس قَصْد العراق ، وهوّن أمره عليه ، وضمن له أنّه يملكه ، فسار معه إلى العراق ، فوصلوا دَقُوقَا في عساكر كثيرة . فكتب مجاهد الدين بيروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما ، فتجهّز للمسير ومَنْعهما ، وأمر يرقش الزكويّ ، شِحنة العراق ، أن يكون مستعدّاً للحرب ، وجمع العساكر ، والأمراء البكجيّة ، وغيرهم ، فبلغت عدّة العساكر اثني عشر ألفاً سوى الرجّالة ، وأهل بغداذ ، وفرّق السلاح .

وبرز خامس صفر وبين يديْه أرباب الدولة رجّالة ، وخرج من باب النصر ، وكان قد أمر بفتحه تلك الأيّام ، وسمّاه باب النصر ، ونزل صحراء الشمّاسيّة ، ونزل يرقش عند الستّي ، ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر .

فلمّا سمع طغرل بخروج الخليفة عدل إلى طريق خُرَاسان ، وتفرّق أصحابه في النهب والفساد ، ونزل هُوَ رباط جكولاء ، فسار إليه الوزير جلال الدين ابن صدقة في عسكر كثير ، فنزل الدسكرة ، وتوجّه طغرل ودُبَيْس إلى المارونيّة وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير ، واستقرّ الأمر بين

Marfat.com

دُبَيْس وطغرل أن يسيرا حتى يعبرا دَيَالَى وتامرّا ، ويقطعا جسر النّهروان ، ويقيم دُبَيْس ليحفظ المعابر ، ويتقدّم طغرل إلى بغداذ فيملكها وينهبها ، فسارا على هذه القاعدة ، فعبرا تامرّا ، ونزل طغرل بينه وبين دَيَالى .

وسار دُبَيْس على أن يلحقه طغرل ، فقدّر الله تعالى أنّ الملك طغرل لحقه حمّى شديدة ، ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله ، وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدّسكرة ، وسار دُبَيْس في مائتَيْ فارس ، وقصد معبرة النّهروان وهو تَعبان سهران ، وقد لقي هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم ، وليس معهم ما يأكلون ، ظنّاً منهم أن طغرل وأصحابه يلحقونهم ، فأخّروا كما ذكرناه ، فنزلوا جياعاً قد نالهم البرد ، وإذا قد طلع عليهم ثلاثون جملاً تحمل الثياب الملخيطة ، والعمائم ، والأقبية ، والقلانس ، وغيرها من الملبوس ، وتحمل أيضاً أنواع الأطعمة المصنوعة ، قد حُملت من بغداذ إلى الخليفة ، فأخذ دُبَيْس الجميع ، فلبسوا الثياب الجُدد ، ونزعوا الثياب الندية ، وأكلوا الطعام ، وناموا في الشمس مما نالهم تلك الليلة .

وبلغ الخبر أهل بغداذ، فلبسوا السلاح، وبقوا يحرسون الليل والنهار[1]، ووصل الخبر إلى الخليفة والعسكر الذين معه أنّ دُبَيْساً قد ملك بغداذ ، فرحل من الدّسكرة ، ووقعت الهزيمة على العسكر إلى النّهروان ، وتركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت إليها أحد ، ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمّى الملك طغرل وتأخّره لكان قد هلك العسكر ، والخليفة أيضاً ، وأخذوا ، وكانت السواقي مملوءة بالوحل والماء من السيل ، فتمزّقوا ، ولو لحقهم مائة فارس لملكوا .

ووصلت رايات الخليفة ودُبَيْس وأصحابه نيام ، وتقدّم الخليفة ،

---

١ والنها .

وأشرف على دَيَالَى ، ودُبَيْس نازل غرب النَّهروان ، والجسر ممدود شرق النهروان ، فلمّا أبصر دُبَيْس شمسة الخليفة قبّل الأرض بين يدَي الخليفة وقال : أنا العبد المطرود ، فليعفُ أمير المؤمنين عن عبده . فرقّ الخليفة له ، وهمّ بصلحه ، حتّى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه ، وركب دُبَيْس ، ووقف بإزاء عسكر يرنقش الزكويّ يحادثهم ويتماجن معهم ، ثم أمر الوزير الرجّالة فعبروا ليمدّوا الجسر آخر النهار ، فسار حينئذ دُبَيْس عائداً إلى الملك طغرل ، وسيّر الخليفة عسكراً مع الوزير في أثره ، وعاد إلى بغداذ فدخلها ، وكانت غيبته خمسة وعشرين يوماً .

ثم إنّ الملك طغرل ودُبَيْساً عادا وسارا إلى السلطان سنجَر ، فاجتازا بهمَذان ، فقسّطا على أهلها مالاً كثيراً ، وأخذاه وغابا في تلك الأعمال ، فبلغ خبرهم السلطان محموداً ، فجدّ السير إليهم ، فانهزموا من بين يدَيْه ، وتبعتهم العساكر ، فدخلوا خراسان إلى السلطان سنجَر ، وشكوا إليه من الخليفة ويرنقش الزكويّ .

ذكر فتح البُرسقيّ كفرطاب وانهزامه من الفرنج

في هذه السنة جمع البرسقيُّ عساكره وسار إلى الشام ، وقصد كفرطابَ وحصرها ، فملكها من الفرنج ، وسار إلى قلعة عزَازَ ، وهي من أعمال حلب من جهة الشمال ، وصاحبها جوسلين ، فحصرها ، فاجتمعت الفرنج ، فارسها وراجلها ، وقصدوه ليرحّلوه عنها ، فلقيهم وضرب معهم مصافّاً ، واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا كلّهم فيه ، فانهزم المسلمون وقُتل منهم وأسر كثير .

وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين ، وعاد منهزماً إلى حلب ،

Marfat.com

فخلّف بها ابنَهُ مسعوداً ، وعبر الفرات إلى الموصِل ليجمع العساكر ويعاود القتال ، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل المأمون بن البطائحيّ

في هذه السنة ، في رمضان ، قبض الآمر بأحكام الله العلويُّ ، صاحب مصر ، على وزيره أبي عبد الله بن البطائحيّ ، الملقّب بالمأمون ، وصلبه وإخوته .

وكان ابتداء أمره أنّ أباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق ، فمات ولم يخلّف شيئاً ، فتزوّجت أمّه وتركته فقيراً ، فاتّصل بإنسان يتعلّم البناء بمصر ، ثم صار يحمل الأمتعة بالسوق الكبير ، فدخل مع الحمّالين إلى دار الأفضل أمير الجيوش ، مرّة بعد أخرى ، فرآه الأفضل خفيفاً رشيقاً ، حسن الحركة ، حلو الكلام ، فأعجبه ، فسأل عنه ، فقيل هو ابن فلان ، فاستخدمه مع الفرّاشين ، ثم تقدّم عنده ، وكبرت[1] منزلته ، وعلت حالته ، حتّى صار وزيراً .

وكان كريماً ، واسع الصدر ، قتّالاً ، سفّاكاً للدماء ، وكان شديد التحرّز ، كثير التطلّع إلى أحوال الناس من العامّة والخاصّة من سائر البلاد : مصر ، والشام ، والعراق ، وكثر الغمّازون في أيّامه .

وأمّا سبب قتله فإنّه كان قد أرسل الأمير جعفراً[2] أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة ، وتقرّرت القاعدة بينهما على ذلك ، فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة ، وكان خصيصاً بالآمر ، قريباً منه ، وقد ناله من الوزير أذًى واطّراح ،

---

١ وكثرت .

٢ جعفر .

Marfat.com

فحضر عند الآمر وأعلمه الحال ، فقبض عليه وصلبه ؛ وهذا جزاء من قابل الإحسان بالإساءة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي شمس الدولة سالم بن مالك ، صاحب قلعة جَعْبَر ، وتُعرف قديماً بقلعة دُوس .

وفيها قُتل القاضي أبو سعد محمّد بن نصر بن منصور الهرويُّ بهمذان ، قتله الباطنيّة ، وكان قد مضى[1] إلى خراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجَر ، فعاد فقُتل ، وكان ذا مروءة غزيرة ، وتقدُّم كثير في الدولة السلجوقيّة .

وفي هذه السنة توفّي هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد ، وهو من ولد بلال بن رباح ، مؤذّن رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وكنيته أبو سعد ، طاف البلاد ، وسمع وقرأ القرآن ، وكان موتُه بسَمَرْقَنْدَ .

---

١ مضا .

Marfat.com

٥٢٠

ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة

ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالأندلس

في هذه السنة عظم شأن ابن رُدمير الفرنجيّ بالأندلس ، واستطال على المسلمين ، فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج ، وجاس في بلاد الإسلام ، وخاضها ، حتّى وصل إلى قريب قُرْطُبَةَ ، وأكثر النهب والسبي والقتل ، فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحدّ في الكثرة ، وقصدوه ، فلم يكن له بهم طاقة ، فتحصّن منهم في حصن منيع له اسمه أرنيسول[1] ، فحصروه ، وكبسهم ليلاً ، فانهزم المسلمون ، وكثر القتل فيهم ، وعاد إلى بلاده .

ذكر قصد بلاد الإسماعيليّة بخراسان

في هذه السنة أمر الوزير المختصّ أبو نصر أحمد بن الفضل ، وزير السلطان سنجر ، بغزو الباطنيّة ، وقتلهم أين كانوا ، وحيثما ظُفر بهم ، ونَهْب أموالهم ، وسبي حريمهم ، وجهّز جيشاً إلى طُرَيْثِيث ، وهي لهم ، وجيشاً إلى بَيْهَقَ من أعمال نيسابور ، وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز[2] ، ومقدّمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين .

---

1) Bodl. أزنول ; C. P. أرنسول .

2) C. P. طرر ; Bodl. طور .

Marfat.com

وسيّر إلى كلّ طرف من أعمالهم جمعاً من الجند ، ووصّاهم أن يقتلوا من لقوه منهم ، فقصد كلّ طائفة إلى الجهة التي سُيّرتْ إليها . فأمّا القرية التي بأعمال بَيهَق فقصدها العسكر ، فقتلوا كلّ من بها ، وهرب مقدّمهم ، وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك ؛ وكذلك العسكر المنفذ إلى طُرَيْثِيثَ قتلوا من أهلها فأكثروا ، وغنموا من أموالهم وعادوا .

ذكر ملك الإسماعيليّة قلعة بانياس

في هذه السنة عظم أمر الإسماعيليّة بالشام ، وقويت شوكتهم ، وملكوا بانياس في ذي القعدة منها .

وسبب ذلك أنّ بهرام ابن اخت الأسداباذيّ ، لمّا قُتل خاله ببغداذ ، كما ذكرناه ، هرب إلى الشام ، وصار داعي الإسماعيليّة فيه ؛ وكان يتردّد في البلاد ، ويدعو أوباش الناس وطغامهم إلى مذهبه ، فاستجاب له منهم مَن لا عقل له ، فكثر جمعه ، إلاّ أنّه يخفي شخصه فلا يُعرف ، وأقام بحلب مُدّةً ، ونَفَر إلى[1] إيلغازي صاحبها .

وأراد إيلغازي أن يعتضد به لاتقاء الناس شرّه وشرّ أصحابه ، لأنّهم كانوا يقتلون كلّ من خالفهم ، وقصد من يتمسّك بهم ؛ وأشار إيلغازي على طغتكين ، صاحب دمشق ، بأن يجعله عنده لهذا السبب ، فقبل رأيه ، وأخذه إليه ، فأظهر حينئذ شخصه ، وأعلن دعوته ، فكثر أتباعه من كلّ من يريد الشرّ والفساد ، وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانيّ قصداً للاعتضاد به على ما يريد ، فعظم شرّه واستفحل أمره ، وصار أتباعه أضعاف ما كانوا ، فلولا

---

١ وثق على .

Marfat.com

أنّ عامّة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السُّنّة ، وأنّهم يشدّدون[1] عليه فيما ذهب إليه لملك البلد .

ثم إنّ بهرام رأى من أهل دمشق فَظاظة وغلظة عليه ، فخاف عاديتهم ، فطلب من طغتكين حصناً يأوِي إليه هو ومن اتبعه ، فأشار الوزير بتسليم قلعة بانياس إليه ، فسُلّمتْ إليه ، فلمّا سار إليها اجتمع إليه أصحابه من كلّ ناحية ، فعظم حينئذ خطبه ، وجلّت المحنة بظهوره ، واشتدّ الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين ، لا سيّما أهل السُّنّة والسِّتر والسلامة ، إلاّ أنّهم لا يقدرون على أن ينطقوا بحرفٍ واحدٍ ، خوفاً من سلطانهم أوّلاً ، ومن شرّ الإسماعيليّة ثانياً ، فلم يقدم أحدٌ على إنكار هذه الحال ، فانتظروا بهم الدوائر .

ذكر قتل البُرسقيّ وملك ابنه عزّ الدين مسعود

في هذه السنة ، ثامن ذي القعدة ، قُتل قسيم الدولة آقسنقَر البرسقيُّ ، صاحب الموصِل ، بمدينة الموصِل ، قتلته الباطنيّة يوم جمعة بالجامع ، وكان يصلّي الجمعة مع العامّة ، وكان قد رأى تلك الليلة في منامه أنّ عدّة من الكلاب ثارت به ، فقتل بعضها ، ونال منه الباقي ما آذاه ، فقصّ رؤياه على أصحابه ، فأشاروا عليه بتَرك الخروج من داره عدّة أيّام ، فقال : لا أترك الجمعة لشيء أبداً ؛ فغلبوا على رأيه ، ومنعوه من قصد الجمعة ، فعزم على ذلك ، فأخذ المُصحف يقرأ فيه ، فأوّل ما رأى: ﴿وكَانَ أمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[1] ؛ فركب إلى الجامع على عادته ، وكان يصلّي في الصفّ الأوّل ، فوثب عليه بضعة

---

1) Cor. 33, vs. 38.

---

١ يشدّدوا .

Marfat.com

عشر نفساً عدّة الكلاب التي رآها ، فجرحوه بالسكاكين ، فجرح هو بيده منهم ثلاثة ، وقُتل رحمه الله .

وكان مملوكاً تركيّاً ، خيّراً ، يحبّ أهل العلم والصالحين ، ويرى[1] العدل ويفعله ، وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات في أوقاتها ، ويصلّي من الليل متهجّداً .

حكى لي والدي ، رحمه الله ، عن بعض من كان يخدمه قال : كنتُ فرّاشاً معه ، فكان يصلّي كلّ ليلة كثيراً ، وكان يتوضّأ هو بنفسه ، ولا يستعين بأحد ، ولقد رأيتُه في بعض ليالي الشتاء بالموصِل ، وقد قام من فراشه ، وعليه فرجيّة صغيرة وبر ، وبيده إبريق ، فمشى[2] نحو دجلة ليأخذ ماء ، فمنعني البرد من القيام ، ثم إنّني خفتُهُ ، فقمتُ إلى بين يدَيْه لآخذ الإبريق منه ، فمنعني وقال : يا مِسكين ! ارجع إلى مكانك ، فإنّه برد ؛ فاجتهدتُ لآخذ الإبريق ، فلم يعطني ، وردّني إلى مكاني ثم توضّأ وقام يصلّي .

ولمّا قُتل كان ابنه عزّ الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج ، فأرسل إليه أصحاب أبيه بالخبر ، فسار إلى الموصِل ودخلها أوّل ذي الحجّة ، وأحسن إلى أصحاب أبيه بها ، وأقرّ وزيره المؤيّدَ أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزّاق على وزارته ، وأطاعه الأمراء والأجناد ، وانحدر إلى خدمة السلطان محمود ، فأحسن إليه وأعاده ، ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه .

ووقع البحث عن حال الباطنيّة ، والاستقصاء عن أخبارهم ، فقيل إنّهم كانوا يجلسون إلى إسكافٍ بدرب إيليا ، فأُحضر ووُعد الإحسان إن أقرّ ، فلم يقرّ ، فهُدّد بالقتل ، فقال : إنّهم وردوا من سنين لقتله ، فلم يتمكّنوا منه إلى

---

١ درى .

٢ فمشا .

الآن ؛ فقُطعت يداه ورجلاه وذكرُهُ ، ورُجم بالحجارة فمات .

ومن العجب أنّ صاحب أنطاكية أرسل إلى عزّ الدين بن البُرسقيّ يخبره بقتل والده قبل أن يصل إليه الخبر ، وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدّة عنايتهم[1] بمعرفة الأحوال الإسلاميّة .

ولمّا استقرّ عزّ الدين في الولاية قبض على الأمير بابكر بن ميكائيل ، وهو من أكابر الأمراء ، وطلب منه أن يسلّم ابن أخيه قلعة إربل إلى الأمير فضل وأبي عليّ ، ابنَيْ أبي الهيجاء ، وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة [وخمسمائة] ، فراسل ابن أخيه ، فسلّم إربل إلى المذكورَيْن .

ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود

كان قد جرى بين يرنقش الزكويّ ، شِحنة بغداذ ، وبين نوّاب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدّده الخليفة فيها ، فخافه على نفسه ، فسار عن بغداذ إلى السلطان محمود في رجب من هذه السنة ، وشكا إليه ، وحذّره جانب الخليفة ، وأعلمه أنّه قد قاد العساكر ، ولقي الحروب ، وقويت نفسه ، ومتى لم تعاجلْه بقصد العراق ودخول بغداذ ، ازداد قوّةً وجمعاً[2] ، ومنعه عنه ، وحينئذ يتعذّر عليه ما هو الآن بيده .

فتوجّه السلطان نحو العراق ، فأرسل إليه الخليفة يعرّفه ما هي البلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن ، بسبب دُبَيْس ، وإفساد عسكره فيها ، وأنّ الغلاء قد اشتدّ بالناس لعدم الغلاّت والأقوات ، لهرب الأكرة عن بلادهم ، ويطلب

---

١ عنايته .

٢ وجمعاً .

Marfat.com

سه ان يتأخّر هذه الدفعة إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها ، فلا مانع له عنها ؛ وبذل له على ذلك مالاً كثيراً .

فلمّا سمع السلطان هذه الرسالة قوي عنده ما قرّره الزكويُّ، وأبى أن يجيب إلى التأخّر ، وصمّم العزم وسار إليها مجدّاً . فلمّا بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحُرَمه ومَنْ عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربيّ في ذي القعدة ، مُظهراً للغضب والانتزاح عن بغداذ إنْ قصدها السلطان ، فلمّا خرج من داره بكى[1] الناس جميعهم بكاء عظيماً لم يشاهد مثله . فلمّا علم السلطان ذلك اشتدّ عليه ، وبلغ منه كلّ مبلغ ، فأرسل يستعطف الخليفة ، ويسأله العود إلى داره ، فأعاد الجواب أنّه لا بدّ من عودك هذه الدفعة ، فإن الناس هلكى بشدّة الغلاء ، وخراب البلاد ، وأنّه لا يرى في دينه أن يزداد ما بهم ، وهو يشاهدهم ، فإن عاد السلطان ، وإلاّ رحل هو عن العراق لئلاّ يشاهد ما يلقى الناسُ بمجيء العساكر .

فغضب السلطان لقوله ، ورحل نحو بغداذ ، وأقام الخليفة بالجانب الغربيّ ، فلمّا حضر عيد الأضحى خطب الناسَ ، وصلّى بهم ، فبكى الناس لخطبته ، وأرسل عفيفاً الخادم ، وهو من خواصّه ، في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نوّاب السلطان ، فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن آقسنقَر ، وكان له حينئذ البصرة ، وقد فارق البرسقيَّ ، واتصل بالسلطان ، فأقطعه البصرة .

فلمّا وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين ، فنزل بالجانب الشرقيّ ، وكان عفيف بالجانب الغربيّ ، فأرسل إليه عماد الدين يحذّره القتال ، ويأمره بالانتزاح عنها ، فأبى[2] ولم يفعل ، فعبر إليه عماد الدين ، واقتتلوا ، فانهزم

---

١ بكا .

٢ فأبا .

Marfat.com

عسكر عفيف ، وقُتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر مثلهم ، وتغافل عن عفيف حتّى نجا لمودّة كانت بينهما .

ثم إنّ الخليفة جمع السفن جميعها إليه ، وسدّ أبواب دار الخلافة سوى باب النُّوبيّ ، وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ، ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقيّ سواه .

ووصل السلطان إلى بغداذ في العشرين من ذي الحجّة ، ونزل بباب الشمّاسيّة ، ودخل بعض عسكره إلى بغداذ ونزلوا في دور الناس ، فشكا الناس ذلك إلى السلطان ، فأمر بإخراجهم ، وبقي فيها من له دار ، وبقي السلطان يراسل الخليفة بالعود ، ويطلب الصُّلح ، وهو يمتنع .

وكان يجري بين العسكرَيْن مناوشة ، والعامّة من الجانب الغربيّ يسبّون السلطان أفحش سبٍّ . ثم إنّ جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ، ونهبوا التاج ، وحجر الخليفة ، أوّل المحرّم سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة] ، وضجّ أهلُ بغداذ من ذلك ، فاجتمعوا ونادوا الغزاة ، فأقبلوا من كلّ ناحية ، ولمّا رآهم الخليفة خرج من السُّرادق والشمسة على رأسه ، والوزير بين يدَيْه ، وأمر بضرب الكوسات والبوقات ، ونادى بأعلى صوته : يا آل هاشم ! وأمر بتقديم السفن ، ونصب الجسر وعبر الناس دفعةً واحدةً ، وكان له في الدار ألف رجل مختفين في السراديب ، فظهروا ، وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب ، فأُسر منهم جماعة من الأمراء ، ونهب العامّة دار وزير السلطان ، ودور جماعة من الأمراء ، ودار عزيز الدين المستوفي ، ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب ، وقُتل منهم خلق كثير في الدروب .

ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقيّ ، ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداذ والسواد ، وأمر بحفر الخنادق ، فحُفرت بالليل ، وحفظوا بغداذ من عسكر السلطان ، ووقع الغلاء عند العسكر ، واشتدّ الأمر عليهم ، وكان القتال كلّ

Marfat.com

يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة، وعزم عسكر الخليفة على أن يكبسوا عسكر السلطان، فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردي، صاحب إربل، وخرج كأنه يريد القتال، فالتحق هو وعسكره بالسلطان..

وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه، ومعه المقاتلة في السفن، وعلى الدواب في البر، فجمع كل سفينة في البصرة إلى بغداد، وشحنها بالرجال المقاتلة، وأكثر من السلاح، وأصعد، فلما قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح، وإظهار ما عندهم من الجلد والنهضة، فسارت السفن في الماء، والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملأوا الأرض برا وبحرا، فرأى الناس منظرا عجيبا، كبر في أعينهم، وملأ صدورهم، وركب السلطان والعسكر إلى لقائهم، فنظروا إلى ما [لم] يروا مثله، وعظم عماد الدين في أعينهم، وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد في ذلك في البر والماء.. فلما رأى الإمام المسترشد بالله الأمر على هذه الصورة، وخروج الأمير أبي الهيجاء من عنده، أجاب إلى الصلح، وترددت الرسل بينهما، فاصطلحا، واعتذر السلطان مما جرى، وكان حليما يسمع سبه بأذنه فلا يعاقب عليه، وعفا عن أهل بغداد جميعهم..

وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان بإحراق بغداد، فلم يفعل، وقال: لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا.. وأقام ببغداد إلى رابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة]، وحمل الخليفة من المال إليه كل ما استقرت القاعدة عليه، وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك، فمرض السلطان ببغداد، فأشار عليه الأطباء بمفارقتها، فرحل إلى همذان، فلما وصلها عوفي..

ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا إلى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصفّر عند قرية يقال لها شقحبا بالقرب من دمشق فعظم الأمر على المسلمين واشتد خوفهم، وكاتب طغتكين أتابك صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق إلى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فتكفل بها، كلما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم وسيّرهم إلى أبيه، فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين إلى الفرنج فالتقوا أواخر ذي الحجة واقتتلوا، واشتد القتال، فسقط طغتكين عن فرسه، فظن أصحابه أنه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقي التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين في الهزيمة فتخلفوا، فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وأن معسكرهم ورجالهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم إلا الشريد، ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم ومن جملته كنيسة وفيها من الذهب والجواهر ما لا يقوّم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا إلى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد .. ولما رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجالهم قتلى وأموالهم منهوبة عادوا منهزمين لا يلوي الأخ على أخيه وكان هذا من الغريب أن طائفتين تنهزمان[1] كل واحدة منهما من صاحبتها ..

---

[1] ينهزمان ..

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حصر الفرنج رَفَنيّة من أرض الشام ، وهي بيد المسلمين ، وضيّقوا عليها فملكوها .

وفيها توفّي أبو الفتح أحمد بن محمّد بن محمّد الغزاليّ ، الواعظ ، وهو أخو الإمام أبي حامد محمّد ، وقد ذمّه أبو الفرج بن الجوزيّ بأشياء كثيرة منها : روايته في وعظه الأحاديث التي ليست له بصحيحة ، والعجب أنّه يقدح فيه بهذا ، وتصانيفه هو ووعظه محشوّ به ، مَمْلُوءٌ[1] منه ، نسأل الله أن يعيذنا من الوقيعة في الناس ، ثم يا ليت شعري أما كان للغزاليّ حسنة تُذكر مع ما ذكر من المساوىء التي نسبها إليه لئلاّ يُنسب إلى الهوى والغرض ؟

---

١ مملوّ .

Marfat.com

٥٢١

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

ذكر ولاية الشهيد أتابك زنكي شحنكيّة العراق

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، أسند السلطان محمود شحنكيّة العراق إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقَر .

وكان سبب ذلك : أنّ عماد الدين لمّا أصعد من واسط في التجمّل والجمع الذي ذكرناه ، وقام في حفظ واسط والبصرة وتلك النواحي القيام الذي عجز غيره عنه ، عظم في صدر السلطان وصدور أمرائه ، فلمّا عزم السلطان على المسير عن بغداذ نظر فيمن يصلح أن يلي شحنكيّة العراق ويأمن معه من الخليفة ، فاعتبر أمراءه ، وأعيان دولته ، فلم ير فيهم من يقوم في هذا الأمر مقام عماد الدين ، فاستشار في ذلك ، فكلٌّ أشار به ، وقالوا : لا نقدر على رقع هذا[1] الخرق ، وإعادة ناموس هذه الولاية ، ولا تَقْوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكي . فوافق ما عنده ، فأسند إليه الولاية وفوضها [إليه] مضافة[2] إلى ما له من الأقطاع ، وسار عن بغداذ وقد اطمأنّ قلبه من جهة العراق ، فكان الأمر كما ظنّ .

---

١ بهذا .

٢ مضافاً .

Marfat.com

ذكر عود السلطان عن بغداذ ووزارة أنوشروان بن خالد

في هذه السنة ، في عاشر ربيع الآخر ، سار السلطان محمود عن بغداذ ، بعد تقرير القواعد بها ، ولمّا عزم على المسير حمل إليه الخليفة الخِلَع ، والنوابّ الكثيرة ، فقبل ذلك جميعه وسار .

ولمّا أبعد عن بغداذ قبض على وزيره أبي القاسم عليّ بن القاسم الأنسباذيّ في رجب ، لأنّه اتّهمه بمالأة المسترشد بالله لقيامه في أمره وإتمام الصُّلح مقاماً ظهر أثره ، فسعى به أعداؤه ، فلمّا قبض عليه أرسل السلطان إلى بغداذ فأحضر شرف الدين أنوشِروان بن خالد ، وكان مُقيماً بها ، فلمّا علم بذلك جاءته الهدايا من كلّ أحد ، حتّى من الخليفة ، وسار عن بغداذ خامس شعبان ، فوصل إلى السلطان ، وهو بأصبهان ، فخلع عليه خِلَع الوزارة ، وبقي فيها نحو عشرة أشهر ، ثم استعفى منها[1] ، وعزل نفسه ، وعاد إلى بغداذ في شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

وأمّا الوزير أبو القاسم فإنّه بقي مقبوضاً إلى أن خرج السلطان سنجَر إلى الريّ سنة اثنتين وعشرين ، فأخرجه من الحبس في ذي الحجّة ، وأعاده إلى وزارة السلطان محمود ، وهي الوزارة الثانية .

---

١ في ها .

Marfat.com

ذكر وفاة عزّ الدين بن البُرسقيّ وولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها

في هذه السنة توفّي عزّ الدين مسعود بن البرسقيّ ، وهو صاحب الموصِل ، وكان موته بمدينة الرَّحْبة ، وسبب مسيره إليها : أنّه لمّا استقامت أموره في ولايته ، وراسل السلطان محموداً[1] ، وخطب له ولاية ما كان أبوه يتولاّه من الموصل وغيرها ، أجاب السلطان إلى ما طلب ، فرتّب الأمور وقرّرها ، فكثُر جنده ؛ وكان شجاعاً ، شهماً ، فطمع في التغلّب على بلاد الشام ، فجمع عساكره وسار إلى الشام يريد قصد دمشق ، فابتدأ بالرَّحبة ، فوصل إليها ونازلها ، وقام يحاصرها ، فأخذه مرض حادٌّ وهو محاصر لها ، فتسلّم القلعة ومات بعد ساعة ، فندم من بها على تسليمها إليه .

ولمّا مات بقي مطروحاً على بساط لم يُدْفن ، وتفرّق عنه عسكره ؛ ونهب بعضهم بعضاً ، فشُغلوا عنه ، ثُم دُفن بعد ذلك ، وقام بعده أخٌ له صغير ، واستولى على البلاد مملوك للبرسقيّ يُعرف بالجاولي ، ودبّر أمر الصبيّ ، وأرسل إلى السلطان يطلب أن يقرّر البلاد على ولد البرسقيّ ، وبذل الأموال الكثيرة على ذلك .

وكان الرسول في هذا الأمر القاضي بهاء الدين أبو الحسن عليُّ بن القاسم الشهرزوريُّ ، وصلاح الدين محمّد أمير حاجب البرسقيّ ، فحضرا دركاه السلطان ليخاطبا في ذلك ، وكانا يخافان جاولي ، ولا يرضيان بطاعته والتصرّف بما يحكم به ، فاجتمع صلاح الدين ، ونصير الدين جقر الذي صار نائباً عن أتابك عماد الدين بالموصل ، وكان بينهما مصاهرة ، وذكر له صلاح الدين ما

---

١ محمود .

Marfat.com

ورد فيه ، وأفشى إليه سرَّه ، فخوّفه نصير الدين من جاولي ، وقبّح عنده طاعته ، وقرّر في نفسه أنّه إنّما أبقاه وأمثاله لحاجته إليهم ، ومتى أُجيب إلى مطلوبه لا يبقي على أحدٍ منهم .

وتحدّث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي ، وضمن له الولايات والأقطاع الكثيرة ، وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوريّ ، فأجابه إلى ذلك ، وأحضره معه عند القاضي بهاء الدين ، وخاطباه في هذا الأمر ، وضمنا[1] له كلّ ما أراده فوافقهما[2] على ما طلبا ، وركب هو وصلاح الدين إلى دار الوزير ، وهو حينئذ شرف الدين أنوشِروان بن خالد ، وقالا له : قد علمتَ أنت والسلطان أن ديار الجزيرة والشام قد تمكّن الفرنج منها[3] ، وقويت شوكتهم بها ، فاستولوا على أكثرها ، وقد أصبحتْ ولايتهم من حدود ماردين إلى عريش مصر ، ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين ، وقد كان البرسقيّ مع شجاعته ، وتجربيه ، وانقياد العساكر إليه ، يكفّ بعض عاديتهم وشرّهم ، فمُذ قُتل ازداد طمعهم ، وهذا ولده طفلٌ صغيرٌ ، ولا بدّ للبلاد من رجلٍ شهْمٍ ، شجاع ، ذي رأي وتجربة ، يذبّ عنها ويحفظها ويحمي حوزتها ، وقد أنهيْنا الحال لئلاّ يجري خللٌ ، أو وهنٌ على الإسلام والمسلمين ، فيختصّ اللوم بنا ، ويقال : ألا[4] أنهيتم إلينا جليّة الحال ؟

فرفع الوزير قولهما إلى السلطان ، فاستحسنه ، وشكرهما عليه ، وأحضرهما ، واستشارهما فيمن يصلح للولاية[1] ، فذكرا[5] جماعة منهم عماد الدين زنكي ،

---

1) Cod. الوزارة .

---

١ وضمن .
٢ فوافقها .
٣ منه .
٤ لا .
٥ فذكر .

Marfat.com

وبذلا عنه ، تقرّباً إلى خزانة السلطان ، مالاً جليلاً ، فأجاب السلطان إلى توليته ، لما يعلمه من كفايته لما يليه ، فأحضره وولاّه البلاد كلّها ، وكتب منشوره بها .

وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوّى بها ويجعلها ظهره ، لأنّه خاف من جاولي أنّه ربّما صدّه عن البلاد ، فلمّا دخل البوازيج سار عنها إلى الموصل . فلمّا سمع جاولي بقربه من البلد خرج إلى تلقّيه ومعه جميع العسكر ، فلمّا رآه جاولي نزل عن فرسه وقبّل الأرض بين يدَيْه ، وعاد في خدمته إلى الموصِل ، فدخلها في رمضان ، وأقطع جاولي الرَّحبة وسيّره إليها ، وأقام بالموصِل يُصلح أمورها ، ويقرّر قواعدها ، فولّى نصير الدين دزداريّة القلعة بالموصِل ، وجعل إليه سائر دزداريّة القلاع ، وجعل صلاح الدين محمّداً أمير حاجب ، وبهاء الدين قاضي قضاة بلاده جميعها ، وزاده أملاكاً ، وأقطاعاً ، واحتراماً ، وكان لا يصدر إلاّ عن رأيه .

فلمّا فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جزيرة ابن عُمَر ، وبها مماليك البرسقيّ ، فامتنعوا عليه ، فحصرهم وراسلهم ، وبذل لهم البذول الكثيرة إن سلّموا ، فلَم يجيبوه إلى ذلك ، فجدّ في قتالهم[1] ، وبينه وبين البلد دِجلة ، فأمر الناس ، فألقوا أنفسهم في الماء ليعبروه إلى البلد ، ففعلوا ، وعبر بعضهم سباحةً ، وبعضهم في السفن ، وبعضهم في الأكلاك ، وتكاثروا على أهل الجزيرة ، وكانوا قد خرجوا عن البلد إلى أرض بين الجزيرة ودجلة ، تُعرف بالزَّلاّقة ، ليمنعوا من يريد عبور دجلة ، فلمّا عبر العسكر إليهم قاتلوهم ومانعوهم ، فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم ، فانهزم أهل البلد ، ودخلوه ، وتحصّنوا بأسواره ، واستولى عماد الدين على الزَّلاّقة ، فلمّا رأى من بالبلد ذلك ضعفوا ، ووهنوا ، وأيقنوا أنّ البلد يُملك سلماً ، أو عنوةً ، فأرسلوا يطلبون الأمان ، فأجابهم إلى

---

١ قتالها .

Marfat.com

ذلك . وكان هو أيضاً مع عسكره بالزلاقة ، فسلموا البلد إليه ، فدخله هو وعسكره .

ثم إنّ دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد ، وصارت الزلاقة ماء . فلم أقام ذلك اليوم للترق هو وعسكره . ولم ينج منهم أحد ، فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته ، وأيقنوا أنّ أمراً هذا بدايته لعظيم .

ثم سار عن الجزيرة إلى نَصِيبين ، وكانت لحسام الدين تمرتاش ، صاحب ماردين ، فلما نازلها سار حسام الدين إلى ابن عمّه ركن الدولة داود بن سُقمان ابن أرتُق ، وهو صاحب حصن كيفا وغيرها ، فاستنجده على أتابك زنكي ، فوعده النجدة بنفسه ، وجمع عسكره ، وعاد تمرتاش إلى ماردين ، وأرسل رقاعاً على أجنحة الطيور إلى نَصِيبين يعرّف مَن بها من العسكر أنّه وابن عمّه سائران في العسكر الكثير إليهم ، ويزاحة عماد الدين عنهم ، ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام .

فبينما أتابك في خيمته إذ سقط طائر على خيمة نقابه ، فأمر به فصيد ، فرأى فيه رقعة ، فقرأها وعرف ما فيها ، فأمر أن يُكتب غيرها ، يقول فيها : إنّي قصدتُ ابنَ عمّي ركن الدولة ، وقد وعدني النُّصرة وجمع العساكر ، وما يتأخّر عن الوصول أكثر من عشرين يوماً ، ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدّة إلى أن يصلوا ؛ وجعلها في الطائر وأرسله ؛ فدخل نصيبين ، فلما وقف من بها على الرقعة سُقط في أيديهم ، وعلموا أنّهم لا يقدرون أن يحفظوا البلد هذه المدّة ، فأرسلوا إلى الشهيد وصالحوه[1] ، وسلّموا البلد إليه ، فيطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه ، وهذا من غريب ما يُسْمَع .

فلما ملك نصيبين سار عنها إلى سِنجار ، فامتنع من بها عليه ، ثم صالحوه

---

[1] وصالحه .

Marfat.com

وسلّموا البلد إليه ، وسيّر منها الشحن إلى الخابور ، فملكه جميعه . ثم سار إلى حرّان ، وهي للمسلمين ، وكانت الرُّها ، وسَروج ، والبيرة ، وتلك النواحي جميعها للفرنج ، وأهل حرّان معهم في ضرّ عظيم ، وضيق شديد ، لخلوّ البلاد من حامٍ يذبّ عنها ، وسلطانٍ يمنعها ، فلمّا قارب حرّان خرج أهل البلد وأطاعوه وسلّموا إليه ، فلمّا ملكها أرسل إلى جوسلين ، صاحب الرُّها وتلك البلاد ، ورسله ، وهادنه مدّةً يسيرةً ، وكان غرضه أن يتفرّغ لإصلاح البلاد ، وتجنيد الأجناد ، وكان أهمّ الأمور إليه أن يعبر الفُرات إلى الشام ، ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشاميّة ، فاستقرّ الصُّلح بينهم ، وأمن الناس ، ونحن نذكر ملك حلب ، إن شاء الله تعالى .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قُتل مُعين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل ، وزير السلطان سنجر ، قتله الباطنيّة . وكان له في قتلهم آثار حسنة ، ونيّة صالحة ، فرزقه الله الشهادة .

وفيها ولّى السلطان شحنكيّة بغداذ مجاهد الدين بهروز ، لمّا سار أتابك زنكي إلى الموصل .

وفيها رُتّب الحسن بن سليمان في تدريس النظاميّة ببغداذ .

وفيها أوقع السلطان سنجر بالباطنيّة في الجُوت ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس .

---

١ وجد .

Marfat.com

وتوفّي هذه السنة عليُّ بن المبرك أبو الحسن المقري ، المعروف بابن الفاعوس ، الحنبليُّ ، ببغداذ ، في شوّال ، وكان صالحاً .

وفي شوّال توفّي محمّد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبي الفضل الهمذانيُّ الفرضيُّ ، صاحب التاريخ .

Marfat.com

٥٢٢

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب

في هذه السنة ، أوّل المحرّم ، ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقَر مدينة حلب وقلعتها ، ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها ، فنقول : قد ذكرنا مُلك البرسقيّ لمدينة حلب وقلعتها سنة ثماني عشرة [وخمسمائة] ، واستخلافه بها ابنه مسعوداً ، ولمّا قُتل البرسقيُّ سار مسعود عنها إلى الموصل وملكها ، واستناب بحلب أميراً اسمه قومان ، ثم إنّه ولّى عليها أميراً اسمه قتلغ أبَه ، وسيّره بتوقيع إلى قومان بتسليمها ، فقال : بيني وبين عزّ الدين علامة لم أرها ، ولا أسلّم إلاّ بها ؛ وكانت العلامة بينهما صورة غزال ، وكان مسعود بن البرسقيّ حسن التصوير ، فعاد قتلغ أبَه إلى مسعود ، وهو يحاصر الرَّحبة ، فوجده قد مات ، فعاد إلى حلب مُسرعاً .

وعرف الناس موتَه ، فسلّم الرئيس فضائل بن بديع البلد ، وأطاعه المقدّمون به ، واستنزلوا قومان من القلعة ، بعد أن صحّ عنده وفاة صاحبه مسعود ، وأعطوه ألف دينار ، فتسلّم قتلغ القلعة في الرابع والعشرين من جُمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة] ، فظهر منه بعد أيّام جور شديد ، وظلم عظيم ، ومدّ يده إلى أموال الناس ، لا سيّما التركمان ، فإنّه أخذها ، وتهرّب إليه الأشرار ، فنفرت قلوب الناس منه .

وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن أرتُق الذي كان قديماً

Marfat.com

صاحبها ، فأطاعه أهلها ، وقاموا ليلة الثلاثاء ثاني شوّال فقبضوا على كلّ من كان بالبلد من أصحاب قطلغ أبَه ، وكان أكثرهم يشربون في البلد صُبحة العيد ، وزحفوا إلى القلعة ، فتحصّن قطلغ أبَه فيها بمن معه ، فحصروه ، ووصل إلى حلب حسّان صاحب منَبِج ، وحسن صاحب بُزاعة ، لإصلاح الأمر فلم يتصلح .

وسمع الفرنج بذلك ، فتقدّم جوسلين بعسكره إلى المدينة ، فصونع بمالٍ ، فعاد عنها ؛ ثم وصل بعده صاحب أنطاكية في جمع من الفرنج ، فخنلق الحلبيّون حول القلعة ؛ فمنع الداخل والخارج إليها من ظاهر البلد ، وأشرف الناس على الخطر العظيم إلى منتصف ذي الحجّة من السنة .

وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة ، فسيّر إلى حلب الأميرَ سُنقر دراز ، والأميرَ حسن قراقوش ، وهما من أكابر أمراء البرسقيّ ، وقد صاروا معه في عسكر قوي ، ومعه التوقيع من السلطان بالموصل ، والجزيرة ، والشام ؛ فاستقرّ الأمر أن يسير بدر الدولة بن عبد الجبّار وقطلغ أبَه إلى الموصل إلى عماد الدين ، فسارا إليه ، وأقام حسن قراقوش بحلب والياً عليها ولاية مستعارة ؛ فلمّا وصل بدر الدولة وقطلغ أبَه إلى عماد الدين أصلح بينهما ، ولم يردّ واحداً منهما إلى حلب ، وسيّر حاجبَهُ صلاح الدين محمّداً الياغيسانيّ إليها في عسكر ، فصعد إلى القلعة ، ورتّب الأمور ، وجعل فيها والياً .

وسار عماد الدين زنكي إلى الشام في جيوشه وعساكره ، فملك في طريقه مدينة منَبِج وبُزاعة ، وخرج أهل حلب إليه ، فالتقوه ، واستبشروا بقدومه ، ودخل البلد واستولى عليه ، ورتّب أموره ، وأقطع أعماله الأجناد والأمراء ، فلمّا فرغ من الذي أراده قبض على قطلغ أبَه وسلّمه إلى ابن بليج ، فكحله بداره بحلب ، فمات قطلغ أبَه ، واستوحش ابن بليج ، فهرب إلى قلعة جَعْبَر واستجار بصاحبها ، فأجاره .

Marfat.com

وجعل عماد الدين في رئاسة حلب أبا الحسن عليّ بن عبد الرزّاق ، ولولا أنّ الله تعالى منّ على المسلمين بملك أتابك ببلاد الشام . لملكها الفرنج لأنّهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشاميّة ، وإذا[1] علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها وأغار عليها ، فيضطرّ الفرنج إلى الرحيل لنفسه عن بلادهم ، فقدر الله تعالى أنّه توفّي هذه السنة ، فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله ، فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ، فعمل بالفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر قدوم السلطان سَنْجَر إلى الرَّيّ

في هذه السنة خرج السلطان سنجَر من خُراسان إلى الرَّيّ في جيش كثير .

وكان سبب ذلك : أنّ دُبَيْس بن صدقة لمّا وصل إليه هو والملك طغرل ، على ما ذكرناه ، لم يزل يُطمعه في العراق ، ويُسهّل عليه قصده ، ويُلقي في نفسه أنّ المسترشد بالله والسلطان محمود متّفقان على الامتناع منه ، ولم يزل به حتّى أجابه إلى المسير إلى العراق ، فلمّا ساروا وصل إلى الرَّيّ ، وكان السلطان محمود بهمذان ، فأرسل إليه السلطان سنجَر يستدعيه إليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغيّر على ما زعم دُبَيْس ، فلمّا جاءه الرسول بادر إلى المسير إلى عمّه ، فلمّا وصل إليه أمر العسكر جميعه بلقائه ، وأجلسه معه على التخت ، وبالغ في إكرامه ، وأقام عنده إلى منتصف ذي الحجّة ، ثمّ عاد السلطان سنجَر إلى خُراسان ، وسلّم دُبَيْساً إلى السلطان محمود ، ووصّاه بإكرامه وإعادته إلى بلده ، ورجع محمود إلى همذان ودُبَيْس معه ، ثمّ سارا إلى العراق ، فلمّا

---

1) Bodl.

Marfat.com

قاربا بغداذ خرج الوزير إلى لقائه ، وكان قدومه تاسع المحرّم سنة ثلاث وعشرين [وخمسمائة] .

وكان الوزير أبو القاسم الأنسابادي قد قبض السلطان محمود عليه ، فلمّا اجتمع بالسلطان سنجَر أمر بإطلاقه فأطلقه ، وقرّره سنجَر في وزارة ابنته التي زوّجها بالسلطان محمود ، فلمّا وصل معه إلى بغداذ أعاده محمود إلى وزارته في الرابع والعشرين من المحرّم ، وهي وزارته الثانية .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ثامن صفر توفّي أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، وهو مملوك الملك تُتُش بن ألب أرسلان ، وكان عاقلاً ، خيّراً ، كثير الغزوات والجهاد للفرنج ، حسن السيرة في رعيّته ، مؤثراً[1] للعدل فيهم ، وكان لقبه ظهير الدين ، ولمّا توفّي ملك بعده ابنه تاج الملوك بوري ؛ وهو أكبر أولاده ، بوصيّة من والده له بالملك ، وأقرّ وزير أبيه أبو عليّ طاهر بن سعد المزدقانيّ على وزارته .

وفيها ، مستهلّ رجب ، توفّي الوزير جلال الدين أبو عليّ بن صدقة ، وزير الخليفة ، وكان حسن السيرة ، جميل الطريقة ، متواضعاً ، محبّاً لأهل العلم ، مكرماً لهم ، وله شعر حسن ، فمنه في مدح المسترشد بالله :

وجدتُ الورَى كالماء طَعماً ورِقّةً ، وأنّ أميرَ المؤمنينَ زُلالُهُ
وصوّرتُ مَعنى العقلِ شخصاً مصوَّراً ، وأنّ أميرَ المُؤمنينَ مِثالُهُ
ولولا طريقُ الدّينِ والشرع والتُّقى لقلتُ من الإعظامِ جَلَّ جَلالُهُ

---

١ موثر .

Marfat.com

وأقيم في النيابة بعده شرف الدين عليُّ بن طِراد الزينبيُّ ، ثم جُعل وزيراً ، وخُلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين [وخمسمائة] ، ولم يَزِرْ للخلفاء من بني العبّاس هاشميّ غيره .

وفيها هبّت ريح شديدة اسودّت لها الآفاق ، وجاءت بتراب أحمر يُشْبه الرمل ، وظهر في السماء أعمدة كأنّها نار ، فخاف الناس ، وعدلوا إلى الدعاء والاستغفار ، فانكشف عنهم ما يخافونه .

Marfat.com

٥٢٣

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

ذكر قدوم السلطان محمود إلى بغداذ

في هذه السنة ، في المحرّم، قدم السلطان محمود بغداذ ، بعد عوده من عند عمّه السلطان سنجَر ، ومعه دُبَيْس بن صدقة ، ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله ، فتأخّر دُبَيْس عن السلطان ، ثم دخل بغداذ ، ونزل بدار السلطان ، واسترضى عنه الخليفة ، فامتنع الخليفة من الإجابة إلى أن يُوَلّى دُبَيْس شيئاً[1] من البلاد ، وبذل مائة ألف دينار لذلك .

وعلم أتابك زنكي أنّ السلطان يريد أن يولّى دُبَيْس الموصِل ، فبذل مائة ألف دينار ، وحضر بنفسه إلى خدمة السلطان ، فلم يشعر السلطان به إلاّ وهو عند السُّرّ ، وحمل معه الهدايا الجليلة ، فأقام عند السلطان ثلاثة أيّام ، وخلع عليه ، وأعاده إلى الموصِل .

وخرج السلطان يتصيّد ، فعمل له شيخ المَنْزَرَة دعوةً عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان ، وأدخله إلى حمّام في داره ، وجعل فيه عِوَض الماء ماء الورد ، فأقام السلطان إلى رابع جُمادى الآخرة ، وسار عنها إلى هَمَذان، وجعل يهروز على شحنكيّة بغداذ ، وسُلّمت إليه الحِلّة أيضاً .

---

١ تولى دبيس شيء .

ذكر ما فعله دُبَيْس بالعراق
وعود السلطان إلى بغداذ

لمّا رحل السلطان إلى همذان ماتت زوجته ، وهي ابنة السلطان سنجرَ ، وهي التي كانت تُعنى بأمر دُبَيْس ، وتدافع عنه ، فلمّا ماتت انحلّ أمر دُبَيْس .

ثم إنّ السلطان مرض مرضاً شديداً ، فأخذ دُبَيْس ابناً له صغيراً وقصد العراق ، فلمّا سمع المسترشد بالله بذلك جنّد الأجناد ، وحشد ، وكان بهروز بالحِلّة ، فهرب منها ، فدخلها دُبَيْس في شهر رمضان ؛ فلمّا سمع السلطان الخبر عن دُبَيْس أحضر الأميرَيْن قزل ، والأحمديليّ ، وقال : أنتما ضمنتما دُبَيْساً منّي ، وأريده منكما . فسار الأحمديليّ إلى العراق ، إلى دُبَيْس ، ليكفّ شرّه عن البلاد ، ويحضره إلى السلطان ، فلمّا سمع دُبَيْس الخبر أرسل إلى الخليفة يستعطفه ، ويقول : إن رضيتَ عنّي فأنا اردّ أضعاف ما أخذتُ ، وأكون العبد المملوك ؛ فتردّد الرسل ودُبَيْس يجمع الأموال ، والرجال ، فاجتمع معه عشرة آلاف فارس ، وكان قد وصل في ثلاثمائة فارس ، ووصل الأحمديليّ بغداذَ في شوّال ، وسار في أثر دُبَيْس .

ثم إنّ السلطان سار إلى العراق ، فلمّا سمع دُبَيْس بذلك أرسل إليه هدايا جليلة المقدار ، وبذل ثلاثمائة حصان منعلة بالذهب ، ومائتَيْ ألف دينار ، ليرضى عنه السلطان والخليفة ، فلم يجبه إلى ذلك ، ووصل السلطان إلى بغداذ في ذي القعدة ، فلقيه الوزير الزينيّ وأرباب المناصب ، فلمّا تيقّن دُبَيْس وصوله رحل إلى البرّيّة ، وقصد البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة ، وما الخليفة والسلطان هناك من الدخل ، فسيّر السلطان إثره عشرة آلاف فارس ، ففارق البصرة ودخل البرّيّة .

ذكر قتل الإسماعيليّة بدمشق

قد ذكرنا فيما تقدّم قَتْل إبراهيم الأسداباذيّ ببغداذ ، وهَرَب ابن أُخته بَهرام إلى الشام ، ومُلْكه قلعة بانياس ، ومسيره إليها ، ولمّا فارق دمشق أقام له بها خليفة يدعو الناس إلى مذهبه ، فكثُروا وانتشروا ، وملك هو عدّة حصون من الجبال منها القدموس وغيره ، وكان بوادي التَّيْم ، من أعمال بعلبكّ ، أصحاب مذاهب مختلفة من النُّصيريّة ، والدرزيّة ، والمجوس ، وغيرهم ، وأميرهم اسمه الضحّاكُ ، فسار إليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين [وخمسمائة] وحصرهم وقاتلهم ، فخرج إليه الضحّاك في ألف رجل ، وكبس عسكر بَهرام فوضع السيف فيهم ، وقتل منهم مقتلة كثيرة ، وقُتل بَهرام ، وانهزم من سلم ، وعادوا إلى بانياس على أقبح صورة .

وكان بَهرام قد استخلف في بانياس رجلاً من أعيان أصحابه اسمه إسماعيل ، فقام مقامه ، وجمع شمل من عاد إليه منهم ، وبثّ دُعاته في البلاد ، وعاضده المزدقانيُّ أيضاً ، وقوّى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة ، والهمّ بسببها .

ثم إنّ المزدقانيّ أقام بدمشق عوض بهرام إنساناً اسمه أبو الوفاء ، فقوي أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه ، وقام بدمشق ، فصار المستولي على من بها من المسلمين ، وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك . ثم إنّ المزدقانيّ راسل الفرنجَ ليسلّم إليهم مدينة[1] دمشق ، ويسلّموا إليه مدينة صور ، واستقرّ الأمر بينهم على ذلك ، وتقرّر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه ، وقرّر المزدقانيُّ مع الإسماعيليّة أن

---

1) In marg. Cod. ثلثة .

Marfat.com

يحتاطوا ذلك اليوم . بأبواب الجامع فلا يمكّنوا أحداً من الخروج[1] منه ليجيء الفرنج ويملكوا البلاد . فبلغ الخبر تاج الملوك ، صاحب دمشق ، فاستدعى المزدقانيّ إليه ، فحضر ، وخلا معه ، فقتله تاج الملوك ، وعلّق رأسه على باب القلعة ، ونادى في البلد بقتل الباطنيّة ، فقُتل منهم ستّة آلاف نفس ، وكان ذلك منتصف رمضان من السنة ، وكفى الله المسلمين شرّهم ، وردّ على الكافرين كيدهم .

ولمّا تمّت هذه الحادثة بدمشق على الإسماعيليّة خاف إسماعيل والي بانياس أن يثور به وبمن معه الناس فيهلكوا ، فراسل الفرنجَ ، وبذل لهم تسليم بانياس إليهم ، والانتقال إلى بلادهم ، فأجابوه ، فسلّم القلعة إليهم ، وانتقل هو ومن معه من أصحابه إلى بلادهم ، ولقوا شدّة وذلّة وهواناً ، وتوفّي إسماعيل أوائل سنة أربع وعشرين [وخمسمائة] ، وكفى الله المؤمنين شرّهم .

ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم

لمّا بلغ الفرنجَ قتلُ المزدقانيّ والإسماعيليّة بدمشق عظم عليهم ذلك ، وتأسّفوا على دمشق حيث لم يتمّ لهم ملكها ، وعمّتهم المصيبة ، فاجتمعوا كلّهم : صاحب القدس ، وصاحب أنطاكية ، وصاحب طرابلس ، وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم ، ومن وصل إليهم في البحر للتجارة والزيارة ، فاجتمعوا في خلق عظيم نحو ألفَيْ فارس ، وأمّا الراجل فلا يحصى ، وساروا إلى دمشق ليحصروها .

ولمّا سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان ، فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس ، ووصل الفرنج في ذي الحجّة ، فنازلوا البلد ، وأرسلوا إلى أعمال

---

١ على أبواب الجامع فلا يمكنون أحداً يخرج .

دمشق لجمع الميرة والإغارة على البلاد ، فلمّا سمع تاج الملوك أنّ جمعاً كثيراً قد ساروا إلى حَوْران لنهبه ، وإحضار الميرة ، سَيّرَ[1] أميراً من أمرائه، يُعرف بشمس الخواصّ ، في جمع من المسلمين إليهم ، وكان خروجهم في ليلة شاتية ، كثيرة المطر ، ولقوا الفرنج من الغد ، فواقعوهم ، واقتتلوا ، وصبر بعضهم لبعض ، فظفر بهم المسلمون وقتلوهم ، فلم يفلتْ منهم غير مقدّمهم ومعه أربعون رجلاً ، وأخذوا ما معهم ، وهي عشرة آلاف دابّة موقَرة ، وثلاثمائة أسير ، وعادوا إلى دمشق لم يمسَسْهم قرح . فلمّا علم من عليها[2] من الفرنج ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فرحلوا عنها شبه المنهزمين ، وأحرقوا ما تعذّر عليهم حَمْله من سلاح وميرة وغير ذلك ، وتبعهم المسلمون ، والمطر شديد ، والبرد عظيم ، يقتلون كلّ من تخلّف منهم ، فكثُر القتلى منهم ، وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجّة من هذه السنة .

ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقَر ، صاحب الموصل ، مدينة حماة .

وسبب ذلك: أنّه عبر الفرات إلى الشام ، وأظهر أنّه يريد جهاد الفرنج ، وأرسل إلى تاج الملوك بوري بن طغتكين ، صاحب دمشق ، يستنجده ، ويطلب منه المعونة على جهادهم، فأجاب إلى المراد ، وأرسل من أخذ له العهود والمواثيق ، فلمّا وصلت الوثقة جرّد عسكراً من دمشق مع جماعة من الأمراء ، وأرسل إلى

---

١ فسير .

٢ عليه .

Marfat.com

ابنه سونج ، وهو بمدينة حَماة ، يأمره بالنزول إلى العسكر ، والمسير معهم إلى زنكي ، ففعل ذلك ، فساروا جميعهم ، فوصلوا إليه ، فأكرمهم ، وأحسن لقاءهم ، وتركهم أيّاماً .

ثم إنّه غدر بهم ، فقبض على سونج ولد تاج الملوك ، وعلى جماعة الأمراء المقدّمين ، ونهب خيامهم وما فيها من الكراع ، واعتقلهم بحلب ، وهرب من سواهم ، وسار من يومه إلى حماة ، فوصل إليها وهي خالية من الجند الحُماة الذابّين ، فملكها واستولى عليها ، ورحل عنها إلى حمص ، وكان صاحبها قرجان[1] بن قراجة معه في عسكره ، وهو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك ، فقبض عليه ، ونزل على حمص وحصرها ، وطلب من قرجان[1] صاحبها أن يأمر نوّابه وولده الذين فيها بتسليمها ، فأرسل إليهم بالتسليم ، فلم يقبلوا منه ، ولا التفتوا إلى قوله ؛ فأقام عليها محاصراً لها ، ومقاتلاً لمن فيها مدّة طويلة ، فلم يقدر على ملكها ، فرحل عنها عائداً إلى الموصل ، واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الأمراء الدمشقيّين .

وتردّدت الرسل في إطلاقهم بينه وبين تاج الملوك ، واستقرّ الأمر على خمسين ألف دينار ، فأجاب تاج الملوك إلى ذلك ؛ ولم ينتظم بينهم أمر .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك بيمند ، صاحب أنطاكية ، حصن القدموس من المسلمين .

وفي هذه السنة أيضاً وثب الإسماعيليّة على عبد اللطيف بن الخجنديّ ، رئيس

---

1) C. P. خمر خان

Marfat.com

الشافعيّة بأصبهان ، فقتلوه ، وكان ذا رئاسة عظيمة وتحكّم كثير .

وفي هذه السنة توفّي الإمام أبو الفتح أسعد بن أبي نصر الميهنيّ ، الفقيه الشافعيُّ ، مدرّس النّظاميّة ببغداذ ، وله طريقة مشهورة في الخلاف ، وتفقّه على أبي المظفّر السمعانيّ ، وكان له قبول عظيم عند الخليفة ، والسلطان ، وسائر الناس .

وفيها توفّي حمزة بن هبة الله بن محمّد بن الحسن الشريف العلويّ ، الحسنيُّ ، النّيسابوريُّ ، سمع الحديث الكثير ، ورواه ، ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وجمع مع[1] شرف النسب شرف النفس والتقوى ، وكان زيديّ المذهب .

---

١ من ...

Marfat.com

٥٢٤

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة

ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمّد خان وملك محمود بن محمّد خان المذكور

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، ملك السلطان سنجرَ مدينة سَمَرْقَنْد .

وسبب ذلك : أنّه كان قد رتّب فيها، لمّا ملكها أوّلاً ، أرسلان خان محمّد ابن سليمان بن بغراخان داود ، فأصابه فالج ، فاستناب ابناً له يُعرف بنصرخان ، وكان شهماً ، شجاعاً ، وكان بسمرقند إنسان علويّ ، فقيه ، مدرّس ، إليه الحلّ والعقد ، والحكم في البلد ، فاتّفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان ، فقتلاه ليلاً ، وكان أبوه محمّد خان غائباً ، فعظم عليه واشتدّ ، وكان له ابن آخر غائب في بلاد تركستان ، فأرسل إليه واستدعاه ، فلمّا قارب سَمَرْقَنْد خرج العلويّ ورئيس البلد إلى استقباله ، فقتل العلويّ في الحال ، وقبض على الرئيس .

وكان والده أرسلان خان قد أرسل إلى السلطان سنجرَ رسولاً يستدعيه ، ظنّاً منه أنّ ابنه لا يتمّ أمره مع العلويّ والرئيس ، فتجهّز سنجرَ وسار يريد سمرقند ، فلمّا ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجرَ ، فأرسل إليه يعرّفه أنّه قد ظفر بالعلويّ والرئيس ، وأنّه وابنه على الطاعة ، ويسأله العود إلى خراسان ، فغضب سنجرَ من ذلك ، وأقام أيّاماً ، فبينما هو في الصيد إذ رأى اثني عشر رجلاً في السلاح التامّ ، فقبض عليهم وعاقبهم ، فأقرّوا أنّ محمّد خان أرسلهم ليقتلوه ، فقتلهم ، ثم سار إلى سمرقند فملكها

Marfat.com

عنوةً ، ونهب بعضها ، ومنع من الباقي ، وتحصّن منه محمّد خان ببعض تلك الحصون ، فاستنزله السلطان سنجَر بأمان ، بعد مدّة ، فلمّا نزل إليه أكرمه وأرسله إلى ابنته زوجة السلطان سنجَر ، فبقي عندها إلى أن توفّي .

وأقام سنجَر بسَمَرْقَند مدّةً حتّى أخذ المال والسلاح والخزائن ، وسلّم البلد إلى الأمير حسن تكين ، وعاد إلى خُراسان ، فلم يلبث حسن تكين أن مات ، فملّك سنجر بعده عليها محمود بن محمّد خان بن سليمان بن داود ، المقدّم ذكره ، وقيل إنّ السبب غير ما ذكرناه ، وسيرد ذكره سنة ستّ وثلاثين للحاجة إلى ذكره هناك .

ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الأثارب وهزيمة الفرنج

لمّا فرغ عماد الدين زنكي من أمر البلاد الشاميّة ، حلب وأعمالها ، وما ملكه ، وقرّر قواعده ، عاد إلى الموصِل ، وديار الجزيرة ، ليستريح عسكره ، ثم أمرهم بالتجهّز للغزاة ، فتجهّزوا وأعدّوا واستعدّوا ، وعاد إلى الشام ، وقصد حلب ، فقوي عزمه على قصد حصن الأثارب ، ومحاصرته ، لشدّة ضرره على المسلمين .

وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ ، بينها وبين أنطاكية ، وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربيّة ، حتّى على رحًى لأهل حلب بظاهر باب الجنان ، بينها وبين البلد عرض الطريق ؛ وكان أهل البلد معهم في ضرّ شديد ، وضيق ، كلّ يوم قد أغاروا عليهم ، ونهبوا أموالهم . فلمّا رأى الشهيد هذه الحال صمّم العزم على حصر هذا الحصن ، فسار إليه ونازله .

Marfat.com

فلمّا علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم ، وعلموا أنّ هذه وقعة لها ما بعدها ، فحشدوا وجمعوا ، ولم يتركوا من طاقتهم شيئاً إلاّ استنفدوه ، فلمّا فرغوا من أمرهم ساروا نحوه ، فاستشار أصحابه فيما يفعل ، وكلٌّ أشار بالعود عن الحصن ، فإن لقاء الفرنج في بلادهم خطر لا يُدرى على أيّ شيء تكون العاقبة . فقال لهم : إنّ الفرنج متى رأونا قد عُدنا من أيديهم طمعوا وساروا في أثرنا ، وخربوا بلادنا ، ولا بدّ من لقائهم على كلّ حالٍ .

ثم ترك الحصن وتقدّم إليهم ، فالتقوا ، واصطفّوا للقتال ، وصبر كلّ فريق لخصمه ، واشتدّ الأمر بينهم ، ثم إن الله تعالى أنزل نصره على المسلمين ، فظفروا ، وانهزم الفرنج أقبح هزيمةٍ ، ووقع كثير من فرسانهم في الأسر ، وقُتل منهم خلق كثير ، وتقدّم عماد الدين إلى عسكره بالإنجاز ، وقال : هذا أوّل مصافٍّ عملناه معهم ، فلنُذِقهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم ؛ ففعلوا ما أمرهم ؛ ولقد اجتزت[1] بتلك الأرض سنة أربع وثمانين وخمسمائة ليلاً ، فقيل لي : إنّ كثيراً من العظام باقٍ إلى ذلك الوقت .

فلمّا فرغ المسلمون من ظفَرهم عادوا إلى الحصن فتسلّموه عنوةً ، وقتلوا وأسروا كلّ من فيه ، وأخربه عماد الدين ، وجعله دكّاً ، وبقي إلى الآن خراباً ، ثم سار منه إلى قلعة حارم ، وهي بالقرب من أنطاكية ، فحصرها ، وهي أيضاً للفرنج ، فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم ، وهادنوه ، فأجابهم إلى ذلك ، وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الأعمال ، وضعفت قُوَى الكافرين ، وعلموا أنّ البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم في حساب ، وصار قُصاراهم حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع .

---

١ اجتزت .

Marfat.com

ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضاً مدينة سرجي ودلرا

لمّا فرغ من أمر الأتارب وتلك النواحي ، عاد إلى ديار الجزيرة ، وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي ، صاحب ماردين ، وابن عمّه ركن الدولة داود بن سُقمان ، صاحب حصن كيفا ، قوارص ، فعاد إليهم ، وحصر مدينة سرجي ، وهي بين ماردين ونصيبين ، فاجتمع حسام الدين ، وركن الدولة ، وصاحب آمِد ، وغيرهم ، وجمعوا خلقاً كثيراً من التركمان بلغت عدّتهم عشرين ألفاً ، وساروا إليه ، فتصافّوا بتلك النواحي ، فهزمهم عماد الدين وملك سرجي .

فحكى لي والدي قال : لمّا انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونصيبين ، فبلغ الخبر إلى عماد الدين ، فسار نحو الجزيرة . وأراد دخول بلد داود ، ثم عاد عنه لضيق مسالكه ، وخشونة الجبال التي في الطريق ، وسار إلى دكّا[1] فملكها ، وهي من القلاع في تلك الأعمال .

ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلويّ

في هذه السنة ، ثاني ذي القعدة ، قُتل الآمر بأحكام الله أبو عليّ بن المستعلي العلويّ ، صاحب مصر ، خرج إلى متنزّهٍ له ، فلمّا عاد وثب عليه الباطنيّة فقتلوه ، لأنّه كان سيّىء السيرة في رعيّته ، وكانت ولايته تسعاً[1] وعشرين سنة

---

1) C. P. ارد ; Bodl. بهرد .

---

١ تسع .

Marfat.com

وخمسة أشهر ، وعمرُه أربعاً[1] وثلاثين سنة ، وهو العاشر من ولد المهديّ عبيد الله الذي ظهر بسِجِلْماسةَ وبنى[2] المَهديّة بإفريقية ، وهو أيضاً العاشر من الخلفاء العلويّين من أولاد المهديّ أيضاً .

ولمّا قُتل لم يكن له ولد بعده ، فوليَ بعده ابن عمّه الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله ، ولم يبايَع بالخلافة ، وإنّما بويع له لينظر في الأمر نيابة ، حتّى يكشف عن حملٍ إن كان للآمر فتكون[3] الخلافة فيه ، ويكون هو نائباً عنه .

ومولد الحافظ بعَسقلان ، لأنّ أباه خرج من مصر إليها في الشدّة ، فأقام بها ، فولد ابنه عبد المجيد هناك ، ولمّا وليَ استوزر أبا عليّ أحمد بن الأفضل ابن بدر الجماليّ ، واستبدّ بالأمر ، وتغلّب على الحافظ ، وحجر عليه ، وأودعه في خزانة ، ولا يدخل إليه إلاّ من يريده أبو عليّ ، وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته ، ونقل أبو عليّ كلّ ما[4] [كان] في القصر إلى داره من الأموال وغيرها ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قُتل أبو عليّ سنة ستّ وعشرين [وخمسمائة] فاستقامت أمور الحافظ ، وحكم في دولته ، وتمكّن من ولايته وبلاده .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّيت الخاتون ابنة السلطان سنجَر ، وهي زوجة السلطان محمود .

---

١ لربع ؟

٢ وبنا .

٣ فيكون .

٤ كلّما .

Marfat.com

وفيها قُتل بيمند الفرنجيّ صاحب أنطاكية .

وفيها توفّي نصير الدين محمود بن مؤيّد الملك بن نظام الملك ، في شعبان ، ببغداذ ، ووقع الحريق في داره بعد وفاته ، وفي حظائر الحطب ، والسوق التُّتُشيّ ، فذهب من الناس أموال كثيرة .

وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرّج بن الحسن بن الصوفيّ لصاحب دمشق تاج الملوك .

وفيها كان الرصد بالدار السلطانيّة ، شرقيّ بغداذ ، تولاّه البديع الاصطرلابي، ولم يتمّ .

وفيها ظهر ببغداذ عقارب طيارة ذوات شوكتَيْن ، فنال الناسَ منها خوف شديد ، وأذًى عظيم .

وفيها ، في ذي الحجّة ، خرج الملك مسعود بن محمّد من خُراسان ، وكان عند عمّه السلطان سنجَر ، ووصل إلى ساوة ، ووقع الإرجاف أنّ عزْمه على مخالفة أخيه السلطان محمود قويّ ، وأنّ عمّه سنجَر أمره بذلك ، فاستشعر السلطان محمود ، وسار عن بغداذ إلى همذان ، فلمّا وصل إلى كَرمانْشَاهان وصل إليه أخوه الملك مسعود وخدمه ، ولم يظهر للإرجاف أثر ، فأقطعه السلطان مدينة كَنْجَةَ وأعمالها وسيّره إليها .

وفيها كانت زلزلة عظيمة ، في ربيع الأوّل ، بالعراق ، وبلد الجبل ، والموصل ، والجزيرة ، فخرّبت كثيراً .

وفيها ملك السلطان محمود قلعة ألمُوت .

وفيها توفّي إبراهيم بن عثمان بن محمّد أبو إسحاق الغَزّيُّ من أهل غزّة ، مدينة بفلسطين من الشام ، ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وهو من الشعراء المجيدين ، فمن قوله من قصيدة يصف فيها الأتراك :

Marfat.com

في فِتيةٍ من جُيوشِ التُّركِ ما تركَت للرعدِ كرّاتُهم صَوتاً ولا صِيتَا
قومٌ إذا قُوبلوا كانوا ملائكةً حُسناً ، وإن قُوتلوا كانوا عَفاريتَا

وله في الزهد :

إنّما هذه الحياةُ متَاعٌ ، والسفيهُ الغويُّ مَن يَصْطَفيها
ما مضى[1] فَات والمؤمّلُ غَيْبٌ ولك الساعة التي أنت فيها

وفيها توفّي الحسين بن محمّد بن عبد الوهّاب بن أحمد بن محمّد الدبّاس أبو عبد الله النحويُّ . الشاعر ، المعروف بالبارع ، أخو أبي الكرم بن فاخر النحويّ لأمّه ، وُلد سنة سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وله شعر مليح ، فمنه قوله :

رُدّي عليّ الكَرَى ثم اهجري سَكَني فقد قنِعتُ بطَيفٍ منكِ في الوسَنِ
لا تحسَبي النَّوم قد أوشَكْتُ[2] أطلبُه ، إلاّ رجاء خيالٍ منكِ يُؤنسُني
تركتِني والهوى فرداً أُغالِبُهُ ، ونام ليلُكِ عن همّي يُؤرّقني

وهي طويلة .

وفيها توفّي هبة الله بن القاسم بن محمّد بن عطا بن محمّد أبو سعد المهروانيُّ ، النَّيسابوريُّ ، ومولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكان محدّثاً ، حافظاً ، صالحاً .

---

١ مضا .
٢ أوحشت .

٥٢٥

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

ذكر أسر دُبَيْس بن صدقة
وتسليمه إلى عماد الدين زنكي

في هذه السنة ، في شعبان ، أسر تاج الملوك بوري بن طغتكين ، صاحب دمشق ، الأميرَ دُبَيْس بن صدقة ، صاحب الحِلّة ، وسلّمه إلى أتابك الشهيد زنكي بن آقسنقَر .

وسبب ذلك: أنّه لمّا فارق البصرة ، على ما ذكرناه ، جاءه قاصد من الشام ، من صَرْخَد ، يستدعيه إليها ، لأنّ صاحبها كان خصيّاً ، فتوفّي هذه السنة ، وخلّف جارية سُرّيّة له ، فاستولت على القلعة وما فيها ، وعلمتْ أنّها لا يتمّ لها ذلك إلاّ بأن تتّصل برجل له قوّة ونجدة ، فوُصف لها دُبَيْس بن صدقة وكثرة عشيرته ، فذُكر لها حاله ، وما هو عليه بالعراق ، فأرسلت تدعوه إلى صَرْخَد لتتزوّج[1] به ، وتسلّم القلعة وما فيها من مالٍ وغيره إليه . فأخذ الأدلاء معه ، وسار من أرض العراق إلى الشام ، فضلّ به الأدلاء بنواحي دمشق ، فنزل بناس من كلب كانوا شرقيّ الغُوطة ، فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك ، صاحب دمشق ، فحبسه عنده .

وسمع أتابك عماد الدين زنكي الخبر ، وكان دُبَيْس يقع فيه وينال منه ، فأرسل إلى تاج الملوك يطلب منه دُبَيْساً ليسلّمه إليه ، ويُطلق ولدَهُ ، ومن

---

١ لتزوج .

Marfat.com

معه من الأمراء المأسورين ، وإن امتنع من تسليمه سار إلى دمشق وحصرها وخرّبها ونهب بلدها ، فأجاب تاج الملوك إلى ذلك ، وأرسل أتابك سونجَ بن تاج الملوك ، والأمراء الذين معه ، وأرسل تاج الملوك دُبَيْساً ، فأيقن دُبَيْس بالهلاك ، ففعل زنكي معه خلاف ما ظنّ ، وأحسن إليه ، وحمل له الأقوات ، والسلاح والدوابّ وسائر أمتعة الخزائن ، وقدّمه حتّى على نفسه ، وفعل معه ما يفعل أكابر الملوك .

ولمّا سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديدَ الدولة بن الأنباريّ ، وأبا بكر بن بشر الجزريَّ ، من جزيرة ابن عُمر ، إلى تاج الملوك يطلب منه أن يسلّم دُبَيْساً إليه ، لما كان متحقّقاً به من عداوة الخليفة ، فسمع سديد الدولة ابن الأنباريّ بتسليمه إلى عماد الدين ، وهو في الطريق ، فسار إلى دمشق ولم يرجع ، وذمّ أتابك زنكي بدمشق ، واستخفّ به ، وبلغ الخبر عماد الدين ، فأرسل إلى طريقه من يأخذه إذا عاد ، فلمّا رجع من دمشق قبضوا عليه ، وعلى ابن بشر ، وحملوهما إليه ، فأمّا ابن بشر فأهانه وجرى في حقّه مكروه ، وأمّا ابن الأنباريّ فسجنه .

ثم إنّ المسترشد بالله شفع فيه فأطلق ، ولم يزل دُبَيْس مع زنكي حتّى انحدر معه إلى العراق ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود

في هذه السنة ، في شوّال، توفّي السلطان محمود ابن السلطان محمّد بهَمَذان ، وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الأنساباذيُّ من جماعة من الأمراء وأعيان الدولة ، منهم : عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي ، والأمير أنوشتكين المعروف بشيركير ، وولده عمر ، وهو أمير حاجب السلطان ،

Marfat.com

وغيرهم . فأمّا عزيز الدين فأرسله مقبوضاً عليه إلى مجاهد الدين بهروز بتَكريت ، ثم قُتل بها ، وأمّا شيركير وولده فقُتلا في جُمادى الآخرة .

ثم إنّ السلطان مرض وتوفّي في شوّال ، وأقعد ولده الملك داود في السلطنة باتّفاق من الوزير أبي القاسم وأتابكه آقسنقَر الأحمديليّ ، وخُطب له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان ، ووقعت الفتنة بهمَذان وسائر بلاد الجبل ، ثم سكنت ، فلمّا اطمأنّ الناس وسكنوا سار الوزير بأمواله إلى الرَّيّ ، فأمِن فيها حيث هي للسلطان سنجَر .

وكان عمر السلطان محمود لمّا توفّي نحو سبع وعشرين سنة ، وكانت ولايته للسلطنة اثنتي عشرة[1] سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً ، وكان حليماً ، كريماً ، عاقلاً ، يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه ، مع القدرة ، قليل الطمع في أموال الرعايا ، عفيفاً عنها ، كافّاً لأصحابه عن التطرّق إلى شيء منها .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ثار الباطنيّة بتاج الملوك بوري بن طغتكين ، صاحب دمشق ، فجرحوه جرحَيْن ، فبرأ أحدهما ، وتنسّر[2] الآخر ، وبقي فيه ألم ، إلاّ أنّه يجلس للناس ، ويركب معهم على ضعف فيه .

وفيها توفّي الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشد بالله في رجب .

وفيها ، في شوّال ، توفّي الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو عليّ الفقيه الشافعيّ

---

١ عشر .

٢ فتنسّر .

Marfat.com

الواعظ ، مدرّس النظاميّة ببغداذ ، وأصله من الزَّوْزان .

والخطيب أبو نصر أحمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطُّوسيّ ، خطيب الموصل ، توفّي في ربيع الأوّل .

وحمّاد بن مُسلّم الدبّاس الرَّحبيّ الزاهد المشهور ، صاحب الكرامات ، وسمع الحديث ، وله أصحاب وتلامذة كثيرون[1] ساروا ، ورأيتُ الشيخ أبا الفرج بن الجوزيّ قد ذمّه وثلبه ، ولهذا الشيخ أُسوة بغيره من الصالحين ، فإنّ ابن الجوزيّ قد صنّف كتاباً سمّاه تلبيس إبليس لم يُبقِ فيه على أحدٍ من سادة المسلمين وصالحيهم .

وهبة الله بن محمّد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانيُّ الكاتب ، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، سمع أبا عليّ بن المهذّب ، وأبا طالب بن غيلان وغيرهما ، وهو راوي مسند أحمد بن حَنْبَل والغيلانيات[1] وغيرهما .

ومحمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن أبو غالب الماورديُّ ، وُلد سنة خمسين وأربعمائة بالبصرة ، وسمع الحديث الكثير ، وروى سُنن أبي داود السِّجِسْتانيّ ، وكان صالحاً .

---

1) Bodl. وتلاميذ كثير .

---

١ والغيلانات .

Marfat.com

٥٢٦

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

ذكر قتل أبي عليّ وزير الحافظ ووزارة يانس وموته

في هذه السنة ، في المحرّم ، قُتل الأفضل أبو عليّ بن الأفضل بن بدر الجماليّ وزير الحافظ لدين الله العلويّ ، صاحب مصر .

وسبب قتله : أنّه كان قد حجر على الحافظ ، ومنعه أن يحكم في شيء من الأمور ، قليل أو جليل ، وأخذ ما في قصر الخلافة إلى داره ، وأسقط من الدعاء ذكر إسماعيل الذي هو جدّهم ، وإليه تُنسب الإسماعيليّة ، وهو ابن جعفر بن محمّد الصادق ، وأسقط من الأذان حيّ على خير العمل ، ولم يخطب للحافظ . وأمر الخطباء أن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم ، وهي : السيّد الأفضل الأجلّ ، سيّد مماليك أرباب الدول ، والمحامي عن حَوزة الدين ، وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ، ناصر إمام الحق في حالتَيْ غيبته وحضوره، والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره ، أمين الله على عباده، وهادي القُضاة إلى اتّباع شرع الحقّ واعتماده ، ومُرشد دُعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده ، مولى النعم ، ورافع الجور عن الأمم ، ومالك[1] فضيلتَي السيف والقلم ، أبو عليّ أحمد بن السيّد الأجلّ الأفضل ، شاهنشاه أمير الجيوش .

وكان إماميّ المذهب ، يُكثر ذمّ الآمر ، والتناقص به ، فنفرت منه شيعة

---

١ وملك .

Marfat.com

العلويّين ومماليكهم ، وكرهوه ، وعزموا على قتله ، فخرج في العشرين من المحرّم من هذه السنة إلى المَيدان يلعب بالكرة مع أصحابه ، فكمن له جماعة منهم مملوك فرنجيّ كان للحافظ ، فخرجوا عليه ، فحمل الفرنجيُّ عليه ، فطعنه فقتله ، وحزّوا رأسه ، وخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها ، ونهب الناس دار أبي عليّ ، وأُخذ منها ما لا يحصى ، وركب الناس والحافظ إلى داره ، فأخذ ما بقي فيها وحمله إلى القصر .

وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة ، وكان قد بويع له بولاية العهد ، وأن يكون كافلاً لحمل إن كان للآمر ، فلمّا بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس الحافظيَّ في ذلك اليوم بعينه ، ولُقّب أمير الجيوش ، وكان عظيم الهيبة ، بعيد الغور ، كثير الشرّ ، فخافه الحافظ على نفسه ؛ وتخيّل منه يانس ، فاحتاط ، ولم يأكل عنده شيئاً ، ولا شرب ، فاحتال عليه الحافظ بأن وضع له فرّاشُه في بيت الطهارة ماء مسموماً ، فاغتسل به ، فوقع الدود في سفله ، وقيل له : متى قمتَ من مكانك هلكتَ ؛ فكان يعالَج بأن يجعل اللحم الطريّ في المحلّ ، فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه ، فقارب الشفاء ، فقيل للحافظ : إنّه قد صلح ، وإن تحرّك هلك ؛ فركب إليه الحافظ كأنّه يعوده ، فقام له ومشى[1] إلى بين يدَيْه ، وقعد الحافظ عنده ، ثم خرج من عنده ، فتوفّي من ليلته ، وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجّة من هذه السنة .

ولمّا مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسناً ، وخطب له بولاية العهد ، وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين [وخمسمائة] .

وإنّما ذكرتُ ألقاب أبي عليّ تعجّباً منها ، ومن حماقة ذلك الرجل ، فإن وزير صاحب مصر وحدها إذا كان هكذا فينبغي أن يكون وزير السلاطين

---

١ ومشا .

السلجوقيّة كنظام الملك وغيره يدّعون الربوبيّة ، على أنّ تربة مصر هكذا تولد ، ألا ترى إلى فرعون يقول : ﴿أنا ربّكُمُ الأَعْلَى﴾[1] ، وإلى أشياء أخر لا نطيل ذكرها[1] .

ذكر حال السلطان مسعود والملكَين سلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود

لمّا توفّي السلطان محمود ابن السلطان محمّد ، وخُطب ، ببلاد الجبل وأذربيجان ، لولده الملك داود ، على ما ذكرناه ، سار الملك داود من همَذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين [وخمسمائة] إلى زَنْجَان، فأتاه الخبر أنّ عمّه السلطان مسعوداً[2] قد سار من جُرجان ووصل إلى تبريز واستولى عليها ، فسار الملك داود إليه وحصره بها ، وجرى بينهما قتال ، إلى سلخ المحرّم سنة ستّ وعشرين [وخمسمائة] ثم اصطلحا .

وتأخّر الملك داود مرحلة ، وخرج السلطان مسعود من تبريز ، واجتمعت عليه العساكر ، وسار إلى همَذان ، وأرسل يطلب الخطبة ببغداذ ، وكانت رسل الملك داود قد تقدّمت في طلب الخطبة ، فأجاب المسترشد بالله أنّ الحكم في الخطبة إلى السلطان سنجَر من أراد خُطب له ، وأرسل إلى السلطان سنجَر أن لا يأذن لأحد في الخطبة ، فإن الخطبة ينبغي أن تكون له وحده ، فوقع ذلك منه موقعاً حسناً .

---

1) Cor. 79, vs. 24.

---

١ نطول بذكرها .

٢ مسعود .

Marfat.com

ثم إنّ السلطان مسعوداً[1] كاتب عمادَ الدين زنكي ، صاحب الموصل وغيرها ، يستنجده ، ويطلب مساعدته ، فوعده النصر ، فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة .

ثم إنّ الملك سَلْجوقشاه ابن السلطان محمّد سار أتابكه قراجة الساقي ، صاحب فارس وخُوزستان ، في عسكر كثير إلى بغداذ ، فوصل إليها قبل وصول السلطان مسعود ، ونزل في دار السلطان ، وأكرمه الخليفة ، واستحلفه لنفسه .

ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ، ويتهدّد إن منعها ، فلم يجب إلى ما طلبه ، فسار حتّى نزل عبّاسيّة[1] الخالص ، وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود إلى أن يفرغ من حرب أتابك عماد الدين زنكي ، وسار يوماً[2] وليلة إلى المعشوق ، وواقع عماد الدين زنكي فهزمه ، وأسر كثيراً من أصحابه ، وسار زنكي منهزماً إلى تكريت ، فعبر فيها دجلة ، وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين أيّوب ، فأقام له المعابر ، فلمّا عبر أمين الطلب ، وسار إلى بلاده لإصلاح حاله وحال رجاله ، وهذا الفعل من نجم الدين أيّوب كان سبباً لاتّصاله به والمصير في جملته ، حتّى آل بهم الأمر إلى مُلْك مصر والشام وغيرهما[3] على ما نذكره .

وأمّا السلطان مسعود فإنّه سار من العَبّاسيّة إلى الملكيّة ، ووقعت الطلائع بعضها على بعض ، ثم لم تزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومَيْن .

وأرسل سلجوقشاه إلى قراجة يستحثّه على المبادرة ، فعاد سريعاً وعبر

---

1) C. P. sine punctis. Bodl. عباسه .

---

١ مسعود .

٢ يوم .

٣ وغيرها .

Marfat.com

دجلة إلى الجانب الشرقيّ ، فلمّا علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع إلى ورائه ، وأرسل إلى الخليفة يعرّفه وصول السلطان سنجَر إلى الرَّيّ ، وأنّه عازم [على] قصد الخليفة وغيره ، وإن رأيتم أن نتّفق على قتاله ودَفْعه عن العراق ، ويكون العراق لوكيل الخليفة ، فأنا موافق على ذلك . فأعاد الخليفة الجواب يستوقفه .

وتردّدت الرسل في الصُّلح ، فاصطلحوا على أن يكون العراق لوكيل الخليفة ، وتكون السلطنة لمسعود ، ويكون سلجوقشاه وليّ عهده ، وتحالفوا على ذلك ، وعاد السلطان مسعود إلى بغداذ ، فنزل بدار السلطان ، ونزل سلجوقشاه في دار الشحنكيّة ، وكان اجتماعهم في جُمادى الأولى .

ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمّه السلطان سنجر

لمّا توفّي السلطان محمود سار السلطان سنجَر إلى بلاد الجبال ، ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمّد ، وكان عنده قد لازمه ، فوصل إلى الرَّيّ ، ثم سار منها إلى همَذان ، فوصل الخبر إلى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله إلى همَذان ، فاستقرّت القاعدة بينهما على قتاله ، وأن يكون الخليفة معهم ، وتجهّز الخليفة ، فتقدّم قراجة الساقي ، والسلطان مسعود ، وسلجوقشاه نحو السلطان سنجَر ، وتأخّر المسترشد بالله عن المسير معهم ، فأرسل إلى قراجة ، وألزمه ، وقال : إنّ الذي تخاف من سنجَر آجلاً أنا أفعله عاجلاً . فبرز حينئذ وسار على تريّث ، وتوقّف إلى أن بلغ إلى خانقين وأقام بها .

وقُطعت خطبة سنجَر من العراق جميعه ، ووصلت الأخبار بوصول عماد الدين زنكي ودُبيس بن صدقة إلى قريب بغداذ ، فأمّا دُبَيْس فإنّه ذكر أنّ السلطان سنجَر أقطعه الحِلّة ، وأرسل إلى المسترشد بالله يضرع ويسأل

Marfat.com

الرضا عنه ، فامتنع من إجابته إلى ذلك .

وأمّا عماد الدين زنكي فإنّه ذكر أنّ السلطان سنجرَ قد أعطاه شحنكيّة بغداذ ، فعاد المسترشد بالله إلى بغداذ ، وأمر أهلها بالاستعداد للمدافعة عنها ، وجنّد أجناداً جعلهم معهم .

ثم إنّ السلطان مسعوداً[1] وصل إلى دادمرج ، فلقيتهم طلائع السلطان سنجرَ في خلق كثير ، فتأخّر السلطان مسعود إلى كَرمانشاهان ، ونزل السلطان سنجرَ في أسداباذ في مائة ألف فارس ، فسار مسعود وأخوه سلجوقشاه إلى جَبَلَيْن يقال لهما : كاو ، وماهي ، فنزلا بينهما ، ونزل السلطان سنجرَ كِنْكوَر ، فلمّا سمع بانحرافهم أسرع في طلبهم ، فرجعوا إلى وراثهم مسيرة أربعة أيّام في يوم وليلة ، فالتقى العسكران بعُولان ، عند الدِّينَوَر ، وكان مسعود يدافع الحرب انتظاراً لقدوم المسترشد ، فلمّا نازله السلطان سنجرَ لم يجدْ بدّاً من المصافّ ، وجعل سنجرَ على ميمنته طغرلَ ابن أخيه محمّد ، وقماج ، وأمير أميران ، وعلى ميسرته خُوارزمشاه أتسِز بن محمّد مع جمع من الأمراء ، وجعل مسعود على ميمنته قراجة الساقي ، والأمير قَزل ، وعلى ميسرته يرنقش بازدار ، ويوسف جاووش ، وغيرهما ، وكان قزل قد واطأ سنجرَ على الانهزام .

ووقعت الحرب ، وقامت على ساقٍ ، وكان يوماً مشهوداً ، فحمل قراجة الساقي على القلب ، وفيه السلطان سنجرَ في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر ، وبين يدَيْه الفيلَة ، فلمّا حمل قراجة على القلب ، رجع الملك طغرل ، وخُوارزمشاه إلى وراء ظهره ، فصار قراجة في الوسط ، فقاتل إلى أن جُرح عدّة جراحات ، وقُتل كثير من أصحابه ، وأُخذ هو أسيراً وبه جراحات كثيرة ، فلمّا رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة ،

---

١ مسعود .

Marfat.com

وقُتل يوسف جاووش ، وحسين أزبك ، وهما من أكابر الأمراء ، وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة .

فلمّا تمّت الهزيمة على مسعود نزل سنجَر وأحضر قراجة ، فلمّا حضر قراجة سبّه وقال له : يا مفسد أيّ شيء كنتَ ترجو بقتالي ؟ قال : كنتُ أرجو أن أقتلك وأقيم سلطاناً أحكم عليه . فقتله صبراً ، وأرسل إلى السلطان مسعود يستدعيه ، فحضر عنده ، وكان قد بلغ خُونجَ ، فلمّا رآه قبّله ، وأكرمه ، وعاتبه على العصيان عليه ، ومخالفته ، وأعاده إلى كَنْجَة ، وأجلس الملك طغرل ابن أخيه محمّد في السلطنة ، وخطب له في جميع البلاد ، وجعل في وزارته أبا القاسم الأنسباذيّ ، وزير السلطان محمود ، وعاد إلى خُراسان ، فوصل إلى نَيسابور في العشرين من رمضان سنة ستّ وعشرين [وخمسمائة] .

وأمّا المسترشد بالله فكان منه ما نذكره .

ذكر مسير عماد الدين زنكي إلى بغداذ وانهزامه

لمّا سار المسترشد بالله من بغداذ ، وبلغه انهزام السلطان مسعود ، عزم على العود إلى بغداذ ، فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكي إلى بغداذ ، ومعه دُبَيْس ابن صدقة ، وكان السلطان سنجَر قد كاتبهما ، وأمرهما بقصد العراق، والاستيلاء عليه ، فلمّا علم الخليفة بذلك أسرع العود إليها ، وعبر إلى الجانب الغربيّ ، وسار فنزل بالعبّاسيّة ، ونزل عماد الدين بالمَنارية من دُجَيْل ، والتقيا بحصن البرامكة . في السابع والعشرين من[1] رجب، فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة، وبها جمال الدولة إقبال، فانهزموا منه، وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على

---

١ سابع وعشرين .

Marfat.com

ميمنة عماد الدين ودُبَيْس ، وحمل الخليفة بنفسه ، واشتدّ القتال ، فانهزم دُبَيْس ، وأراد عماد الدين الصبر ، فرأى الناس قد تفرّقوا عنه ، فانهزم أيضاً ، وقُتل من العسكر جماعة ، وأُسر جماعة ، وبات الخليفة هناك ليلته ، وعاد من الغد إلى بغداذ .

ذكر حال دُبَيْس بعد الهزيمة

وفيها عاد دُبَيْس ، بعد انهزامه المذكور ، يلوذ ببلاد الحِلّة وتلك النواحي ، وجمع جمعاً ، وكانت تلك الولاية بيد إقبال المسترشديّ ، فأمدّ بعسكر من بغداذ ، فالتقى هو ودُبَيْس ، فانهزم دُبَيْس واختفى في أجمة هناك ، وبقي ثلاثة أيّام لم يطعم شيئاً ، ولم يقدر على التخلّص منها ، حتّى أخرجه حمّاس[1] على ظهره .

ثم جمع جمعاً وقصد واسط ، وانضمّ إليه عسكرها ، وبختيار وشاق ، وابن أبي الجبر ، ولم يزل فيها إلى أن دخلت سنة سبع وعشرين [وخمسمائة] ، فنفذ إليهم برنقش بازدار ، وإقبال الخادم المسترشديّ ، في عسكر ، فاقتتلوا في الماء والبرّ ، فانهزم الواسطيّون ودُبَيْس ، وأُسر بختيار وشاق وغيره من الأمراء .

ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق

في هذه السنة ، في رجب ، توفّي تاج الملوك بوري بن طغتكين ، صاحب دمشق .

---

1) Bodl. C. P. جماس .

وسبب موته أنّ الجرح الذي كان به من الباطنيّة ، وقد ذكرناه ، اشتدّ عليه الآن ، وأضعفه ، وأسقط قوّته ، فتوفّي في الحادي والعشرين من رجب ، ووصّى بالملك بعده لولده شمس الملوك إسماعيل ، ووصّى بمدينة بعلبكّ وأعمالها لولده شمس الدولة محمّد .

وكان بوري كثير الجهاد ، شجاعاً ، مقداماً ، سدّ مسدّ أبيه ، وفاق عليه، وكان مُمدَّحاً ، أكثر الشعراء مدائحه ، لا سيّما ابن الخيّاط ، وملك بعده ابنه شمس الملوك ، وقام بتدبير الأمر بين يدَيْه الحاجب يوسف بن فيروز ، شِحنة دمشق ، وهو حاجب أبيه ، واعتمد عليه ، وابتدأ أمره بالرفق بالرعيّة ، والإحسان إليهم ، فكثُر الدعاء له والقصاد عليه .

ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبكّ

في هذه السنة ملك شمس الملوك إسماعيل ، صاحب دمشق ، حصن اللّبْوة ، وحِصن راس .

وسبب ذلك : أنّهما كانا لأبيه تاج الملوك ، وفي كلّ واحد منهما مستحفظ يحفظه[1] ، فلمّا ملك شمس الملوك بلغه أنّ أخاه شمس الدولة محمّداً[2] ، صاحب بعلبكّ ، قد راسلهما ، واستمالهما إليه ، فسلّما الحصنَيْن إليه ، وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما ، فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطفٍ يقبّح هذه الحال ، ويطلب أن يعيدهما إليه ، فلم يفعل ، فأغضى على ذلك ، وتجهّز من غير أن يُعلم أحداً .

---

١ يحفظها .

٢ محمد .

Marfat.com

وسار هو وعسكره ، آخر ذي القعدة ، فطلب جهة الشمال ، ثم عاد مغرّباً ، فلم يشعر من بحصن اللبّوة إلاّ وقد نزل عليهم ، وزحف لوقته ، فلم يتمكّنوا من نصب[1] منجنيق ولا غيره ، فطلبوا الأمان ، فبذله لهم ، وتسلّم الحصن من يومه ، وسار من آخر النهار إلى حصن راس ، فبغتهم ، وجرى الأمر فيه على تلك القضيّة ، وتسلّمه ، وجعل فيهما من يحفظهما[2] .

ثم رحل إلى بعلبكّ وحصرها ، وفيها أخوه شمس الدولة محمّد ، وقد استعدّ ، وجمع في الحصن ما يحتاج إليه من رجال وذخائر ، فحصرهم شمس الملوك ، وزحف في الفارس والراجل ، وقاتله أهل البلد على السور ، ثم زحف عدّة مرّات ، فملك البلد بعد قتال شديد ، وقتلى كثيرة ، وبقي الحصن ، فقاتله ، وفيه أخوه ، ونصب المجانيق[3] ، ولازم القتال ؛ فلمّا رأى أخوه شمس الدولة شدّة الأمر أرسل يبذل الطاعة ، ويسأل أن يُقَرّ على ما بيده ، وجعله أبوه باسمه ، فأجابه إلى مطلوبه ، وأقرّ عليه بعلبكّ وأعمالها ، وتحالفوا ، وعاد شمس الملوك إلى دمشق وقد استقامت له الأمور .

ذكر الحرب بين السلطان طُغرل والملك داود

في هذه السنة ، في رمضان ، كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن أخيه الملك داود بن محمود ، وكان سببها : أنّ السلطان سنجَر أجلس الملك طُغرل في السلطنة ، كما ذكرناه ، وعاد إلى خُراسان لأنّه بلغه أنّ صاحب

---

١ لنصب .

٢ يحفظها .

٣ المناجيق .

ما وراء النهر أحمد خان قد عصى[1] عليه ، فبادر إلى العود لتلافي ذلك الخرق ، فلمّا عاد إلى خراسان عصى[1] الملك داود على عمّه طغرل ، وخالفه ، وجمع العساكر بأذربيجان ، وبلاد كَنْجَة ، وسار إلى هَمَذان ، فنزل ، مستهلّ رمضان ، عند قرية يقال لها وَهَان ، بقرب هَمَذان .

وخرج[1] إليه طُغرل ، وعبّأ كلّ واحد منهما[2] أصحابه ميمنة وميسرة ، وكان على ميمنة السلطان طغرل ابن بُرسق ، وعلى ميسرته قزل ، وعلى مقدّمته قراسُنقر ؛ وكان على ميمنة داود يرنقش الزكويّ ، ولم يقاتل ، فلمّا رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ، ووقع الخلف في عسكر داود ، فلمّا رأى أتابكه آقسنقَر الأحمديليّ ذلك ولّى هرباً ، وتبعه الناس في الهزيمة ، وقبض طغرل على يرنقش الزكويّ ، وعلى جماعة من الأمراء .

وأمّا الملك داود فإنّه لمّا انهزم بقي متحيّراً إلى أوائل ذي القعدة ، فقدم بغداذ ومعه أتابكه آقسنقَر الأحمديليّ ، فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان ، وكان الملك مسعود بكَنْجَة ، فلمّا سمع بانهزام الملك داود توجّه نحو بغداذ ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ع

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين عليّ بن طِراد الزينبيّ ، واستوزر أنوشِروان بن خالد ، بعد أن امتنع ، وسأل الإقالة .

---

1) Bodl.

---

١ عصا .

٢ منه .

وفي هذه السنة قُتل أحمد بن حامد بن محمّد أبو نصر مستوفي السلطان محمود، الملقّب بالعزيز ، بقلعة تكريت ، وقد تقدّم سبب ذلك سنة خمس وعشرين [وخمسمائة] .

وفي المحرّم منها قُتل محمّد بن محمّد بن الحسين أبو الحسين بن أبي يعلى بن الفرّاء الحنبليّ ، مولده في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر ، وابن الحسين بن المهتدي ، وغيرهما ، وتفقّه ، قتله أصحابه غيلةً ، وأخذوا ماله .

وفي جُمادى الأولى توفّي أحمد بن عبيد الله بن كادش أبو العزّ العُكْبَريُّ، وكان محدّثاً مكثراً .

وتوفّي فيها أبو الفضل عبد الله بن المظفّر بن رئيس الرؤساء ، وكان أديباً ، وله شعر حسن ، فمنه ما كتبه إلى جلال الدين بن صدقة الوزير :

أمولانا جلالَ الدين ، يا مَن أذكّرُهُ بخِدمتيَ القَديمَهْ
ألم تكُ قد عزَمتَ على اصطِناعي ، فماذا صدّ عن تلكَ العَزيمَهْ؟

Marfat.com

٥٢٧

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

ذكر ملك شمس الملوك بانياس

في هذه السنة ، في صفر ، ملك شمس الملوك ، صاحب دمشق ، حصن بانياس من الفرنج .

وسبب ذلك : أنّ الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه ، وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم ، فتعرّضوا إلى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها ، فشكا التجار إلى شمس الملوك ، فراسل في إعادة ما أخذوه ، وكرّر القول فيه ، فلم يردّوا شيئاً ، فحملته[1] الأنفة من هذه الحالة ، والغيظ ، على أن جمع عسكره وتأهّب ، ولا يعلم أحد أين يريد .

ثم سار ، وسبق خبرَهُ ، أواخر المحرّم من هذه السنة ، ونزل على بانياس أوّل صفر ، وقاتلها[2] لساعته ، وزحف إليها[3] زحفاً متتابعاً ، وكانوا غير متأهّبين ، وليس فيها[4] من المقاتلة من يقوم بها[5] وقرب من سور المدينة ، وترجّل بنفسه ، وتبعه الناس من الفارس والراجل ، ووصلوا إلى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوةً ،

---

١ فحمله .

٢ وقاتله .

٣ إليه .

٤ فيه .

٥ به .

Marfat.com

والتجأ من كان من جند الفرنج إلى الحصن وتحصّنوا به ، فقُتل من البلد كثير من الفرنج ، وأُسر كثير[1] ، ونُهبت الأموال ، وقاتل القلعة قتالاً شديداً ليلاً ونهاراً ، فملكها رابع صفر بالأمان ، وعاد إلى دمشق فوصلها سادسه .

وأمّا الفرنج فإنّهم لمّا سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكراً يسيرون به إليه ، فأتاهم خبر فتحها ، فبطل ما كانوا فيه .

ذكر حرب بين المسلمين والفرنج

في هذه السنة ، في صفر ، سار ملك الفرنج ، صاحب البيت المقدّس ، في خيّالته ورجّالته إلى أطراف أعمال حلب ، فتوجّه إليه الأمير أسوار ، النائب بحلب ، في مَن عنده من العسكر ، وانضاف إليه كثير من التركمان ، فاقتتلوا عند قِنَّسْرين ، فقُتل من الطائفتَيْن جماعة كثيرة ، وانهزم المسلمون إلى حلب ، وتردّد ملك الفرنج في أعمال حلب ، فعاد أسوار وخرج إليه فيمن معه من العسكر ، فوقع على طائفةٍ منهم ، فأوقع بهم ، وأكثر القتل فيهم والأسر ، فعاد من سلم منهزماً إلى بلادهم ، وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ، ودخل أسوار حلب ، ومعه الأسرى ، ورؤوس القتلى ، وكان يوماً مشهوداً .

ثم إنّ طائفة من الفرنج من الرُّها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها ، فسمع بهم أسوار ، فخرج إليهم هو والأمير حسّان البعلبكيّ ، فأوقعوا بهم ، وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال ، وأسروا من لم يُقْتَل ، ورجعوا إلى حلب سالمين .

---

[1] كثيراً .

Marfat.com

ذكر عود السلطان مسعود إلى السلطنة وانهزام الملك طغرل

قد تقدّم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمّه السلطان سنجَر ، وعوده إلى كَنْجَةَ ، وولاية الملك طغرل السلطنة ، وأنّه تحارب هو والملك داود ابن أخيه محمود ، وانهزام داود ودخوله بغداذ ، فلمّا بلغ السلطانَ مسعوداً[1] انهزام داود وقصده بغداذ ، سار هو إلى بغداذ أيضاً ، فلمّا قاربها لقيه داود ، وترجّل له وخدمه ، ودخلا بغداذ .

ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر من هذه السنة ، وخاطب في الخطبة له ، فأُجيب إلى ذلك ، وخُطب له ولداود بعده ، وخُلع عليهما ، ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما ، ووقع الاتّفاق على مسير مسعود وداود إلى أذربيجان ، وأن يرسل الخليفة معهما عسكراً ، فساروا ، فلمّا وصلوا إلى مَراغة حمل آقسنقَر الأحمديليُّ مالاً كثيراً ، وإقامة عظيمة ، وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان ، وانهزم مَن بها من الأمراء مثل قراسنقر وغيره من بين يدَيْه ، وتحصّن منه كثير منهم بمدينة أرْدَبيل ، فقصدهم وحصرهم بها ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وانهزم الباقون .

ثم سار بعد ذلك إلى هَمَذان لمحاربة أخيه الملك طغرل ، فلمّا سمع طغرل بقربه برز إلى لقائه ، فاقتتلوا إلى الظُّهر ، ثم انهزم طغرل وقصد الرَّيّ ، واستولى السلطان مسعود على هَمَذان في شعبان ؛ ولمّا استقرّ مسعود بهمذان قُتل آقسنقَر الأحمديليُّ ، قتله الباطنيّة ، فقيل إنّ السلطان مسعوداً[1] وضع عليه مَن قتله .

---

١ مسعود .

ثم إنّ طغرل لمّا بلغ قُم[٤] عاد إلى أصبهان ودخلها ، وأراد التحصّن بها ، فسار إليه أخوه مسعود ليحاصره بها ، فرأى طغرل أنّ أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار ، فرحل عنهم إلى بلاد فارس ، واستولى مسعود على أصبهان ، وفرح أهلُها به ، وسار من أصبهان نحو فارس يقتصّ أثر أخيه طغرل ، فوصل إلى موضع بقرب البيضاء ، فاستأمن إليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمائة فارس ، فأمّنه ، فخاف طغرل من عسكره أن ينحازوا إلى أخيه ، فانهزم من بين يدَيْه ، وقصد الرَّيّ في رمضان ، وقُتل وزيره أبو[١] القاسم الأنساباذيّ[٤] في الطريق ، في شوّال ، قتله غلمان الأمير شيركير الذي سعى في قتله ، كما تقدّم ذكره .

وسار السلطان مسعود يتبعه ، فلحقه بموضع يقال له ذكراور[1] ، فوقع بينهما المصافّ هناك ، فلمّا اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل ، فوقع عسكره في أرض قد نضب عنها الماء ، وهي وحل ، فأسر منهم جماعة من الأمراء منهم : الحاجب تنكر[2] ، وابن بغرا ، فأطلقهم السلطان مسعود ، ولم يُقْتَل في هذا المصافّ إلاّ نفر يسير ورجع السلطان مسعود إلى همذان .

تم المجلد العاشر

1) Bodl. دكرار .

2) Ex marg. In textu: تنكش .

١ لما .

Marfat.com

Marfat.com

فهرست المجلد العاشر

٤٥١ ثمّ دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ٥

ذكر وفاة فرّخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه إبراهيم ٥
ذكر الصلح بين الملك إبراهيم وجُغري بك داود ٥
ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان ٦
ذكر حريق بغداذ ٧
ذكر انحدار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح دُبَيْس . . . ٨
ذكر عدّة حوادث ٩

٤٥٢ ثمّ دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ١٠

ذكر عود وليّ العهد إلى بغداذ مع أبي الغنائم بن المحلبان ١٠
ذكر ملك محمود بن سِبْل الدولة حلب ١١
ذكر عدّة حوادث ١٢

٤٥٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ١٤

ذكر وزارة ابن دارست للخليفة ١٤
ذكر موت المعزّ بن باديس وولاية ابنه تميم ١٥
ذكر وفاة قُريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة ١٧
ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان ١٧
ذكر عدّة حوادث ١٨

٤٥٤ ثمّ دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ٢٠

ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة ٢٠

Marfat.com

ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جُهير ٢٣
ذكر عدّة حوادث ٢٣
٤٥٥ ثمّ دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة ٢٥
ذكر ورود السلطان بغداذ ودخوله بابنة الخليفة ٢٥
ذكر وفاة السلطان طغرلبك ٢٦
ذكر شيء من سيرته ٢٨
ذكر ملك السلطان ألب أرسلان ٢٩
ذكر خروج حمّو عن طاعة تميم بن المعزّ بإفريقية ٢٩
ذكر عدّة حوادث ٣٠
٤٥٦ ثمّ دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة ٣١
ذكر القبض على عميد الملك وقتله ٣١
ذكر ملك ألب أرسلان خَتلان وهَراة وصَغانيان ٣٤
ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداذ والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداذ . . ٣٥
ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقُتلمش ٣٦
ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانيّة ٣٧
ذكر عدّة حوادث ٤١
٤٥٧ ثمّ دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ٤٤
ذكر الحرب بين بني حمّاد والعرب ٤٤
ذكر بناء مدينة بجاية ٤٦
ذكر ملك ألب أرسلان جَنْد وصَيْران ٤٩
ذكر عدّة حوادث ٤٩
٤٥٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ٥٠
ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه ٥٠

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس ٥٠
ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهيت وغيرهما ٥١
ذكر عدة حوادث ٥١
٤٥٩ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة ٥٣
ذكر عصيان ملك كرمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته . . . ٥٣
ذكر عدة حوادث ٥٤
٤٦٠ ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة ٥٧
ذكر عدة حوادث ٥٧
٤٦١ ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة ٥٩
ذكر عدة حوادث ٥٩
٤٦٢ ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة ٦٠
ذكر عدة حوادث ٦٠
٤٦٣ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة ٦٣
ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب ٦٣
ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب ٦٤
ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط وأسره ٦٥
ذكر ملك أتسز الرملة وبيت المقدس ٦٨
ذكر عدة حوادث ٦٨
٤٦٤ ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة ٧٠
ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداذ ٧٠
ذكر تزويج ولي العهد بابنة السلطان ٧٠

Marfat.com

ذكر ولاية أبي الحسن بن عمّار طرابلس ٧١
ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس ٧١
ذكر عدّة حوادث ٧٢

٤٦٥ ثمّ دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة ٧٣

ذكر قتل السلطان ألب أرسلان ٧٣
ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته ٧٤
ذكر ملك السلطان ملكشاه ٧٦
ذكر ملك صاحب سَمَرْقَنْد مدينة تِرمِذ ٧٧
ذكر قصد صاحب غزنة سَكْلَكَنْد ٧٨
ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمّه قاورت بك ٧٨
ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك ٧٩
ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان ٨٠
ذكر عدّة حوادث ٨٨

٤٦٦ ثمّ دخلت سنة ستّ وستين وأربعمائة ٩٠

ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه ٩٠
ذكر غرق بغداذ ٩٠
ذكر ملك السلطان ملكشاه تِرمِذ والهدنة بينه وبين صاحب سَمَرْقَنْد . . ٩٢
ذكر عدّة حوادث ٩٢

٤٦٧ ثمّ دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة ٩٤

ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته ٩٤
ذكر خلافة المقتدي بأمر الله ٩٦
ذكر عدّة حوادث ٩٧

Marfat.com

٤٦٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة ٩٩
ذكر ملك أقسيس دمشق ٩٩
ذكر عدّة حوادث ١٠٠
٤٦٩ ثمّ دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة ١٠٣
ذكر حصر أقسيس مصر وعوده عنها ١٠٣
ذكر عدّة حوادث ١٠٤
٤٧٠ ثمّ دخلت سنة سبعين وأربعمائة ١٠٧
ذكر عدّة حوادث ١٠٧
٤٧١ ثمّ دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ١٠٩
ذكر عزل ابن جُهير من وزارة الخليفة ١٠٩
ذكر استيلاء تتُش على دمشق ١١١
ذكر عدّة حوادث ١١٢
٤٧٢ ثمّ دخلت سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ١١٣
ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند ١١٣
ذكر ملك شرف الدولة مُسلم مدينة حلب ١١٤
ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان ١١٥
ذكر عدّة حوادث ١١٦
٤٧٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ١١٨
ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه ١١٨
ذكر عدّة حوادث ١١٩

Marfat.com

٤٧٤ ثمّ دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة ١٢٠
ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه ١٢٠
ذكر وفاة نور الدولة بن مزْيَد وإمارة ولده منصور ١٢١
ذكر محاصرة تميم بن المعزّ مدينة قابس ١٢١
ذكر عدّة حوادث ١٢١
٤٧٥ ثمّ دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ١٢٣
ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك ١٢٣
ذكر الفتنة ببغداذ بين الشافعية والحنابلة ١٢٤
ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان في رسالة ١٢٥
ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها ١٢٦
ذكر عدّة حوادث ١٢٧
٤٧٦ ثمّ دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة ١٢٩
ذكر عزل عميد الدولة بن جُهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة إلى
ديار بكر ١٢٩
ذكر عصيان أهل حرّان على شرف الدولة وفتحها ١٢٩
ذكر وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة ١٣٠
ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا ١٣١
ذكر استيلاء مالك بن عَلَوِيّ على القَيروان وأخذها منه ١٣٢
ذكر عدّة حوادث ١٣٢
٤٧٧ ثمّ دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة ١٣٤
ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جُهير وابن مروان وشرف الدولة . . . ١٣٤
ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل ١٣٦
ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه ١٣٧

ذكر فتح سليمان بن قُتلمش أنطاكية ١٣٨
ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه إبراهيم ١٣٩
ذكر عدّة حوادث ١٤١
٤٧٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ١٤٢
ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طُلَيْطُلة ١٤٢
ذكر استيلاء ابن جُهير على آمِد ١٤٣
ذكر ملكه أيضاً ميّافارقين ١٤٤
ذكر ملك جزيرة ابن عمر ١٤٤
ذكر عدّة حوادث ١٤٥
٤٧٩ ثمّ دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة ١٤٧
ذكر قتل سليمان بن قُتلمِش ١٤٧
ذكر ملك السلطان حلب وغيرها ١٤٨
ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مَزْيد وولاية ابنه صدقة ١٥٠
ذكر وقعة الزلاّقة بالأندلس وهزيمة الفرنج ١٥١
ذكر دخول السلطان إلى بغداذ ١٥٥
ذكر عدّة حوادث ١٥٧
٤٨٠ ثمّ دخلت سنة ثمانين وأربعمائة ١٦٠
ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة ١٦٠
ذكر عدّة حوادث ١٦١
٤٨١ ثمّ دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ١٦٤
ذكر الفتنة ببغداذ ١٦٤
ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة ١٦٥
ذكر ملك الروم مدينة زَوِيلَة وعودهم عنها ١٦٥

ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور ١٦٦
ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود ١٦٧
ذكر عدة حوادث ١٦٨
٤٨٢ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ١٧٠
ذكر الفتنة ببغداذ بين العامة ١٧٠
ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر ١٧١
ذكر عصيان سمرقند ١٧٣
ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني ١٧٣
ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها ١٧٥
ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام ١٧٦
ذكر الفتنة بين أهل بغداذ ثانية ١٧٦
ذكر حيلة لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً ١٧٨
ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم ١٧٩
ذكر عدة حوادث ١٨٠
٤٨٣ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ١٨٢
ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جهير ١٨٢
ذكر نهب العرب البصرة ١٨٣
ذكر عدة حوادث ١٨٥
٤٨٤ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ١٨٦
ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير ١٨٦
ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين ١٨٧
ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية ١٩٣
ذكر وصول السلطان إلى بغداذ ١٩٩
ذكر عدة حوادث ٢٠٥

Marfat.com

٤٨٥ ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة ٢٠٢

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيّان ٢٠٢
ذكر استيلاء تتُش على حمص وغيرها من ساحل الشام ٢٠٢
ذكر ملك السلطان اليمن ٢٠٣
ذكر مقتل نظام الملك ٢٠٤

ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره ٢٠٧
ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته ٢١٠
ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارُق إلى أن ملك . ٢١٤
ذكر قتل تاج الملك ٢١٦
ذكر ما فعله العرب بالحُجّاج والكوفة ٢١٧
ذكر عدّة حوادث ٢١٧

٤٨٦ ثمّ دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة ٢١٩

ذكر وزارة عزّ الملك بن نظام الملك لبركيارُق ٢١٩
ذكر حال تتُش بن ألب أرسلان ٢١٩
ذكر وقعة المُضَيَّع وأخذ الموصل من العرب ٢٢٠
ذكر ملك تتُش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام ٢٢٢
ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها ٢٢٣
ذكر قتل إسماعيل بن ياقوتي خال بركيارُق ٢٢٤
ذكر أخذ الحُجّاج ٢٢٥
ذكر عدّة حوادث ٢٢٥

٤٨٧ ثمّ دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ٢٢٩

ذكر الخطبة للسلطان بركيارُق ٢٢٩
ذكر وفاة المقتدي بأمر الله ٢٢٩
ذكر خلافة المستظهر بالله ٢٣١

Marfat.com

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر
وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداذ ٢٣٢
ذكر انهزام بركيارُق من عمّه تُتُش وملكه أصبهان بعد ذلك . . . ٢٣٤
ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر ٢٣٥
ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستَعْلي ٢٣٧
ذكر عدّة حوادث ٢٣٨

٤٨٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ٢٤١

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم ٢٤١
ذكر قتل أحمد خان صاحب سَمَرْقَنْد ٢٤٣
ذكر ما فعله يوسف بن آبق ببغداذ ٢٤٤
ذكر الحرب بين بركيارُق وتُتُش وقتل تُتُش ٢٤٤
ذكر حال الملك رُضوان وأخيه دُقاق بعد قتل أبيهما ٢٤٦
ذكر وفاة المعتمد بن عبّاد ٢٤٨
ذكر وفاة الوزير أبي شجاع ٢٥٠
ذكر الفتنة بنَيسابور ٢٥١
ذكر عدّة حوادث ٢٥١

٤٨٩ ثمّ دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة ٢٥٥

ذكر قتل يوسف بن آبق والمجنّ الحلبيّ ٢٥٥
ذكر وفاة منصور بن مروان ٢٥٦
ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضاً ٢٥٧
ذكر ملك كربوقا الموصل ٢٥٨
ذكر عدّة حوادث ٢٥٩

٤٩٠ ثمّ دخلت سنة تسعين وأربعمائة ٢٦٢

ذكر قتل أرسلان أرغون ٢٦٢

Marfat.com

ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور ٢٦٤
ذكر ملك بركيارُق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر ٢٦٥
ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفاً ٢٦٥
ذكر عصيان الأمير قودن وبارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان ٢٦٦
ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه ٢٦٧
ذكر الحرب بين رُضْوان وأخيه دُقاق ٢٦٩
ذكر الخطبة العلويّ المصري بولاية رُضوان ٢٦٩
ذكر عدّة حوادث ٢٧٠

٤٩١ ثمّ دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ٢٧٢

ذكر ملك الفرنج مدينة أنطاكية ٢٧٢
ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم ٢٧٦
ذكر ملك الفرنج معرّة النعمان ٢٧٨
ذكر الحرب بين الملك سنجَر ودولتشاه ٢٧٩
ذكر عدّة حوادث ٢٧٩

٤٩٢ ثمّ دخلت سنة اثنين وتسعين وأربعمائة ٢٨١

ذكر عصيان الأمير أنَر وقتله ٢٨١
ذكر ملك الفرنج ، لعنهم الله ، البيت المقدّس ٢٨٢
ذكر الحرب بين المصريّين والفرنج ٢٨٦
ذكر ابتداء ظهور السلطان محمّد بن ملكشاه ٢٨٧
ذكر الخطبة ببغداذ للملك محمّد ٢٨٩
ذكر قتل مجد الملك البلاسانيّ ٢٨٩
ذكر عدّة حوادث ٢٩١

٤٩٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ٢٩٣

ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارُق ببغداذ ٢٩٣

Marfat.com

ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وإعادة خطبة محمّد ببغداذ . . ٢٩٤
ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين ٢٩٥
ذكر حال السلطان بركيارُق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضاً وقتل أمير
داذَ حبشي ٢٩٦
ذكر فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس ٢٩٨
ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته ٢٩٨
ذكر ظفر المسلمين بالفرنج ٣٠٠
ذكر عدّة حوادث ٣٠١

٤٩٤ ثمّ دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ٣٠٣

ذكر الحرب بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وقتل مؤيّد الملك . . . ٣٠٣
ذكر حال السلطان محمّد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سَنجَر . . . ٣٠٥
ذكر ما فعله السلطان بركيارُق ودخوله بغداذ ٣٠٦
ذكر خلاف صدقة بن مَزْيَد على بركيارُق ٣٠٨
ذكر وصول السلطان محمّد إلى بغداذ ورحيل السلطان بركيارُق عنها . . ٣٠٩
ذكر حال قاضي جبلة ٣١٠
ذكر قتل الباطنيّة ٣١٣
ذكر ما فعل بهم العامّة بأصبهان ٣١٤
ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم ٣١٥
ذكر ما فعله جاولي سقاوو بالباطنيّة ٣١٩
ذكر قتل صاحب كرمان الباطنيّ وملك غيره ٣٢٠
ذكر السبب في قتل بركيارُق الباطنيّة ٣٢٢
ذكر حصر الأمير بزغش قُهِستان وطَبَس ٣٢٤
ذكر ما ملك الفرنج من الشام ٣٢٤
ذكر عدّة حوادث ٣٢٥

Marfat.com

٤٩٥ ثمّ دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة ٣٢٨

ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر بأحكام الله ٣٢٨
ذكر الحرب بين السلطان بركيارُق والسلطان محمد والصلح بينهما . . . ٣٢٩
ذكر الحرب بين السلطان بركيارُق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما . . . ٣٣٢
ذكر حصار السلطان محمّد بأصبهان ٣٣٣
ذكر قتل الوزير الأعزّ ووزارة الخطير أبي منصور ٣٣٥
حادثة يُعتَبر بها ٣٣٧
ذكر الفتنة بين إيلغازي وعامّة بغداذ ٣٣٧
ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها ٣٣٨
ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانيّ الموصل وجكرمش بعده وملك سُقمان
الحصن ٣٤١
ذكر حال صِنجيل الفرنجيّ وما كان منه في حصار طرابلس ٣٤٣
ذكر ما فعله الفرنج ٣٤٥
ذكر عود قلعة خُفْتِيذ كان إلى سُرخاب بن بدر ٣٤٦
ذكر قتل قدرخان صاحب سَمَرْقَنْد ٣٤٧
ذكر ملك محمد خان سمرقند ٣٥٠
ذكر عدّة حوادث ٣٥٠

٤٩٦ ثمّ دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة ٣٥٣

ذكر استيلاء يَنّال على الرَّيّ وأخذها منه ووصوله إلى بغداذ . . . ٣٥٣
ذكر ما فعله يَنّال بالعراق ٣٥٤
ذكر وصول كشتكين القَيْصريّ شحنة إلى بغداذ والفتنة بينه وبين إيلغازي
وسُقمان وصلحه ٣٥٥
ذكر استيلاء صلحة على هَيت ٣٥٨
ذكر الحرب بين بركيارُق ومحمّد ٣٥٩
ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة . ٣٦٢

Marfat.com

ذكر ملك الملك دُقاق مدينة الرُّحبة ٣٦٣
ذكر أخبار الفرنج بالشام ٣٦٤
ذكر عدّة حوادث ٣٦٦

٤٩٧ ثمّ دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة ٣٦٨

ذكر ملك بَلَك بن بهرام بن أُرتق مدينة عانة ٣٦٨
ذكر غارة الفرنج على الرُّقة وقلعة جَعْبَر ٣٦٩
ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمّد ٣٦٩
ذكر ملك الفرنج جُبَيْل وعكّا من الشام ٣٧٢
ذكر غزو سُقمان وجكرمش الفرنج ٣٧٣
ذكر وفاة دُقاق وملك ولده ٣٧٥
ذكر استيلاء صدقة على واسِط ٣٧٧
ذكر عدّة حوادث ٣٧٧

٤٩٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ٣٨٠

ذكر وفاة السلطان بركيارُق ٣٨٠
ذكر عمره وشيء من سيرته ٣٨١
ذكر الخطبة للكشاه بن بركيارُق ٣٨٢
ذكر حصر السلطان محمّد جكرمش بالموصل ٣٨٢
ذكر وصول السلطان إلى بغداذ وصلحه مع ابن أخيه والأمير إياز . . . ٣٨٤
ذكر قتل الأمير إياز ٣٨٧
ذكر وفاة سُقمان بن أرتق ٣٨٩
ذكر حال الباطنيّة هذه السنة بخراسان ٣٩٢
ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام ٣٩٣
ذكر حرب الفرنج والمصريين ٣٩٤
ذكر عدّة حوادث ٣٩٥

٤٩٩ ثمّ دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة ٣٩٨

ذكر خروج منكبرس على السلطان محمّد ٣٩٨
ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج ٣٩٩
ذكر الحرب بين عُبادة وخفّاجة ٤٠٠
ذكر ملك صدقة البصرة ٤٠٢
ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها ٤٠٥
ذكر ملك طغتكين بُصْرى ٤٠٧
ذكر ملك الفرنج حصن أفاميّة ٤٠٨
ذكر نهب العرب البصرة ٤١١
ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج ٤١١
ذكر عدّة حوادث ٤١٤

٥٠٠ ثمّ دخلت سنة خمسمائة ٤١٧

ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه عليّ ٤١٧
ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك ٤١٨
ذكر ملك صدقة بن مَزْيد تكريت ٤١٩
ذكر الحرب بين عُبادة وخفّاجة ٤٢١
ذكر مسير جاولي سقاوو إلى الموصل وأسر صاحبها جكرمش ٤٢٢
ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش ٤٢٤
ذكر الحرب بين ملك القسطنطينيّة والفرنج ٤٢٥
ذكر ملك قلج أرسلان الموصل ٤٢٦
ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولي الموصل ٤٢٨
ذكر أحوال الباطنيّة بأصبهان وقتل ابن عطّاش ٤٣٠
ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومُهذّب الدولة صاحب البطيحة . . ٤٣٥
ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك ٤٣٧
ذكر عدّة حوادث ٤٣٨

٥٠١ ثمّ دخلت سنة إحدى وخمسمائة ٤٤٠
ذكر قتل صدقة بن مزيد ٤٤٠
ذكر وفاة تميم بن المعزّ صاحب إفريقية وولاية ابنه يحيى ٤٤٩
ذكر ملك يحيى قلعة قُلَيبية ٤٥١
ذكر قدوم ابن عمّار بغداذ مستنفراً ٤٥٢
ذكر عدّة حوادث ٤٥٤
٥٠٢ ثمّ دخلت سنة اثنتين وخمسمائة ٤٥٧
ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود . . . ٤٥٧
ذكر حال جاولي مدّة الحصار ٤٥٩
ذكر إطلاق جاولي للقُمّص الفرنجيّ ٤٦٠
ذكر ما جرى بين هذا القُمّص وبين صاحب أنطاكية ٤٦١
ذكر حال جاولي بعد إطلاق القُمّص ٤٦٢
ذكر الحرب بين جاولي والفرنج ٤٦٤
ذكر عود جاولي إلى السلطان ٤٦٦
ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهُدنة بعدها ٤٦٧
ذكر انهزام طغتكين من الفرنج ٤٦٧
ذكر صُلح السنّة والشيعة ببغداذ ٤٦٩
ذكر عدّة حوادث ٤٧٠
٥٠٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ٤٧٥
ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام ٤٧٥
ذكر ملك الفرنج جُبيل وبانياس ٤٧٦
ذكر الحرب بين محمّد خان وساغربك ٤٧٧
ذكر عدّة حوادث ٤٧٧
٥٠٤ ثمّ دخلت سنة أربع وخمسمائة ٤٧٩
ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا ٤٧٩

Marfat.com

ذكر استيلاء المصريّين على عَسقلان ٤٨٠
ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب وغيره ٤٨١
ذكر عدّة حوادث ٤٨٣

٥٠٥ ثمّ دخلت سنة خمس وخمسمائة ٤٨٥

ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج ٤٨٥
ذكر حصر الفرنج مدينة صور ٤٨٨
ذكر انهزام الفرنج بالأندلس ٤٩٠

٥٠٦ ثمّ دخلت سنة ست وخمسمائة ٤٩٢

٥٠٧ ثمّ دخلت سنة سبع وخمسمائة ٤٩٥

ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود ٤٩٥
ذكر الخلف بين السلطان سَنْجَر ومحمّد خان والصلح بينهما . . . ٤٩٧
ذكر عدّة حوادث ٤٩٨

٥٠٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وخمسمائة ٥٠١

ذكر مسير آقسنقر البُرسقيّ إلى الشام لحرب الفرنج ٥٠١
ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البُرسقيّ ٥٠٢
ذكر الحرب بين البُرسقيّ وإيلغازي وأسْر إيلغازي ٥٠٢
ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر . ٥٠٤
ذكر عدّة حوادث ٥٠٨

٥٠٩ ثمّ دخلت سنة تسع وخمسمائة ٥٠٩

ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج ٥٠٩
ذكر ملك الفرنج رَفَنيّة وأخذها منهم ٥١٢
ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه عليّ ٥١٢
ذكر عدّة حوادث ٥١٤

Marfat.com

٥١٠ ثمّ دخلت سنة عشر وخمسمائة ٥١٦

ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان ٥١٦

ذكر وفاة جاولي سقاوو وحال بلاد فارس معه ٥١٦

ذكر فتح جبل وسلات وتونس ٥٢١

ذكر الفتنة بطوس ٥٢٢

ذكر عدّة حوادث ٥٢٣

٥١١ ثمّ دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة ٥٢٥

ذكر وفاة السلطان محمّد وملك ابنه محمود ٥٢٥

ذكر بعض سيرته ٥٢٦

ذكر حال الباطنيّة أيّام السلطان محمّد ٥٢٧

ذكر حصار قابس وللهديّة ٥٢٩

ذكر الوحشة بين رجّار والأمير عليّ ٥٣٠

ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء إيلغازي عليها ٥٣١

ذكر عدّة حوادث ٥٣٢

٥١٢ ثمّ دخلت سنة اثني عشرة وخمسمائة ٥٣٣

ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البُرسقيّ شحنكيّة بغداذ . . ٥٣٣

ذكر وفاة المستظهر بالله ٥٣٤

ذكر بعض أخلاقه وسيرته ٥٣٥

ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله ٥٣٦

ذكر هرب الأمير أبي الحسن ألتي المسترشد وعوده ٥٣٧

ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك إلى العراق وما كان بينهما وبين البُرسقيّ ودُبَيْس ٥٣٩

ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين ٥٤٣

ذكر عدّة حوادث ٥٤٤

٥١٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ٥٤٧
ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود ٥٤٧
ذكر الحرب بين سَنجَر والسلطان محمود ٥٤٨
ذكر غزاة إيلغازي بلاد الفرنج ٥٥٣
ذكر وقعة أخرى مع الفرنج ٥٥٥
ذكر قتل منكوبرس ٥٥٦
ذكر قتل الأمير عليّ بن عمر ٥٥٧
ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة ٥٥٨
ذكر ملك عليّ بن سكّمان البصرة ٥٥٩
ذكر عدّة حوادث ٥٦٠

٥١٤ ثمّ دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة ٥٦٢
ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما . . ٥٦٢
ذكر حال دُبَيْس وما كان منه ٥٦٥
ذكر خروج الكُرْج إلى بلاد الإسلام وملك تِفليس ٥٦٧
ذكر غزوات إيلغازي هذه السنة ٥٦٨
ذكر ابتداء أمر محمّد بن تُومَرت وعبد المؤمن وملكهما ٥٦٩
ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن ٥٧٧
ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مرّاكُش ٥٨٣
ذكر ظفر عبد المؤمن بدكّالة ٥٨٥
ذكر حصر مدينة كُتُلة ٥٨٦
ذكر عدّة حوادث ٥٨٦

٥١٥ ثمّ دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة ٥٨٨
ذكر إقطاع البُرسقيّ الموصل ٥٨٨
ذكر وفاة الأمير عليّ وولاية ابنه الحسن إفريقية ٥٨٨
ذكر قتل أمير الجيوش ٥٨٩

Marfat.com

ذكر عصيان سليمان بن إيلغازي على أبيه ٥٩١
ذكر إقطاع ميّافارقين إيلغازي ٥٩٢
ذكر حصر بَلَك بن بَهرام الرُّها وأسر صاحبها ٥٩٣
ذكر عدّة حوادث ٥٩٣

٥١٦ ثمّ دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة ٥٩٧

ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود ٥٩٧
ذكر حال دُبَيْس بن صدقة وما كان منه ٥٩٨
ذكر قتل السّميريّ ٦٠١
ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة عليّ بن طِراد . . . ٦٠٢
ذكر قتل جيوش بك ٦٠٣
ذكر وفاة إيلغازي وأحوال حلب بعده ٦٠٤
ذكر عدّة حوادث ٦٠٤

٥١٧ ثمّ دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة ٦٠٧

ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دُبَيس ٦٠٧
ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب ٦١٠
ذكر ملك بَلَك حرّان وحلب ٦١١
ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بإفريقية ٦١١
ذكر استيلاء الفرنج على خَرْتَبِرْت وأخذها منهم ٦١٣
ذكر قتل وزير السلطان وعَوْد ابن صدقة إلى وزارة الخليفة ٦١٤
ذكر ظفر السلطان محمود بالكُرْج ٦١٥
ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر ٦١٦
ذكر عدّة حوادث ٦١٦

٥١٨ ثمّ دخلت سنة ثماني عشرة وخمسمائة ٦١٩

ذكر قتل بكلك بن بهرام بن أرتق وملك تمرتاش حلب ٦١٩

Marfat.com

ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام ٦٢٠
ذكر عزل البُرسقيّ عن شحنكيّة العراق وولاية برغش الزكوي . . . ٦٢٢
ذكر ملك البُرسقيّ مدينة حلب ٦٢٣
ذكر عدّة حوادث ٦٢٤

٥١٩ ثمّ دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة ٦٢٦

ذكر وصول الملك طغرل ودُبَيْس بن صدقة إلى العراق وعودهما عنه . ٦٢٦
ذكر فتح البُرسقيّ كفرطاب وانهزامه من الفرنج ٦٢٨
ذكر قتل المأمون بن البطائحيّ ٦٢٩
ذكر عدّة حوادث ٦٣٠

٥٢٠ ثمّ دخلت سنة عشرين وخمسمائة ٦٣١

ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالأندلس ٦٣١
ذكر قصد بلاد الإسماعيليّة بخراسان ٦٣١
ذكر ملك الإسماعيليّة قلعة بانياس ٦٣٢
ذكر قتل البُرسقيّ وملك ابنه عزّ الدين مسعود ٦٣٣
ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود ٦٣٥
ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام ٦٣٩
ذكر عدّة حوادث ٦٤٠

٥٢١ ثمّ دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ٦٤١

ذكر ولاية الشهيد أتابك زنكي شحنكيّة العراق ٦٤١
ذكر عود السلطان عن بغداذ ووزارة أنوشروان بن خالد ٦٤٢
ذكر وفاة عز الدين بن البرسقيّ وولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها . ٦٤٣
ذكر عدّة حوادث ٦٤٧

Marfat.com

٥٢٢ ثمّ دخلت سنة اثنين وعشرين وخمسمائة ٦٤٩

ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب ٦٤٩
ذكر قدوم السلطان سَنْجَرَ إلى الرَّيّ ٦٥١
ذكر عدّة حوادث ٦٥٢

٥٢٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ٦٥٤

ذكر قدوم السلطان محمود إلى بغداذ ٦٥٤
ذكر ما فعله دُبَيْس بالعراق وعود السلطان إلى بغداذ ٦٥٥
ذكر قتل الإسماعيليّة بدمشق ٦٥٦
ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم ٦٥٧
ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة ٦٥٨
ذكر عدّة حوادث ٦٥٩

٥٢٤ ثمّ دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ٦٦١

ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمّد خان وملك محمود بن محمّد خان المذكور ٦٦١
ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الأثارب وهزيمة الفرنج ٦٦٢
ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضاً مدينة سرجي ودارا ٦٦٤
ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوي ٦٦٤
ذكر عدّة حوادث ٦٦٥

٥٢٥ ثمّ دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ٦٦٨

ذكر أسر دُبَيْس بن صدقة وتسليمه إلى عماد الدين زنكي ٦٦٨
ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ٦٦٩
ذكر عدّة حوادث ٦٧٠

Marfat.com

٥٣٦ ثمّ دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ٦٧٢
ذكر قتل أبي عليّ وزير الحافظ ووزارة يانس وموته ٦٧٢
ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق
لمسعود ٦٧٤
ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمّه السلطان سنجر ٦٧٦
ذكر مسير عماد الدين زنكي إلى بغداذ وانهزامه ٦٧٨
ذكر حال دُبَيْس بعد الهزيمة ٦٧٩
ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق ٦٧٩
ذكر ملك شمس الملوك حصن البوة وحصن راس وحصره بعلبكّ . . ٦٨٠
ذكر الحرب بين السلطان طُغرل والملك داود ٦٨١
ذكر عدّة حوادث ٦٨٢
٥٣٧ ثمّ دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة ٦٨٤
ذكر ملك شمس الملوك بانياس ٦٨٤
ذكر حرب بين المسلمين والفرنج ٦٨٥
ذكر عود السلطان مسعود إلى السلطنة وانهزام الملك طغرل . . . ٦٨٦

Marfat.com

الكامل في التاريخ

(١)

لابن الأثير